الجزء الثالث



التاريخ العربي والمؤرخون

٣

شاكر مصطفى

التاريخ العربي والمؤرخون

دراسة في تطور علم التاريخ
ومعرفة رجاله في الإسلام

الجزء الثالث

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو

ص.ب ١٠٨٥ - تلفون: ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩

برقياً: ملاين - تلكس: ٢٣١٦٦ ملايين

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

آذار / مارس ١٩٩٠

بين يدي الكتاب

هذا هو الجزء الثالث من كتاب «التاريخ العربي والمؤرخون». وهو القسم الأول من كتابين خصصناهما للمؤرخين في المشرق الإسلامي في العصر المملوكي والمغولي حتى مطالع العهد العثماني. ولقد طال الأمد بين هذا الجزء وبين سابقيه لظروف لا يد لي فيها. ولعل منها أنه طال واستطال فصار يحتل من مشروع الكتاب الأصلي جزءين بدل الجزء الواحد، ومنها أن المرض وقف دون متابعة العمل مرتين، ومنها انشغالي بأعمال ملحة أخرى ابتلعت كل وقتي وجهدي. وأرجو ألا يحول شيء بعد الآن دون استكمال هذه السلسلة تباعاً بباقي المدارس التاريخية في المشرق، ثم في المغرب والأندلس.

وإذا أطلقنا على العصر الذي ندرسه اسم العصر المملوكي والمغولي ـ التركماني فإن هي إلّا تسمية سياسية اصطنعناها. ويهمنا أن نسجل أنها أخذت من الحكام، ولا علاقة لها بالفكر والعلم والثقافة، وليس لها أكثر من القيمة السياسية، وإنما جاءت لتحديد المعالم الزمنية ليس غير، مؤكّدين في الوقت نفسه أن الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية في العهود الإسلامية كانت متصلة بعضها مع بعض على الدوام، وكانت تكوّن النسيج الأساسي لإنتاج أهل البلاد العربية والإسلامية ولمدى جهودهم وعلاقاتهم، ولم يكن يتأثر بها الحكام بقدر ما كانت هي نفسها تفرض اتجاهاتها عليهم جميعاً وتسوقهم في تيارها.

ونرجو الله العون على وضع باقي الأجزاء جميعاً بين أيدي الباحثين عن قريب. إنه المستعان.

كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨

شاكر مصطفى

التاريخ في المشرق
في العصر المملوكي والمغولي - التركماني
ملامح العصر والانتاج التاريخي

١ ـ ملامح العصر

قد يكون التواقت ما بين سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ. /١٢٥٨م.، وسقوط السلطنة والإمارات الأيوبية في مصر والشام والجزيرة على يد المماليك، ثم على يد المغول ما بين سنتي ٦٤٨ـ٦٥٨هـ. /١٢٥٠ ـ ١٢٦٠ م. قد أوقع التاريخ السياسي في المشرق الإسلامي في نوع من الانقطاع، وأعطاه كله مسيرة جديدة، بدأت به عهداً جديداً أدخل العراق وإيران وما وراء ذلك إلى الشرق تحت السيطرة المغولية، بينما تركت مصر والشام والحجاز للقواد العسكريين المماليك يتداولون الحكم فيها مملوكاً بعد مملوك. وإنما اقتسم الطرفان حكم المنطقة نتيجة لهزيمة المغول الحاسمة في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ. /١٢٦٠م.

فأما العراق وإيران وما أخضعه المغول وراءهما من الأرض فقد أخذت صِلاتُهُ السياسية مع باقي المشرق الإسلامي طابعَ العداء والعدوان المتقطع، الذي هدّد الحضارة العربية الإسلامية بالدمار أحياناً، كما جرى أيام تيمور الأعرج بالرغم من دخول العنصر المغولي الغازي في الإسلام سريعاً، وذوبانه التدريجي في بحران تلك الحضارة.

وأما بلاد مصر والشام وما يدخل في إطارهما من المنطقة العربية فقد انصرفت رغم العداء الصليبي إلى بناء علاقاتها السياسية والاقتصادية عبر البحر المتوسط مع القوى الأوروبية، وإلى استغلال الموقع الاستراتيجي للمنطقة في دعم قوتها وغناها الاقتصادي. استمرَّ هذا وذاك ما يزيد على قرنين ونصف القرن إلى أن نبتت في المشرق الإسلامي، وعلى حساب الدولة البيزنطية العجوز، دولة إسلامية جديدة بدأت به مسيرة جديدة أُخرى بزعامة آل عثمان.

وإذا شئنا أن نكون أكثر دقة وتفصيلاً، لخصنا التطورات السياسية لهذا المشرق منذ سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ. /١٢٥٨م. وحتى مطلع العهد العثماني على الشكل التالي:

١ ـ فرضت على العراق وإيران سلطة المغول التي بدأت بالعهد الإيلخاني وقد امتدّ قرابة ثمانين سنة (٦٥٦ ـ ٧٣٨هـ. /١٢٥٨ ـ ١٣٣٨م.).

٢ ـ فلما انقرضوا جاء العهد الجلايري[1] الذي استمرّ فترة أخرى تقارب ثلاثة أرباع القرن (٨٣٨ ـ ٨١٤هـ. /١٣٣٨ ـ ١٤١١م.) تخللها العهد الجغتائي الذي يتمثل في تيمور وأخلافه. . .

٣ ـ ثم كان في العراق وغرب إيران عهد التركمان (قره قوينلو، وآق قوينلو، والحكم الصفوي) الذي دام قرناً وربع القرن أيضاً تقريباً (٨١٤ ـ ٩٤١هـ. /١٤١١ ـ ١٥٣٤م.) إلى أن دخل العثمانيون بغداد تلك السنة ليضموه، كما ضموا من قبله معظم البلاد العربية إلى إمبراطوريتهم، فلم يخرجوا منه ومنها إلاّ في مطالع القرن العشرين سنة ١٩١٨ مع نهاية الحرب العالمية الأولى.

٤ ـ وكان مصير الشام ومصر والحجاز مختلفاً، إذ ترابطت هذه الأقطار في نظام سياسي غربي واحد استمر قرابة ثلاثة قرون إلاّ ربع القرن. فقد تسلّم مماليك الأيوبيين حكم مصر منذ سنة ٦٥٠هـ. /١٢٥٢م. ثم أتموا وراثة السلطنة الأيوبية مع إماراتها المتفرقة جميعاً بعد انتصارهم على المغول سنة ٦٥٨هـ. /١٢٦٠م. فجمعوا ما بين حلب والجزيرة إلى القاهرة، ثم إلى الحجاز، وتوالى على الحكم منهم ما بين المماليك (البحرية) والمماليك (البرجية) ٥٣ سلطاناً عاد بعضهم إلى الحكم مرتين أو ثلاث مرات، وحكم بعضهم أشهراً معدودات، وكان أبرزهم وأطولهم عهداً الظاهر بيبرس وقلاوون الألفي، ثم ابنه محمد الناصر والملك الأشرف شعبان من الأوائل ثم الأشرف برس باي، وسيف الدين قايتباي وقانصوه الغوري من الأواخر[2].

---

(١) وجهنا الانتباه في هذا التلخيص إلى العراق خاصة وأهملنا التطورات السياسية في إيران وما وراءهما من أرض الهند وأرض تركستان، لأن الإنتاج الفكري في هذه البلاد جميعاً، كان في معظمه في هذه القرون بغير اللغة العربية، فهو لا يدخل في بحثنا حول التاريخ العربي. ولعلنا نشير فقط إلى أن فارس وكرمان حتى أذربيجان أي المناطق الغربية والجنوبية من إيران خضعت لآل مظفر ما بين سنة ٧١٣ ـ ٧٩٥هـ. /١٣١٣ ـ ١٣٩٣م.، وقد عاصرهم آل سربداران في خراسان وأمراء كرت في هراة. ثم جاء عهد التركمان في غرب إيران والعراق، فاستمرّ قرناً وربع القرن حتى انقرض على يد الأسرة الصفوية التي ظهرت منذ (سنة ٩٠٧هـ. /١٥٠٢م.) في تبريز. وهي التي عاصرت ونافست العثمانيين حتى انقرضت سنة ١١٤٨هـ. /١٧٣٦م. لتحل محلها من بعد الأسرة القاجارية.

(٢) كان سلاطين المماليك الأوائل (البحرية) بعد قلاوون من أولاده وأحفاده. فلما انتهى أمرهم على يد أول المماليك البرجية الجراكسة السلطان برقوق توالى على عرش السلطنة من هؤلاء منذ سنة ١٣٨٢م. حتى سنة ١٥١٧م. أي خلال ١٣٤ سنة خمسة وعشرون سلطاناً حكم تسعة منهم مائة وثلاث سنوات (وهم برقوق، فرج، شيخ، برس باي، جقمق، إينال خشقدم، قايتباي، قانصوه الغوري) وبهؤلاء يرتبط تاريخ المماليك. أما الباقون وهم ١٦ سلطاناً فقد حكموا في مجموعهم نحو تسع سنوات فقط.

٥ ــ وأما اليمن التي كانت وقعت في أيدي الأيوبيين منذ سنة ٥٦٩هـ. ، فقد استمرت في أيديهم نصف قرن تقريباً كان الحكم خلاله لأخوين من أشقاء صلاح الدين، ثم لأبنائهم من بعدهم، حتى قضى عليهم الرسوليون الذين امتدّ حكمهم من حضرموت إلى مكة قرابة قرنين وربع القرن (٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ. /١٢٢٩ ـ ١٤٥٤م.)، وقد استطاع بنو طاهر منذ سنة ٨٥٠هـ. /١٤٤٦م. أن ينزعوا الحكم من آل رسول مدة ثلاثة أرباع القرن حتى أسقطهم قانصوه الغوري سلطان المماليك، ولكنه لم يمتع بحكم ما بين الشام واليمن ومصر، لأن العثمانيين سرعان ما قضوا على سلطنته هذه في الشام، ثم في مصر، ثم في اليمن أيضاً فدخلوها سنة ٩٢٣هـ. /١٥١٧م. ليفاجأوا فيها بمقاومة غير منتظرة قادها أئمة اليمن من الزيديين حتى انتصروا في مطالع القرن الحالي نهائيًّا بعد جولات من الاحتلال والجلاء. . .

ويمكن القول إن هذا العصر المملوكي المغولي، الذي بدأ بإعادة توزيع القوى الإسلامية في المشرق العربي، والفارسي بين المماليك والمغول والأتراك (السلاجقة ثم العثمانيين في الأناضول) في أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، قد انتهى أيضاً بدوره بإعادة توزيع القوى من جديد، خلال القرن العاشر، وبالذات خلال الربع الأول منه (السادس عشر). وكاد هذا التوزيع الجديد يشمل العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه.

١ ــ فقد احتلّ الأتراك العثمانيون المشرق العربي كله، ووطدوا سلطانهم في غرب آسيا، وامتدوا بسلطانهم ونفوذهم في شمال إفريقيا حتى حدود المغرب.

٢ ــ وأقام الصفويون في إيران دولة شيعية قائمة بذاتها، أضافت إلى التباين العرقي واللغوي بين بلاد الوسط الإسلامي وبينها حاجزاً إضافياً، هو حاجز المذهب الديني، فجعلوا الدولة شيعية بمختلف الوسائل. فزاد التباعد بينه وبين إيران لا سيّما بعد هجمات العداء والحروب بينهم وبين العثمانيين. ونجت العراق من الحاجز اللغوي لاتصالها الوثيق بالإطار العربي، كما أنها رغم وجود العتبات المقدسة فيها لم تتشيع إلاّ إلى حد ما، وتضاءل تشيعها مع احتلال العثمانيين السريع لها فبقيت بعيدة عن الأثر الإيراني.

٣ ــ وأقام الشيبانيون دويلات أوزبكية عديدة في أواسط آسيا.

٤ ــ وظهر في الهند بيت المغول.

٥ ــ وهبَّ بيت الشرفاء السعديين يدفع الإسبان والبرتغال عن المغرب.

٦ ــ ونستطيع أن نضيف أن زنج النيجر أيضاً قام فيهم، من تلك الفترة، نظام جديد هو عهد الأسبقيين، لآل سنقاي.

وكما ترك توزيع القوى السابق (من أواسط القرن السابع الهجري/الثالث عشر

الميلادي) أثره في التاريخ الإسلامي في المشرق، وكان السبب في ازدهار مدرستي الشام ومصر، كما أخمد تدريجياً مدرسة بغداد العربية في المشرق الفارسي، كذلك ترك التوزيع الذي جاء في الرُبع الأول من القرن العاشر أثره الواضح، وربما الأقوى، في الثقافة الإسلامية عامة، بإيجاد ترتيب جديد لها، وتوجيه مختلف للأمور، مما خلف آثاراً في جميع ألوان الأدب، وبخاصة في التاريخ. وكان التاريخ العربي بالذات أكثر التواريخ تأثراً لأنه انحط مع الأيام بشكل واسع. وانتقلت مراكزه فتوزعت بين العواصم المختلفة، وانزوت إلى الأطراف القصية؛ في حين ازدهر التاريخ الفارسي والتركي، ومشيا على مناهج فيها شيء من الحيوية والابتكار رغم ارتباطها بتقاليد المدرسة العربية التي خمدت.

وإذا كنا تابعنا في دراستنا في هذا الجزء والذي يليه تطور التاريخ العربي، حتى أوائل القرن الحادي عشر بدلاً من التوقف عند أوائل القرن العاشر، فلأنّنا أردنا أن نتابع هذا التاريخ حتى مطالع هموده، ولو تجاوزنا العصر السياسي المملوكي ودخلنا في العثماني ـ الصفوي.

وسوف نلم في ختام مدرسة العراق وإيران في هذه الفترة إلمامة عابرة سريعة بالتاريخ الفارسي ـ التركي لمجرد إعطاء فكرة عن تطورات هذا العلم في ظل التغيرات السياسية التي وقعت منذ أوائل القرن العاشر.

وعلى أي حال فضمن هذا الإطار السياسي العام، كانت تجري أحداث المشرق العربي، وكان يجري تسجيل التاريخ... ولعل من الضروري قبل أن ننطلق في تقصّي الملامح العامة لعلم التاريخ في هذا العصر، أن نكرّر أمراً قد يكون من النوافل تكراره؛ ولكن إهمال التنبيه إليه قد يقود بالمقابل إلى بعض التصور الخاطيء لمسار هذا العلم. إن الانقطاع السياسي لخلافة بغداد، وتغير مصائر المناطق الإسلامية لم يستتبع بالضرورة انقطاعاً في مسيرة ذلك العلم أو تحولاً في مساره. لم يكن ثمة أي انقطاع. إن مسيرة الفكر التاريخي (شأنها في ذلك شأن مسيرة الفكر العربي الإسلامي كله) لم تنقطع، أو تسحق، أو تنطفيء. لقد يكون التبدل الوحيد الذي أصابها هو تغيير المركز الجغرافي[1]. وبعد أن كانت بغداد هي القطب الأكبر، توزعت الدنيا العربية مكانتها، فالمراكز متعددة: لدمشق منها نصيب، وللقاهرة نصيب آخر، ولصنعاء من ذلك حظ، ولسمرقند أو هراة أو تبريز حظوظ.. وهكذا فإن متابعة العصور السياسية في تقسيم مراحل الفكر بألوانه ليس يحمل أكثر من معنى التسهيل والتبسيط، وإن تبينا في المراحل أحياناً بعض ملامح التطور.

ولقد بدأ العصر المغولي (في العراق وإيران) والعصر المملوكي (في الشام ومصر) للتاريخ رجاله الكبار، وكتبه ذات المجلدات التي تبلغ العشرات، ومكانته التي لم تَعُدْ تقل

---

(١) ويمكن أن نضيف إليه تبدلاً آخر في الجوهر هو: انقطاع الإبداع وسيطرة الاتباع والتقليد. ولكن ليس ها هنا مجال بحث هذا التبدل وتعليله، ولهذا نكتفي بالإشارة إليه.

عن مكانة رواية الحديث، ولا سيما في أمر معرفة الرجال . . ولئن دخل العصران على الناس في وقت معاً فقد دخلا، وفي بغداد ابن الساعي، وفي حلب ابن العديم وابن شداد، وفي دمشق ابن خلكان وبجواره ابن أبي أصيبعة، بعد أن مات وشيكاً سبط ابن الجوزي، وفي مصر المكين ابن العميد وابن ميسر، وفي الحجاز واليمن اليافعي. . . وكلهم أقطاب هذا الفن على العصور، وقد تكونوا في ظل خلافة بغداد وسلطنة الأيوبيين، ثم قضوا السنوات العشرين أو الثلاثين الأخيرة من أعمارهم في ظل المغول والمماليك، فكانوا في خضرمتهم هذه جسور الاستمرار في الفكر التاريخي ما بين عصر سياسي وعصر آخر، وركائز التأكيد على وحدة ذلك الفكر في مناهجه ومساره.

٢ ـ ملامح الإنتاج التاريخي (المؤلفات والمؤلفون)

لعل من حسن المدخل إلى بحث التاريخ وملامحه في هذا العصر أن نقدم بين يديه بعض المعلومات الإحصائية التي حاولنا قدر الطاقة جمعها حول المؤلفات التاريخية خاصة والمؤرخين، ثم أفرغناها في جداول ذات أرقام ونسب مئوية. إن تحليل هذه الأرقام والنِّسب وإن لم يكن يكشف الجانب الإبداعي، والأهم في الإنتاج التاريخي، إلاّ أنه قد يُعين كثيراً على تقدير مدى اتساع الفكر التاريخي في العصر، ومدى ما يأُخذ من اهتمام الجمهرة العلمية.

وبين أيدينا الآن ثلاثة جداول: أولها إحصائي عام يشمل مجموع المؤلفات والمؤلفين حسب الأقطار. والثاني والثالث يتناولان بالتحليل الرقمي والنسبي مؤلفات التاريخ في أنواعها المختلفة. وقد يكون من نافلة القول أن نؤكد، منذ البدء، أن هذه الأرقام الإحصائية التي نقدم جميعاً ليست أكثر من إحصاء مبدئيّ، وليست بالضرورة دقيقة ولا شاملة الشمول الكامل النهائي الذي نطمئن إليه. وإنما بذلنا في جمعها جهدنا ومدى إمكاناتنا المحدود. ونحن نقدر أنها قد تنقص عن الأرقام الصحيحة الحقيقية ما بين ٢٥٪ إلى ٣٥٪ في الحد الأبعد. وقد رأينا اعتمادها كمؤشر ومصباح هداية؛ لأن الاستقصاء الوافي الكامل أمر قد لا يدرك في الأوضاع الحالية للمصادر المطبوعة والمخطوطة، ولفهارس المخطوطات، ولما ضاع من التراث على أننا قد نستطيع في غير قليل من الثقة أن نقول إن النسب التي تقدمها هذه الأرقام الإحصائية صحيحة لحد كبير، وإن ما قد فاتنا إحصاؤه ومعرفته قد لا يُغيِّر إلاّ القليل جدًّا في نسبة الأنواع التاريخية بعضها إلى بعض، ونسبة أعداد المؤلفات وأعداد المؤلفين في الأقاليم المختلفة بعضهم إلى بعض. وبالتالي فإن ذلك لن يؤثر في شيء على النتائج التي يمكن أن تعبر عنها هذه الأرقام وأن تُستنتج منها.

الجدول الأول - إحصاء عام(*)

الأقطار	المؤرخون	النسبة	المؤلفات	النسبة	نسبة عدد المؤلفات إلى عدد المؤلفين
الشام	٣٣٦	٣١,٢٪	٧٥٩	٣٣,٧٪	٢ ونيف
مصر	٢٨٠	٢٦٪	٧٠٧	٣١,٤٪	٣ تقريباً
الحجاز	٥٤	٥٪	١٣٠	٥,٨٪	٢,٥ تقريباً
اليمن	١٢٤	١١,٥٪	٢٢٢	٩,٩٪	٢ تقريباً
العراق وإيران	٢١٧	٢٠,١٪	٣٥١	١٥,٦٪	١,٥ تقريباً
الأناضول	٦٧	٦,٢٪	٨١	٣,٦٪	١ ونيف
المجموع	١٠٧٨	١٠٠٪	٢٢٥٠	١٠٠٪	المعدل ٢ تقريباً

(*) يتناول هذا الإحصاء المؤلفات والمؤلفين في التاريخ المتوفين فيما بين سنتي ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م. و١٠٠٨ هـ. / ١٦٠٠ م. أي في حوالي ٣٣٠ سنة. وهو على أي حال إحصاء تقريبي لإعطاء فكرة عامة عن المؤرخين وأعمالهم وليس أبداً بالإحصاء الدقيق الشامل.

٦ ـ آل البيت والأنساب والأسر	١٥	١٤	١٤	٢٧	٣٨	—	١٠٨	٤,٨ ٪
٧ ـ تاريخ جماعات محددة (أنبياء، طوائف وملل، جواري وغلمان، عميان، عور، أذكياء، مطربون)	٣١	٤٢	٧	١٥	١٨	٢	١١٥	٥,١ ٪
٨ ـ كتب التعليم السياسي والديواني والتذكرات	٢٣	٣٥	٤	٧	١٥	٤	٨٨	٣,٩ ٪
٩ ـ الرحلات والبلدان والمواقع المحددة (قلعة، جامع، جزيرة) وفضل المدن	٥٤	٢٦	١٠	٤	٨	٤	١٠٧	٤,٨ ٪
١٠ ـ مواضيع محددة (جهاد، إمامة، سلاح، عجائب، علم التاريخ)	٢٧	٢٩	٢	١٢	١٣	٤	٨٧	٣,٩ ٪
١١ ـ التاريخ المنظوم شعراً	٧	١٧	١	٧	٦	١	٣٩	١,٧ ٪

كتب أخرى

- طبقات مذاهب وصوفية
- بقات قضاة وعلماء
- الصحابة
- المشيخات
- سير الحكام
- سير العلماء والصوفية

إن تحليل الأرقام في هذه الجداول الإحصائية الثلاثة يسمح بكشف عدد من الحقائق:

١ ــ إن أعداد المؤرخين في مصر والشام فقط، في العصر المملوكي ـ المغولي تزيد عن ٥٧٪ من المجموع العام، بينما يزيد إنتاجهم من المؤلفات عن ٦٥٪ من إجمالي الإنتاج كله. ويتقاسم الإقليمان بالتساوي التقريبي والتوازي هاتين النسبتين، سواء في عدد المؤرخين او كميات الإنتاج، وإن رجحت كفة الشام بعض الرجحان في الناحيتين.

٢ ــ يلي ذلك اليمن من جهة، والعراق وإيران من جهة أخرى، في أعداد المؤرخين وفي كميات الكتب المؤلفة. ولكن اليمن تعدل ثلثي العراق وإيران بصورة عامة في الناحيتين (دون حسبان ما كتب بالفارسية في إيران). ومع ان هذه الأقاليم تحتجز ٣٢ بالمائة من عدد المؤرخين العام تقريباً، إلاّ أن إنتاج هذه الجماعة لا يصل إلى هذه النسبة، ولا يصل إلى ٢٥,٥٪ من الإنتاج الكلي. علماً بأن رُبع إنتاج إيران والعراق في التاريخ كان بالفارسية (حوالى ١٠٣ كتب).

٣ ــ كان الحجاز مركزاً تاريخيًّا إضافيًّا يستمد قواه تارةً من اليمن، وتارة من مصر والشام. والنسبة التي احتجزها سواء في عدد المؤرخين، أو في عدد المؤلفات، إنما هو عالة فيها، في الأغلب، على تلك الأقطار المجاورة وعلى حسابها.

٤ ــ إن الأناضول، حيث كان سلاجقة الروم، دخل ميدان الإنتاج التاريخي متأخراً، حين صار في أيدي العثمانيين. وإنتاجه المحدود إنما يرجع خاصةً إلى القرن العاشر وما بعده، يوم يدخل في إطار الفكر الإسلامي الأوسع بدخول البلاد العربية ضمن إطار السلطنة العثمانية. وتتسارع عجلة الإنتاج، ويقفز التأليف التاريخي في الأناضول بعد انتهاء العصر المملوكي الذي تتوقف دراستنا فيما بعد نهاياته بقليل.

ونتنقل، بعد هذه الملاحظات العامة إلى شيء من التفصيل:

أ ــ المؤلفات: إن مجموع ما قد يحصيه الباحث من كتب التاريخ في المشرق العربي، فيما بين مطالع العصر المملوكي (منذ حوالى سنة ٦٦٧هـ./ ٦٧٠هـ.) إلى نهاية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، يبلغ في الإحصاء العام حوالى ٢٢٥٠ كتاباً على اختلاف الأنواع والأقلام والمنهج والهدف والحجم. إن الرقم من الضخامة بحيث يجعل الحصاد السنوي لهذه الفترة يقارب، في المتوسط العام، سبعة مؤلفات تقريباً، في كل سنة. وليس هذا بالمعدل القليل. ولو قسمنا هذه المؤلفات حسب اتجاهاتها التاريخية العامة، لوجدنا أن ٣٢,٢٥٪ منها أي ٧٢٥ كتاباً وهو ثلثها تقريباً يتناول تدوين الأحداث بينما ٤٨,١٥٪ أو ١٠٨٣ كتاباً، أي قرابة النصف، تتناول التراجم والسير والأنساب، وأن الباقي، وهو أقل من الخُمس قليلاً، يتناول مواضيع شتى من حول الأحداث والتراجم: كتاريخ بعض الجماعات المفردة، أو الحديث عن التسلح، أو تعليم السياسة، أو تسهيل الرحلات ووصف البلدان.

وهكذا يكشف الجدول الثاني أن ٣٥٩ كتاباً، أي ١٥٪ من المؤلفات، تناولت التاريخ العام؛ بينما تناول ١٧,٢٪ منها وهو ٣٨٦، دولاً محدودة أو فترات معينة، أو أحداثاً مفردة. وتوازنت الكتب المخصصة للتراجم العامة مع كتب الطبقات المذهبية، أو العلمية، أو كتب الصحابة أو الشيوخ، مع فرع ثالث هو السير الفردية؛ فلكل من هذه الأنواع الثلاثة أكثر قليلاً من ١٤ إلى ١٥ بالمائة، أو حوالى ٣١٥ ـ ٣٤٠ مؤلفاً.

وبالمقابل، يتساوى عدد كتب الرحلات والبلدان وفضل المدن والمواقع المحددة مع كتب الجماعات المفردة، فلكل من هذين النوعين ٥ بالمائة تقريباً من مجموع الإنتاج أي قرابة ١١٠ كتب. كما يتقارب عدد الكتب التي خصصت للتدريب السياسي والتعليم الديواني، أي لرجال السياسة والكتاب مع عدد الكتب التي تناولت مواضيع محددة كالعجائب والجهاد والسلاح والطوائف والملل والإمامة وعلم التاريخ وما إلى ذلك، ونال كل من هاتين المجموعتين ٣,٩٪ تقريباً، أو حوالى ٨٧ إلى ٨٨ كتاباً، وكان لآل البيت وللأنساب والأسر الكبيرة أكثر قليلاً من ذلك، أي حوالى ١٠٨ كتب، تعادل قرابة ٤,٨ بالمائة من مجموع الكتب.

وبالرغم من ضخامة بعض الأعمال الشعرية التاريخية وشهرتها ومن الميل إلى الشعر لدى العرب والفرس، فإن الأعمال التاريخية التي دخلت ميدان القافية والوزن لم تصل إلى ٢ بالمائة من مجموع حصاد التاريخ، أي حوالى ٣٩ مجموعة شعرية.

ونحن نستعمل كلمة كتاب، أو مؤلف ها هنا، بالمعنى العام. والواقع أنه إذا كان بعض هذه المؤلفات التي تصل إلى الألفين والمائتين والخمسين، يتكوّن من مجلد واحد، أو مجيلد، أو رسالة محدودة الأوراق، فإن بعضها الآخر كان موسوعات تاريخية ندر أن عرف علم التاريخ أوسع منها. فـ «تاريخ الإسلام» للذهبي يزيد على أربع وثلاثين مجلدة، و «الوافي بالوفيات» تسع وعشرون، و «نهاية الأرب» في إحدى وثلاثين. وقد حاول ابن الفرات أن يجعل تاريخه في مائة مجلد، فانقطع به العمر؛ بينما استطاع ابن الفوطي قبله أن يكتب «الذيل على الجامع» في ثمانين مجلداً، و «التاريخ الكبير» في خمسة وخمسين، و «دُرر الأصداف» في عشرين. وكتب الكناني المصري تاريخه في ٤١ مجلداً، والكازروني في ٢٧ مجلداً، وابن الساعي البغدادي في ٢٥ أو ثلاثين، وبيبرس المنصوري في خمس وعشرين من المجلدات.

والملاحظة الواضحة في هذا الجهد التاريخي الكبير، أن كتب الرجال والتراجم هي التي استأثرت خاصة بالاهتمام الأول لدى المؤرخين. كان لها قرابة ٩٥٠ كتاباً ما بين تراجم وطبقات ومشيخات وسير للحكام وللعلماء، مقابل حوالى ٧٠٠ كتاب في تاريخ الحوادث ما بين مطوّل ومختصر وتاريخ دولة معينة أو مذكرات عصر أو تاريخ مدينة. وأما باقي الكتب، فقد توزعتها كتب الرحلات والأنساب والتعليم السياسي وسيرة الرسول وآل البيت وتواريخ

بعض المواضيع أو بعض المواضع. وإذا شئنا المزيد من التحديد، نستطيع أن نعدّ ٣٣٩ كتاباً في التاريخ العام أو الإسلامي مع الذيول والمختصرات، و١٨٣ كتاباً في تواريخ دول معينة، أو فترات محدودة، أو مذكرات من التاريخ المعاصر، كما نعدّ حوالى ٩٤ من سير الحكام، وحوالى ٢٠٣ كتب في تاريخ المدن، والتاريخ المحلي؛ يقابل ذلك حوالى ٣٢٥ كتاباً في التراجم والرجال مع المختصرات والذيول، يتبعها قرابة ٣٣٤ مؤلفاً حول سير الصحابة والعلماء والأئمة ورجال المذاهب والأولياء والصوفية والفقهاء، وقرابة الـ ٧١ من المشيخات ومعاجم الشيوخ. عدا ٨٥ كتاباً لطبقات الرجال في العلوم المختلفة والأدب والقضاء والطب، و١٩ من تواريخ الأسر البارزة وخمسين من كتب الأنساب، يضاف إلى ذلك كله أكثر من ٧٠ كتاباً في السيرة النبوية، و ٣٤ كتاباً في آل البيت.

وتأتي بعد ذلك كتب أخرى، منها قرابة الستين في التعليم السياسي للأمراء والملوك، وحوالى الأربعين في التواريخ المنظومة شعراً، يدخل فيها الشهنامة في ١٠ آلاف بيت، وظفرنامة في ٥٠ ألف بيت، بالإضافة إلى ٣٤٢ كتاباً متنوعاً آخر منها ما هو في تواريخ مواضع معينة كجزيرة الروضة في مصر، أو قلعة دمشق أو صالحيتها، ومنها ما هو في موضوع معين حول بعض الأسماء، أو في الطوائف الدينية، أو في المدارس والجوامع، أو العجائب، أو في الرحلة، أو تقويم البلدان، أو في الجهاد، أو تعليم الإنشاء والكتابة، أو الإمامة، أو قصص الأنبياء، أو فضل بعض الأمم، أو بعض الجماعات كالمفلوكين والعور والعميان، أو بعض المواضيع الخاصة كالنقود أو الأوزان أو منازل القبائل.

بقي أن نُشير إلى أن بين كتب التاريخ التي ظهرت في إيران تواريخ كثيرة كتبت باللغة الفارسية، ولم نستطع أن نهملها تماماً لصلتها بالتاريخ العربي الإسلامي، وهي وإن كانت تصبُّ في ثقافة ولغة أخرى، إلاّ أن مواضيعها متصلة بهذا التاريخ، وقد أدخلناها في حسابنا العام لمجرد المعرفة وضرورة الإشارة دون أن نسرف في الاستقصاء أو نسرف في الإهمال، وكان بين ذلك قواماً. . . وعددنا منها، على حدة، ما ينيف على المائة قليلاً.

ب ــ المؤرخون: وأما المؤرخون الذين كتبوا هذا كله فيبلغون في الإحصاء المبدئي أكثر من ألف وثمانية وسبعين. ولا شكّ أنهم أكثر عدداً من ذلك. ولو وزعناهم على عدد سنوات الفترة لأصاب السنة الواحدة ثلاثة مؤرخين أو أكثر. . . ولا بدّ من أن نعترف بأنهم يختلفون، في أنصبتهم من الابتكار والوعي التاريخي والأصالة، الاختلاف الكبير البيِّن. فإذا كان بعضهم من كبار المؤرخين في تاريخنا الطويل فإن بعضهم الآخر ليسوا أكثر من نقلة، أو مختصرين صغار، يفتقدون حتى الحد الأدنى من الجديد في الذي يعطون. على أننا، رغم كل شيء، نستطيع أن نعدّ في هذه الفترة ما لا يقل عن مائة اسم ممن يأتون في الطبقة الأولى من المؤرخين. ومن هؤلاء ابن الساعي وابن الفوطي ورشيد الدين وابن معية في العراق، وابن خلكان وابن شداد وابن واصل والذهبي وابن فضل الله العمري وأبو الفداء وابن الوردي

وابن شاكر الكتبي والصفدي وابن كثير وابن الشحنة والعينتابي وأخوه العيني وابن قاضي شهبة وابن طولون في الشام، ثم ابن ميسر وابن عبد الظاهر وبيبرس المنصوري والنويري وابن أيبك وابن الفرات وابن دقماق والمقريزي وابن حجر وابن تغري بردي وابن الصيرفي والسخاوي والسيوطي وابن الصيرفي وابن إياس في مصر، هذا إلى التقي الفاسي وابن فهد المكي في الحجاز، وإلى الجندي واليافعي والأفضل الرسولي والأشرف الرسولي والخزرجي والفيروز آبادي وابن المرتضى وابن الأهدل وابن الديبع في اليمن.

وبعض من شملهم الإحصاء من رجال التاريخ ليس له أكثر من كتاب واحد، قد يكون أحياناً مختصراً عن كتاب آخر، أو ذيلاً صغيراً تافه القيمة والمردود، لكنا نجد بالمقابل بينهم من جاوز عطاؤه عشرات الكتب، وعشرات الكتب الضخمة ذات الأجزاء العديدة؛ في الوقت الذي كان لبعضهم أيضاً في ميادين المعرفة عشرات أخرى بعد عشرات، فإن ابن الساعي وابن الفوطي والذهبي وابن قاضي شهبة والصفدي والمقريزي وابن تغري بردي هم نماذج من المؤرخين الذين أخصبوا المكتبة التاريخية بعشرات المؤلفات، وانصبَّ إنتاجهم خاصة في صناعة التاريخ وحدها، بينما كانت العشرات من كتب التاريخ التي كتبها ابن طولون الدمشقي والسيوطي المصري لا تمثل إلاّ جانباً من جوانب نشاطهم المتعدد الفروع، ومعارفهم الموسوعية الشاملة. وقد تجاوزت عناوين مؤلفاتهم عدة مئات..

والكثرة الكاثرة من العاملين على التاريخ في هذه العصور كانت من علماء الدين: من الفقهاء والمحدثين والقضاة والقراء والمدرسين والشهود. يشكل هؤلاء وحدهم أكثر من نصف المؤرخين. يليهم في العدد الموظفون الحكوميون وبخاصة كُتّاب الإنشاء، ورجال الحاشية السلطانية. ثم يأتي بعض الملوك (في الشام واليمن مثلاً) وبعض الأمراء، أو أبناء القواد العسكريين الذين كانوا يجدون من السعة في الرزق ما يسمح لهم باتخاذ التاريخ هواية وسداد فراغ، أو أبناء الأشراف المنسوبين لآل البيت (وكان هوى هؤلاء خاصة في النسب). وندر بعد هذا أن نجد في هذه العصور مؤرخاً لا ينتمي إلى أحد هذين الفرعين الأساسيين: علماء الدين، أو العاملين في الحكومة.

تدوين التاريخ صار مقصوراً تقريباً على هؤلاء، وتضاءلت الروافد الأخرى. ذلك التنوع الذي عرفته العصور السابقة في أوضاع المؤرخين الاجتماعية، وفي العمل الحياتي قد انتهى؛ وخلال ثلاثة قرون أو تزيد، وفي مختلف أقاليم المشرق لا نكاد نعثر على أكثر من طبيبين تعاطيا علم التاريخ، من مثل ابن زفر الإربلي والأغبري الحصكفي طبيب الدولتين. ولا نكاد نعثر على أكثر من بضعة نفر كانوا يعملون في الوراقة، أو بيع الكتب، أو النسخ. وكان بعض هؤلاء كابن الفوطي وابن شاكر الكتبي من كبار المؤرخين بما كانت توفر لهم المهنة من تداول الكتب وسعة الاطلاع.

ويبقى أن نضيف إلى هذا ملاحظتين:

الأولى - أن التاريخ كان أحياناً مورد رزق. فبعض سلاطين المماليك كان يطلب، أو

كان يرضيه، أن يرى سيرته مكتوبة. وكان يتطوع لذلك بعض الرجال، حبًا أحياناً، وتملقاً أحياناً أخرى، وطمعاً في القربى والمال على الدوام. وهكذا ترك لنا العهد المملوكي والمغولي ما يزيد على تسعين سيرة للحكام. وقد أولع بعض الناس بالتاريخ للدرجة التي كانوا يبذلون في سبيل الحصول على مؤلفاته المال الكثير .. كان ذلك نوعاً من التعويض عن واقعهم المؤلم أحياناً. فابن الساعي مثلاً عليٌّ بن أنجب البغدادي (٦٧٤هـ./١٢٧٤م.) «اشتهر بعلم التاريخ... وحصّل بذلك مالاً كثيراً. قال صاحبه محمد بن سعيد: ما كان يكتب مجلداً من التاريخ إلاّ ويحصل له في مقابله المائة دينار والثلاثمائة...»[1].

وجاء وقت في العهد المغولي ظهر فيه ما يشبه وظيفة المؤرخ الرسمي للدولة، فإن وزيرهم عطا ملك الجويني جعل ابن الساعي «محرر الوقائع» الرسمية فلما مات هذا المؤرخ اختار لتدوين الوقائع ابن الفوطي، و «فوض إليه كتابة التاريخ والحوادث»[2].

الثاني ــ إن المؤرخين من المسيحيين يظلون على الظهور العادي مع باقي المؤرخين على مدى نصف قرن ما بين مطالع الفترة المملوكية وحتى الثلث الأول من القرن الثامن، ثم يغيبون فلا نكاد نعثر منهم على مؤرخ. وبعد أن يتوفى المكين ابن العميد سنة ٦٧٢ هـ. ويلحق به ابن العبري سنة ٦٨٥ هـ. ،لا نكاد نجد سوى ثلاثة مؤرخين نصارى هم: الصقاعي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٢٦ هـ.) وابن أبي الفضائل في مصر وقد توفي سنة ٧٣٥هـ. ومعاصرهما في العراق عمرو بن متى الذي كتب سنة ٧١٧ هـ. تاريخ بطاركة المشرق. المؤرخ المسيحي الوحيد البارز بعد ذلك لن يأتي إلا بعد ثلاثة قرون وهو جبرائيل القلاعي (المتوفى سنة ٩٢٢هـ./١٥١٦م.) وله تاريخ معروف باسمه. ثم يأتي بعده بقرن آخر مؤرخ آخر أبرز منه، على أنه لم يكتب بالعربية ولكن بالسريانية وبالخط الكرشوني، سطر فيه ما سماه: تاريخ الأزمنة. وهو البطريق الماروني أسطفان الدويهي المتوفى آخر سنة ١١١٥هـ./١٧٠٤م.

جـ ــ المادة التاريخية :أهم ما يلاحظ حول مادة المؤرخين في العصر المملوكي المغولي هو الوفرة من جهة، وانحصار المجال في ميدانين اثنين فقط تقريباً من جهة أخرى:

أولاً ــ وفرة المادة

لم يكن غريباً أن تكون المادة التاريخية التي جاء بها هذا العصر ونثرها في حوالى ٢٢٥٠ مؤلفاً مادة غزيرة واسعة. كان المسلمون يتابعون في الواقع ذلك التقليد القديم الذي ازدهر منذ القرن الثاني الهجري، وجعل لمادة التاريخ مكانها الديني الفكري. وذلك الفيض

---

(١) الفاسي ـ منتخب المختار ص ١٣٧ ـ ١٣٩.

(٢) ابن الفوطي ـ مجمع الآداب في معجم الألقاب ج٤ ـ ٢ ص١٠٣٥.

من المعارف التاريخية إذا كان قد عرف في خطه البياني قمتين: أولاهما بين القرنين الثالث والرابع، والثانية في السابع، فإنه قد عرف قمة ثالثة في القرن الثامن، ورابعة في التاسع . .

ومع أن عدداً من الأنواع التاريخية قد ضمر أو تقلص أو انقرض فإن المادة التاريخية لم تنقص من الناحية الكمية، إن لم نقل إنها زادت والعوامل على ذلك كثيرة:

١ ــ إن التاريخ بطبيعته تراكمي. تزداد مادته مع الأيام دون انقطاع. والمؤرخون في العصر المملوكي المغولي لم يعتبروا عصرهم أكثر من تتمة للدولة الإسلامية من جهة، وللفكر الإسلامي من جهة ثانية. ففي كل محاولة للوصول إلى الجذور كانوا يجدون أمامهم سبعة قرون من التاريخ على الأقل، يغرفون منها ويؤصلون العمليتين السياسية والفكرية اللتين يحيون على السواء.

وإذا أضفنا إلى هذا أن حضور العصور الإسلامية الأولى كان حضوراً دائماً في الأذهان بسبب مكانتها الدينية واعتبارها العصر الإسلامي بامتياز، وأن حضور علماء العصور السابقة كان بدوره حضوراً دائماً بسبب ما قدموا للفكر الديني الإسلامي، وبسبب ضرورة تأصيله من خلالهم، إذا أضفنا هذا وذاك عرفنا لماذا أكثر المؤرخون من تداول أخبار التاريخ الإسلامي الأول، ولماذا أكثروا من كتابة وتلخيص ثم إعادة كتابة وتلخيص تراجم العلماء بمختلف الأشكال والأحوال والصور، وعرفنا أحد الأسباب في ضخامة الكمية التي تركها مؤرخو تلك الفترة من المادة التاريخية وسبب التكرار الكثير فيها.

٢ ــ إن المؤرخين شعروا كأن من مهمة التاريخ أن يعنى بالتفاصيل حتى الصغيرة منها، وأن يعنى بالرجال حتى الصغار المتواضعي القيمة والعطاء. ومن هذا وذاك ومن كثرة اضطراب الأحداث واختلافها وتعدد مراكزها السياسية وأبطالها من جهة، ومن تكاثر العلماء وأشباه العلماء الذين أصبحوا يكوّنون طبقة مميزة متنفعة، ويتوارثون العلم والمناصب من جهة أخرى، دخلت على التاريخ أشتات هائلة من الأحداث، وأعداد بالألوف من التراجم، جعلت مجلدات الكتب التاريخية تتضخم الضخامة التي لا توازيها إلّا كتب الفقه والتفسير، وجعل ما بين دفتيها يتسع لما يمكن أن يسمى بـ «الصحافة التسجيلية» . . . كثير من مؤرخي ذلك العصر كانوا يسجلون، تماماً كما تسجل الصحف اليوم، أحداث الساعة شهراً بشهر، بل يوماً بيوم، وأحياناً ساعة ساعة، ويذكرون من تفاصيل الأحداث ما يفرح له مؤرخ اليوم دون شك، ولكنه كان يرهق الكتب التاريخية ويزيد من حجومها بشكل بيِّن متعب. وبعض مؤرخي الرجال كانوا يتركون في كتبهم الفراغات الكافية لإضافة ما يتطور إليه أمر من يترجمون له، ويفسحون في النهاية المكان لتسجيل دقائقه التي صرنا نعرفها الآن بالساعة والدقيقة أحياناً . .

٣ ــ إن التطويل أدى في الجو العلمي إلى النتيجتين الطبيعيتين وهما قبول الذيول لإكمال النواقص من جهة، وقبول المختصرات كعمل علمي بدوره للتسهيل. من جهة أخرى.

وهكذا ففي الوقت الذي كان فيه العمل التاريخي الضخم، يتضخم أكثر فأكثر بالذيول عليه، وذيول الذيول، كانت هذه الضخامة نفسها تدعو إلى وجود الموجزات، ثم موجز الموجز وهكذا. إن كثرة المعارف مع ضرورة الإحاطة بها من جهة، وضرورة تيسير الحصول عليها من جهة أخرى، كانت لا تترك أمام المتعلمين من خيار آخر. . . وتكاثرت من هذا وذلك أعداد الكتب والمؤلفات دون كبير إبداع أو مجيء بجديد. . . وحملت هذه الأعمالُ الأسماءَ المختلفة من قبيل التهذيب والانتقاء والاختيار والتلخيص، بجانب كلمات الإيجاز والاختصار والانتخاب والاقتطاف . . وبعض المؤلفين كان يُذيِّل هو نفسه على كتابه كما فعل الذهبي، والكثيرون غيره، وبعضهم كان يختصر بنفسه كتابه الواسع كما فعل بيبرس المنصوري بكتابه «زبدة الفكرة» حين أوجزه «بمختار الأخبار»، وابن دقماق في كتابه «تاريخ الإسلام وموجزه الجوهر الثمين». وبعضهم كان يختصر كتابه الأوسع أول مرة، ثم يعود كرة أخرى فيوجز المختصر كما فعل السبكي في «الطبقات الكبرى والوسطى والصغرى». وبعضهم كان يخرج من كتابه أربعة أو خمسة من الموجزات المتتالية كما فعل التقي الفاسي سنة ٨٣٢ بكتابه حول تاريخ مكة «شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام»، فقد اختصره في «تحفة الكرام» ثم اختصر الثاني في «تحصيل المرام»، ثم أوجزه في «هادي ذوي الأفهام»، ثم انتقى في «عجالة القرى». وكتب الموضوع نفسه في «الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة»، ثم اختصره في «ترويح الصدور».

وظاهرة أخرى تتصل بهذا كله، هي محاولة عدد من الكُتّاب تلخيص الكتب الصادرة في العصور السابقة، وبعضها في تواريخ الحوادث، لكن كثرتها في علوم الرجال. وقد يجمعون في التلخيص بين كتابين أو ثلاثة أو أربعة ويخرج من كل أولئك تأليف جديد. . . لا يأتي طبعاً بجديد ؛ ولكنه يسهل طريق العلم على المتعلمين ويعين ذاكرة العلماء . . وتزداد بذلك المؤلفات وتتكاثر المادة!

٤ ــ لم يكن التأليف في التاريخ صعب المنال، كالتأليف في الفقه، أو التفسير، أو النحو. ولا كانت تحكمه القيود الشديدة التي كان يتطلبها التأليف في الحديث وما ينبغي له، أو في الأصول والفروع. . . كان يكفي جمع المعلومات، بل وطلب التراجم أحياناً من أصحابها، ثم ضمها بعضها إلى بعض دون الحاجة إلى الكثير من التوثق والتحرج في الرواية.

كان المؤرخون يجدون في التاريخ الفرجة المريحة من قيود علوم الدين الحرجة المحرجة، بالرغم من أن الكثيرين منهم كانوا يعتبرون عملهم التاريخي متمماً لعلومهم الدينية، متصلاً أوثق الاتصال بها.

يضاف إلى هذا أن التاريخ كان المجال الإبداعي الوحيد بما يتجدد فيه من الأحداث ومن التراجم. فإذا كان باب المعرفة التاريخية الماضية مغلقاً إلّا على المطلعين، وإلّا عن

الحفّاظ والثقات، فبالإمكان دخول ميدان التأليف التاريخي بأبسط من هذا وذلك من العدة، برصد الأحداث وتسجيلها المتسلسل. وهكذا دخل باب التاريخ أعداد من أصحاب المذكرات، ومن كُتّاب السير للحكام، ومن مسجلي الأحداث اليومية كالصحفيين، وجامعي التراجم المعاصرة، أو مختصري تراجم السابقين الأولين .. لأن هذا العمل في معظمه لا يكاد يحتاج إلى أي إعداد علمي مسبق يجاوز صوغ الجملة السليمة والصلة بمصادر الأخبار. وقد دخله أحياناً أناس اشتهروا بالتاريخ، وإن لم يكونوا يحسنون الكتابة السليمة بالعربية. ومثال ابن تغري بردي وابن الفرات دليل كافٍ.

ثانياً ـ مجالات التأليف

بالرغم من وفرة ما كتب مؤرخو العصر المملوكي المغولي من كتب التاريخ، فإن الميدان الذي كانوا يطرقونه، على الأغلب، لم يكن يجاوز مجالين اثنين: الأحداث السياسية وتراجم الرجال. فإذا نحن أردناهم على غيرهما هبط الإنتاج التاريخي الهبوط البيِّن.

ويستأثر علم الرجال خاصة ومؤلفاته بالنصيب الأوفى فله حوالى ١٠٨٣ كتاباً من أصل ٢٢٥٠، أي أن موضوع التراجم بفروعه من كتب السير بأنواعها، والطبقات والوفيات والمعاجم الأعلام وتراجم الأسر والأنساب وآل البيت يأخذ وحده حوالى ٤٨,١٪ من مجموع مؤلفات العصر في التاريخ. بينما تصل مؤلفات الوقائع والأحداث التاريخية إلى حوالى ثلثي هذه النسبة تقريباً أي إلى ٢٧,١٪ (٦١٠ كتب) ويتوزع ما بقي بين تواريخ المدن التي تصل إلى ١١٥ كتاباً وتعادل ٥,١٪ تقريباً، وبين كتب التعليم السياسي التي تعادل ٢,٦٪، والقصائد التاريخية التي تعدل ٢,٦٪، وما يبقى فهو للمؤلفات المتفرقة المواضيع، وذات العلاقة بالتاريخ، من مثل الرحلات والعجائب والبلدان وكتب الحسبة والوزن والحمامات وبعض المنشآت الهامة، وحول الأذكياء والعُمْي والعور والمفلوكين... وما أشبه...

وهذا التركيز على نوعين اثنين من الأنواع التاريخية سمح لنا بأمرين:

الأول ـ الاطلاع الدقيق، ولا سيما في أقاليم النظام المملوكي، على دقائق الحياة السياسية وألوان القوى والأهواء التي تلعب بها وتسيِّرها. والباحث في العصر المملوكي يجد نفسه أحياناً كثيرة أمام فيض هائل من الأحداث يكاد يكون من الصعب تفادي الغرق فيه والانسياق مع تياره. ولما كانت تلك الأحداث إنما تقودها طبقة الجند المماليك ومعظمهم من الترك والشركس، فإن المنطلق في صفحات تلك التواريخ يكاد يحسب نفسه في تاريخ عالم آخر لا علاقة له بالوطن العربي، لولا أسماء المدن والمواقع، ولولا ظهور بعض الأسماء المتفرقة هنا وهناك للجماعات المحلية المشاركة بشكل ثانوي في الأحداث. ولكن الصورة السياسية على أي حال كاملة ودقيقة في وقت معاً. وأولئك الكُتّاب الذين كان مفهوم

التاريخ لديهم ينتقل بين الصحافة والمذكرات سمحوا بحفظ صورة للعصر المملوكي خاصة، ندر أن احتفظ عصر لنفسه بمثلها.

الثاني - وبالمقابل يسمح الإغراق في التراجم بحفظ الصورة الفكرية الثقافية للعصر بشكل لا يقل كمالاً ودقة عن صورته السياسية. شبكة العلماء المترابطة ما بين شيخ وتلميذ، وتلميذ للتلميذ، وما بين معاصر وآخر، وهجرة هؤلاء العلماء بين المدن الإسلامية بشكل يكاد يشبه إلحاح النحل في النقلة المتصلة الكثيفة بين كوكبة زهر وأخرى، كل ذلك وما يتبعه من صداقة وخصومة ومنافسات وزحام في الفكر وفي المصالح، قد سجل من خلال ألوف التراجم التي لم تكن تقتصر على النجوم الكبرى، ولكن تناولت حتى صغار العلماء أيضاً، بل وبعض التجار وبعض كُتّاب الدواوين، بل تحوي أخبار بعض المجاذيب والمدلسين والمفلوكين ومشاكل الناس اليومية ..

وقد يبدو أن هذا الإلحاف في التركيز على الأحداث والتراجم الذي استأثر بأقلام الكتاب، قد حرمنا من كتب المنوّعات التاريخية التي عرفها القرن الرابع الهجري بصورة خاصة، وحرمنا بالتالي من الاطلاع على ألوان حضارية ومعارف حياتية كثيرة لهذا العصر، ولكن الواقع هو عكس ذلك، فإن كتب الأحداث السياسية وكتب التراجم على السواء بإسرافها في التفاصيل، ودخولها في الدقائق، قد غطت ذلك النقص الظاهري وعوضت عنه. ويبدو كأنها ابتلعت تلك الأنواع الأخرى بأن أدخلتها ضمن أحد التيارين السياسي أو الثقافي .. فهي موسوعات فيها من كل فاكهة زوجان، وهي مناجم من المعلومات تنتظر من يتنخلها ويضعها في مكانها من التحليل والتركيب التاريخيين لذلك العصر: سياسة وثقافة وحضارة واقتصاداً وفناً وأدباً ومجتمعاً..

ولعل المؤرخين بثنائية الاهتمام التي اتبعوها إنما كانوا يعبرون عن واقع العصر، وعن القوى الكبرى التي تحكمه، فقد كان المجتمع في مصر والشام خاصة، ومثله المجتمع في العراق وإيران ثنائي القوى، فطبقة عسكرية أجنبية تستأثر بالحكم والسياسة، بجانبها طبقة العلماء من أهل البلاد تستأثر بقيادة المجتمع الفكرية والروحية، وتتقاسم الطبقتان المصالح الاقتصادية. وكل طبقة من الطبقتين إنما تتكون من «أفراد» لا علاقة لأحدهم بالآخر إلاّ علاقة المصلحة ومورد العيش. وإذا كان بعض الجند يرتفعون بالشجاعة أو المؤامرة أو الحظوظ من درجة «جندي الحلقة» ودرجة «المملوكية» إلى السلطنة السياسية، أو القيادات من أتابكية وأمير مائة ومقدم ألف، وأمير طبلخانة وجاندار وخازندار ودوادار وطرخان وما إلى ذلك، فقد كان بين العلماء من يرتفع بالمقابل بالبراعة في الحفظ أو المؤامرة أو التقى إلى درجات قاضي القضاة أو شيخ الإسلام أو ناظر الأوقاف أو .. إمام المسجد! وبعضهم بسبب من غلبة الروح الدينية الغيبية على الناس يصبحون من رجال الكرامات و«أولياء الله» و«السلاطين» الروحيين الذين يعدلون السلطان الزمني في السلطة المطلقة .. ومن هنا

نفهم معنى تلك الكثرة الواسعة في سير العلماء وكبار رجال التصوف ومشاهير الزهاد، في تلك العصور، ومعنى تلك الكثرة التي تقابلها في سير الحكام الكبار، ونفهم بين هذا وذاك معنى ذلك الاهتمام العميق بـ «الأفراد» وتراجم الأفراد الذي استنفد معظم الجهود التاريخية، وخير ما في فاعلية المؤرخين.

ولعل هذه الأمور تزداد وضوحاً إن نحن توسعنا قليلاً في دراسة الأنواع التاريخية التي طرقها مؤرخو العصر.

٣ ـ الأنواع التاريخية

الواقع أن مؤرخي العصر طرقوا مختلف الأنواع على تباين في الكثرة والقلة:

أ ـ ألّفوا في التاريخ العالمي والإسلامي العام، وخاصة في مصر والشام، وكتبوا في ذلك المطولات الواسعة كل السعة. وإذا كان الكثير مما جمعت تلك المطولات لا يعدو أن يكون تكراراً لما في التواريخ التي سبقت في العصور، وكان الكثير منها إنما تنحصر قيمته فيما كتب وقدم من تاريخ عصره ليس غير، فإن بعضها يحتفظ حتى بالنسبة للعصور السابقة بقيمته وأصالته، لأنه حفظ، بما اقتطف من هنا وهناك، قطعاً وصفحات هامة من مؤلفات تاريخية كثيرة ضاعت إلاّ من هذه المقتطفات. إن موسوعات من أمثال «تاريخ الإسلام» للذهبي مثلاً، و «تاريخ ابن الفرات»، أو «تاريخ الدوادار»، تقدم أحسن الأمثلة على ذلك. وتبلغ مجموعة كتب التواريخ العامة ما بين مطولة ومختصرة وذيول حوالى ٣٢٧ مؤلفاً، بعضها من موسوعات التاريخ الإسلامي الكبرى مثل تواريخ: الذهبي وابن شاكر الكتبي وأبي الفداء وابن كثير والعتابي وابن قاضي شهبة والعيني في الشام، وتواريخ بيبرس المنصوري والنويري وابن أيبك والزواوي وابن الفرات وابن دقماق والمقريزي وابن تغري بردي والكناني والجوهري الصيرفي في مصر، ثم ابن الساعي والكازروني وابن معية وابن الفوطي في العراق، واليافعي في اليمن. . . وقد ضاع القليل من هذه الموسوعات التاريخية ضياعاً كاملاً من مثل تواريخ الزواوي والكناني والكازروني وابن الفوطي وابن الساعي وابن معية المحلي، وضاع بعض من ابن الفرات والجوهري، وبقي مع ذلك الكثير. . .

ب ـ وكتبوا في التاريخ الإقليمي. وإذا كان هذا النوع التاريخي لا يظهر في الشام ولا العراق، فإنه كان النوع الطاغي المسيطر في اليمن بخاصة وفي مصر كذلك. ولا نكاد نجد كتاباً أو اثنين يحملان الطابع الإقليمي في الشام، بينما كتب اليمنيون أكثر من ٣٥ تاريخاً خاصًا باليمن. وكتب أبناء مصر (وغيرهم معهم) حوالى ٣٨ تاريخاً لذلك الوادي المبارك. كما كتب بعض المؤرخين تاريخ بعض المناطق المجهولة كالمقريزي الذي كتب: «الإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام»، و «الطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة»، ومثل ذلك ما كتبه بعض أبناء طبرستان عن تاريخها (ومن ذلك خمسة تواريخ بعضها بالفارسية كتبها الآملي المتوفى أوائل القرن الثامن وابن اسفنديار سنة ٧٥٠ والروياني في مطالع

القرن التاسع، وأحمد خان في القرن التاسع والمرعشلي أواخر هذا القرن نفسه) وما كتبه ابن عنان التركي المتوفى سنة ٩٢٢ عن تركستان، والصيمري في أواخر القرن التاسع عن إقليم كيلان.

جـ ـ وجمعوا الكتب في تواريخ بعض الدول المعينة كالدولة الأيوبية في كتاب «مفرج الكروب» لابن واصل، و «شفاء القلوب» لعز الدين الكناني، و «السمط الغالي الثمن» لبدر الدين اليامي، ومثلها دولة المماليك الأتراك، في كتاب «درة الأسلاك» لابن حبيب، و «التحفة الملوكية» لبيبرس المنصوري، و «النكت الملوكية» لابن أيبك الدواداري، و «تاريخ الدولة التركية» لابن الملقن، و «تجربة الأمصار وتزجية الأعصار» لوصاف الحضرة الشيرازي المتوفى سنة ٧٢٨، وما كتبه ميرزا مخدوم سنة ٩٧٨ حول الأسرة الصفوية.

د ـ وصنفوا في تواريخ المدن: على أن هذا النوع البلداني من التاريخ الذي كان رائجاً من قبل، فَقَدَ تألقه في هذا العصر مع فَقْدِ المدن تفردها السياسي. وإنما برزت فقط المدن المقدسة خاصة والعاصمة السياسية: القاهرة. الأولى للطابع الديني الذي طبع العصر كله، والأخيرة لدورها السياسي. وهكذا نجد أن أكثر ما نشطت التواريخ البلدانية في الحجاز. فلدينا على الأقل أربعون تاريخاً، من هذا العصر لمكة والمدينة وإن كان بعضها تكراراً لبعض، أو كان بعضها مختصراً لبعض، في سلسلة قد تصل خمسة كتب: مثل تواريخ الفاسي الستة حول مكة، وتواريخ السمهوري الخمسة حول المدينة. هذا عدا ما كتب في تاريخ البقيع وباب المعلى، المقبرة بمكة، وفي مدن وج والطائف (أربعة) وجدة (كتابان). ويجدر أن نلاحظ أن أكثر من ربع التواريخ التي كتبت لمكة والمدينة إنما كتبها مؤرخون من مصر والشام والعراق واليمن تبركاً وزلفى إليها.

وإذا كانت القدس تتبع المدن المقدسة في القيمة الدينية، فقد حظيت بدورها دون مدن الشام جميعاً بالمقام الأول في ذلك العصر، بدليل أنها استأثرت بثلاثة عشر تاريخاً، بينما لم تحظ دمشق بأكثر من كتابين في فضائلها لا تاريخها. وحظيت حلب ومعها قنسرين بثلاثة يؤرخون لها في سلسلة تواريخها المتصلة، بينما ظهر تاريخ واحد لكل من صفد والخليل وحماه وبيروت.

وتوجه اهتمام المؤرخين في مصر إلى القاهرة، فكان لها من هذا العصر اثنا عشر تاريخاً يتسع بعضها، بالطبع، ليشمل إقليم مصر كله، أو العالم الإسلامي جميعاً، وإن كان يحمل في العنوان اسم مصر والقاهرة. فإذا كان لدينا «الروضة البهية» (في خطط القاهرة) لابن عبد الظاهر، و «الروضة الزاهرة» لابن أيبك، و «البغية والاغتباط» لابن سعيد، وكتاب «الخطط» المشهور للمقريزي، فلدينا بالمقابل «النجوم الزاهرة»، موسوعة ابن تغري بردي، و «حسن المحاضرة» تاريخ السيوطي وغيرها، حيث يلتقي ويختلط تاريخ القاهرة بتاريخ

القطر المصري كله وتاريخ البلاد الإسلامية الأخرى. ولا نكاد نجد لغير القاهرة في مصر من تاريخ سوى الإسكندرية التي حظيت فقط بمؤرخين اثنين. . . وكفى!

وتضاءل الاهتمام بتواريخ المدن في العراق وإيران كل التضاؤل بعد التألق القديم. بغداد التي كانت مركز الجاذبية للعالم الإسلامي كله لم تحظ، بعد سقوطها في أيدي المغول، بغير ثلاثة تواريخ هي ذيول على سلسلة تواريخها المتصلة كتبها ثلاثة من أبنائها: ابن الساعي (سنة ٦٧٤)، وابن الفوطي (سنة ٧٢٣)، والسلامي (سنة ٧٧٤)، ثم انقطعت السلسلة. بل إن الأخير لم يكتب جديداً ولكنه اختار وانتقى من تاريخ ابن النجار (المتوفى في القرن السابع سنة ٦٤٢)، فكأنما كانت أعمال ابن الساعي وابن الفوطي الأصداء الأخيرة لسمعة بغداد الكبرى قبل المغيب، واستمراراً متأخر العهد لمركزها الإسلامي السابق.

ولا نكاد نجد من تاريخ لمدينة في العراق وإيران في هذا العصر عدا متفرقات محدودة من قبل: «تاريخ أبرقوه» للأبرقوهي (سنة ٦٦٣) و «تاريخ آمد» للبيتي المحدث (سنة ٦٧٧)، ويكادان أن يكونا بدورهما نهايات المد البلداني السابق في التاريخ. وثمة تاريخ لدهلي في الهند (للدهلي سنة ٧٢٥) وآخر لهراة (كتبه الإسفرازي المتوفى سنة ٩١٥).

وأما في اليمن فقد كانت الظروف السياسية والاقتصادية معاً تساعد على إبراز المدن وتأكيد مكانتها، مما جعلها الإقليم الوحيد الذي يذكرنا فيه التأريخ البلداني في هذا العصر بعهده الأول السابق في إيران والعراق والشام. وهكذا نجد لكل مدينة يمنية نصيبها التاريخي في المؤرخين والتأليف؛ فلصنعاء تاريخان ولمدينة تريم ثلاثة. ولكل من زبيد وصعدة وعدن وحضرموت اثنان ولصبيا وجيزان واحد واحد.

هـ ـ وكتب المؤرخون في هذا العصر تواريخ عصورهم وأزمانهم، وسطر بعضهم المذكرات التاريخية ولم يكونوا بالقلائل. إن موقف «شاهد العصر» كان موقف الكثير من المؤرخين الذين كانوا ـ فيما يبدو ـ يجدون لذة طريفة في تتبع الأخبار وسردها في توقيتها الدقيق وفي تفصيلها الدقيق.

وبعض هؤلاء المؤرخين كان يقدم لتاريخ عصره بمقدمة قد تطول في الصفحات، وتمتد في الزمن، لتصبح تاريخاً إسلاميًا عامًا، ومن مثل ذلك تاريخ «البداية والنهاية» لابن كثير، وكتاب «نزهة النفوس والأبدان» للجوهري الصيرفي. وبعضهم استطال ذلك فاختار تاريخاً هامًا أعجبه، فذيل عليه بتاريخ عصره. ومثل ذلك كتاب ابن حجر العسقلاني «إنباء الغمر بأبناء العمر» الذي يصح أن يكون ـ كما قال لصاحبه ـ «من حيث الحوادث ذيلاً على ذيل (البرزالي) لتاريخ ابن كثير. ومن حيث الوفيات ذيلاً على الوفيات التي جمعها الحافظ ابن رافع. . .»(١). ثم جاء البقاعي بعد ابن حجر فأكمل عمله بكتابه «إظهار العصر»

(١) ابن حجر ـ إنباء الغمر (ط. حبشي ـ القاهرة ١٩٦٩) ج١ ص٥

ثم جاء من بعدهما ابن الحمصي، فأضاف حوادث عصره في كتاب «حوادث الزمان وأنبائه»...

وإذا كانت التواريخ العامة أو الإسلامية التي وصل بها أصحابها حتى سنوات حياتهم الأخيرة قد تضمنت في أقسامها النهائية أخبار عصورهم مفصلة موقوتة، من أمثال تاريخ ابن الفرات (المتوفى سنة ٨٠٧) والذي وصل إلى سنة ٧٩٩، و «جامع التاريخ» لليافعي الذي انتهى إلى سنة وفاته (سنة ٦٧٨)، وكتم العلائي الذي ذكر ما شهد في حياته ووصل مثل صاحبه إلى سنة وفاته (سنة ٧٤١)، فإن الكثيرين استغنوا عن العصور السابقة كلية، كما استغنوا عن المشي في إثر بعض المؤرخين السابقين، وعن التذييل عليهم. ومن أمثلة ذلك تاريخ ابن حموية الجويني (المتوفى سنة ٦٧٤) و «حوادث المائة السابعة» لابن الفوطي (سنة ٧٢٣)، وتاريخ أبي الفتح السبكي (سنة٧٤٤)، وتاريخ الجهني (المتوفى سنة ٧٦٠)، و «حوادث الزمان» للتقاصدي (سنة ٨٠١)، و «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور» لابن تغري بردي (سنة ٨٧٤)، و «عقود الجمان» لابن إياس (سنة ٩٣٠)، و «تغيير الدول وأحوال الناس» للمقدسي (سنة ٩٣٦)، «و «مفاكهة الخلان في حوادث الزمان» لابن طولون (سنة ٩٥٣)، و «تذكرة الإخوان» للنعيمي (سنة ٩٢٧).

وبعض الكتّاب اختار حادثة مشهودة هزت الناس فجمع أخبارها، وهكذا كتب الطوسي (سنة ٦٧٢) «فتح بغداد ونكبتها التترية»، ووصف القسطلاني (سنة ٦٦٨) انفجار البراكين في الحجاز في أيامه وتهديدها المدينة بالحريق والدمار، وحريق دمشق (سنة ٧٤٠) كتبه ابن الخياط، وكتبه ابن الوردي (سنة ٧٤٠)، وحريقها (سنة ٧٩١) وصفه ابن حجة الحموي (المتوفى سنة ٨٣٧)، وموجات الطاعون وصفها مرة أبو الصفا الدمشقي (سنة ٨٥٦)، ومرة أخرى ابن عبد الهادي (المتوفى سنة٩٠٩)، وإحدى أزمات الغلاء الشديدة في مصر وصفها المقريزي وحللها في «إغاثة الأمة بكشف الغمة»، وسجل التقي السبكي (سنة ٧٥٦) مشكلة وقف حماه ومحاكمة أولاد اليونيني، كما أرّخ النويري الإسكندري واقعة الإسكندرية (سنة ٧٦٧) يوم الهجمة الصليبية من قبرص عليها. وكتب ابن زنبل (المتوفى سنة ٩٦٠) واقعة السلطان سليم والسلطان الغوري، وفتح العثمانيين للشام ومصر، وأرّخ محب الدين ابن فهد (سنة ٩٥٤) عمارة الحرمين من جانب العثمانيين، وسجل النهروالي (سنة ٩٩٠) فتح العثمانيين لليمن في «البرق اليماني»، وأرّخ عرب فقيه (سنة ٩٥٠) فتوح الحبشة في كتابه «بهجة الزمن»، وكتب رمضان والعباسي «فتح بلغراد وردوس على يد السلطان سليمان القانوني»... إلخ.

و ــ وأغرق مؤرخو العصر المملوكي ـ المغولي أشد الإغراق في خدمة علم الرجال. ألّفوا فيه أكثر ما ألّفوا وخير ما ألّفوا. وتمّ على أيديهم التصاق هذا العلم بالتاريخ، واندماجه في كيانه، وحلوله لا كالضيف فيه، ولكن كجزء أساسي من التدوين التاريخي. وبينما ندرت الكتب التي تقتصر على الأحداث السياسية والوقائع، كان من تمام التأليف والتأريخ أن تذيل

كل سنة، أو أن تذكر في ثنايا الأخبار وفيات الرجال وتراجمهم المقتضبة، بالإضافة إلى ما يخصص لهذا النوع التاريخي من الكتب المفردة.

ز ـ على أننا نلاحظ، حتى في إطار كتب الرجال والتراجم، تضاؤل الاهتمام والتأليف ببعض المواضيع التي عرفت في العصور السابقة بعض الرواج.

فحول الطوائف الدينية (رجالها أو عقائدها) مثلاً لا نكاد نجد أكثر من أربعة مؤلفات في العصر كله. لأن الصراع حول الخلافة ـ في الواقع ـ كان قد انتهى، أو كـاد، بعد الضربة التي أصابتها في بغداد على يد المغول. وبعد أن أضحى وجودها في القاهرة الوجود الرمزي المظهري، ومجرد زينة دينية للسلطان المملوكي. وانصرف المؤلفون الشيعة أو القريبون من وجهة نظرهم إلى التأليف في فضائل آل البيت، وفي أنسابهم الرفيعة كنوع من التعويض.

وفي الوقت نفسه قَلّت الكتب التي تتحدث في طبقات رجال العلوم والأدب والفلسفة والطب، فلا نجد مثلاً في طبقات الأطباء سوى كتاب واحـد، بينما انقـرضت الكتب في طبقات الحكماء والفلاسفة ومن إليهم لاندثار الاهتمام بالموضوع نفسه. ولم يؤلف الكُتّاب في طبقات الشعراء والأدباء خاصة سوى كتابين أو ثلاثة كتب تعود إلى الفترات الأولى من العصر، وذلك في نوع من الاعتراف بأن الطبقات العليا من رجال الشعر والقلم قد ذهبت مع العصور السابقة. وإذا ظهرت عدة كتب في طبقات القضاة، لا تصل على أي حـال إلى العشرة، فلأن هذه الجماعة كانت تؤلف جانباً من رجال الدين ومن رجال الوظائف الهامة في النظام المملوكي.

ح ـ ويلفت النظر مقابل هذا رواج سوق السير. وإذا تركنا جانباً سيرة الرسول التي بلغت، لأسباب واضحة أكثر من سبعين سيرة بين مطولة ومختصرة، وتركنا في جانب آخر سير الحكام التي أملى معـظمها الملق، أو حب الأسـوة الحسنة، فـوصلت إلى أكثر من تسعين، فإن الاهتمام الكبير بسير «الأولياء» وكبار الزهاد ذوي الكرامات هو الذي يميز نوع السـير في هذا العصر. ونستطيع أن نعد منها أكثر من ثلاثين أو أربعين، فإذا أضفنا إليها كتب المناقب المتعلقة بأئمة المذاهب، أو بالخلفاء الراشدين، أو بالصحابة، ارتفع الرقم إلى ما يقرب من مائة كتاب تشكل حوالى ٥٪ من مجموع مؤلفات التاريخ.

ولقد استعرض السخاوي في رسالة «الجواهر والدرر» أخبار السير وكتّابها، ونستطيع أن نحصي لديه، مما أحصى، ما يزيد على المائة من سير العلماء في هذا العصر وحده، عدا الكتب في مناقب الأئمة والصحابة والخلفاء، وعدا المؤلفات في سير الحكام. مع أنه أضاف في نهاية الرسالة يقول: «. . . وهذا باب لا يمكن حصره»[1].

---

(١) انظر الرسالة منشورة في نهاية كتاب «التاريخ عند المسلمين» من تأليف روزنتال (الترجمة العربية) ما بين صفحة ٧٢٧ ـ ٧٥١.

لا نكاد نجد جديداً في المناهج التي اتبعها مؤرخو العصر المملوكي ـ المغولي في تدوين التاريخ. عملية التدوين اتبعت سواء في جمع المصادر، أو طرائق العمل والتنظيم للمعلومات، أو في الأساليب الأدبية للكتابة، الدروب نفسها التي سبق أن سلكتها من قبل. ومشى الأخلاف على الطرق التي كان عبّدها الأسلاف، بل لقد تنكبوا أحياناً بعض تلك الدروب، أو دمجوا بعضها في بعض دون أن يفتحوا فيها درباً جديداً... سوى القليل القليل.

وسوف نتتبع مناهج التأليف في ثلاث نواح: في المصادر، ثم في طرائق التدوين والتنظيم، وأخيراً في الأساليب الأدبية.

١ ـ في مصادر المعلومات

فأما في مصادر المعلومات فلم تتغير بدورها طرق الوصول إليها ولعل الباب الوحيد الذي اتسع هو المبالغة في فترة من الفترات في ذكر الوثائق. وقد لخص المقريزي في مقدمة لكتابه «الخطط»، مصادره في جملة يمكن أن تعتبر نموذجاً لطرائقه وطرائق غيره قال: «... إني سلكت فيه ثلاثة أنحاء وهي: النقل من الكتب المصنفة من العلوم، والرواية عمن أدركت من شِيَخَةِ العلم وجلة الناس، والمشاهدة لما عاينته ورأيته...»[1]. وإذا لم يكن في هذه الجملة من جديد فإن استخدام هذه الطرائق في التاريخ يختلف حسب العصر الذي يبحث. فإذا كانت المشاهدة تنفع في التاريخ المعاصر فإن النقل محتوم في رواية العصور السابقة. وهكذا فإن المصادر يمكن أن تقسم إلى قسمين: مصادر العصور السابقة، ومصادر الأحداث المعاصرة.

---

(١) المقريزي ـ الخطط ج١ ص٦.

١ ـ مصادر العصور السابقة

وهي بالطبع كتب المؤرخين السابقين. على أن الملاحظ في هذا الصدد أن مؤرخي العهد إلمملوكي قد تنكبوا، فيما يتعلق بالعصور الإسلامية الأولى، الاعتماد الكامل على الكتب المشهورة كالطبري وابن سعد والبلاذري والمسعودي . . . ولعل ذلك لشيوع ما اندرج فيها، ووجود مختصرات في الكتب منها وعدم إمكان المجيء بجديد عليها. وكثيراً ما حاول المؤلفون بالمقابل الاقتباس من بعض الكتب الثانوية، أو القليلة الشهرة، كي يضمنوا لمؤلفاتهم القيمة والطرافة. كان ابتكارهم الأساسي في هذا المجال هو العثور على مصدر لم تتداوله الأيدي كثيراً، أو إيجاد منهج أو فكرة جديدة يجري التأليف على أساسها، وتكون المبرر لوضع التأليف الجديد وتداوله والإقبال عليه.

فإذا وصلنا مع المؤرخين المملوكيين إلى عهود الدول المنقطعة، وإلى الخلافة الفاطمية، والعصر السلجوقي، وجدناهم يعتمدون المؤلفات المحلية مباشرة أو بالواسطة، فإن وجد المصدر لديهم أخذوا عنه الكثير، وإلّا اكتفوا بما نقل المتأخرون عنه، كما كانوا يحرصون في الوقت نفسه على التميز باعتماد المصادر الثانوية، أو المغمورة، أو الجزئية خاصة التي تلقي مزيداً من الضوء والتفصيل على بعض الأحداث والوقائع.

أما العصر المملوكي نفسه، فقد كان تداول مؤلفاته الأولى بين الأيدي، بسبب قرب العهد، سبباً في الاعتماد المباشر عليها في الغالب من قبل المؤرخين اللاحقين. وهكذا جرى تسلسل نقل المعلومات عهداً بعد عهد، ولاحقاً بعد سابق، خلال القرون المملوكية الثلاثة. وكان المتأخرون يدمجون روايات السابقين، أو يلخصونها، أو يعيدون كتابتها على ضوء وبقدر ما يقع لهم من المصادر.

وإذا لم يكن من الضروري ملاحقة مصادر العصور الإسلامية الأولى لدى المؤلفين المملوكيين، فإن التقاط بعض النماذج عن العصور التالية قد تكشف ثروة الفكر والاطلاع وتنوعها، أو تطابقها لدى جمهرة المؤرخين في العصر المملوكي[(١)].

فلو أخذنا ابن أيبك الدواداري، في موسوعته «كنز الدرر»، وانتقينا منها المجلد السادس: «الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية»، لوجدنا أنه يقول في مقدمته:

«. . . انتخبته وانتقيته وغربلته ونقيته من تواريخ رئيسة وكتب نفيسة فعاد كالحديقة المشرقة . . . فلما كملت مسوداته . . . ألفت كل واقعة في زمانها . . . وأقمته تاريخاً غريب المثال . . . ولخصت من تواريخ الجمع ما ينزه الناظر ويستشف السمع . . .». أما تلك التواريخ التي اعتمدها فهي عشرون مصدراً:

---

(١) اقتصرنا في هذه النماذج أحياناً على ذكر مصادر المؤرخ لفترة معينة إن كان تاريخه من النوع العام ذي المجلدات العديدة الواسعة لصعوبة تقصي مصادره الكاملة لتاريخه كله.

١ ــ «تاريخ مصر» لابن زولاق (ص ٤).
٢ ــ «تاريخ القيروان».
٣ ــ كتاب الشريف أبي الحسين أخي محسن عن أصل الفاطميين (ص ٦).
٤ ــ «سير التاريخ» (ص ١١١) لأبي القاسم الطيب بن علي بن أحمد التميمي ـ اختصار ابن منجب الصيرفي.
٥ ــ «الروضة البهية في خطط القاهرة المعزية» لابن عبد الظاهر (ص ١٣٥).
٦ ــ «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ص ١٤٥).
٧ ــ «أخبار الشام» لعلي بن محمد بن يحيى السلمي السميساطي أبي القاسم (ص ٢٧٢).
٨ ــ «دمية القصر» (ص ٢٨٣).
٩ ــ «تاريخ ابن دحية» (ص ٢٩٨).
١٠ ــ «حل الرموز في علم الكنوز» (ص ٣٠١) لمحمد بن عبد الرزاق القيرواني.
١١ ــ «سيرة الحاكم» (ص ٣١٢).
١٢ ــ «رسائل أبي القاسم الوزير المغربي» (ص ٣١٢).
١٣ ــ كتاب قبطي وَجَدَه بالدير الأبيض (ص ٣٥٣).
١٤ ــ «تحفة القصر في عجائب مصر» للعاضد الفاطمي (ص ٣٦٣).
١٥ ــ «خريدة القصر» للعماد الأصفهاني (ص ٤٠٩).
١٦ ــ «السيل والذيل» للعماد نفسه (ص ٤٢١).
١٧ ــ سيرة السلطان صلاح الدين «النوادر السلطانية» لابن شداد (ص ٤٢٢).
١٨ ــ «تاريخ ابن واصل» (مفرج الكروب) (ص ٤٣٠).
١٩ ــ كتاب «جني النحل» لابن سعيد (ص ٤٣٧).
٢٠ ــ «تاريخ دمشق» لابن القلانسي (ص ٥٢٩).

وليس بين أيدينا اليوم من هذه المصادر بين مخطوط ومطبوع سوى ثمانية (٦، ٨، ٩، ١٢، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠) والباقي جميعه مفقود حتى الآن.

ولو نظرنا في مصادر ابن الفرات لأحد أجزاء تاريخه وليكن الجزء السابع لوجدنا له أكثر من ٢٦ مصدراً أهمها:

١ ــ «سيرة الملك الظاهر» لابن عبد الظاهر.
٢ ــ تاريخ صارم الدين ابن دقماق.
٣ ــ «نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك» للبسطامي[1].

(١) ينسب كتاب بهذا الاسم لشافع سبط ابن عبد الظاهر المتوفى سنة ٧٣٠ وفي إستامبول (أياصوفيا ٣٥٠٣) مخطوط منسوب للبسطامي عنوانه «نظم السلوك في مسامر الملوك» ولعله الاسم الأصح.

٤ ــ «ذخيرة الكاتب» للقاضي ابن المكرم الأنصاري.

وهو يعاود الاعتماد عليها كرة بعد أخرى بالإضافة إلى: كتاب «وصية الإمام العزيز» لمؤلف مجهول، و «تاريخ الذهبي». و «تاريخ ابن عساكر»، و «تاريخ» البرزالي و «الوافي» للصفدي، و «ذيل مرآة الزمان» لليونيني، و «البدر السافر» لكمال الدين الأدفوي، و «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب، و «تاريخ» شمس الدين ابن الجزري، و «تاريخ» أبي الفداء صاحب حماه، و «طبقات الفقهاء» لسراج الدين ابن الملقن، و «سيرة الملك الظاهر» لابن شداد، و «تاريخ مصر» لقطب الدين الحلبي، و «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» لبيبرس المنصوري، و «تاريخ» ابن مسعدة الأندلسي، وتواريخ أو معاجم شيوخ كل من الشريف عزّ الدين أبي القاسم أحمد بن محمد النصيب الحسني، وقاضي القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثي، والأستاذ أبو جعفر بن الزبير، والحافظ اليغموري، وشافع سبط ابن عبد الظاهر، وشهاب الدين القوصي. بالإضافة إلى مصادر أخرى يعطيها اسم: بعض أهل التاريخ...[1]، ونصف هذه المصادر تقريباً مفقود حتى الآن.

وننتقل إلى بدر الدين العيني في كتابه: «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» (وهو ما يزال من التراث الضخم المخطوط)، ونختار ما كتبه عن السنوات العشر الأولى من عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ما بين نهاية القرن السابع ومطالع القرن الثامن فنجد أن المؤلف اعتمد ابن كثير وبيبرس الدواداري وموسى بن محمد اليوسفي صاحب «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر» (ويقع في ١٥ مجلداً)، و «نهاية الأرب» للنويري، وكتاب «سيرة الناصر وبنيه» لشمس الدين الشجاعي، وتاريخ القاضي شرف الدين بن عبد الواحد، وكتاب «الطائف»، و «المقتفي» للبرزالي، وتاريخ الجزري و «ذيل المرآة» لليونيني، وشافع سبط ابن عبد الظاهر، بالإضافة إلى بضعة مصادر أخرى[2].

ونضع لمجرد المقارنة مصادر ابن تغري بردي عن هذه الفترة نفسها، وقد جاءت في الجزء الثامن من كتابه «النجوم الزاهرة»، فنجد أنه اعتمد على الجزري واليونيني وابن شاكر الكتبي وعلى المقريزي خاصة (دون أن يشير إليه)، وعلى الصلاح الصفدي والنويري والذهبي والبرزالي وجمال الدين الأسنائي وأبي حيان والقطب الحلبي وبيبرس الدواداري في «زبدة الفكرة»، وابن كثير واليوسفي صاحب «النزهة» وابن دقماق وصاحب «نزهة الألباب»[3]

---

(١) انظر هذه المصادر: ابن الفرات ج٧ الصفحات، ١، ٢، ٣، ٦، ١١، ١٣، ١٩، ٢٥، ٣٧، ٣٨، ٥٦، ٦٩، ٨١، ٨٤، ٨٦، ٩٤، ١٠٨، ١٢١، ١٤٢، ١٥٨، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٨٢، وذلك كله على سبيل المثال، وثمة صفحات كثيرة أخرى.

(٢) انظر هذه المصادر: العيني «عقد الجمان» الجزء الخامس عشر (مخطوط ولي الدين باستامبول رقم ٢٣٩٢) الأوراق ٤٨ ظهر ٥٠ وجه وظهر، ٥١ وجه، ٥٢ وجه، ٥٣ ظهر ٨٧٤ وجه، ١٤٢ وجه، ١٢٢ وجه، ١٧٤ ظهر.

(٣) في هذه المصادر انظر ابن تغري بردي «النجوم الزاهرة» ج٨ الصفحات: بالنسبة للصفدي ص٥٣، ٧٩،

(ولعله صاحب نزهة الناظر)، ونستطيع أن نعقد مقارنة أخرى بمؤرخ مغمور معاصر هو احمد ابن محمد علي المقري الفيومي في تاريخه «نثر الجمان في تراجم الأعيان»، وهو ما يزال مخطوطاً وفي عدة أجزاء[1]. فالرجل قد ذكر مصادره صراحة وهي في الجزء الرابع من تاريخه مثلاً: «تاريخ المؤيد» (ولعله يقصد أبا الفداء) والبرزالي والجزري والقاضي جمال الدين (ابن واصل) والنويري ومؤلف يدعوه بالمؤرخ ولعله يعني به نفسه، بالإضافة إلى مصادر أخرى نكتشفها خلال القراءة كابن عبد الظاهر وابن الساعي وأبي الفداء[2].

فإذا وصلنا إلى مثل المقريزي، أغرقنا الرجل بمصادره الواسعة الغنية[3]، فقد استوعب مثلاً في كتابه «الخطط» كافة ما كتبه السابقون له في الموضوع: الكندي والقضاعي وابن بركات النحوي والجواني وابن عبد الظاهر وابن المتوج، وأضاف إليها أنه أخذ معظم أخبار فتوح مصر وتاريخها قبل الإسلام عن ابن عبد الحكم وابن يونس والمسعودي وابن وصيف شاه وأخبار الفسطاط الأولى عن الكندي وابن زولاق. أما عصر الدولة الفاطمية، وهو أخصب أقسام الكتاب وأكثرها ألواناً وأصالة، فأخذه عن ابن زولاق والمسبحي وابن المأمون والجواني، ثم أخذ الأخبار التالية عن القاضي الفاضل وابن أبي طي وابن عبد الظاهر وابن المتوج (المتوفى سنة ٧٣٠).

وقلائل أولئك الذين فعلوا مثل ابن حجر العسقلاني الذي وضع مصادره لكتابه «إنباء الغمر» في مطلع الكتاب فهو يعدد من مصادره: ابن الفرات وابن دقماق وأحمد بن علاء الدين حجي الدمشقي، والمقريزي وتقي الدين الفاسي والصلاح الأقفهاسي، وتاريخ العيني وابن كثير وابن دقماق وابن خطيب الناصرية[4]. أما ابن إياس فقد افتخر في مقدمة أحد

ـ ٨١، ٩٢.. بالنسبة للنويري ص٢٧٦ بالنسبة للذهبي ص٥١، ٥٤، ٧٦، بالنسبة لليونيني ص٥٩، ٨٠، ٩٠.. بالنسبة للبرزالي ص٥٥، بالنسبة للجزري ص٥٥، بالنسبة للأسنائي ص٧٤، بالنسبة لأبي حيان ص٧٥، بالنسبة للقطب الحلبي ص٧٥، بالنسبة لبيبرس الدواداري ص ٩٩ وص ١٠٠، بالنسبة لابن كثير ص١٧٧، ٢٥٠، بالنسبة لليوسفي ص١٧٨، بالنسبة «لنزهة الألباب» ص٢٥٠، بالنسبة لابن شاكر ج٩ ص٢٠، بالنسبة لإبن دقماق ج٩ ص٢٠.

(١) كشف هذا المخطوط المستشرق A.R. Guest وكتب عنه في المجلد XXXIII من مجلة: J.R.As.S. (1901) P.91 Description of an Arabic Manuscript.

(٢) انظر هذه المصادر: المقري، «نثر الجمان» (مخطوط شستربتي ـ لندن رقم ٤١١٣) الجزء الرابع الأوراق: بالنسبة للمؤيد (١٠٠ وجه، ١١٢ وجه، ١١٤ وجه، ١١٥ وجه، ١١٧ ظهر..). بالنسبة للبرزالي الأوراق (١٢٣ ظهر، ١٣٧ وجه، ١٥٠ وجه، ١٧٢ ظهر). بالنسبة للجزري الأوراق (١٤٩ ظهر، ١٦٠ وجه، ٢٣٧ وجه). بالنسبة لابن واصل الورقة ١٢٥ ظهر. بالنسبة للنويري الورقتان (١٥١ وجه و١٧٢ ظهر). بالنسبة للمؤرخ الأوراق (١١١ وجه، ١١٥ وجه، ١٢٤ ظهر، ١٢٩ ظهر، ٢٢٠ ظهر ٢٢٤ وجه وظهر.. الخ).

(٣) درس المستشرق الإنكليزي A.R. Guest بإسهاب مصادر المقريزي في بحث نشره في مجلة الجمعية الأسيوية الملكية: Journal of R.As.S. (1902) P.103.

(٤) انظر ابن حجر «إنباء الغمر» ج١ (ط. حبشي) ص٤-٥ من النص.

اجزاء كتابه: «بدائع الزهور في وقائع الدهور» والذي يبلغ أحد عشر مجلداً بقوله: «. . . وقد طالعت على هذا التاريخ كتباً شتى نحو سبعة وثلاثين تاريخاً حتى استقام لي ما أريد. . .»[1].

ويمكننا بعد هذا أن نسوق حول مصادر معلومات المؤرخين المملوكيين عدداً من الملاحظات العامة:

أ ـ بالرغم من وفرة المصادر في العصر المملوكي، ورواج سوق التدوين التاريخي، فقد تميزت بعض المؤلفات بالأصالة والتفرد بالمعلومات، مما جعلها دون غيرها أشبه بالمصادر الأمهات التي لا يستغني عنها مؤلف بعدها، والتي تُغذي، دون كبير استثناء، المؤلفات التالية لها، بل والتي تعاصرها أيضاً، فلم تكن المعاصرة مانعاً من الاقتباس وأحياناً من السطو على المؤلفات الجيدة.

وهكذا نجد مثلاً ابن عبد الظاهر في سيرته للملك الظاهر بيبرس والمنصور الأشرف مصدراً لكل من أرّخ لهؤلاء السلاطين من بعده، من مثل سبطه شافع العسقلاني وابن الفرات والناصري الشافعي والمقريزي، وهناك ثلاثة مصادر أساسية اعتمدها كل من أرّخ ما بين أواخر القرن السابع ومطالع الثامن هي: «زبدة الفكرة» لبيبرس الدواداري، و«نزهة الناظر» لليوسفي، و«حوادث الزمان» للجزري. الأوّلان لحوادث مصر، والأخير لأحداث الشام، يستوي في الاعتماد عليهم: النويري واليونيني وابن أبي الفضائل وابن أيبك وابن شاكر الكتبي وابن كثير والعيني وابن تغري بردي والمقريزي وأبو الفداء وابن الفرات وابن خلدون؛ على أن المتأخرين من هؤلاء كان اعتمادهم في الغالب بشكل غير مباشر.

فإذا انتقلنا إلى مرحلة متقدمة من أواسط القرن الثامن، ظهر البرزالي والذهبي كمصادر أمهات، وظهر النويري كمصدر وسيط في الغالب يؤخذ عنه ما نقل هو عن غيره. ومن الطرائف أن اليونيني نقل عن الجزري وهما متعاصران، وأن القسم التاريخي لدى العمري في «مسالك الأبصار» مأخوذ في بعض أقسامه أخذاً يكاد يكون حرفيًّا عن «دول الإسلام» للذهبي. ونستطيع أحياناً بسهولة كبيرة أن نتتبع الخبر الواحد لدى المصادر المختلفة ونكتشف أنه نسخ متعددة لأصل واحد، لا يكاد يختلف بين مصدر وآخر إلاّ أقل الاختلاف، ولنأخذ مثلاً على ذلك خبراً من أحداث سنة ٦٩٩: فالجزري يكتب: «واجتمعوا في هذا اليوم بمشهد علي وتشاوروا في أمر الخروج إلى الملك محمود بن غازان وأخذهم منه أمان لأهل البلاد. . .»[1].

ويكرر اليونيني النص نفسه بالحرف[2].

---

(١) انظر محمد مصطفى ـ صفحات لم تنشر من «بدائع الزهور» (القاهرة ١٩٥١) ص٢٠.

(٢) اليونيني ـ «ذيل مرآة الزمان» (مخطوط يال رقم ١٣٩) ج ٤ الورقة ٢٠٨ ظهر.

اما البرزالي فيقول: «. . . اجتمع جماعة من الأعيان من العلماء والأكابر بمشهد علي بجامع دمشق واتفقوا على التوجه للقاء ملك التتار وطلب الأمان منه. . .»[1].

ويقول الذهبي: «. . . ثم اجتمع الكبار بمشهد علي وتشاوروا في الخروج إلى الملك وطلب الأمان»[2]. ويكتب ابن أيبك الدواداري «. . . واجتمع الناس في ذلك اليوم في مشهد علي وتشاوروا في الخروج إلى غازان»[3].

والمفضل بن أبي الفضائل يذكر: «. . . ثم اجتمعوا ذلك اليوم في مشهد علي وتشاوروا في أمر الخروج إلى غازان[4]».

وأخيراً يحكي النويري: «. . . فاجتمع أكابر دمشق في يوم الأحد الثاني من الشهر بمشهد علي بالجامع الأموي واتفقوا على أن يتوجهوا إلى الملك غازان يسألونه الأمان لأهل البلد»[5].

ب ـ شكلت قضية «النقل» عن الكتب المؤلفة في التاريخ نوعاً من الإشكال والخلاف بين العاملين في هذا الميدان. فأتباع المدرسة الحديثية، وذوو التكوين الثقافي الديني من أمثال ابن حجر والسخاوي مثلاً، لم يكونوا يستسيغون النقل عن أي مصدر دون سماعه من صاحبه السماع المباشر، أو التوثق على الأقل حسب طرائق أهل الجرح والتعديل، من صحة روايته وصدق حديثه. وهذا ما جعل السخاوي مثلاً يغمز من قناة المقريزي ويتهمه بأنه «حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين، ولذلك كثر له فيهم وقوع التحريف والسقط، وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو. . . وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها؛ وأما الوقائع الإسلامية ومعرفة الرجال وأسماؤهم والجرح والتعديل والمراتب والسير وغير ذلك من أسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه. . .»[6]. وواضح أن السخاوي إنما كان يفهم التاريخ على وجه خاص هو الوجه الذي يفهمه عليه المحدثون والحفاظ والعلماء بالرجال.

وإذا كان السخاوي قد مثل هذه المدرسة، فإن المقريزي قد دافع عن نفسه في عبارة يمكن أن تمثل بدورها وجهة نظر المدرسة الأخرى، ورأي المؤرخين الآخرين الذين لم

---

(١) البرزالي ـ «المقتفى» (مخطوط أحمد الثالث رقم ٢٩٥١) ج٢ الورقة ٨ وجه.

(٢) الذهبي ـ «تاريخ الإسلام» (مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ) المجلد ٣٣ الورقة ١٢٨ وجه وظهر.

(٣) أيبك ـ «كنز الدرر» ج٩ (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ص١٩.

(٤) المفضل ـ «النهج السديد» (مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٤٥٢٥) الورقة ٢٣٧ وجه.

(٥) النويري ـ «نهاية الأرب» (مخطوط دار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة) ج٢٩ الورقة ١١٣ وجه.

(٦) السخاوي ـ «الضوء اللامع» ج٢ ص٢١ ـ ٢٥. وانظر أيضاً «التبر المسبوك في ذيل السلوك» ص٢١ (ط. بولاق).

يكونوا يتقيدون بقيود رجال الحديث في النقل والمصادر؟ فقد قال في مقدمته لكتاب «الخطط»: «. . . فأما النقل من دواوين العلماء التي صنفوها في أنواع العلوم فإني أعزو كل نقل إلى الكتاب الذي نقلته منه لأخلص من عهدته، وأبرأ من جريرته، فكثير ممن ضمني وإياه العصر واشتمل علينا المصر صار لقلة إشرافه على العلوم، وقصور باعه في معرفة علوم التاريخ، وجهل مقالات الناس، يهجم بالإنكار على ما لا يعرفه. ولو أنصف لعلم أن العجز من قبله، وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذي يقطع عليه ولا يحتاج في الشريعة إليه. وحسب العالم أن يعلم ما قيل من ذلك ويقف عليه. وأما الرواية عمن أدركت من الجلة والمشايخ فإني في الغالب والأكثر أصرح باسم من حدثني إلا أنه لا يحتاج إلى تعيينه. أو أكون نسيته، وقل ما يتفق ذلك. وأما ما شاهدته فإني أرجو أن أكون، ولله الحمد غير متهم ولا ظنين. . . »[1].

وعلى أي حال فإن طريقة المقريزي في النقل المباشر عن الكتب، دون الحاجة إلى السماع، كانت قد بدأت بين المؤرخين قبله بكثير، ومنذ مطلع العصر، وأصبحت في عهده ومن بعده هي القاعدة المتبعة بحجة أن التاريخ قد انفصل عن الشريعة.

جـ ـ قد ينقل بعض المؤرخين في العصر المملوكي عن سابقيهم وعن معاصريهم أحياناً كثيرة دون ذكر المصدر. حتى الذين اعتادوا ذكر مصادرهم في المؤلفات، كانوا كثيراً ما يهملون الإشارة إليها بالكليّة، أو يقولون: «ويقال» أو «قال بعض أهل التاريخ . . .». وإذا كان إهمال ذكر بعض المصادر لدى بعض المؤرخين ناجماً عن الحسد، أو الحقد، أو الرغبة في عدم إبراز اسم بعض المؤلفين، فإنها كانت أحياناً نتيجة السرعة، أو الاختصار، أو حب التباهي بالعلم الذي لم يسبق؛ كما كان ذكر بعض المصادر يأتي أحياناً من الرغبة في استغلال اسمها الموثوق، وسمعة أصحابها المعروفين، لزيادة الثقة بالكتاب وبقيمته العلمية. وبعض النصوص إنما كانت تثبت مع ذكر أصحابها لسبب لا علاقة له بالتاريخ هو السبب الأدبي، فالكثير من الرسائل والنصوص والعهود وما إليها إنما كانت تنقل وتعزى إلى أصحابها لما امتدّ لهم من السمعة الأدبية والشهرة.

وهكذا نجد مثلاً أن المقريزي الذي يكثر الإشارة إلى مصادره، كان كثيراً ما يهمل أو يكتم الإشارة إلى بعضها. فلو نظرنا في كتابه «اتعاظ الحنفا» مثلاً لوجدنا أنه بجانب العديد من مصادره المذكورة نقل الكثير من النصوص عن ابن زولاق من كتابيه «سيرة المعز»، و «إتمام أخبار أمراء مصر» للكندي، دون الإشارة إلى مصدرها. ولخّص عن الطبري بعض أخبار القرامطة ولم يذكره، ونقل عن ابن الأثير أيضاً نصوصاً بأحرفها ولم يذكر النقل. كما نقل عن ابن القلانسي، ونقل خاصة عن المسبحي والسميساطي صفحات طويلة دون ذكر أصحابها، رغم شأنها وامتدادها صفحات. . .[2]

---

(١) المقريزي ـ «الخطط» ج١ ص٦.

(٢) انظر في المقريزي ـ «اتعاظ الحنفا» (ط: الشيال ـ أحمد). بالنسبة لابن زولاق ج١ والصفحات:

ونضرب مثلاً آخر المؤرخ ابن الفرات. إن كثرة ترداده لأسماء الكتب والمؤلفين يعطي الانطباع المبدئي بأنه لا يكتم مصادره، وأنه دوماً يذكرها، ومع ذلك فإن الدراسة المتأنية للمجلدات الأخيرة من تاريخه تكشف أنه مال بكل ثقله على كتاب «نهاية الأرب» للنويري، فأخذ ما شاء منه، وإن كان لم يذكر اسمه مرة في تاريخه، ولا اسم بعض المؤرخين الآخرين الذين اعتمدهم كأبي الفداء وبيبرس الدواداري وقطب الدين اليونيني والجزري[1].

ويقدم الجوهري ابن الصيرفي في «نزهة الأبدان» مثالاً ثالثاً على النقل دون النص على المصدر، إلا في القليل النادر. ونجد لديه النصوص الكثيرة المقتبسة عن ابن حجر العسقلاني والمقريزي والقلقشندي وابن تغري بردي والعيني وابن شاكر، وخاصة عن أستاذه المقريزي من كتاب «السلوك الكبير» دون أن يأبه بالإشارة إلى نقله الحرفي، ولعله كان يحسب معلومات أستاذه المكتوبة مباحة له كمعلوماته الشفهية[2].

= ١٣٦ - ١٣٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ٢٢٤، وإنما عرفناها لصاحبها لأن المقريزي نفسه ينقلها في الخطط ويعزوها إليه (انظر الخطط ج٢ ص٣١، ج١ ص١٣٢... الخ).

وبالنسبة للطبري انظر: «اتعاظ» ج١ ص١٧٤، ١٧٥، وبالنسبة لابن الأثير ج٢ ص٢٥٣، وبالنسبة لابن القلانسي ج٢ ص٢٣٨، وبالنسبة للسميساطي المؤرخ الشامي نقل المقريزي عنه صفحات مطولة (ج١ ص٢١٠ - ٢١٤، ٢١٩ - ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٤٢). الخ (ولعله نقلها عن طريق ابن ميسر)، ولكنه مع ذلك لم يُشر إلى مصدرها، أو إلى المصدر الوسيط. وسوف نعرض للقضية فيما بعد. أما بالنسبة للمسبحي فهناك نص يمتد خمسين صفحة (ج١ ص١٢٤ - ١٧٤) وسوف نشرح بعد قليل أنه من تأليف المسبحي في الأرجح.

(١) درس ذلك المستشرق الصهيوني إلياهو أشطور E. Ashtor من الجامعة العبرية في كتاب:
Some Unpublished Sources For the Bahri Period, Studies in Islamic History and Civilization, Ed. Uriel Heyd, (Ser. Hiero. IX) Hebrew University, 1961.

(٢) انظر مثلاً نصًا مشتركاً بين الجوهري «نزهة الأبدان» ص٤٠ - ٤٤ والعيني «عقد الجمان» - مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة رقم ١٥٨٤ (تاريخ اللوحات ٢٧٥ - ٢٧٨)، وقارن مثلاً نصوصاً من ص٨٩ بأصولها في «الدرر الكامنة» لابن حجر ج٣ ص١٧٠٩، و«النجوم الزاهرة» ج١١ صفحة ٢١٤. وقارن خبراً في ص٦٥ لدى الجوهري بما يماثله لدى المقريزي (في «السلوك» - مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٤٦٢,٤٥٥ تاريخ، ورقة ١٤٠ ظهر) وخبراً آخر عن نيابة صفد في الصفحة نفسها ٦٥ مع ما يماثله في «صبح الأعشى» (ج٤ ص٢٤٠ - ٢٤١)، وبعض أخبار ص٦٦ لدى الجوهري مع ما يقابلها في «السلوك» (المخطوط نفسه الورقة ١٤٠ ظهر)، و«عقد الجمان» (المخطوط نفسه اللوحة ٢٨٨). وانظر النقل الحرفي في ترجمة قاضي القضاة علم الدين (ص١٠٨ لدى الجوهري، وج١١ ص٣٠٠، ولدى ابن تغري بردي) والنقل عن «عقد الجمان» (المجلد ٢٥ اللوحات ٥٣ - ٥٨، في الصفحات ٤٨٨ - ٤٩٣ لدى الجوهري... الخ).

وانظر ابن تغري بردي - «النجوم الزاهرة» ج٨ ص١٥٦ وج٩ ص١١٨ وما يقابلها في «السلوك» للمقريزي. وقارن مثلاً آخر ما بين أخبار ابن تغري بردي في «النجوم» (٨ص٤٨ - ٥٠) مع ما يماثلها لدى الجزري: «جواهر السلوك» (مخطوط دار الكتب رقم ٧٥٧٥) الورقة ١٣٨ وجه، واليونيني: ذيل «مرآة الزمان» =

وقد تنبه بعض المؤلفين في العصر نفسه لمثل هذا «السطو» الأدبي. فهذا ابن حجر في مقدمة كتابه «إنباء الغمر» يقول: «... وطالعت تاريخ القاضي بدر الدين العيني. وذكر أن الحافظ ابن كثير عمدته في تاريخه، وهو كما قال لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقماق حتى يكاد يكتب منه الورقة الكاملة متوالية، وربما قلده فيما يهمُّ فيه حتى في اللحن الظاهر مثل «اخلع على فلان وأعجب منه أن ابن دقماق يذكر في بعض الحادثات ما يدل على أنه شاهدها بنفسه فيكتب البدر كلامه بعينه بما تضمنه، وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعيد في عينتاب»: ولم أتشاغل بتتبع عثراته، بل كتبت منه ما ليس عندي...»[1].

د ـ حرص الكثير من مؤرخي العصر المملوكي على تصيد بعض الكتب الاختصاصية، أو الصغيرة، أو الخاصة بموضوع من المواضيع، أو بحادثة محدودة، أو سيرة من السير لإدخالها في مصادر كتبهم التي يؤلفون، لا سيما حين تكون المؤلفات من الحجم الضخم، وهكذا فليس من الصدف ولا الأمور النادرة أن نجد بين مصادر ابن أيبك مثلاً ما ذكره من كتاب قبطي وجده بالدير الأبيض في الوجه القبلي، يذكر عجايب من أحوال مصر لم تقع لأحد قبله، وكتاب «حل الرموز في علم الكنوز»، وكتاب «سيرة الحاكم» لمؤلف مجهول، وكتاب بعض الأشراف في أصل الفاطميين... إن ثمة فيضاً من هذه الكتب الجزئية أو الثانوية كان يردف ويغذي أقلام الكثير من المؤرخين ويمنحهم إمكان التوسع أو الزيادة في بعض جوانب التأليف أو الأحداث. حتى المؤرخون أنفسهم كانوا يسهمون في تأليف أمثال هذه الكتب التي تشبه أن تكون مقالاتٍ وأبحاثاً ورسائلَ محدودة من مثل: التأليف على اسم معين: في من اسمه الحسين، أو عوض، أو عبد المؤمن. أو التأليف حول أهل الذمة: ترميم الكنائس، المذمة في الذمة. أو في الطرائف: كـ «الذخائر والتحف» للأوحدي. أو موقع معين: كجزيرة الروضة أو قلعة دمشق. أو جنس معين كالحبوش. أو في أحوال النيل. أو في الأوائل، أو في الأواخر، أو في الجواري والحمقى والمفلوكين والعميان والأذكياء. أو في حادث معين كحريق ضخم، أو فتنة كبيرة، أو وباء مبيد، أو عدوان كاسح. أو في بعض أحوال الملوك: من صيد أو حج. أو في النقود، أو الأوزان. هذا إلى بعض كتب العجائب أو الرحلة أو التسلية أو لبس الخرقة (الصوفية) أو أخبار الربط والمدارس والحمامات والمساجد...

وكانت هذه الكتب بالعشرات تحت أيدي المؤرخين، ونجد نثرات منها ومقتطفات مبعثرة في المؤلفات، تزيدها دقة أحياناً وطرافة أو تفاصيل تارة أخرى...

= (مخطوط يال Yale) ج٤ الورقة١١٧ وجه وظهر. وابن شاكر الكتبي: عيون التاريخ» (مخطوط دار الكتب ٩٤٩ تاريخ) ج١٢ الورقة ٦٠ وجه.

(١) ابن حجر ـ «إنباء الغمر» ج١ ص٤، ٥ من النص.

هـ ـ كان العرف الأحسن والأرضى بين مؤرخي العصر المملوكي أن تؤخذ أخبار كل إقليم من مؤرخي ذلك الإقليم نفسه، فإذا كان أهل مكة أدرى بشعابها، فالمؤرخون المحليون هم الأجدر بالثقة في أمور بلادهم. وقد عبّر المقريزي عن ذلك في عبارة معروفة وردت في الفصل الخاص بالمعز لدين الله من كتابه «اتعاظ الحنفا». فقد نقل نصًّا عن ابن الأثير يقول: إن المعز اختفى مدة، قبل وفاته بسنة، في سرداب أنشأه وإنه استخلف ابنه نزاراً (العزيز) قبل اختفائه، ثم ألحقه برأي آخر لابن زولاق يذكر أنه إنما عهد لابنه العزيز قبل موته بيومين فقط. ويعلق المقريزي قائلاً: «. . . وإن ابن زولاق أعرف بأحوال مصر من ابن الأثير، خصوصاً المعز، فإنه كان حاضراً ذلك ومشاهداً له. . . إلا أن ابن الأثير تبع مؤرخي العراق والشام فيما نقلوه. وغير خافٍ على من تبحر في علم الأخبار تحاملهم على الخلفاء الفاطميين. . . ومع ذلك فمعرفتهم بأحوال مصر قاصرة عن المرتبة العلية. . . فكثيراً ما رأيتهم يحكون في تواريخهم من أخبار مصر ما لا يرتضيه جهابذة العلماء. وأهل كل قطر أعرف بأخباره ومؤرخو مصر أدرى بماجرياته. . .»[1].

وإذا نحن تركنا جانباً اليمن التي غالباً ما ضيق مؤرخوها دائرتهم على تاريخهم المحلي، وتركنا مؤرخي العراق وإيران الذين لم يهتموا بتطورات الأحداث، فإننا نلاحظ أن مؤرخي مصر كانوا غالباً ما يأخذون أخبار الشام عن الجزري والبرزالي أو الذهبي والصفدي واليونيني وابن شاكر الكتبي وأمثالهم، في الوقت الذي يعتمد فيه هؤلاء في أخبار مصر على زملائهم فيها، كما يأخذون أخبار إفريقية والمغرب عن مؤلفي تلك الأقاليم، كأنما اعتبرت الإقليمية التاريخية اختصاصاً بسبب اتصال التاريخ بالحياة المعاشة، وبأحوال المدن والبيئة والأقاليم وأخبار الناس.

فالبرزالي مثلاً كان أحد المصادر الأساسية لأحداث الشام عند ابن أيبك[2]، ولدى المفضل بن أبي الفضائل[3]. والنويري بدوره يعتمد الجزري من خلال بيبرس الدواداري في الغالب، كما اعتمد أغلب المؤرخين المصريين كتابه «حوادث الزمان» للدرجة التي نستطيع معها جمع قسم كبير منه، من خلال ما اقتطفوا منه، لا سيما وأن الجزري وابن كثير أخذا الكثير عن البرزالي في الوقت الذي أخذ فيه اليونيني عنه، فأي مصدر شامي اقتبس عنه المؤرخ في مصر كان يعطيه الرواية نفسها تقريباً.

وابن الفرات إذا اعتمد النويري ولم يذكره، كما اعتمده ابن خلدون، فقد اختارا من خلاله في أخبار الشام أبا الفداء واليونيني والجزري وأمثالهم بدون أن يدروا على الغالب.

---

(١) المقريزي ـ «اتعاظ الحنفا» ج ١ ص ٢٣٢.

(٢) انظر مثلاً ـ ابن أيبك: «كنز الدرر» ج١٠ ص٣٢ وذلك في قصة مقابلة ابن تيمية لمندوب المغول سنة ٦٩٩.

(٣) انظر المفضل ـ «النهج السديد» ص٤٩٦ في القصة نفسها.

وابن حجر حين كتب «إنباء الغمر» ذكر صراحة اعتماده على ذيل تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية، وأنه ألحق بكتابه منه أشياء كثيرة، بينما لم يعتمد مؤرخو المدرسة الشامية على مؤرخي مصر إلّا فيما يتعلق بتاريخها.

و ــ إذا كان ما دوّنه مؤرخو القرون المملوكية حول عصورهم الخاصة هامًّا، بما يتصف به من معاصرة، وما يحوي من شهادة مباشرة، أو خبر أصيل قريب العهد وهو كثير، وكان هذا كله قد أعطى تلك المدوّنات كما أعطى الأجزاء الأخيرة لكافة الموسوعات التاريخية في تلك القرون قيمة خاصة، فإن العديد من التواريخ التي روت أيضاً أخبار العصور السابقة تحتفظ بدورها بقيمها التاريخة الهامة. فهذه المؤلفات التي حاول بها مؤرخو العصر المملوكي نقل أو توضيح أو إيجاز روايات المؤرخين السابقين ندر أن لا تحوي قطعة من أثر فُقِد، أو من كتاب لا نعرف مصيره، أو مخطوط ما يزال مقبوراً في بعض المكاتب الخاصة، وهكذا يستردُّ بعض الكلام المنقول أو المكرور قيمته وشأنه باعتباره البقية الباقية من الأثر المتقدم، ويأخذ المصدر الناقل بعض قيمة المصادر الأصيلة المفقودة التي تدخل في تكوينه.

ولنضرب مثلاً كتاب ابن أيبك: «الدرة المضيئة في الدولة الفاطمية». فمن مصادره الواحد والعشرين، هناك أحد عشر مصدراً مفقوداً، بعضها يتفرد بذكره واستخدامه وحده، ولا نملك منه سوى ما ذكره هو نقلاً عنه في الجزء الأول من موسوعة «كنوز الدرر» مثل: «حل الرموز في علم الكنوز» لمحمد بن عبد الرزاق القيرواني، أو ما ذكره في الدرة نفسها من الكتاب القبطي الذي وجده في الدير الأبيض، و«سيرة الحاكم» المجهولة المؤلف، وكتاب الشريف أبي الحسين، أخي محسن في أصل الفاطميين، وكتاب «سير التاريخ» لأبي القاسم الطيب بن علي بن أحمد التميمي الذي وجده ابن أيبك مختصراً بخط علي بن منجب الصيرفي الكاتب، وبعضها قد نجد نتفاً أخرى منها عند غيره أيضاً، من مثل رسائل أبي القاسم الوزير المغربي، و«تاريخ بغداد» (ولسنا ندري أي تاريخ هو؟) و«الروضة البهية في خطط القاهرة المعزية» الذي نجد بعض نصوصه لدى المقريزي، و«تاريخ القيروان»، ولعله لابن الرقيق، و«تاريخ مصر» لابن زولاق وقد نقل عنه كثيرون منهم ابن ميسر، وكتاب «جنى النحل» لابن سعيد. ويتميز كتاب «الدرة المضيئة» بأنه يكشف لنا اسم مؤرخ مجهول تمام الجهل، من مؤرخي الشام هو أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى السميساطي المتوفى سنة ٤٥٣. وابن أيبك يأخذ عنه فيما يظهر بصورة موجزة أخبار الشام في أيام الفاطميين، ولا يشير إلى الكتاب وصاحبه وإلى أخذه عنه إلا حيث تنتهي أخبار الكتاب سنة ٣٩٥[١]، بعد أن يكون قد أتى منه على معلومات بالغة الدقة والقيمة.

ومثلٌ ثانٍ «تاريخ ابن الفرات»: لو تصفحنا المجلد الرابع منه[٢]، وأهملنا المصادر

---

(١) انظر ابن أيبك ـ «الدرة المضيئة» ص٢٧٢.

(٢) نشر هذا المجلد الرابع في جزءين بتحقيق الدكتور حسن الشماع (البصرة ١٩٦٧ و١٩٦٩).

المعروفة المبذولة كابن الأثير وابن سعيد وابن الساعي والعماد الأصفهاني وابن خلكان وابن شداد وابن واصل وابن الجوزي الخ . . . وجدنا أنه يعتمد أيضاً على عدد من المصادر الأخرى الضائعة مثل:

ـ «المختار من عيون التاريخ»، لأبي القاسم بن خليفة الخزرجي(ابن أبي أصيبعة) وهو كتاب لا نجد له ذكراً ولا مقتطفات منه عند غير ابن الفرات[1].

ـ كتاب «الجوهر المنتخب في أخبار العلم والأدب»، للشيخ أبي الحسن علي بن أبي العلاء البلدي، وهو كالكتاب السابق في عدم الذكر والاقتباس إلا لدى ابن الفرات[2].

ـ كتاب صغير لأسامة بن منقذ الشيزري ذكر فيه من أدركه في عمره من ملوك البلاد ولا يذكره أحد في مؤلفات الرجل ولا يقتبس عنه إلا في هذا الكتاب[3].

ـ كتاب أبي الغنائم: «جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام»، ولا ندري عنه شيئاً ولا عن صاحبه سوى ما ذكر ابن الفرات عنه[4]؛ ولعله أبو الغنائم عبد الله النسابة الزيدي الحسيني الذي نقل عنه شيخ الشرف العبيدلي (انظر «اتعاظ» ج١ ص١٧، ١٨).

ـ مشيخة أبي عبد الله محمد بن شاكر الحمدي وهي كالكتب السابقة[5].

وهناك مؤلفات ضائعة أخرى يشترك مع ابن الفرات في الأخذ عنها ذكرها المقريزي خاصة:

ـ «نزهة المقلتين في سيرة الدولتين» (الفاطمية والصلاحية) وهو للقاضي المرتضى أبو محمد عبد السلام القيسراني المعروف بابن الطوير (توفي سنة ٦١٧)، ويمكن أن يجمع من مقتطفات كتابه لدى ابن الفرات جملة صالحة[6].

ـ «نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك». ويكثر ابن الفرات من الأخذ عنه في أجزاء عديدة من تاريخه. وقلما يذكر صاحبه ناصر الدين شافع ابن علي سبط ابن عبد الظاهر (توفي سنة ٧٣٠)[7].

---

(١) انظر المصدر السابق ج١ ص٦، ٧ ويخطىء ابن الفرات بالاسم فيجعله أبو القاسم بن خليفة وهو أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة صاحب طبقات الأطباء (لا طبقات الأدباء كما جاء في النص المطبوع).

(٢) المصدر السابق ج١ ص١٩٢، ج٢ ص٢١٠، وبالرغم من وجود عدد من العلماء يلقبون بالبلدي إلا أننا لم نعثر على ذكر هذا الرجل.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٣.

(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٩.

(٦) المصدر السابق ج١ ص١٥ وهو ينقل عن ابن الطوير هنا حوالى ١٥ صفحة والملاحظ أنه يذكر اسم الكتاب دون اسم صاحبه.

(٧) انظر ابن الفرات ـ مخطوط فيينا المجلد ٣ الورقة ١٦٨ وجه، وانظر ابن الفرات ٤ ـ ١ ص١٠٤، ١٦٥.

ـ «معادن الذهب في تاريخ الملوك والخلفاء وذوي الرتب»، وهو الموسوعة التاريخية للمؤرخ الكبير الضائع الآثار: ابن أبي طي يحيى بن حميد النجار الغساني الحلبي (توفي سنة ٦٣٠). وابن الفرات في اعتماده المستمر على هذا المؤرخ واقتطافه الصفحات بعد الصفحات منه(١). يشكل في كتابه أحد المصادر الثلاثة التي يمكن أن نجمع منها بقية أخبار ومؤلفات ابن أبي طي الضائعة، وهي مع ابن الفرات: أبو شامة في «الروضتين» والمقريزي في «الخطط» بالإضافة إلى آخرين أقل اقتباساً بكثير كالذهبي وابن شداد والصفدي. وهناك عدا هذا وذاك من المصادر الضائعة أو التي ما تزال مخطوطة، وقد تداولها غير ابن الفرات:

ـ تاريخ محمد بن علي بن نظيف الغساني الحموي (توفي بعد سنة ٦٣١) ولعله المطول الضائع، المسمى بـ: «الكشف والبيان في حوادث الزمان». أما المختصر: «التاريخ المنصوري» فمطبوع، ولكنه لا يحوي التفاصيل التي يذكرها ابن الفرات(٢).

ـ كتاب «الطالع السعيد الجامع للفضلاء والرواة بأعلى الصعيد» لأبي الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب الأدفوي (توفي سنة ٧٤٩) ولا يذكر ابن الفرات اسم الكتاب، ولكن اسم المؤلف فقط(٣).

ـ بعض تعاليق الحافظ صدر الدين أحمد السلفي المتوفى سنة ٥٧٦. وللرجل كتب عديدة بين مخطوط ومطبوع وضائع(٤).

ـ تعليق أو كتاب للحافظ أبي المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري الدمشقي(٥) المتوفى سنة ٦٧٣. ونضرب مثلاً أخيراً: المقريزي في كتابه «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا»(٦) الذي طبع في ثلاثة مجلدات. ولا يكاد المؤلف يذكر مصدراً من مصادره في المجلدين الثاني والثالث، ولكنا نجد في المجلد الأول مجموعة واسعة، إذا نحّينا جانباً ما هو معروف موجود منها بقي مع ذلك الكثير الضائع، ومن هذا الكثير:

ـ «سيرة المعز لدين الله»، و «إتمام أخبار أمراء مصر» للكندي، وكلا الكتابين لابن زولاق(٧).

---

(١) انظر المصدر السابق ج٤ الصفحات ١٧، ٣٠، ٦٥ وغيرها.

(٢) انظر المصدر السابق ج ١.

(٣) انظر المصدر السابق ج١ ص٨ والأرجح أن ابن الفرات يأخذ عن كتاب «الطالع السعيد» لأن للمؤلف أيضاً كتباً أخرى. و «الطالع السعيد» ما تزال منه نسخة مخطوطة بالجامع الأحمدي بطنطا.

(٤) المصدر السابق ج١ ص٩، ١٠.

(٥) المصدر السابق ج٢ ص٢١٩ و ٢٢٠ وللرجل كتابان ضائعان: موجز أخبار ولاة خراسان»، و «نور القبس».

(٦) كان بالإمكان دراسة مصادر كتاب المقريزي «الخطط» لأنه أخصب، ولكنا فضلنا كتابه هذا لأنه لم تدرس مصادره بعد، ولأنه أكثر ضيقاً.

(٧) انظر المقريزي ـ «اتعاظ» ج١ ص١٠٢ (حيث ينقل عن ابن زولاق عشر صفحات) ولنلاحظ أنه ينقل أحياناً

ـ «الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين» للشريف أبي الحسين محمد بن علي سليل الإمام جعفر الصادق المعروف بأخي محسن[1] وهو ينقل عنه عدة صفحات.

ـ «تاريخ إفريقية والمغرب»، للأمير أبي محمد عبد العزيز بن شداد حفيد ابن باديس[2].

ـ «الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة»، للقاضي ابن عبد الظاهر[3].

ـ تاريخ الدولتين، وهو «نزهة المقلتين في سيرة الدولتين» لابن الطوير[4].

ـ «الجماهير في أنساب المشاهير»، لابن حزم[5].

ـ «تاريخ مصر»، لأبي عبد الله محمد القرطي (من رجال الفاطميين الأواخر) ويذكره فقط باسم القرطي[6].

ـ «سير الأئمة» لابن مهذب أبي العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن (ولعله ينقله بالواسطة عن ابن سعيد)[7].

ـ «تاريخ إفريقية ودول القيروان»، لأبي إسحاق ابن الرقيق ويذكره باسم ابن الرقيق فقط دون اسم الكتاب أيضاً (ولعله أخذه عن طريق ابن ميسر)[8].

ـ «تاريخ هلال الصابىء وابنه غرس النعمة»[9].

ـ كتاب «تثبيت نبوة نبينا ﷺ»، للقاضي عبد الجبار بن عبد الجبار البصري[10].

ـ كتاب «الردّ على الإسماعيليين»، لأبي عبد الله بن رزام[11] (عن طريق ابن النديم في الغالب).

= عنه دون ذكره (ص١٣٦، ١٣٧) وصفحات ١٤٢، ٢٢٤، ١٤٤، ١٤٥، وإنما عرفنا صاحبها من نصوص المقريزي نفسها في الخطط. وهو ينصّ أحياناً بوضوح أنه ينقل عن سيرة المعز بخط ابن زولاق نفسه (انظر ص٢٣٢).

(١) المصدر السابق ص٢١ وما بعدها حتى ص٢٩.

(٢) المصدر السابق نفسه ج١ ص٣٧ ـ وما بعد (ولعله أخذه عن طريق ابن الأثير).

(٣) المصدر السابق نفسه ج١ ص١١٣.

(٤) المصدر السابق نفسه ج١ ص١١٣و٢٣٥.

(٥) المصدر السابق نفسه ج١ ص١٥ وص١٧.

(٦) المصدر السابق ج١ ص٢٩٧.

(٧) المصدر السابق ج١ ص٢٣٦ وانظر ص٢٩٦ وانظر ص٢٩٦ وص٢٣٥.

(٨) المصدر السابق ج١ ص١٧١ وانظر ابن ميسر تاريخ مصر ص٤٧ وص٤٨.

(٩) المصدر السابق ج١ ص٢١.

(١٠) المصدر السابق ج١ ص٢٣١.

(١١) المصدر السابق ج١ص٢٢، وابن رزام من أقدم الطاعنين في نسب الفاطميين وقد نقل كلامه أو بعض =

ـ كتاب «النقط معجم ما أشكل من الخطط»، للشريف أبي علي محمد بن أسعد الجواني النقيب[1].

ـ كتاب « . . . الأدباء»، لأحمد بن الحسين الروذباري (عن طريق ابن سعيد)[2].

ـ الفوطي، كذا يذكره المقريزي. وابن الفوطي مؤرخ كبير مشهور لعله يقصده وله عدة مؤلفات ضخام[3].

ـ «تاريخ ابن أبي طي»، ولسنا ندري أي تواريخه يقصد المقريزي، ولعله يعني تاريخ مصر لأن النص المقتبس يتحدث عن الحاكم بأمر الله في عدة صفحات[4].

ـ ابن الصيرفي، ولعل المقريزي يقصد علي بن منجب الكاتب، ويروي أنه قرأ بخطه ما نقله عنه دون أن يعين الكتاب[5].

ـ ابن ميسر، ومن الغريب أن المقريزي لا يذكره مع أنه يعتمد عليه في مواضع عديدة مكررة. ويبقى بعد ذلك من مصادر المقريزي مصدران لكل منهما قضية:

أولهما ـ المسبحي عز الملك. والمقريزي يذكر أخذه عنه مرة أو مرتين[6] غير أنه يغفله في قسم هام من كتابه يزيد على خمسين صفحة . . . وهذه القضية تتعلق بما أورده المقريزي ـ دون إشارة للمصدر ـ من أخبار سنتي ٤١٤ ـ ٤١٥هـ. فقد تبسّط في أخبار هاتين السنتين في خمسين صفحة[7]، واتبع في التدوين طريقة لم يتبعها في الأقسام السابقة من كتاب «اتعاظ الحنفا» ولا اللاحقة وهي ذكر الحوادث بالشهر، وبترتيب الحدوث يوماً بعد يوم، مع تحديد اسم اليوم وتحديد وقت الحادث من اليوم أحياناً كثيرة. ثم نجده يعود فجأة سنة ٤١٦ و سنة ٤١٧ فينقطع عنه الوحي فإذا هو يجمل أخبار سنة ٤١٦ في ثلاثة أسطر، وأخبار سنة ٤١٧ في أربعة[8].

وهذا لا يعني سوى أمر واحد، هو أنه وقع على مصدر تفصيلي للسنتين ٤١٤ و ٤١٥ سمح له بذلك التبسط الذي لم يستطعه من قبل، ولا من بعد. والنص المنقول يكشف بدقة أن صاحبه إنما كان من شهود تلك الفترة شهادة عيان. وإذا عدنا إلى تلك السنوات وجدنا

= كلامه الكثيرون ومنهم ابن النديم والنويري والمقريزي.

(١) المصدر السابق ج١ ص١٧.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص١٢٠.

(٣) المصدر السابق ج٢ ص١٢٢.

(٤) المصدر السابق ج٢ ص١١٧ ـ ١١٩.

(٥) المصدر السابق ج٢ ص١٢٣.

(٦) المصدر السابق ج١ الصفحات ٢٧٤ ـ ٢٧٩ و٢٨٧ و٢٩٠ ـ ٢٩٣، ونجد أصول هذه المقتطفات لدى ابن ميسر ـ «تاريخ مصر»، الصفحات ٤٩ ـ ٥٢.

(٧) «اتعاظ» ج١ ص٢٤٤ وج٢ ص٦٠.

(٨) المصدر السابق ج٢ ص١٢٤ ـ ١٧٤.

لدينا ثلاثة مؤرخين توفي اثنان منهم (سنة ٤١٥) هما ابن لابن زولاق وأبو محمد بن يحيى الدقاق، وقد ذكرهما المقريزي ولكنه لم يذكر أخذه عنهما، وإن أشار إلى أن الأول ذيل على تاريخ أبيه، وأن الثاني من مؤرخي أخبار مصر[1]. وأما الثالث المسبحي (المتوفى سنة ٤٢٠) فمن المعروف عنه أنه كتب «تاريخ مصر» في ١٣ ألف صفحة حتى سنة ٤١٦، وأنه كان متصلاً بالخليفة الحاكم بأمر الله، أثيراً عنده منذ سنة ٣٩٨، وأنه كان غزير التأليف جدًا. وقد لا تكون هذه القرينة كافية فتاريخ المسبحي ضائع؛ ولكن مكتبة الأسكوريال[2] تحتفظ منه بقطعة هي بقية الجزء ٣٩ والجزء ٤٠. وهذه القطعة تتناول بالضبط قطعة من أخبار سنة ٤١٤ وأخبار سنة ٤١٥ فى حوالى ٥٧ صفحة. أليس من المحتمل أن تكون أوراق الأسكوريال هي نفسها التي وقعت للمقريزي؟ إن مقارنة النصوص - فيما نرجح - سوف تثبت صحة هذا الاحتمال.

ثانيهما- السميساطي: أبو القاسم علي بن محمد السلمي المتوفى سنة ٤٥٤. فقد كتب الرجل أخبار الشام في القرن الرابع وحتى سنة ٣٩٥، ونقلها عنه موجزة ملخصة ابن أيبك في «الدرة المضيئة» من نسخة بخط المؤلف، لكنا نعود فنلاحظ أن المقريزي في «اتعاظ الحنفا» يدخل من أخبار الشام في السنوات ما بين سنة ٣٦٠ و ٣٩٥ في تفصيل واسع لا يمكن أن يتيسر إلا لمواطن دمشقي. وهو مع ذلك لا يذكر مصدره في تلك الأخبار الدقيقة التي تصل في التفصيل حد ذكر أسماء زعماء الأحياء الصغار والأزقة العادية بدمشق. ولو قارنا بين النصوص لدى ابن أيبك والمقريزي لوجدنا من خلال كثير من التطابقات أن ما ذكره ابن أيبك ليس إلا مختصر ما ذكره المقريزي، مع أن الأول سابق للثاني بقرن من الزمان، وهذا لا يعني سوى أمر واحد هو أن المصدر الشامي الذي وقع لابن أيبك في مصر بخط مؤلفه فاختصره في كتابه، عاد فوقع للمقريزي الذي أخذه بحذافيره وأدخله في تضاعيف كتابه[3] دون الاهتمام بصاحبه، لأنه من الأسماء المغمورة التي لم يسمع بتاريخها أحد، وإن سمع الناس أن الرجل عالم، وأنه افتتح مدرسة ما تزال تحمل اسمه إلى اليوم بدمشق لصيقة بالجامع الأموي. ويتكرر بعد السميساطي وتفاصيله لدى المقريزي ما وقع بعد تفاصيل المسبحي. فما يكاد ينقطع النص الموسع مثلاً سنة ٣٦٩ حتى لا تأخذ السنتان ٣٧٠ و ٣٧١ من كتاب المقريزي بكل حوادثهما سوى أربعة أسطر[4].

---

(١) المقريزي - «اتعاظ» ج٢ ص١٧٤.

(٢) انظر ذكر المخطوط في فهرس الغزيري للأسكوريال برقم ٥٣٤. وقد نشر هذا المخطوط مؤخراً في مصر.

(٣) انظر النصوص لدى المقريزي في «اتعاظ الحنفا» ج١ ص٢٢ - ١٢٧، ١٨٦ - ١٨٨، ٢١٠ - ٢١٤، ٢١٨ - ٢٢٢، ٢٣٨ - ٢٤٣، ٢٤٩ - ٢٦٠ وقارن بالنصوص المقابلة لدى ابن أيبك «الدرة المضيئة» (ج٦ من «كنز الدرر») الصفحات: ١٣٢ - ١٣٦، ١٦٠ - ١٦٢، ١٦٦ - ١٧٢، ١٧٨، ١٨٦ - ١٩٧، ٢٠٠ - ٢٠٣، ٢٠٥ - ٢١٢، ٢١٨ - ٢٢٢، ٢٢٦ - ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٠، ٢٣٢ - ٢٣٣، ٢٧١ - ٢٧٢.

٢ ـ مصادر الأحداث المعاصرة

لم يأت مؤرخو هذا العصر بجديد في هذا الباب أيضاً. لكن لما كان التاريخ قد أصبح من شؤون العلماء وشجونهم، ومن العلوم التي تحسب لصاحبها عند التقويم، فإن التدوين التاريخي كسب من خلال ذلك الاحترام، الكثير من التنظيم والتدقيق. كما كسب ـ على ما يبدو ـ الوفرة في المادة، أو السرعة في التسجيل الذي أضحى أشبه باليومي. وتبارى المؤرخون في ذلك حتى أضحت الأجزاء الأخيرة من الموسوعات التاريخية الكبرى كأنها الصحف اليوم سجلات يومية للأحداث. كما تضخمت هذه السجلات للدرجة التي أضحت معها أحداث سنة واحدة تملأ أحياناً عشرات الصفحات.

وكان هذا يقضي بتصيد الأخبار على أنواعها، ومن مختلف المصادر الممكنة. حتى أخبار الجرائم العاديّة أو لبس بعض القضاة خلعة، أو هجوم بعض السيول، أو حريق بعض البيوت، أو عقوبة مجرم أو شارب خمر، كانت تجد لها مكاناً في التسجيل. ولهذا كان لا بدّ أن تتعدد المصادر وأهمها: الاطلاع الشخصي، وشهادات المعاصرين والوثائق الرسمية.

أ ـ الاطلاع الشخصي المباشر والشهادة العيانية: وقد استند إليها جميع المؤرخين في كل ما سجلوا من أمور عصورهم: ينصون أحياناً على ذلك في مقدمة الكتب، ثم ينصون عليه كلما أوردوا خبراً مما شهدوا وعرفوا. يقول ابن حجر في مقدمة «إنباء الغمر». .«وغالب ما أوردته فيه ما شاهدته أو تلقفته ممن أرجع إليه. . .» ويمكن أن نرى مثل هذه العبارة واضحة أو مطوية في ثنايا الحديث في معظم ما تحت أيدينا من تواريخ العصر.

وهكذا مثلاً يكاد المجلد الأخير من «كنز الدرر» (وعنوانه الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) يصبح كتاب مذكرات. فابن أيبك يذكر فيه دون انقطاع ما شهد وسمع ضمن الأخبار الأخرى. يقول بعد أن سجّل خبراً سمعه حول وصول الملك الناصر إلى غزة سنة ٧٠٩: «. . . وأما ما شاهده المملوك (يعني نفسه) واضعه ومؤلفه وجامعه ومصنفه بالمعاينة لا بالسماع فإنّا نحن كنا ببلبيس في ذلك التاريخ وكان العبد (يقصد نفسه) بالقاهرة أشاهد جميع هذه الأحوال وأطالع بها الوالد رحمه الله ببلبيس أولاً فأولاً . . .»[(١)]. ويستمر في رواية مشاهداته ثماني صفحات. ثم يعود مرة أخرى إلى رواية ما شهد وعرف بعدة صفحات[(٢)] في أخبار مفصلة تبلغ ثماني صفحات أخرى. ويمهد قبل الرواية بمثل قوله:

---

(١) ابن أيبك ـ «الدر الفاخر» ج٩ صفحة ١٧٧.

(٢) المصدر نفسه ص١٩٨ لما بعد حتى ص٢٠٥.

«قلت ومما أحكيه ما شاهدته بالمعاينة لا بالإخبار». ويروي مثلاً وصول ملك التتر إلى قراسنقر[1]، أو دبيب الرعب في دمشق خوفاً من التتر[2]، وتوجهه مع جماعة من أمراء دمشق لكشف أحوال الرحبة[3].

ويمشي على الطريقة نفسها بيبرس الدواداري المنصوري الذي يروي في «زبدة الفكرة» وفي «التحفة الملوكية» مثلاً تكليفه السفر إلى الإسكندرية لوضع حد لقرصنة مراكب الفرنجة[4] وتوزيع الأموال على الفقراء، وتوليه منصب نائب القلعة عند خروج السلطان إلى الشام للقضاء على المغول[5]، واشتراكه مرتين في الحرب ضد المغول (سنة ٧٠٠ وسنة ٧٠٢)، وتفصيل المعارك التي شهد[6]، وقيامه على رأس حملة إلى الاسكندرية سنة ٧٠٢ بأمر السلطان محمد لتقوية تحصيناتها الحربية[7]، وخروجه كنائب لأحد قواد الحملة على الأرمن في بلدة سيس، وتفاصيل المعارك التي خاضتها تلك الحملة[8]، وتقليده نيابة السلطنة سنة ٧١١، وإعادته إقطاعه المسلوب[9]، ثم القبض عليه وسجنه بالإسكندرية حوالي خمس سنين[10] قبل العفو عنه.

ونأخذ مخطوطاً مجهول المؤلف كالمخطوط الذي نشره زيترشتين[11]، فنجد أن صاحبه كان من الجنود، وقد سجّل ما عرفه من الأخبار بين سنتي ٦٩٠ - ٧٠٩ ووضع بينها مشاهداته الخاصة حول تجريده الأشرف خليل على عكا[12] وفتحها سنة ٦٩٠، وقد حضر الفتح، كما حضر ووصف غزو قلعة الروم على الفرات سنة ٦٩١، وعصيان المماليك

---

(١) المصدر نفسه ص٢٢٧.

(٢) المصدر ص ٢٥٧٠.

(٣) المصدر ص٢٦٠.

(٤) بيبرس الدواداري - «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» (مخطوط جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨ مصور ج٩، ورقة ٢٤ - ٢٨) ويروي ذلك أيضاً في كتابه الآخر «التحفة الملوكية». (مخطوط الجامعة رقم ٢٤٠٢٩ مصور ورقة ٢٤ - ٢٩).

(٥) المصدران السابقان: «زبدة الفكرة» (مخطوط) ورقة ٢٠٥ ظهر، «والتحفة الملوكية» ورقة ٧٣ ظهر.

(٦) بيبرس - «زبدة الفكرة» (المخطوط نفسه ج٩) ورقة ٢٣٨ وجه، وظهر.

(٧) بيبرس - «التحفة الملوكية» (المخطوط السابق) ورقة ٨٣ ظهر.

(٨) بيبرس - التحفة (المخطوط ذاته) ورقة ٢٤٥ ظهر (والتحفة ورقة ٨٥ ظهر).

(٩) بيبرس - «التحفة الملوكية» (المخطوط ذاته) الورقة ١١٧ وجه وظهر.

(١٠) المصدر السابق: الورقة ١٧٧ ظهر.

(١١) Zettersteen (K.V.) Beiträge Zun Geschichte der Mamluken Sultane in der Tahren 650 — 741. der Higre Nach Arabischen Handschriften, Leiden. 1919.

(١٢) المصدر السابق ص٢.

السلطانية في القاهرة سنة ٦٩٤[١]، ومشاهداته لآثار الزلزال الذي ضرب فيه ابن خصيب سنة ٧٠٢[٢]، وبعض علاقاته الشخصية مع بعض قادة الجند المماليك مثل سيف الدين الفاخري. . .»[٣].

وننظر في «نهاية الأرب» للنويري، وفي الجزء الذي روى فيه أخبار عصره (بين القرنين السابع والثامن الهجريين) فنجده يحكي فيه بعض أعماله في نظارة ديوانه الخاص وإشرافه على المجموعة المعمارية التي أنشأها السلطان قلاوون (البيمارستان والمدرسة والضريح) ثم عني بها الناصر محمد[٤]، وبعض الأخبار التي عرفها النويري في نظارته للجيش في طرابلس[٥]، أو في نظارة الديوان بالإقليم الشرقي من الدقهلية[٦].

حتى التواريخ المختصرة لا تخلو من المشاهدات الشخصية. وهكذا يمشي على السنة نفسها المفضل بن أبي الفضائل في كتابه «النهج السديد فيما بعد تاريخ ابن العميد»، وقد كتبه على ما يبدو لاستعماله الشخصي، وليتذكر الأحداث التي شهدها وعاصرها بين سنتي ٦٥٩ و٧٤١. وكذلك فعل الهاشمي الصفدي صاحب كتاب «نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك». فتاريخه المخطوط على إيجازه يحكي ذهابه سنة ٦٩٤ بأمر الوزير ابن الخليلي في مهمة للإشراف على زراعة الأراضي السلطانية بسرياقوس[٧]، أو يروي حادثة شهدها في فاقوس، ومدى قسوة المجاعة على الناس[٨]، لدرجة أكل بعضهم لحوم البشر وتحقيقه في ذلك.

ويمكن أن يعتبر القسم الأخير من تاريخ أبي الفداء «المختصر في أخبار البشر» نموذجاً في هذا الباب. فبالرغم من أنه تاريخ عالمي مختصر إلا أنه يتحول في الصفحات الخمسين الأخيرة منه إلى نوع من المذكرات الشخصية الملكية، كتبها صاحب التاريخ ملك حماه،

---

(١) المصدر السابق ص١٧.

(٢) المصدر السابق ص٣٢.

(٣) المصدر السابق ص٨٨. ويذكر في ختام الكتاب خطبة منمقة حول هذه الزلزلة ص١٢٦ - ١٢٧، نقلها أيضاً ابن أيبك ونسبها إلى بعض أصحابه، أما صاحب المخطوط فيذكر أنها من تأليفه (انظر «الدر الفاخر» ص١٠٢، ١٠٣).

(٤) المصدر السابق ص٤٦.

(٥) النويري - «نهاية الأرب» مخطوط دار الكتب المصرية (رقم ٥٤٩ معرفة عامة) ج٣٠ الأوراق ١٩ وجه، ٢٩ وجه، ٤٥ ظهر.

(٦) المصدر السابق الورقة ٥٩ وجه.

(٧) المصدر السابق الورقة ٧٧ وجه.

(٨) الصفدي (وهو الحسن وليس الصلاح الدمشقي): «نزهة المالك والمملوك». مخطوط المتحف البريطاني (رقم Or ٢٩٣٢٦) الورقة ٧٠ وجه.

ليؤرخ علاقاته مع السلطان في مصر ويحكي بعض المعارك التي حضر بقوله: «... يقول العبد الفقير مؤلف هذا المختصر، إنني حضرت حصار الحصن المذكور (حصن المرقب) وعمري إذ ذاك نحو اثنتي عشرة سنة. وهو أول قتال رأيته وكنت مع والدي...»[1]. ثم تتوالى الشهادات: فيذكر حصار قلعة الروم سنة ٦٩١، ويصفه ويقول: «وهذا الحصار أيضاً من جملة الحصارات التي شاهدها، وكانت منزلة الحمويين (جيشه) على قمة الجبل المطل على الحصن...»[2]. ويذكر تسلمه عجلة واحدة من منجنيق عظيم بمائة عجلة ومقاساتهم العناء الشديد في تحريكه بين المطر والوحول والبرد[3]، ثم ترقيته إلى أمير طبلخانة[4]، واشتراكه في غزوة بلاد سيس من أولها إلى آخرها ووصف تفاصيلها[5] بالتواريخ الدقيقة، وشهوده قدوم التتر على حماه وهزيمتهم في مرج الصفر جنوبي دمشق[6]، ثم وعد السلطان له بملك حماه، ثم ذهابه إلى الحج[7]. وهكذا يمضي الكتاب مسجلاً حياة أبي الفداء حتى تقلده حماه «... على قاعدة النواب؛ وكان تاريخ التقليد في ثامن عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبعمائة حسب المرسوم الشريف»[8]، ثم تمليكه حماه بعد ذلك...، وما فعل لإخراج المماليك السلطانية منها، وما أهداه للسلطان كل سنة وما قابله به السلطان من الهدايا بالوصف الكامل مرة بعد مرة...[9]. وتتمركز الصفحات الأخيرة حول «أنا» المؤرخ فهو يذكر نفسه باستمرار: «وتأخرت أنا بحماه»[10] «فسرتُ أنا ومن في صحبتي» «وتوجه إلى الصعيد وأنا معه» و«سرتُ» و«أقمتُ» و«صليتُ» و«استقريتُ»... فالكتاب كله مذكرات ملكية خاصة.

ب ـ جمع الشهادات الشفوية من الشهود والمعاصرين: وذلك هو المصدر الثاني، ولعله الأغزر والأكثر استخداماً في تسجيل الاحداث التاريخية المعاصرة. وباستطاعتنا أن نستخرج ثبتاً واسعاً، من خلال المؤلفات المختلفة، بأسماء هذا الجمهور من الملوك والأمراء والعلماء والكُتّاب والجند والتجار والخدم والحجّاب والقضاة وعمال الخراج وغيرهم ممن

---

(١) أبو الفداء ـ «المختصر في أخبار البشر» ج٤ ص٢١.
(٢) المصدر السابق ج٤ ص٢٧.
(٣) المصدر السابق ج٤ ص٢٤.
(٤) المصدر السابق ج٤ ص٢٩.
(٥) المصدر السابق ج٤ ص٣٥.
(٦) المصدر السابق ج٤ ص٤٨.
(٧) المصدر السابق ص٥٠ وص٥١.
(٨) المصدر السابق ص٦٠.
(٩) المصدر السابق ج٤ انظر الصفحات ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٨، ٧٩.
(١٠) المصدر السابق ص٨٣ وانظر ص٨٥، ٩٠، ٩١.. الخ..

غذوا التواريخ بشهاداتهم وأخبارهم، وكانوا وراء غزارة أو ضحالة أو صواب أو خطأ بعضها، كما كانوا السبب في تفردها ببعض الأخبار وأصالتها أو في تفاهة المادة. . .

وهذا الجمهور ليس واسعاً فقط ولكنه في الوقت نفسه متنوع الطبقات يشمل الملوك كما يشمل العامة وفيه القادة الكبار والجند على السواء، وفيه المشاركون في الأحداث السياسية والحربية والشهود والحياديون المراقبون على البعد. وكان الشرط الأهم في اختيارهم لدى المؤرخين هو حسن الاطلاع. ومع أنهم كانوا ينصون أحياناً على أن الراوي هو من الثقات، إلا أنهم - فيما يبدو - لم يكونوا يحرصون على التثبت من الثقة قدر حرصهم على سعة الاطلاع ومعرفة التفاصيل. وقد يذكرون أن تسجيل الرواية بنصها أو بالمعنى فقط. وغالباً ما ينقل أحدهم عن الآخر تلك الشهادات مع اسم صاحبها في نوع من التوثيق فيها وتأكيد مصدرها. . .

والأمثلة على الشهود والشهادات كمصادر للأخبار في هذا العصر تفوت الاستقصاء. ومن نماذجها: لدى اليونيني مثلاً في «ذيل مرآة الزمان» نجد:

ــ «حكى لي شجاع الدين محمد بن شهري رحمه الله ما معناه أن. . .»(1).

ــ «حكى لي الصاحب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل المعروف بابن كسيرات الموصلي قال كان مظفر الدين صاحب صهيون يعقد. . .»(2).

ــ «حكى لي بهاء الدين عبد الله بن محبوب رحمه الله نفقة مطابخه. . .»(3).

ــ «قال الملك المنصور رحمه الله أرسل إلي الأمير شمس الدين يقول. . .»(4).

ــ «قال عزّ الدين بن شداد: حكى لي علاء الدين علي بن عبد الله البغدادي قال: أخذت أسيراً من بغداد لما أخذَتْها التتر. . .»(5).

ــ «وحكى لي نجم الدين موسى الشقراوي ما معناه أن العز الضرير حدّثه أنه كان في مجلس سيف الدولة الآمدي. . .»(6).

ــ «وحكى لي القاضي تاج الدين عبد الخالق رحمه الله ما معناه قال: قدم بعلبك. . .»(7).

---

(1) اليونيني - «ذيل مرآة الزمان» ج1 ص44.
(2) المصدر نفسه ج1 ص465.
(3، 4) المصدر نفسه ج1 ص141.
(5) المصدر نفسه ج2 ص161.
(6) المصدر نفسه ج2 ص169.
(7) المصدر نفسه ج2 ص48.

ـ «وحكى لي خادمه الشمس محمد بن داوود رحمه الله قال: سَيَّر الشيخ معي للملك الكامل هدية بعلبك. . .»[1].

ـ «وحكى الملك الأشرف لوالدي رحمه الله قال: لما كسرنا في الروم. . .»[2].

فإذا انتقلنا إلى ابن الجزري[3]، وجدنا من أمثلة مصادره من الشهود:

ـ «حكي لي بعض التجار الثقات عن أرغون (الأمير التتري) أنه كان يصف له سبع أرؤس من الخيل فيقفز. . .»[4].

ـ «روى لنا الشيخ علم الدين ابن الرزاني حكايات غريبة عن الشيخ. . . الحراني. . .»[5].

ـ «أخبرني بعض أكابر الأمراء أن من جملة ما أخذ من دار الأمير. . .»[6].

ـ «حكى لي الأمير سيف الدين ابن الجمقدار أن الملك الأشرف نزل على عكا. . .»[7].

ـ وننظر في ابن أيبك فنجد أنه كثيراً ما اعتمد والده وأصدقاء والده من رجال الدولة المملوكية كمصدر من مصادره الحية ونراه يسجل:

ـ «. . . كان الأمير حسام الدين إزدمر المجيري بينه وبين الوالد. . . صحبة أكيدة وخشداشية من قديم الزمان. فلما عاد (من الأسر) بعد طول إقامته عند التتار فحضر عنده في داره الوالد وأنا معه أسمع قال: لما حضرت بين يدي محمود غازان (ملك التتر). . .». وروى ابن أيبك رواية المقابلة في صفحات طويلة[8].

ـ «. . . حدثني الملك الكامل رحمه الله في سنة عشر وسبع مائة بدمشق المحروسة قال فتح الدين بن ضبرة أن كان سبب خلاصه من الأسر. . .»[9].

---

(١) المصدر نفسه ج٢ ص٤٥ وص٥٥.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص٤٢.

(٣) سنأخذ الأمثلة على شهود الجزري من «تاريخ ابن الفرات» كنموذج لأخذ الشهادة مع اسم صاحبها ومصدرها.

(٤) انظر «تاريخ ابن الفرات» ج٨ ص٣.

(٥) المصدر السابق ج٨ ص٥٩.

(٦) المصدر السابق ج٨ ص١٠١.

(٧) المصدر السابق ج٨ ص١١٢.

(٨) انظر ابن أيبك ـ «الدر الفاخر» (ج٩) ص٧١ـ٧٦ ثم تتمة كلامه ص١٢٩ـ١٣٠.

(٩) المصدر السابق ج٩ ص١٤٩ وانظر كذلك مرة أخرى ص١٦٨ في حديث يمتد صفحات عديدة حتى ص١٧٧.

ـ «قلت: هذا حديث يبخان مملوك قرا سنقر للعبد (أي للمؤرخ) في سنين العشرين وسبع مائة، لما كان بالديار المصرية بعد عودته من عند أستاذه. . قال... ويمتد الحديث المنقول حول هرب الأمير قرا سنقر إلى التتر عشر صفحات أو عشرين...»[1].

ـ «... لقد بلغني ما حكاه والدي أن السلطان الملك الظاهر...» ويكرر الرواية عن والده في مواضع عديدة...[2].

ـ «... حدثني هذا المهذب (كاتب نصراني خدم عند الأمير بكتمر عشر سنوات) ذات يوم وأنا عنده في بيته بضرورة كانت لي عنده وأجرينا ذكر التاريخ... فقال المهذب للمملوك: يا مولانا ورخ عني ما أقوله لخدمتك عن المخدوم (يعني بكتمر...)»[3].

ـ «... حكى لي مملوك فارس الدين البكي: كان جار لنا ونحن بدمشق يسمى طقطاي كان متزوج بنت أمير الدين العجمي الذي كان محتسب دمشق قال: لما سلم السلطان الملك الأشرف رحمه الله: لاجين وهو ممسوكاً لأستاذي الفارس البكي توجهت معه...»[4].

ـ «... حدث الشيخ الصالح العالم العامل... شمس الدين محمد بن قوام... في سنة اثنتي عشرة وسبع مائة لوالدي سقى الله عهده وأنا أسمع قال: لما كان السلطان بالكرك...»[5].

وننتقل إلى النويري فنجد لديه بدوره الكثير من الشهود والمصادر ومنهم على سبيل المثال السريع:

ـ القاضي شمس الدين بن عدلان[6].

ـ الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري[7].

ـ الأمير علاء الدين مغلطاي البيسري[8].

ـ الأمير جمال الدين آقوش الأخرم[9].

---

(1) المصدر السابق ج٩ ص٢١٩ ثم حتى ص٢٣٨.
(2) انظر المصدر السابق ج٩ ص١٤٣ ثم انظر ج٨ ص٣٤٩ مثلاً وغيرها.
(3) ابن أيبك ـ «الدر الفاخر» (٩) ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.
(4) ابن أيبك ـ «الدرة المضيئة» (ج٨) ص٣٠٩.
(5) المصدر السابق ج٨ ص٢٧٣.
(6) انظر النويري «نهاية الأرب» (مخطوط دار الكتب ٥٤٩ معرفة) ج٣٠ ورقة ٢٩ وجه.
(7) المصدر السابق ج٣٠ الورقة ٤١ ظهر.
(8) المصدر السابق ج٣٠ الورقة ٤٦ وجه.
(9) المصدر السابق ج٣٠ الورقة ٧١ وجه.

ـ الأمير ركن الدين بيبرس[1].

على أن المؤرخين لم يستمروا، في الواقع، في هذا الخط من التوثيق للرواية الشفوية بذكر أصحابها. وبالرغم من أنهم بكل تأكيد لم يتنازعوا عنها كمصدر خبري، إلا أننا نلاحظ بوضوح، تحللهم مع الأيام من ربطها بأصحابها وإهمالهم هذا القيد الذي يمكن أن يعتبر، ولحدٍّ كبير، بقية من بقايا التأثر بالطريقة «الحديثية» التي تشترط مع الخبر سنده، وذكر صاحبه، وسلسلة رواية. وهكذا نلاحظ أن تلك المجاميع من أسماء شهود العيان والعارفين بالخبر قد تقلصت كثيراً وتراجعت إلى الحدود الدنيا، وبخاصة في النصف الثاني للعصر. والمؤرخون المتأخرون في القرنين التاسع والعاشر تخففوا كل التخفف من توثيق أخبارهم، ومن ذكر رواتها لهم، لأنهم ـ فيما يبدو ـ لم يعودوا يجدون ضرورة لذلك. ولو بحثنا مثلاً لدى ابن الفرات في الجزء الأخير (التاسع) من تاريخه فإنّا لا نكاد نجد ذكراً لمصدر شفوي معين. ولقد يقول: «رأيت بخط بعض الإخوان من علماء التاريخ ممن له اطلاع على أحوال أرباب الدولة أن...»، و«قيل إن»، و«ذكر من سمعه يقرأ الورقة أن...» و«من جملة ما شاع ما حكاه وأخبرنا به الشيخ خليل الشامي الصوفي...»[2]، على أن أكثر الكلمات بروزاً في الكتاب قول ابن الفرات «وشاع أن...»، فكأنه تسجيل متصل لشائعات الأخبار الشفوية، ولكن دون أي إشارة إلى المتحدثين بها. أما الجزء السابق (الثامن) ويعود في التاريخ إلى ما قبل مائة سنة من التاسع (والفجوة بين الجزءين ناجمة عن ضياع الأجزاء الأخرى بينهما) فقد نجد فيه شيئاً من مثل قول ابن الفرات:

ـ «حكى لي سيدي وشيخي قاضي قضاة السادة الحنفية بالديار المصرية زين الدين ابن البسطامي قال...»[3].

ـ «وحكى الأمير سيف الدين أبو بكر بن الجمقدار نايب أمير جاندار...» (وربما نقل ابن الفرات هذه الشهادة عن غيره).

ـ «وقال بعض الرواة... وحكى بعض الإخوان...»[4].

ـ «ولا شيء أكثر من هذا لديه».

وبالرغم من أن المقريزي من أخصب المؤرخين قلماً، وأكثرهم أخباراً وتفاصيل وتسجيلاً لألوان الأحداث من سياسية واقتصادية وعلمية واجتماعية ودولية، فإنه لا يهتم أبداً بذكر مصدر من مصادر أخباره ولا بالكشف عن من حدثه بها. حتى أخبار الدول الأجنبية التي

---

(١) المصدر السابق ج٢٩ الورقة ٧٨ وجه.

(٢) انظر ابن الفرات ج٩ الصفحات ٥٢، ٥٣، ٧١، ٧٣، ٧٤.. الخ.

(٣) انظر ابن الفرات ج٨ الصفحات ١٢٤، ١٢٦، ٢٠٦.

(٤) المصدر السابق ج٨ ص١٦٧، وص٢٢٢ وص٢٢٣.

بذكرها ترد لديه ضمن الاحداث الأخرى وقد يكتفي فيها بقوله: «ورد الخبر بأن. . .» ويذكر ما عرف عن دوج البندقية أو دوكات ميلان[1]. وندر جدًّا أن نجد لديه مثل قوله: «. . . إلا أنه أخبرني (قاضي القضاة) زاده الله رفعة أن والده المرحوم ناصر الدين البارزي جمع بين قضاء حماه وكتابة السر بها. . .»[2].

وغياب الشهادات الشفوية نجده نفسه لدى ابن طولون. ففي «مفاكهة الخلان» مثلاً لا نكاد نجد سوى لمحات غامضة من مثل قوله:

ــ «. . . والذي حكى لي هذه النادرة أخبرني بوفاة العلامة جلال الدين السيوطي بأنها يوم الخميس تاسع جمادى الأولى من هذه السنة (سنة ٩١١). . .»، ويقول بعد صفحة من ذلك: «واخبرني في سابع عشري شعبان منها خرج خارجي في الصعيد. . .»[3].

ــ «وبلغني من جم غفير أن شمس الدين الكفرسوسي ذهب إليه. . .»[4].

فإذا بحثنا لدى ابن إياس في «بدائع الزهور» (وأجزائه الأخيرة) لم نجد مصدراً يحدث المؤرخ بخبر، ولكنه يسرد الأحداث، آخذاً بعضها بأعناق بعض دون سند أو رواية، ما جلّ منها وما دقّ، وسواء في ذلك تشهير امرأة زانية أو أسرار الدولة العليا. . .

واتبع الطريقة نفسها ابن الصيرفي الجوهري في «نزهة النفوس والأبدان» فليس لديه إلا الخبر العادي المرتبط بتاريخه اليومي المتسلسل، فلا أخبار المعارك تستند إلى رواية، ولا تراجم العلماء، ولا أخبار العامة.

جـ ــ إثبات الوثائق الرسمية: وقد شاع استخدامها وإدخالها في صلب كتب التاريخ منذ اشتهرت رسائل القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني، ودخلت الأدب التاريخي فاتحة في القرنين السادس والسابع. واندفع مؤرخو العصر المملوكي الأول في اتباع هذه السنّة مدة تزيد على القرن، قبل أن يعدلوا تدريجيًّا عنها ثم يهملوها.

وهكذا أُثقلت الكتب التاريخية الأولى لهذا العصر بصفحات طويلة جدًّا أحياناً من نصوص الوثائق المتعددة الأغراض والأنواع: فمنها تقليد بالقضاء، ومنها وثائق هدنة أو صلح، ومنها نسخة يمين، ومنها توقيع سلطاني، ومنها بشارة ببعض الفتوح، ومنها كتب متبادلة بين الملوك، ومنها وصية بعض المتنفذين، ومنها صكوك بالأوقاف، ومنها مناشير سلطانية، أو عهود، أو أمان.

وكان أكثر المؤرخين استخداماً لها وإيراداً لنصوصها هم أولئك الذين كانت تسمح لهم

(١) المقريزي ـ «السلوك» ج٤ قسم٢ ص١١٧٩.
(٢) المصدر نفسه ج٤ قسم٢ ص٧٦٨.
(٣) ابن طولون ـ «مفاكهة الخلان» ج١ ص٣٠١، ٣٠٢.
(٤) المصدر السابق ص٣١٩.

وظائفهم الرسمية بأن يكونوا على اتصال بمحفوظات الدولة ومراسلاتها الرسمية، وهم كُتّاب الدواوين بخاصة، ويليهم كبار الأمراء والعلماء. وكلما كان المؤرخ أقرب إلى الديوان وأهله كان استخدامه المحفوظات أكثر.

ولم يكن إيراد الوثائق بنصوصها ناجماً في معظم الأحيان عن الرغبة في التوثيق التاريخي، بقدر ما كان ناجماً عن الرغبة في تزيين الكتب بنصوص أدبية ذات طابع فني، يمكن أن تكون مثالاً يحتذى للناشئين والكتّاب. وبعض المؤلفين كانوا ـ على طريقة العماد والقاضي الفاضل ـ إنما يثبتونها تباهياً بما كتبوا لا سيما وأنها قد تكون من إنشائهم، من أمثال ابن عبد الظاهر في «تشريف الأيام والعصور»، وابن المكرم في «ذخيرة الكتاب»، وبعضهم كان يجمعها فيجعلها هي الأصل في مؤلفه لتكون نماذج لكُتّاب الدواوين، كالقلقشندي والعمري. وأيّاً كان الدافع لجمعها وتسجيلها، فقد أفاد إثباتها مع الأحداث التاريخية في عملية التوثيق التاريخي من جهة، وفي الكشف عن تفصيلات بالغة الشأن في الإدارة والعمل القضائي والأنظمة المالية وفي التعامل الدبلوماسي الوسيط، من جهة أخرى.

وإذا نحن تركنا جانباً الكتب التي جمعت الوثائق لا لغرض التاريخ، ولكن لتعليم الكتاب «كصبح الأعشى» للقلقشندي، و «التعريف بالمصطلح الشريف» لابن فضل الله العمري. والتقينا بما استهدف التاريخ، وجدنا مثلاً أن كتاب «تشريف الأيام والعصور» لابن عبد الظاهر يكاد يكون سلسلة متصلة من الوثائق التي أنشأها المؤلف نفسه بحكم عمله في رئاسة ديوان الإنشاء، ونجد لديه مثلاً:

ـ نصوص الهدنة بين السلطان قلاوون ومقدم الفرنجة الديوية في عكا سنة ٦٨١[١].

ـ وثائق الهدنة مع فرنجة عكا في ثماني صفحات سنة ٦٨٢[٢].

ـ ونسخة الصلح مع صاحب سيس والأرمن في عشر صفحات سنة ٦٨٤[٣].

ـ والهدنة مع الفرنجة في صور تلك السنة.

ـ والهدنة مع صقلية، ثم مع جنوه... الخ[٤].

ـ ونسخة الأيمان التي حلفها السلطان قلاوون وابنه وملك صقلية بعضهم لبعض[٥]. والتي حلفها الجنوية أيضاً.

---

(١) ابن عبد الظاهر ـ «تشريف الأيام والعصور» (ط. مراد كامل ـ النجار) القاهرة ١٩٦١ ص٢٠ من النص.
(٢) المصدر نفسه ص٣٤.
(٣) المصدر نفسه ص٩٣ ـ ١٠٣.
(٤) المصدر نفسه ص١٠٣ ـ ١١٠.
(٥) المصدر نفسه ص١٥٧ وص١٦٦.

ـ كتاب من ملك الحبشة إلى قلاوون (معرّب عن الحبشية)[1].

ـ نسخة بشارة بفتح صافيتا أُرسلت إلى صاحب اليمن[2].

ـ نسخة تقليد الأمير فخر الدين على العربان بالشام[3].

ـ نسخة كتاب أُرسل من قبل قلاوون مع رسله إلى الملك منكودمر[4].

ـ نسخة تذكرة كتب بها عن السلطان إلى نائب قلعة صرخد (تعليمات سلطانية)[5].

وننتقل إلى اليونيني في ذيل المرآة فنجده على النهج نفسه يذكر مثلاً:

ـ مجموعة كتب من السلطان وغيره تبشر بفتح حصن المرقب سنة ٦٨٤[6].

ـ نسخة تقليد ولي عهد السلطنة سنة ٦٧٩[7].

ـ ونسخة مرسوم العفو عن القاضي ابن خلكان وتثبيته قاضياً للقضاة[8].

ـ ونص تقليده التدريس في المدرسة الأمينية بدمشق[9].

ـ ونسخة تقليد السلطنة للظاهر بيبرس[10].

ـ ونصوص خطب الخليفة العباسي في القاهرة سنة ٦٦١ عند إعادة الخلافة[11].

ـ ونصوص كتب البشائر إلى دمشق (وابن خلكان) بفتح يافا ثم حصن الشقيف ثم أنطاكية (٦٦٥)[12] ثم حصن الأكراد وصافيتا سنة ٦٦٩.

ونجد لدى ابن أيبك الحرص نفسه على إثبات الوثائق: ففي «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر»:

ـ نسخة مكتوب غازان أخان إلى سلطان مصر وجواب السلطان عليه[13].

ـ نسخة كتاب السلطان إلى غازان بعد معركة شقحب[14]. وفي «الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية».

---

(١) المصدر السابق ص١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧ ـ ١٦٩.

(٢) المصدر نفسه ص١٧٢ ـ ١٧٣.

(٣) المصدر نفسه ص١٨٦.

(٤) المصدر نفسه ص١٩٠.

(٥) المصدر نفسه ص١٩٣.

(٦) المصدر نفسه ص١٩٤.

(٧) اليونيني ـ «ذيل مرآة الزمان» ج٤ ص٢٤٢ـ٢٥٦.

(٨) المصدر نفسه ج٤ ص٤٣.

(٩) المصدر نفسه ج٤ ص٣٧.

(١٠) المصدر نفسه ج٢ ص٩٨ ـ ١٠٣.

(١١) المصدر نفسه ج٢ ص١٨٨ ـ ١٩١.

(١٢) المصدر نفسه ج٢ ص٣٧٥ ـ ٣٨٤ ثم ص٤٤٥ ـ ٤٤٩.

(١٣) ابن أيبك ـ «الدر الفاخر» ج٩ ص٥٣ وص٦٦.

(١٤) المصدر نفسه ج٩ ص١١٩.

ـ كتاب إلى صاحب أنطاكية الفرنجي ببشارة فتح بلده سنة ٦٦٦ (وكان إذ ذاك في طرابلس)[١].

ـ كتاب بشارة آخر إلى مقدم الاسبتارة بفتح حصن الأكراد سنة ٦٦٩[٢].

ـ نسخة اليمين التي حلفها الملك شكندة ملك النوبة عند تنصيبه[٣].

ـ كتاب الملك أحمد آغا (من بيت هلاوون المغولي) إلى السلطان قلاوون سنة ٦٨١ وجواب السلطان عليه [٤] في ١٢ صفحة.

ـ كتاب إلى سنقر الأشقر النائب بدمشق بتنصيب السلطان قلاوون [٥].

ـ وصية السلطان قلاوون لابنه الأشرف خليل [٦].

ـ مكاتبة الملك الأشرف لصاحب سيس يعلمه بفتح عكا [٧].

ـ نسخة كتاب الأشرف إلى سنقر الأعسر نائب دمشق وإلى قاضي قضاتها شهاب الدين الخولي بفتح قلعة الروم سنة ٦٩١ [٨].

والمؤرخ الملك أبو الفداء رغم ضيق المساحة في تاريخه المختصر فقد وجد فيه مكاناً لعدد من الوثائق:

ـ كتاب السلطان قلاوون بإقرار ملك حماه على الملك المظفر محمود الأيوبي بناء على طلب أبيه الملك المنصور محمد سنة ٦٨٠[٩].

ـ نسخة تقليد مملكة حماه والمعرة وبعرين لأبي الفداء نفسه سنة ٧١٢[١٠]

ـ تعديل التقليد السابق بإلغاء المعرة فيه سنة ٧١٣[١١].

ـ وأضاف مذيل الكتاب في النهاية نسخة توقيع بمسامحة بعض الأوقاف ببعض الضرائب[١٢].

وقد تضاءل الاهتمام بإثبات الوثائق في القرنين التاسع والعاشر. ويمكن أن يعتبر ابن

---

(١) ابن أيبك ـ «الدرة الزكية» ج٨ ص١٢٨.
(٢) المصدر نفسه ص١٥٢.
(٣) المصدر نفسه ص١٨٥.
(٤) المصدر نفسه ص١٤٩ ـ ٢٦٠.
(٥) المصدر نفسه ص٢٣٢ ـ ٢٣٤.
(٦) المصدر نفسه ص٣٤٤.
(٧) المصدر نفسه ص٣٢٠.
(٨) المصدر نفسه ص٣٢٥.
(٩) أبو الفداء ـ «المختصر في أخبار البشر» ج٤ ص١٩.
(١٠) المصدر نفسه ج٤ ص٦٨.
(١١) المصدر نفسه ج٤ ص٧٢.
(١٢) المصدر نفسه ج٤ ص١٥٠.

الفرات نموذجاً للمؤرخ الذي تأثر بالمنهجين معاً، فإنّا نراه في الجزء التاسع من تاريخه، وهو الذي يحكي أحداث عصره قد أهمل الوثائق كل الإهمال، فلا نكاد نعثر لديه على وثيقة، بينما هو في الجزء المسمى بالشامن (والذي تَعُود أحداثه إلى ما قبل قرن من عصر ابن الفرات) يحاكي مؤرخي العصر، ويثبت مثلهم وعلى طريقتهم ما يقع له من المكاتبات الرسمية، ولقد يكثر منها. ونجد في هذا الجزء مثلاً:

ـ نسخة تذكرة (تعليمات إدارية) من السلطان للأميرين ياقوت المغيثي وبيبرس الدمشقي سنة ٦٨٣ (١).

ـ نسخة تقليد للشيخ المهذب أبي الحسن المتطيب اليهودي برياسة اليهود(٢) من إنشاء ابن المكرم، ونسخة أخرى من إنشاء ابن عبد الظاهر.

ـ نسخة تقليد لأولاد أبي خليفة برياسة الطب، وآخر بتولي أحدهم تدريس البيمارستان المنصوري(٣).

ـ تقليد للقاضي ابن شاس المالكي بتدريس المدرسة المنصورية(٤).

ـ وتقليد للشيخ شمس الدين الأيكي بمشيخة الشيوخ في خانقاه سعيد السعداء(٥).

ـ عدة قطع من صدور بعض الكتب التي أرسلها السلطان قلاوون(٦).

ـ نسخة كتاب من بعض الأمراء بحمص إلى نائب السلطة بدمشق يذكر حادثة جوية غريبة(٧).

ـ صورة كتاب ورد من المدينة المنورة إلى السلطان بما سببته الأمطار في الحرم سنة ٦٨٦(٨).

ـ صورة كتاب أرسله السلطان قلاوون إلى عدد من المتكلمين في اليمن والسند والهند والصين بإعطاء التجار التسهيلات في مصر والشام(٩).

ـ نسخة مرسوم سلطاني بالإفراج عن الأمير بدر الدين يسري سنة ٦٩٠(١٠).

---

(١) ابن الفرات ج٨ ص٤.
(٢) المصدر نفسه ج٨ ص١٨ و١٩.
(٣) المصدر نفسه ص٢٢ و٢٥.
(٤) المصدر نفسه ص٢٧.
(٥) المصدر نفسه ص٢٩.
(٦) المصدر نفسه ص٣٦.
(٧) المصدر نفسه ج٨ ص٣٧
(٨) المصدر نفسه ج٨ ص٥١ ـ ٥٢.
(٩) المصدر نفسه ج٨ ص٦٥ ـ ٦٧.
(١٠) المصدر نفسه ج٨ ص١٢٢.

ـ نسخ كتب البشارة بفتح قلعة الروم سنة ٦٩١[١]، وقال إنه اقتصر على بعضها خوف الإطالة.

ـ نسخة كتاب من القاضي ابن عبد الظاهر إلى القاضي تاج الدين ابن الأثير[٢].

ـ نسخة كتاب البشارة بتولية السلطان العادل كتيغا المنصوري السلطنة سنة ٦٩٤[٣].

وهكذا فنحن نستعرض كتاب «السلوك» للمقريزي في جزءيه الثالث والرابع مثلاً، فلا نكاد نجد فيهما أثراً لوثيقة، وإن كنا لا نعدم الاستدلال على أن الرجل إنما كان يستند إلى بعض المكاتبات الرسمية والوثائق التي يستند إليها: من مثل قوله: «. . . وفي يوم الخميس عشرينه (رمضان سنة ٨٤٢) ورد كتاب الأمير تغري برمش مؤرخ بثاني شهر رمضان يتضمن أنه في يوم الثالث والعشرين من شعبان لبس الأمير حطط نائب قلعة حلب ومن معه السلاح. . .»[٤]، أو قوله: «. . . في ثالثه (٣ شوال سنة ٨٣٥) قدم النجاب من دمشق بجواب. . . نائب الشام يعتذر عن حضور قاضي القضاة ويحمل معه عشرة آلاف دينار، فامتنع من ذلك وأصبح بضعف بصره وآلام تعتريه»[٥]، أو قوله: «. . . وفي ثالث عشرينه (رمضان سنة ٨٣٣) قدم رجل ادعى أنه شريف بكتاب شاه رخ بن تيمور ومعه هدية هي عدة قطع فيروزج ولم يختم الكتاب ولا كتب فيه بسملة، بل ابتدأه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ إلى آخر السورة وخاطب السلطان فيه بالأمير برسباي وأبرق وأرعد. . .»[٦].

وكذلك كتب ابن حجر مثلاً كتابه «إنباء الغمر» دون كبير اهتمام بإثبات نصوص الوثائق، وإن كنّا لا نشك في أنه قد اعتمد عليها أحياناً، ولا نكاد نعثر لديه إلا على مختصرات بعض النزر اليسير منها، ومن ذلك:

ـ قطعة محدودة من كتاب تيمورلنك إلى السلطان الظاهر، ويعلق عيها ابن حجر بقوله: «وأكثر هذا الكتاب منتزع من كتاب هولاكو إلى الخليفة ببغداد. . .». ثم يقول: «وكتب الجواب كاتب السر ابن فضل الله وهو كلام ركيك مغلق غالبه غير منتظم لكن راج على أهل الدولة. . .»[٧].

---

(١) المصدر نفسه ج٨ ص١٣٧ ـ ١٤١.

(٢) المصدر نفسه ج٨ ص١٤٨ ـ ١٥٠.

(٣) المصدر نفسه ج٨ ص١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) المقريزي ـ «السلوك» ج٤ قسم٣ ص١١١١.

(٥) المصدر نفسه ج٤ قسم٢ ص٨٧٠.

(٦) المصدر نفسه ص٨٣٣.

(٧) ابن حجر ـ «إنباء الغمر» ج١ ص٤٧٤.

ـ تلخيص مضمون كتب تيمور لنك بطلب بعض أمرائه الأسرى[1].

ـ قطعة من كتاب تيمور إلى نائب السلطنة بحلب يهدده سنة ٨٠٣ [2].

ـ نقش على رخامة في الجامع النوري بحماه، ينقله عمن يثق به[3].

ويتبع المنهج نفسه ابن كثير، فالجزء الذي يختم كتابه «البداية والنهاية» ويتحدث عن عصره ليس فيه وثيقة إلا إذا اعتبرنا صورة إحدى الفتاوى الدينية ـ السياسية من وثائق العصر[4]، وهي فتوى سُئل فيها لتبرير قتل بعض الحكام، فأجاب الجواب الموارب. ولا نكاد نجد لدى السخاوي في «الضوء اللامع»، أو في «التبر المسبوك» من وثيقة بنصوصها، وعبثاً نفتش في «بدائع الزهور» لابن إياس، رغم تبسطه في الأخبار عن كتاب رسمي أو نص كتاب. أما ابن طولون فقد نجد لديه في «مفاكهة الخلان» مثلاً:

ـ تلخيص مرسوم سلطاني في سطرين فقط[5].

ـ أو موجزاً قصيراً جدًا لتوقيع يصفه ابن طولون بأنه «توقيع مهم فيه وصايا عديدة منها الاهتمام بأمر الشهود وضبط أمورهم والأوقاف وغير ذلك...»[6].

ـ ثم لا نكاد نجد لديه شيئاً آخر. بلى، يبدو أن شعوره التاريخي العميق لدى دخول السلطان سليم العثماني دمشق سنة ١٥١٦، بانتهاء عصر وبدء عصر، هو الذي أوحى له بإثبات الوثيقة الوحيدة التي نجدها في كتابه وهي المرسوم الذي وصل إلى نائب دمشق بأعمال السلطان العثماني لقراءته على الناس بعد تعريبه عن التركية، لقد أثبت ابن طولون نصه الكامل في أربع عشرة صفحة[7].

ويبدو أن إهمال النصوص الوثائقية من قبل المؤرخين ليس ناجماً عن تعذر الوصول إليها أو عن قلة الاهتمام بما تحوي من التاريخ، ولكنه يعود في الدرجة الأولى إلى تدني قيمتها الأدبية، وعدم ظهور الكُتّاب البارزين في الدواوين الذين يفرضون فنهم الأدبي الكتابي على الناس. بالإضافة إلى أمر واضح هو أن معظم الذين عملوا في التاريخ في العصر المملوكي المتأخر لم يكونوا من كتاب الدواوين، ولكن من الأمراء والعلماء والهواة الذين يهمهم الخبر دون الصيغ الأدبية التي قد ترافقه.

---

(١) المصدر نفسه ج١ ص٥٢٢.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص١٣٣.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص١٣٩.

(٤) ابن كثير ـ «البداية والنهاية» ج١٤ ص٢٨١

(٥) ابن طولون ـ «مفاكهة الخلان» ج١ ص١٩٤.

(٦) المصدر نفسه ج١ ص٣٠٦.

(٧) المصدر نفسه ج٢ ص٤٤ ـ ٥٧.

د ـ المصادر الأخرى: ويمكن أن نضيف أخيراً إلى مصادر المؤرخين مصادر أخرى ذات شأن إضافي ومن ذلك:

ـ المكاتبة: وهي نوع من الشهادة الشخصية العيانية، ولكنها مكتوبة بقلم أصحابها، بدلاً من أن تكون مروية شفوية. وقد اعتمدها الشيوخ خاصة كالبرزالي وابن حجر والسخاوي، ومن الممكن إرجاعها إلى الشهادة الشفوية.

ـ الرسائل التي يكتبها بعض المؤلفين والكُتّاب حول بعض المواضيع الصغيرة أو المحدودة: وقد شهدنا بعضها كمصادر للمؤرخين المختلفين، ويمكن ردها بدورها إلى المؤلفات، وإن كان أصحابها من المغمورين، أو كانت هي نفسها من المقالات والأبحاث الضائعة.

ـ السؤال: وكان ذلك يجري خاصة في كتابة التراجم وبصورة أخص عند تحديد الأعمار، فقد يسألون الشخص ذاته أو ابنه عن عمره. وكتب التراجم في العصر ملأى بقولهم: وسألته عن مولده وسألت ابنه عن عمره... ولا يختلف هذا المصدر بدوره عن الشهادة الشفوية.

ـ الكشوف والقوائم: وهي ليست في الأصل من الوثائق الرسمية، ولكنها تعليقات فردية وكشوف كتبت في بعض المناسبات يلتقطها أحياناً بعض المؤرخين. فتصبح من وثائق التاريخ: فبعضهم كان يسجل قوائم الأسعار أو يلخص حسابات بعض الولائم من الخدم. وبعضهم الآخر كان يسجل أسماء بعض الأمراء في مناسبات معينة، أو أسماء المساجد، أو الربط، أو أوقاف جهة من الجهات، لمجرد المعرفة. ومن ذلك مثلاً ما سجله ابن أيبك من أسماء الأمراء الذين رافقوا السلطان محمد الناصر إلى الحج سنة ٧٣٢ فذكرهم في صفحتين، ثم ذكر ما قرر على باقي الأمراء من التبسط في صفحتين أخريين[1]، وأدرك أنه يطيل في ذلك فأضاف: «أما سبب ذكر هؤلاء الأمراء وهذا البسط فله فوائد: الواحدة حفظ أسماء هؤلاء الموالي في هذه الدولة القاهرة في هذا التاريخ، والأخرى حفظ ما على كل إقطاع من إقطاعاتهم من مقرر البسط ليحتاج إليه في وقت آخر، فإن هذا البسط قرر على العبر... فلذلك أثبتناه».

ومن ذلك أيضاً ما سجله ابن أيبك نفسه من أسماء المساجد التي استجدت في عهد السلطان الناصر بمصر والقاهرة وضواحيها وبالممالك الشامية: غزة وصفد ودمشق وطرابلس والمرقب عدا الخوانق والرباطيات والزوايا...[2]

ومثل هذه الكشوف والقوائم وإن تكن عادية مبذولة المعلومات في عصرها إلا أنها

---

(١) انظر ابن أيبك ـ «الدر الفاخر» ج٩ ص٣٦٦ ـ ٣٦٩.

(٢) المصدر نفسه ج٩ ص٣٨٨ ـ ٣٩١.

تصبح مع الزمن نوعاً من الوثائق التسجيلية. ومع أنها في الأصل كتبت لأغراض عادية نفعية إلا أنها سرعان ما تتحول بالتقادم إلى قطع من التاريخ.

٢ ـ في طريقة التأليف وتنظيم المادة

يمكن أن نرد تقنية المؤرخين في التأليف في ذلك العصر إلى عمليتين اثنتين: جمع المادة، وتنظيمها. فأما جمع المادة فكان يتم على طريقتين:

الأولى ـ التقميش: وهو تخير المادة، وانتقاؤها من المصادر الأخرى المكتوبة، ونعني الكتب والوثائق. ويبدو أن قاعدة المحدث القديم أبي حاتم الرازي (المتوفى سنة ٢٧٧) كانت متبعة فيما يتعلق بالتاريخ. فقد قال: «إذا كتبتَ فَقَمِّش، وإذا حدثتَ فَفَتِّش». وما دام الأمر لا يتعلق بالحديث الشريف، ولكن بالأخبار المرسلة، فقد كان المؤرخون يقمّشون دون حاجة إلى ضرورات التحرج والتفتيش المدقق، ويجمعون ما يقع لهم من فُتات الأخبار والنصوص والوثائق والوقائع ضمن حدود القناعة والتصديق. وإذا كانت هذه الطريقة تشبه أن تكون نظام البطاقات في المنهج التاريخي الحديث، فإنها في واقعها كانت أبسط من ذلك على ما يظهر، ولعلها كانت تعتمد على بعض المذكرات التي يسجلها المؤلف لنفسه، ليتذكر بها، حين يبدأ الكتابة، مصادر الأحداث في مظانها. وأكثر ما كانت هذه الطريقة تتبع عند تأريخ العهود السابقة للمؤلفين، وإن لم يكن ذلك ليمنعهم من الأخذ عن مؤلفات المعاصرين كما فعل الجزري مع البرزالي، والمقريزي مع الأوحدي، وابن حجر مع ابن خطيب الناصرية...

الثانية ـ التعليق: وهو التسجيل اليومي المتابع للأحداث. ويشمل ذلك ما يعرفه المؤرخ منها مباشرة، وما ينقله من حديث الآخرين. ويبدو أن الاعتماد على الذاكرة كان محدوداً جدًّا إن لم يكن معدوماً. والمؤرخون كانوا يسجلون ما يسمعون أو يعرفون من تعليقات أشبه بالمسودات، ثم يعاودون تنظيمها وضبطها في مواضعها، ويتركون أحياناً فراغات واضحة في مؤلفاتهم لما قد يضيفون من معلومات طارئة أو متجددة. ويمكن أن يقدم لنا ابن طولون نموذجاً لهذا النهج في ما كتبه عن نفسه في «الفلك المشحون»، فقد بدأه بإشارة أستاذه النعيمي عليه بكتابة مذكرات استمر في جمعها ربع قرن حتى بيّضها وقال فيها: «وكنت رتبته على ميلادهم (ميلاد أصحاب التراجم) ثم عَسُرَ ذلك فرتبته على الحروف يَسَّرَ الله تبييضه...»[1]. وكذلك فعل في «مفاكهة الخلان»[2] فقد جمعه من مذكراته الخاصة ومن كتب شيوخه شهاب الدين الحمصي وعلاء الدين البصروي وابن المبرد والنعيمي، ثم

---

(١) ابن طولون ـ «الفلك المشحون» ص٥، ٢٥، ٣٣.

(٢) ابن طولون ـ «مفاكهة الخلان» ج١ الصفحات ٥٠، ٨٤، ١١٢، ١٣٢، ١٤٣، ١٥٩، ١٦٨، ١٨١، ١٩٩.

راجعه وصححه، وما تزال مخطوطة الكتاب بخطه محتفظة بالتصحيح والتصويب[1]. كما أنه ذكر مرة أنه شهد حادثاً معيناً في الجامع الأموي «لكن سهوت عن تعليقه في محله...»[2].

تنظيم المادة

وهنا اتبع المؤرخون أيضاً طرائق السابقين مع المبالغة أحياناً في الأحكام والدقة.

أ ـ التنظيم الشهري واليومي والساعي من خلال التنظيم على أساس السنين

فإذا كان التنظيم الحولي لتواريخ الأحداث هو السائد والمتبع في معظم المؤلفات المملوكية، بل في الكثرة الكاثرة منها، ولا سيما الموسوعات الكبرى كـ «تاريخ الإسلام» للذهبي، و «تاريخ ابن الفرات»، و «كنز الدرر» للدواداري، و «عقد الجمان» للعيني وغيرها، فإن المؤرخين قد دفعوا التنظيم الزمني خطوات أخرى نحو التجديد المتزايد باطراد للتأريخ الدقيق والتوقيت الآلي للدرجة التي أصبح معها تسجيل الأحداث وخاصة في أواخر العصر لا يتم لدى الكثيرين على أساس الشهر فقط، بل على الأساس اليومي أيضاً، فكأنه نوع من المذكرات اليومية التسجيلية، هي أشبه ما يكون بالعمل الصحفي المعاصر. ويزيد بعضهم فلا يحدد اليوم فقط ولكن يذكر الساعة الموقوتة أو الفترة من اليوم. أضحى من مألوف العبارات أن نقرأ في بعض المؤلفات التاريخية للعصر قول المؤرخ: «وفي يوم الثلاثاء الخامس من شهر كذا عند الضحى قام فلان...» أو «عند صلاة الصبح دخل...» أو «اجتمع بعد العشاء من ليلة النصف من شعبان» أو قوله: «وفي يوم الأربعاء مستهل ذي الحجة قدم من الشام... وفي خامس عشرينه وصل المبشرون، وفي تاريخ عشرينه قدمت رسل الحبشة...» أو قوله: «وفي يوم الجمعة بعد صلاتها ثاني صفر منها أنكر شيخنا كذا...» أورد وفي بكرة يوم الأربعاء سلخ رمضان نودي بدمشق بأن...» أو «وفي يوم الأربعاء آخر أيام التشريق عند الفجر جاء...» أو قوله: «وفي يوم الخميس سادس عشرينه بعد العصر رجع السلطان...» أو «وفي يوم الجمعة تاسع عشر ذي القعدة من شهور هذه السنة الموافق الأول يوم من أيام النسيء بعد فراغ مسيري من الأشهر القبطية نودي بزيادة النيل...» أو «وفي ليلة الأحد ثامن شعبان المكرم من شهور هذه السنة، (سنة ٧٩٩)، الموافق لحادي عشر بشنس أحد الأشهر القبطية بعد المغرب أبرقت السماء وأرعدت وجاءت بمطر كأفواه القرب... فبقيت القاهرة خوض. ولو أقامت إلى عِشاء الآخرة خربت القاهرة. ثم أمطرت قريب التسبيح مرتين دون المطر الأول...»[3].

---

(١) انظر مقدمة كتاب «مفاكهة الخلان» ص١٧.

(٢) انظر ابن طولون ـ «مفاكهة الخلان» ج١ ص٣٥١ والمقدمة ص١٨.

(٣) النماذج الأولى مجموعة من عدد من المؤلفات. وتنتظر النماذج التالية والأخيرة لدى ابن طولون وابن الفرات والمقريزي.

ولعلّ من النماذج البارزة والسابقة لغيرها في هذا التنظيم التاريخي الشهري اليومي كتاب «المقتفي لتاريخ شهاب الدين أبي شامة» وقد وضعه علم الدين القاسم بن محمد البرزالي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٣٩هـ./١٣٣٩م.) ذيلاً على كتاب «الروضتين». ولم ينشر «المقتفي» بعد، ولكن النظر في مخطوطته يكشف أنه اتبع ضمن التنظيم الحولي، التصنيف حسب الشهور، كما أن الوفيات التي تهتم حتى بصغار العلماء والموظفين قد نسجت يوماً بيوم مع الأحداث التاريخية دون أن تسيء إلى تسلسل الأحداث. وإن كان الكتاب أشبه بالمسودة التي ينقصها الترتيب، وتشير إلى الوقائع اليومية بشكل فوضوي غير منسق.

ومن النماذج كذلك، كتاب ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢): «إنباء الغمر» الذي ذكر فيه أنه «تعليق جمعت فيه حوادث الزمان الذي أدركته منذ مولدي سنة ٧٧٣ وهلم جرًّا، مفصلاً كل سنة أحوال الدول من وفيات الأعيان...» حتى وفاته. والصفحات فيه معنونة بالسنين، ويلي العنوان دوماً: «فيها كان كذا وفيها... وفي ربيع الآخر، وفي جمادى الآخرة وفي شعبان... وفيها... وفيها... وفيها... في العشرين من ذي القعدة...» حتى إذا انتهى من الحوادث قال: ذكر من مات في سنة كذا من الأعيان ثم عدد الوفيات بالترتيب واحداً بعد الآخر.

ومن النماذج الممتازة في هذا الباب كتاب «السلوك» للمقريزي. فإنه في أقسامه الأخيرة خاصة يصبح يوميات تكاد تكون منتظمة. فعنوان السنة يتضمن العناوين الفرعية للشهور. ويسجل للمقريزي أولاً أن هذه السنة أهلَّتْ وخليفة الوقت فلان، وسلطان مصر والشام والحجاز فلان، والأمير الكبير فلان، والدوادار الكبير فلان... وحاجب الحجاب والوزير وناظر الخاص وكاتب السر واستادار ونائب الشام ونائب حلب ونائب حماه ونائب طرابلس ونائب صفد ونائب الإسكندرية... ثم يأتي العنوان الفرعي شهر الله المحرم أوله السبت، وفي ثانيه وفي رابعه وفي ثامنه وفي رابع عشره وثامن عشره وثاني عشرينه الخ... ثم شهر صفر أوله الإثنين، وهكذا مع الأيام... ثم يختتم السنة بموجز في تلخيصها وتقويمها في أهم أحداثها قبل أن يضع العنوان الفرعي الأخير فيها: «ومات في هذه السنة من الأعيان» ذاكراً تحته تراجم الوفيات مرتبة بدورها حسب تواريخ حدوثها بالتتالي تاركاً إلى النهاية تراجم من ليس يعرف التاريخ الدقيق لوفاته[1].

وقد فعل مثل ذلك ابن تغري بردي (المتوفى سنة ٨٧٤/١٤٦٩) في كتابه: «حوادث

---

(١) لعلنا نشير لمجرد التذكير فقط إلى أن المؤرخ المسبحي (المتوفى بمصر سنة ٤٢٠) قد يكون أول المؤرخين اتباعاً للتسجيل اليومي للتاريخ في كتابه (التاريخ الكبير) الذي بقي جزء منه لا يجاوز السنة كثيراً.

الدهور في مدى الأيام والعصور» الذي وضعه ليتم رواية أستاذه المقريزي في كتاب «السلوك» فبدأه سنة وفاته (سنة ٨٤٥)، ودوّن فيه تاريخ مصر خاصة بإسهاب حتى سنة ٨٥٧، وهو عصر السلطان الملك الظاهر جقمق العلائي. ورتبه على السنين والأشهر والأيام. ومنه نسخة مخطوطة في آياصوفيا باستامبول (رقم٣١٨٥) هي الجزء الأول فقط من الكتاب في ٤٠٠ ورقة من القياس الكبير. ومن المنافسة الغريبة أن السخاوي قد وضع كتابه «التبر المسبوك» ذيلاً على كتاب «السلوك» وتناول فيه حوادث التاريخ المصري أيضاً وبإسهاب ما بين سنة ٨٤٥ وسنة ٨٥٧ واتبع فيها نظام السنين والشهور والأيام.

ونجد لدى الخطيب الجوهري علي بن داوود الصيرفي (المتوفى سنة ٩٠٠) نموذجاً آخر من هذا النظام نفسه، ولكن بشكل أكثر دقة لأن هذا المؤرخ بعد أن قسم كتابه: «نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان» على أساس السنين التي جعلها عناوين الفصول، عاد فقسم السنين إلى أشهر، وجعل لكل شهر قسمه الخاص باسمه، ومشى في رواية الأخبار حسب تواريخ الأيام. وهكذا نجد ضمن السنة مثلاً: «شهر ربيع الأول: أهل يوم الجمعة. وفيه برز الأمير، وفي رابعه جلس السلطان في مكان كذا، وفي عاشره تواترت الوقيعة والمرافعات بشأن الأمير فلان...». فإذا بقيت لديه أخبار لم يعرف تاريخها من الشهر أضافها قائلاً: «وفيه وصل البريد... وفيه جاء الخبر...».

وعلى هذا المنوال نفسه جرى ابن إياس في القسم الأخير من كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، وهو مجلدات ضخمة ثلاثة تحدث فيها عن حوادث عصره، عصر السلطان الغوري منذ بدايته بإسهاب وإفاضة، دوّن فيه الحوادث شهراً شهراً ويوماً فيوماً تقريباً من أول شوال سنة ٩٠٦ إلى آخر سنة ٩٢٨ (١٥٠٠ ـ ١٥٢٩) أي استعرض إحدى وعشرين سنة[١].

وقد استقر هذا الشكل من التنظيم الحولي الدقيق للدرجة التي أصبح فيها هو القاعدة العامة المتبعة لا يكاد يشذّ عنها إلا الأقلون. وقد جرّ هذا الاستقرار المنهجي إلى أن يظهر مع هذا المنهج الحولي الدقيق أمران: إذا لم يكن أولهما دائم الظهور والالتصاق بكافة الحوليات، فإن الثاني أضحى من لوازمها وملامحها الدقيقة المكملة لها:

الأول ـ هو أن تستهل السنة بذكر رجال الدولة من السلطان والخليفة إلى آخر الولاة، وفي مختلف بلاد الإسلام، وأن يذكر القضاة جميعاً في مختلف الأمصار، وللمذاهب الأربعة، وأن يذكر أحياناً كبار الموظفين مثل كاتب السر وناظر الجيش والوزير...

---

(١) نشرت هذه المجلدات بتحقيق محمد مصطفى (القاهرة ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٣).

ومن السابقين في اتباع هذه السنّة: قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (المتوفى سنة ٧٢٦هـ. /١٣٢٦م.) في ذيله على «مرآة الزمان». فقد بدأ كتابه بسنة ٦٥٤ قائلاً: «استهلت هذه السنة وخليفة المسلمين ببغداد دار ملكه، وهو الإمام المستعصم وملك الشام والبلاد الفراتية صلاح الدين يوسف... وملك الديار المصرية عز الدين أيبك التركماني وصاحب الكرك والشوبك... وصاحب الموصل... وميافارقين...» ثم أقبل يعدد البلاد بلداً بلداً في صفحة ونصف الصفحة ويذكر المالكين فيها... ثم لما كانت سنة ٦٥٥ قال: «استهلت هذه السنة والخليفة والملوك على ما كانوا عليه في السنة الخالية...»[1] ثم كان يجري على المنوال نفسه من بعد.

واتبع الطريقة نفسها ابن أيبك الدواداري (المتوفى بعد سنة ٧٣٦) وهو معاصر اليونيني في موسوعته «كنز الدرر»، وأضاف إليها أمراً خاصًا به، لم يلحقه فيه إلا قلائل (ومنهم المقريزي) هو ذكر ارتفاع النيل. فكان يجعل تاريخ السنة عنواناً للفصل ثم يذكر «النيل المبارك في هذه السنة: ماءه القديم ومبلغ الزيادة»، ثم يذكر الخليفة العباسي والمتسلطين في كل مكان (وخليفة مصر أيام الفواطم) قبل أن ينطلق في «ما لخص من الحوادث».

وقد يكتفي المؤرخ بذكر ذلك في مطلع كتابه، ثم يترك لتطور الأحداث المسجلة بعد ذلك أن تحكي ما يطرأ على تلك القائمة الأولية من تبدلات، كما فعل ابن حجر العسقلاني حين بدأ كتابه «إنباء الغمر» سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة بقوله «استهلّت والخليفة المتوكل المعتضد محمد بن المكتفي وسلطان الديار المصرية الأشرف شعبان... ومدبر المملكة منكلي بغا والدوادار الكبير طشتمر ونائبه بدمشق منجك (اليوسفي) ونائبه بحلب... وصاحب مكة... وصاحب المدينة... وصاحب البلاد اليمنية... وصاحب ماردين... وصاحب حصن كيفا... وصاحب الروم (العثمانيين)... وصاحب العراق... وصاحب أرزن... وصاحب خراسان وبلاد العجم والشرق... وصاحب فاس وصاحب الأندلس... وصاحب تونس... والقضاة بمصر... وكاتب السر... وقضاة دمشق... وكاتب السر و... وناظر الجيش... والوزير...»[2] ثم أتبع ذلك بقوله: «فمن الحوادث في هذه السنة...».

على أن بعض المؤرخين كانوا يكررون القائمة في بمطلع كل سنة زيادة في الدقة والتأكيد كما فعل ابن أيبك من قبل. ومع أن المقريزي لم يكن يكرر في افتتاح السنة ذكر الوظائف الكبرى ومن عليها في الأقسام الأولى من السلوك إلا إن اتفق ذلك مع بدء سلطان

---

(١) انظر ابن حجر ـ «إنباء الغمر» ج١ ص٦ ـ ٩ (ط. حبشي، القاهرة ١٩٦٩).

(٢) انظر اليونيني ـ «ذيل مرآة الزمان» (ط. حيدر آباد) ج١ ص٢ ـ ٤ ثم ص٤٥.

جديد أو تبديل في مراكز الموظفين. غير أنه اتخذها قاعدة دائمة في الأقسام الأخيرة من كتابه. ومثل ذلك فعل ابن طولون (المتوفى سنة ٩٥٣) في كتابه «مفاكهة الخلان في حوادث الزمان». إذ نجد في مطلع سنة ٩٢٢ قوله: «أنها استهلت والخليفة فلان والسلطان فلان... والقضاة... والحاجب... الخ» ثم تأتي سنة ٩٢٣ وقد «استهلت والخليفة فلان والسلطان فلان... الخ». وكذلك الأمر سنة ٩٢٤ وسنة ٩٢٦[1].

الثاني- اعتبار الوفيات جزءاً أساسيًّا من التاريخ والمجيء بها في قائمة تطول أو تقصر وتتسع أو تختصر، حسب هوى المؤرخ، في نهاية ذكر الأحداث من كل سنة. فإن كان هواه سياسيًّا قَلَّت الوفيات واختصرت. أما إن كان من أهل الحديث وعلماء الدين فإنها قد تطول عدداً وتتسع مادة ما شاء لها ذلك. وتلك البدعة التي ظهرت في القرن السادس بدمج علم الرجال مع التاريخ السياسي أضحت في العصر المملوكي هي السُّنَّة الأساسية والمستقرة في التدوين التاريخي، ولعلهم يجدون التاريخ ناقصاً بدونها. ولم يكن إلحاق التراجم ضرورة منهجية بالطبع إلا في حالة التدوين على النظام الحولي، لأن التدوين على أساس الدول أو أي أساس آخر لم يكن ليسمح بإقحام التراجم إلا في حالات كبار الرجال من خلفاء أو سلاطين أو وزراء، وغالباً ما يكون ذلك بمناسبة وفاتهم أو مصارعهم.

وهكذا فإنَّا ندر أن نجد مؤرخاً فعل فعل ابن طولون في «مفاكهة الخلان»، فلم يذكر في كتابه شيئاً من الوفيات وإن لم يكن إضرابه عن ذكرها نتيجة موقف محدد من التدوين التاريخي، ولكن لأنه أفرد لها بدل الكتاب الواحد كتابين، أولهما: «التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران» والثاني ذيل عليه بعنوان: «ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر» مرتبة على حروف المعجم[2]. أما المؤرخون الباقون فقد درجوا على السُّنَّة التي أضحت تقليداً مستقرًّا اتبعه الذهبي كما اتبعه العيني والبرزالي وابن كثير والعينتابي وابن الفرات وابن دقماق وابن تغري بردي... على اختلاف في الإسراف والقصد في هذه الناحية. ولو شئنا الأمثلة لوجدنا مثلاً أن اليونيني كتب «الذيل على مرآة الزمان» في أربعة مجلدات من ١٨١٤ صفحة، خصص منها للتراجم ١١٨٦ صفحة والباقي وهو ٦٢٨ صفحة للحوادث؛ بمعنى أنه أعطى ٦٥,٤٪ من حجم المادة للتراجم، وترك للوقائع التاريخية ٣٤,٦٪.

ومثل آخر يقاربه: كتاب ابن حجر العسقلاني «إنباء الغمر» حيث تتوازن الحوادث والتراجم. فلو أحصينا في الأجزاء الثلاثة المطبوعة منه وهي في ١٦٤٢ صفحة، لوجدنا أن ما خصَّ التراجم منها يبلغ ٨١١ صفحة، بينما خصص للأحداث ٨٣١، أي بمعدل ٤٩,٤٪ لعلم الرجال، و٥٠,٦٪ للتاريخ الخالص.

---

(١) انظر ابن طولون - «مفاكهة الخلان». الجزء الثاني الصفحات ٣، ٤١، ٧٨، ٩٠ (ط. محمد مصطفى - القاهرة ١٩٦٤).

(٢) منه مخطوط في التيمورية بالقاهرة (تاريخ ١٤٢٢) وقطعة بخط المؤلف في الجامعة الأمريكية ببيروت.

مقابل ذلك نجد بين المُقِلّين: الجوهري ابن الصيرفي في «نزهة الأبدان»، فإنه في الجزء الأول المطبوع قد أعطى التراجم أقل من الخُمس، فلها ٩٢ صفحة من أصل ٥٠٤ صفحات، أي بمعدل ١٨,٢٪ مقابل قرابة ٨٢٪ للأحداث التاريخية...

ونجد مثلاً آخر من المُقِلّين: ابن الفرات، فلو أحصينا الصفحات التي خصصها للوفيات في المجلدات الأخيرة (السابع، الثامن، التاسع) من تاريخه: «تاريخ الدول والملوك»، لوجدنا أنه أعطاها ٢٢٤ صفحة من أصل ١٠٠٣ صفحات. بمعنى أنه أعطى الحوادث ٧٧,٧٪ من الكتاب، وترك للتراجم ٢٢,٣٪ فقط.

وعلينا بعد هذه الأمثلة الأربعة أن نوضح أن المؤرخين الأولين اليونيني وابن حجر كانا من المحدثين ورجال الدين الذين يهتمون بعلم الرجال بينما الأخيران لم يكونا من المشاركين في هذا المجال، وكانا يتهمان من قبل العلماء الآخرين بالعامية!

أما المؤرخ الذي دمج الوفيات بالحوادث وأتى بها حسب تواريخ الوفاة ضمن الأحداث معتبراً النوعين نوعاً واحداً من التاريخ فهو ابن إياس. فلو أردنا البحث عن التراجم في «بدائع الزهور»، فيجب أن نفتش عنها تارة بين خبر عن ثورة المماليك الجلبان وآخر عن إرسال تجريدة إلى الصعيد، وتارة أخرى بين توسيط مجرم وخروج المحمل وثالثة بين خبر وفاء النيل وتعيين أحد القضاة...

ويبقى أخيراً أن نسجل فيما يتعلق بالتنظيم الحولي هذا أمرين:

الأول- إن مؤلفات المؤرخين في العراق وإيران واليمن والحجاز لم تظهر فيها ظاهرة التسجيل اليومي الدقيق ولا الشهري المنظم، بل بقيت على المنهج الحولي القديم الذي لا يحسب للزمن الدقيق حسابه في التوقيت التاريخي.

الثاني- إن التنظيم السنوي لم يشمل تواريخ الأحداث فقط، ولكنه تعداها إلى كتب التراجم والرجال. وقد نظم بعض هذه الكتب على الأساس الحولي للوفيات سنة بعد سنة. ومن الأمثلة على ذلك كتاب «العِبَر في خَبر من غَبَر» للذهبي، وكتاب «الشافي من الألم في وفيات الأمم» لابن حجر (في وفيات القرنين الثامن والتاسع) وعلى هذا الأساس الحوليّ نظمت معظم كتب الوفيات: كوفيات ابن هجرس (المتوفى سنة ٧٧٤) وذيل الوفيات للدمياطي (سنة ٧٤٩).

ب ـ التنظيم الأبجدي

إذا كان التنظيم السابق (الحولي) هو الأساس في تواريخ الحوادث، فالتنظيم على الحروف هو الأساس في تواريخ الرجال. وتكاد تكون مؤلفات التراجم كافة منظمة على الأساس الأبجدي. ومن ذلك مثلاً:

ـ «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزي (المتوفى سنة ٧٤٢) وهو في ١٣ مجلداً.

ـ «أعيان العصر وأعوان النصر» للصلاح الصفدي وهو في أكثر من ١٤ مجلداً.

ـ «ترجمان الزمان في تراجم الأعيان» لابن دقماق (سنة ٨٠٩) وهو حوالى عشرين مجلداً.

ـ «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» لابن تغري بردي وهو معجم للرجال بين سنة ٦٥٠ وسنة ٨٧٤ منه نسخة مخطوطة في القاهرة في ٣ آلاف صفحة.

ـ «المقفى» للمقريزي وكان مقدراً له ٨٠ مجلداً لم يكمل المؤلف منها سوى ستة عشر، ولم يبق منها سوى بضعة مجلدات.

ـ «عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران» للبقاعي الدمشقي (سنة ٨٨٥) ومنه مخطوط في كوبريلي باستامبول.

ـ «التمتع بالإقران في تراجم الشيوخ والأقران» لابن طولون قال صاحبه: «وقد كنت رتبته على الميلاد ثم عَسُرَ ذلك فرتبته على الحروف».

ـ «طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن» للخزرجي (سنة ٨١٢) وأبوابه ثمانية وعشرون على الحروف.

ـ «تاريخ ثغر عدن» لبامخرمة (سنة ٩٤٧) ومنه مخطوط بلدية الإسكندرية (رقم ٦٣٣٢ ج). على أن المؤلفين كثيراً ما كانوا يتبارون في إتقان وإكمال هذا التنظيم ويعددون الطرق التي يصلون بها إلى الشكل المثالي:

ـ فبعضهم كان ينظم المادة أبجديًا لا على أسماء من يترجمهم فقط ولكن على أسماء الآباء والجدود أيضاً كما فعل السخاوي في كتابه «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع».

ـ وبعضهم كان يستوفي الأسماء والتراجم على الأبجدية ثم يضيف في نهاية كل حرف أربعة أبواب للكنى والأنساب والألقاب والأبناء، فإن لم يجد من يسجله فيها ذكر الباب وذكر أنه فارغ، كما فعل الجزري في «غاية النهاية في طبقات القراء».

ـ وبعضهم كان يضيف في نهاية كتابه بعد الحروف باباً للكُنى، وآخر للنساء، كما فعل الخزرجي في «طراز أعلام الزمن»، والصفدي في «الوافي بالوفيات»، والمزي في «تهذيب الكمال».

ـ وبعضهم كابن حجر في تراجمه لشيوخه في «المعجم المؤسس بالمعجم المفهرس» حرص على أن يقسمهم أولاً إلى قسمين: من حمل منه عن طريق الرواية ومن أخذ عن طريق الدراية. وبعد أن انتهى من ذلك نظمهم على الحروف.

ـ وبعضهم اختار أن يقدم أحياناً اسم محمد تبركاً به، كما فعل الصفدي في «الوافي»، أو يقدم اسم السلطان أحياناً، ثم اسم الرسول (ثم يأتي الترتيب الأبجدي).

ـ وبعضهم اختار التنظيم على أساس حروف الاشتهار، كما فعل الأسنوي (المتوفى سنة ٧٧٢) في «طبقات الشافعية»، فقد رتبها على حروف الشهرة وذكر في كل حرف فصلين: الأول في رجال الشرح الكبير والروضة، والثاني في الزائد عليهما، ونقل الزيادة خاصة من طبقات الموسوي التفليسي (عمر بن بندار).

ـ وبعضهم اختار التنظيم على الأساس الأبجدي للألقاب كتلك الموسوعة الضخمة التي جمعها ابن الفوطي سنة ٧٢٣ في حوالى خمسين مجلدة وسماها: «مجمع الآداب في معجم الألقاب» وبقي لنا قسم منها.

جـ ـ التنظيم على أساس الخلفاء أو الأقاليم أو الدول أو الطبقات

وقد كانت كلها مناهج متبعة في التنظيم، وإذا كان التنظيم الإقليمي ملائماً ومريحاً للمؤرخين الإقليميين في مصر واليمن، وكان التنظيم على أساس الدول مما اتبعه بعض المؤلفين لتحديد وحصر المواضيع التي يطرقون، وكان التنظيم التقليدي على أساس الطبقات من الطرق التي استمرت قائمة في العصر بين المؤرخين، كما كان التنظيم التقليدي الآخر على أساس الخلفاء أو الملوك من المناهج السهلة المطروقة التي لا نعدم الأمثلة عليها، فإنّا لا نكاد نجد مؤرخاً في هذا العصر لم يمزج بين كل هذه الطرق الأربع، وبين التنظيم الحولي أو الأبجدي. وبعضهم مشى في تعقيد نظامه خطوات أخرى جعلت من الصعب إدخاله ضمن زمرة محددة من الزمر. وهكذا، فإن المزاوجة والمثالثة والمرابعة والتداخل بين مناهج التنظيم المختلفة كانت أبرز ملامح العمل التاريخي في هذا العصر. وقد أظهر المؤلفون في هذا المجال براعات وصل بعضها حد الطرافة، لكنها في جميع الأحوال كانت تتقاضاهم الكثير الكثير من الجهد والدقة والاستقصاء، كما تكشف أحياناً عن شيء غير قليل من الابتكار.

ولعل النماذج التالية تكشف جوانب من ذلك:

أولاً ـ في مجال تواريخ الحوادث والوقائع مثلاً: اتبع الإربلي في خلاصته «الذهب المسبوك»، والسيوطي في «تاريخ الخلفاء»، الطريقة المبسطة التقليدية بجعل العناوين الداخلية هي أسماء الخلفاء. ومع أن ابن تغري بردي اتبع الطريقة نفسها من حيث المبدأ، في «النجوم الزاهرة» إلا أنه جعل كل عهد من عهود الملوك والسلاطين فصلاً قائماً بذاته، وذكر السنين وحوادثها تباعاً ضمن الفصل دون عناوين مستقلة بها، فيما عدا الإشارة إلى إهلالها. حتى إذا توفي السلطان أتى على ترجمته منفصلة، وشرح أحواله وأخباره، وأعقب ذلك في الغالب بترتيب سنوات عهده نفسها الترتيب العددي، وذكر وفيات كل منها في فصل

واحد. وقد يستدرك في هذه السنوات والتراجم ما قد يكون فاته من الأخبار الخاصة بعهد ذلك السلطان. وأما عزّ الدين الكناني المصري (المتوفى سنة ٨٧٦) فإنه جعل تاريخه الضائع المسمى «كتاب النشر»، والمكوّن من ٤١ مجلداً مقسماً على أساس القرون، ثم جعل لكل قرن تصنيفين واحداً على الحروف للرجال والوفيات، والآخر على السنين للوقائع والأحداث.

وبعض المؤلفين كابن الديبع في كتابه «بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد» رتب المادة على أساس الدول فجعل الكتاب في مقدمة وعشرة أبواب، وجعل المقدمة لفضل اليمن، ثم أعطى كل دولة باباً بعد الباب الأول في ذكر زبيد، فالثاني لآل زياد ثم نجاح. . . إلى بني رسول ثم الظاهريين. وكذلك تقريباً فعل ابن وهاس الخزرجي إذ جعل تاريخه: «الكفاية والإعلام في من ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام» قائماً على أساس الأسرات الحاكمة. فبعد ذكر ولاة اليمن في العهد الإسلامي على صنعاء (في الباب الرابع) ينصرف إلى الحديث عن القرامطة ثم الصليحيين ثم الزيعيين، وبعد أن يتحدث في الباب الخامس من زبيد يمر ببني زياد ثم النجاحيين وبني المهدي ثم الأيوبيين فالرسوليين وملوكهم لعهده.

غير أن ابن أيبك، وإن كان يبدأ البداية ذاتها بالدول والأسر الحاكمة في كتابه «كنز الدرر»، ويعطي كل دولة كتاباً إلا أنه يعود فينظم أخبار كل دولة داخل الكتاب على أساس السنين.

وقد اختار بعض المؤرخين التنظيم الجغرافي على أساس الأقاليم. فابن وهاس الخزرجي (سنة ٨١٢) في «العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في أخبار سيرة الخلفاء والملوك» يقسم التاريخ قسمين في كل قسم خمسة أبواب وفي كل باب عدة فصول: فالقسم الأول لما بين عهد الرسالة وآخر العباسيين ولأئمة آل البيت، والثاني لملوك مصر والشام وإفريقيا والقيروان والأندلس والمغرب وملوك صنعاء وعدن وزبيد. ومثله تقريباً فعل ابن الديبع في تاريخه «قرة العيون في أخبار اليمن الميمون» (وما يزال مخطوطاً). فلما كانت الرقعة المكانية عنده مقصورة على اليمن فإن أقسام كتابه قامت على المناطق الجغرافية اليمنية فقط، فالباب الأول من كتابه لليمن وصنعاء وعدن والثاني لزبيد وملوكها، أما الثالث فقد جعله للدولة الطاهرية لا تحولاً منه إلى التنظيم الأسري، ولكن لأنها آخر دول زبيد لعهده.

وقد اتبع النويري في «نهاية الأرب» التنظيم الجغرافي الإقليمي. وقسم موسوعته على أساس الأقاليم الإسلامية المختلفة، فهو بعد الدولة العباسية يخصص لتاريخ الدولة الأموية في الأندلس القسم الثاني من المجلد الحادي والعشرين. ثم ينتقل في المجلد التالي إلى تاريخ إفريقيا منذ فتحها حتى نهاية الأغالبة، ثم إلى الدول الأخرى حتى المرابطين والموحدين. ثم يخصص المجلد الثالث والعشرين لتاريخ الحركات الشيعية في فارس

وخراسان، والقرامطة. ثم يأتي تاريخ الأمم الإسلامية فيما وراء النهر وتاريخ السلاجقة ودويلاتهم في الجزيرة وآسيا الصغرى والشام في المجلدين ٢٤، ٢٥ وينتقل النويري بعد ذلك إلى مصر فيخصص المجلد ٢٦ لتاريخها منذ العهد الطولوني حتى نهاية الفاطمي، ويعطي الدولة الأيوبية المجلد ٢٧، وعهد الظاهر بيبرس المجلد ٢٨، ثم تاريخ مصر (ويدخل في ذلك الشام والصليبيون) خلال العهد المملوكي مرتباً على السنين حتى سنة ٧٣١، المجلدان ٢٩، ٣٠، بينما يخصص المجلد ٣١ لليمن... على أن النويري يعود ضمن التقسيم الجغرافي فينظم الكلام على أساس الدول المتتالية، ويعود ضمن الدول إلى التنظيم الحولي المعروف.

ويتفرد ابن الشحنة الحلبي (المتوفى سنة ٨٩٠) فقد وضع كتابه «نزعة النواظر في روض المناظر» كالشرح لتاريخ والده المسمى «روض المناظر في علم الأوائل والأواخر» وهو تاريخ شامل من أول الخليقة إلى سنة ٨٠٦هـ.، ولكنه نظمه على أساس مبتكر اتباعاً لأبيه، فجعل له ـ حسب قوله في المقدمة ـ «كالباب مفتاحاً ومصراعين وخاتمة: المفتاح بدء خلق الدنيا، والمصراع الأول من آدم إلى الهجرة، والثاني من الهجرة إلى آخر مدة يقدرها الله، والخاتمة مشتملة على ما يكون آخر الزمان..» وقد قسم المصراع الأول إلى ثلاثة فصول: الأول في خلق آدم وما اتفق له ولأولاده، والثاني في طبقات الأمم، والثالث في الأمور المبشرة بظهور محمد ﷺ وفي مقدمات بعثته.

وأما المصراع الثاني فقسمه إلى تسع طبقات بعدد القرون التسعة. في كل طبقة ذكر حوادثها المشهورة على السنين، ووفيات أعيانها المشهورين على حروف المعجم.

ثانياً ـ في مجال التراجم والرجال: ربما كان الجديد الذي ظهر هو اعتبار القرن وحدة زمنية كاملة والتأليف على أساسه. ويبدو أن الذي بدأ ذلك هو صاحب كتاب «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة»، المنسوب خطأ لابن الفوطي (المتوفى سنة ٧٢٣). إلا أن الطريقة اشتهرت بعد أن استخدمها ابن حجر في كتابه البارز «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» فقد عاصره ابن أبي عذيبة (المتوفى سنة ٨٥٦)، وكتب «إنسان العيون في مشاهير سادس القرون»، ثم جاء السخاوي فلحق بأستاذه ابن حجر وكتب «الضوء اللامع في رجال القرن التاسع»، كما كتب مجهول دمشقي تراجم رجال القرن التاسع. وتتابعت السلسلة بعد ذلك قرناً بعد قرن: «الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة» للغزي ثم خلاصته «الأثر» (القرن ١١) الخ... على أن هذا التنظيم المبسط لم يرض بعض المؤلفين، كما لم يكتفوا بالتنظيم المتمادي على أساس الوفيات، فقد رتب ابن حجر كتابه «رفع الإصر عن قضاة مصر» على أساس الطبقات، ومن خلالها على أساس السنين. ثم جاء تلميذه العز الحنبلي بعد وفاته فرتبه على حروف المعجم. وبعض المؤلفين كالذهبي اعتبر الطبقة عشر سنوات في بعض كتبه، وبعضهم جعلها عشرين سنة... وقسم الكتاب على هذه الأسس كما في «قلادة النحر» الذي وضعه بآخرته معتبراً كل مائة سنة خمس طبقات.

على أن دوران المؤلفين لم يستمرّ دوماً ضمن هذا الإطار المحدود من التنظيم المبسط أو المحدود التعقيد، فإن بعضهم قد تجاوزه إلى تنظيمات أخرى مبتكرة:

فابن الملقن أبو حفص عمر (المتوفى سنة ٨٠٤) كتب «العقد المذهب في طبقات حملة المذهب» في ١٧٠٠ ترجمة جعلها في ثلاث طبقات: الأولى أصحاب الوجوه وهم بدورهم ٣٤ طبقة، والثانية مَنْ دونهم وقد جعلهم ٣٦ طبقة، والثالثة لمن دون الأولين؛ وقد نظم هؤلاء على حزوف المعجم.

وابن الفوطي في «مجمع الآداب في معجم الألقاب» جمع رجال الإسلام ورتبهم على حروف ألقابهم، ثم في ألقابهم على أسمائهم، ثم رتب ذلك كله على خمسة جداول: أولها لألقابهم، ثانيها لأسمائهم، ثالثها لنسبتهم، رابعها لاختصاصهم، خامسها لشيء من ترجمتهم اختصرها وأوجزها في حيز محدد ولم يُخِلّ بهذا الترتيب أبداً... وقد جعل الجداول الأربعة في صفحة والترجمة في الصفحة المواجهة لها... أما عناوين الكتاب الداخلية فهي الأحرف، ولكنه يجعل الأحرف أجزاء، ويجعل لكل جزء عنواناً على الشكل التالي مثلاً: العين والألف وما يثلثهما، العين والباء وما يثلثهما... العين والصاد وما يثلثهما الخ... والحرف الثالث يأتي بدوره بالترتيب...

٣ ـ في الأساليب الأدبية

قد يكون من الظلم للأدب التاريخي الذي امتدّ على أكثر من ألفي مجلد في العصر المملوكي ـ المغولي أن يحكم عليه بحكم عام، بالإضافة إلى أن من الصعوبة بمكان صياغة هذا الحكم بالشكل العادل، ولا سيما والقضية تتعلق بالنثر الفني للمادة الإخبارية في مجموعات من المؤلفات ضاع أكثر من نصفها على الأيام، على أن هذا كله لا يمنع على أي حال من تسجيل بعض الملاحظات العامة التي نجملها في نقاط ثلاث:

أ ـ فالخط البياني للأدب التاريخي يبدأ، في مطالع العصر، وهو في أحسن أحواله بالنسبة إلى العصر كله من حيث الإتقان والسلاسة والصحة، كان استمراراً للعصور السابقة التي عرفت ابن الأثير وابن النجار وابن الجوزي والعماد الأصفهاني. نقول هذا وفي خلفيتنا الفكرية كتب ابن عبد الظاهر وابن الساعي وابن خلكان وابن واصل واليافعي وابن شداد وابن الطقطقي. وتستمر الكتابة التاريخية على هذا النحو، حتى نهاية القرن الثامن. تحكي ذلك كتب ابن الفوطي والبرزالي والذهبي والعمري وابن شاكر الكتبي والصلاح الصفدي وأبو الفداء والسبكي وابن كثير وسبط ابن عبد الظاهر والنويري وأمثالهم، على أننا ما إن نصل أواخر هذا القرن حتى نجد أن الخط البياني قد بدأ بالهبوط وأحياناً الهبوط القاسي. وبالرغم من أن تقاليد الكتابة الصحيحة السلسة المرسلة تظل واضحة مسيطرة على أقلام ابن حجر والمقريزي والسخاوي والسيوطي في مصر وأقلام ابن رجب وابن الشحنة وابن قاضي شهبة والعيني في الشام، وعند ابن معية وابن حماد في العراق، وعند الخزرجي وابن الأهدل في

اليمن، وغيرهم، فإن عوامل الانحطاط التي ذهبت بالكثير من لمعان الفكر والأدب في تلك العصور لم تترك بذورها الأدب التاريخي دون أن تدمغه بصماتها. وهكذا ففي الوقت الذي كانت مجموعة المؤرخين ذات الأسلوب السليم المرسل تتابع عملها، تشكلت بجانبها مجموعة أخرى تكتب مثلها الأخبار ولا تأبه كثيراً للأسلوب الأدبي أو لصحة اللغة. ومع أنها لم تكن تقل عنها شأناً في نقل الخبر وتسجيله إلا أنها تركت للعامية واللحن أن يتسربا إلى السطور.

وإذا كان من غير المقبول، في صدر تلك العصور وحتى أواسطها، أن يظهر في الجو العلمي كتاب ركيك العبارة فيه اللحن والتعبير العامي ويصبح ذلك مظنة سوء، كما اتهم الصفدي بذلك الجزري قائلاً «وفيه عامية»[1] فإنّا نلاحظ أن هذا الجو نفسه قد بدأ يتقبل ولو مع النقد مثل هذا الكتاب. يقول السخاوي مثلاً في تاريخ ابن الفرات (المتوفى سنة ٨٠٧): «. . . وكتابه كثير الفائدة من حيثية الفن الذي هو بصدده (التاريخ) ولكنه لم يكن يحسن الإعراب، فيقع له اللحن الفاحش والعبارة العامية جدًّا. . .»[2]. ويقول هو نفسه عن مؤرخ آخر هو الشبيكي الجهني (المتوفى بعد سنة ٧٦٠) وتاريخه «انتفع به التقي الفاسي مع ما فيه من اللحن الفاحش والعبارات العامية وغير ذلك. . .»[3]. ويشهد الشهادة ذاتها ابن دقماق فيقول: «. . . وتصانيفه مفيدة لكنه عامي العبارة. . .».

ونرى اللحن الكثير والتصحيف لدى ابن أبي الوفاء المصري (المتوفى سنة ٧٧٥) في «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، وصاحب «كشف الظنون» يعذره (بسبب من حنفيته على ما يظهر) ويقول: «فيه لحن كثير وتصحيف، لأنه أول تأليف في الموضوع والرجل معذور. . .»[4].

وتظهر الركاكة في التعبير والكتابة الخشنة في أسلوب المفضل بن أبي الفضائل صاحب «النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد»، كما نرى اللحن والأسلوب العامي في كتابة ابن أيبك كقوله مثلاً: «وربما أن في هذا العصر عند وضعي لهذا التاريخ أناس يعتقدون ما قد ذكرناه غير أنهم لم يصلون إلى هذه الرتبة واحتاجوا إليها لقرب مأخذهم بعقول من صبا إليهم. . . وقالوا: نحن رسل رجال الغيب ويوهموا المغرور ويذكروا له أناس كانوا سقاط قد صاروا أرباب مناصب. . .»[5]. أما لغة (أكلوني البراغيث) فما أكثرها لدى ابن أيبك ولدى الكثيرين. . .

---

(١) الصفدي ـ «الوافي» ج٢ ص٢٢.

(٢) السخاوي ـ الإعلان (ط. روزنتال) ص٦٨٠.

(٣) المصدر نفسه ص٦٧٥ـ٦.

(٤) حاجي خليفة ـ «كشف الظنون» ج١ ص٦١٧.

(٥) ابن أيبك ـ «الدرة المضية» ص١٠٦ـ١٠٧.

على أن هذا الضعف الأدبي إذا كان مستنكراً في مطالع ظهوره، فإن الأجواء العلمية، في أواخر العصر اعتادته للدرجة التي لم يعد معها يثير حتى الانتباه، فضلاً عن التعليق. فلا نكاد مثلاً نعثر في هذه الناحية على نقد يتناول الجوهري ابن الصيرفي (المتوفى سنة ٩٠٠)، ويعتبر من أخصب المؤرخين، مع أنه كان حين يطلق نفسه على سجيتها يكتب بأسلوب أقرب ما يكون إلى أسلوب العامة فيكثر من استعمال التعابير المصرية ويخرج على قواعد اللغة. . . ويتجلى ذلك خاصة في كتابه «إنباء الهصر» لا سيما حين يكتب تراجم وأخباراً من عنده لم يسبقه سابق إلى كتابتها، ولا مجال في مثلها للنقل عن غيره. . . وهكذا تتفاوت سوية أسلوبه في كتبه صعوداً وهبوطاً، ويتفاوت خروجه على قواعد اللغة كثرة وقلة تبعاً لمصادره ولتوفر النقل عنده أو عدم توفره. ونرى الركاكة ذاتها وأكثر منها لدى ابن زنبل الرمال (المتوفى سنة ٩٦٠) في ما كتب مثلاً عن فتح مصر على يد العثمانيين، وعن سيرة السلطان سليم خان، كما نراه في درجة أقل لدى ابن إياس وإن كان أسلوبه من النوع الدارج العادي الذي لا تكاد تلمح فيه بارقة فن أو متانة سبك. ولعلك تشعر بالعكس أن الكثير من ذلك ينقصه. فإذا أراد مثلاً أن يبرز براعته الأدبية مرة قال: «. . . وقتل تحت الليل جماعة من أرباب الإدراك (الوجهاء) ولم ينتطح في ذلك شاتان. . .»[1] ويعني لم يأبه لذلك أحد!!.

ب ـ كتب التاريخ بالأساليب والأنواع الأدبية المختلفة. وإذا كان معظمه قد كتب بالطبع بالنثر المرسل العادي فإن بعضاً منه قد كتب بالنثر المسجوع، كما أن بعضه قد كتب شعراً في أراجيز وقصائد وملامح مطولة.

فأما النثر المسجوع فقد انحدرت تقاليده إلى مؤرخي العصر المملوكي ـ المغولي عن العصر السابق له مباشرة، والذي ختم باثنين من كبار فرسان هذا الأسلوب: القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني. لهذا كان السجع، وهو المرحلة الوسطى بين النثر والشعر لا يحكم عناوين الكتب كلها فقط، ولكنه يسيطر ما استطاع على أقلام أهل الدواوين وكبار الكُتّاب. وكانت البراعات فيه من مؤهلات التقدم في «الكتابة» وفي وظائف الدولة وفي البروز الاجتماعي ـ العلمي[2].

وهكذا نجد مؤلفات ابن عبد الظاهر ظِلاًّ وتقليداً للقاضي الفاضل والعماد الأصفهاني معاً، كما نجد أن الكثير من المؤرخين الذين يريدون التمحك بالأناقة الأدبية يستعيرون

---

(١) ابن إياس ـ «بدائع الزهور» ج٣ ص٣٠٦.

(٢) ظهر مثل ذلك في هذه الفترة بين كُتّاب التاريخ في اللغة الفارسية، فإن عبد الله بن فضل الله المعروف بوصاف الحضرة مثلاً فرغ سنة ٧١١ من كتابة تاريخه: «تاريخ الوصاف» ذاكراً جنكيز وأولاده، إلى غازان خان. وهو في الفارسية نظير تاريخ العتبي في العربية. ولم يقصد فيه بيان التاريخ فقط، بل أراد إظهار مهارته في الإنشاء وإيراد لطائف النثر والنظم، كما أشار إلى ذلك في أوائل المجلد الثاني. وقد نقل صاحب «كشف الظنون» (٣٠٩/١) عبارته التي يتحدث فيها عن هذا القصد بنصها الفارسي.

نصوص الوثائق الديوانية، ومعظمها مسجوع منمق، ليزينوا بها مؤلفاتهم؛ أو يحاولون، في بعض الأحيان، أن يزلقوا بين الأخبار أو عند نهاياتها بعض الأسجاع للتظرف والتأدب. يفعل ذلك ابن أيبك مثلاً وابن الفرات. وأما الجوهري ابن الصيرفي فإن ميله إلى أن يختم، في بعض الأحيان، بعض الأخبار بالسجع ربما أفسد على القارىء متعة الانطلاق في متابعة الخبر وأخرجه عن التفكير به. ويبدو أنه كان ثمة نوع من الاتفاق على أن الأسلوب المسجوع لا يتفق مع التاريخ، وأنه إن قبل كحلية أدبية بين آونة وأخرى، فإنه غير صالح للأداء التاريخي الصحيح، والتدوين التاريخي الدقيق، لا سيما إن كان المؤرخ أعجزَ أدبياً من أن يحسن استخدامه. والواقع أن بعض المؤرخين كان يطمع في الوصول إلى قمة النثر الفني (السجع) بينما عدته الأدبية أقصر بكثير من أن تسمح له بذلك، فكان تأليفه يأتي غريباً ممجوجاً لدى الناس. يقول ابن تغري بردي في «المنهل الصافي» بعد أن ينقل ترجمة سليمان بن مهنا عن «درة الأسلاك في دولة الأتراك» لبدر الدين ابن حبيب (المتوفى سنة ٧٧٩): «. . . انتهى فشار ابن حبيب وركيك ألفاظه، وربما كان إذا ضاقت عليه القافية يذم المشكور ويشكر المذموم لما ألزم نفسه في جمع تاريخه بهذا النوع السافل في فن التاريخ . . .». وقال في مكان آخر: «. . . ولم يذكر المولد والوفاة (لهذا الرجل) وإنما هو رجل مقصده تركيب كلام مسجع لا غير. . .». ويعطينا ابن عربشاه نموذجاً آخر للسجع التاريخي.

وقد انتهت هذه المبارزة بين التعبير الدقيق المباشر، والتعبير المصنوع المتأنق، بأن خسر التدوين التاريخي الطريقتين معاً، لأن الأساليب العامية كانت أقوى زحفاً إلى الأقلام، في عصور الانحطاط تلك، من الأساليب العربية المبينة والقوية التي تحتاج الدراسة والجهد الإبداعي، لا سيما والسلطات الحاكمة كانت منذ زمن تتعامل لا بين بعضها فقط، ولكن مع الناس بالتركية، وخاصة بعد سيطرة العثمانيين على بلاد العرب.

وأما التاريخ المنظوم شعراً فلون آخر من البراعة الأدبية استخدمه عدد من المؤرخين الذين لم يقصدوا إلى التاريخ بقدر ما قصدوا إلى الشعر، أو إلى إظهار البراعة في النظم والنفس الطويل في معاناة القافية، أو قصدوا فقط إلى تسهيل حفظ بعض الأسماء والتواريخ بالترتيب. . . واستخدام الشعر في عمليات الحفظ العلمي كان عادة شائعة.

ونستطيع أن نعد في هذا العصر عدداً واسعاً من الأعمال التاريخية الشعرية يزيد على الأربعين. لكن ليست كلها بالعربية. وما بالعربية منها محدود. ومن ذلك مثلاً ابن الجزار جمال الدين (المتوفى سنة ٦٧٩) الذي كتب أرجوزة طويلة باسم «العقود الدرية في الأمراء المصرية» استعرض فيها تاريخ مصر وحكامها، ثم جاء ابن فضل الله العمري فذيل عليها إلى عهده، ثم لحقه في التذييل الصلاح الصفدي، ثم الحسني الأسيوطي، ثم أكمل الأرجوزة حتى عهده الإمام السيوطي. . .

وكتب أبو الفضل الباعوني (المتوفى سنة ٨٧١) أرجوزة في التاريخ العام باسم «فرائد

السلوك في الخلفاء والملوك» ذيّلها ابن أخيه (المتوفى سنة ٩١٦) بذيل ي..ن بها إلى عهد الأشرف قايتباي وسماه: «الإشارة الوفية إلى الخصائص الأشرفية».

ونظم ابن دانيال الموصلي (المتوفى سنة ٧١٠) أرجوزة في قضاة مصر باسم «عقود النظام في من ولي مصر من الحكام»، فجاء القاضي الكناني (المتوفى سنة ٨٧٦) فس.. عليها، ثم لحقه السيوطي بذيل آخر يكملها. وكذلك نظم الشهاب بن الابردي الدمشقي (المتوفى سنة ٨٩٦) أرجوزة في قضاة دمشق. وتابع ابن عبد الظاهر الطريقة التي كان بدأها في مطلع القرن السابع ابن مماتي الذي نظم سيرة صلاح الدين شعراً، فنظم ابن عبد الظاهر سيرة السلطان الظاهر بيبرس، وتابعه من بعده في ذلك بعض كتاب السير.

على أن الاندفاع التاريخي الشعري لم يكن في الواقع بالعربية ولكن باللغتين التركية والفارسية.

وقد سجل المؤرخون الشعراء بالتركية، في هذا العصر عدداً من الأعمال الشعرية بلغ بعضها من الضخامة الحدَّ الذي يمكن معه القول إنها معجزة، لا من حيث الفن الشعري، ولكن في الكثرة. ومن ذلك ملحمة فردوسي الطويل من كبار شعراء الروم (العثمانيين) أواخر القرن التاسع. لقد كتب (شاه نامه) تركية في ٣٣٠ مجلداً قدمها للسلطان بايزيد الثاني (٨٨٦ - ٩١٨هـ. /١٤٨١ - ١٥١٢م.) الذي أمر بانتخاب ٨٠ مجلداً منها وأحرق الباقي، مما مزق الشاعر ألماً، ودعاه إلى الهرب نحو بلاد الفرس. وقد نظم غيره بالعنوان نفسه شاهنامات أخرى منهم المحرمي (المتوفى سنة ٩٤٣)، وفتح الله درويش جلبي المعروف بشاهنامجي (المتوفى سنة ٩٦٩)، كما نظم آخرون مثل العليف شاعر بطحاء (المتوفى سنة ٩٢٢) «الدر المنظوم في مناقب بايزيد ملك الروم»، وشكري بك «الفتوحات السليمية» الخ . . .

ومثل ذلك، وأكثر منه صنع الشعراء المؤرخون بالفارسية، ومن ذلك حمد الله المستوفي (المتوفى حوالى سنة ٧٥٠) فقد كتب «ظفرنامه» في حوالى ٧٥ ألف بيت تحكي تاريخ إيران بعد الفتح العربي حتى عهده.

وكتب شمس الدين الكاشي (المتوفى حوالى سنة ٧٣٠) تاريخ غازان خان أو شمس شاهنامه في عشرة آلاف بيت، ونظم السنجاني (المتوفى سنة ٩٤١) سيرة الشاه إسماعيل الصفوي في «شاه إسماعيل نامه»، كما نظمها ميرزا قاسم الكنابذي (المتوفى سنة ٩٨٤) باسم «شاه رخ نامه» أو «شاهنشاه نامه». وكتب الشاعر هاتفي (المتوفى سنة ٩٢٧) شاهنامه أخرى للملوك الصفوية. كما نظم ملامشفقي المروزي (المتوفى سنة ٩٩٤) «جهان نامه» في التاريخ . . . هذا إلى ملاحم أخرى بعنوان «اسكندر نامه» نظمها أمثال الشاعر لغالي الرومي (المتوفى سنة ٩٣٨) وضميري الإصبهاني (المتوفى سنة ٩٧٣) وإلى كتاب في «لطائف الظرائف» كتبه فخر الدين الكاشفي (المتوفى سنة ٩٣٩) في ١٢ ألف بيت.

ج ــ وأخيراً، فإن استخدام التضمين الأدبي هبط كثيراً في أواخر العصر. فإذا كنا نجد

في مطلعه آياتٍ وأحاديثَ وأشعاراً وأمثالاً عديدة تتوزع في ثنايا المؤلفات التاريخية، وتعبر عن سعة الاطلاع الأدبي للمؤلف، وعن ضلوعه في علوم الدين والأدب والآلات، فقد كان ذلك كله يتوارى شيئاً فشيئاً مع تقدم العصر.

الشعر وحده هو الذي استمر يقاوم الانقراض من كتب المؤرخين، ولكن ليس في مؤلفات الحوادث التاريخية وإنما في كتب الرجال والتراجم، لأن المؤلفين كانوا كثيراً ما يضمنون تراجمهم للأعلام والناظمين بعض المقطوعات من نظمهم. وكثيراً ما يجعلونها زينة، أو واحة أدب، أو نماذج شاعرية. أما إذا ظهر الشعر في مؤلفات الحوادث، فإنما يكون ذلك في الغالب نتيجة ذكر بعض قصائد المديح للحكام وكبار الرجال، وإلا فهو بعض شعر الحكم والموعظة.

ونستطيع مثلاً أن نفتح كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي، أو «المنهل الصافي» لابن تغري بردي، أو «المقفى» أو «درر العقود الفريدة» للمقريزي أو غيرهم، لنجد لديهم الكثير من الشعر، كما نجد ذلك في كتب التراجم. وقد كان بعضهم يحاول تلخيص ديوان كامل وقع له إن كان صاحب الترجمة شاعراً وذا ديوان! أما الاستشهاد ببيت هنا وبيت هناك فنكاد نجده في كل كتاب.

وتأتي الآيات القرآنية، بعد الشعر، في مقاومة الغياب التدريجي عن كتب التاريخ. وطبيعي جدًا أن تَرِدَ على أقلام المؤرخين لأنهم يحفظونها، أو يحفظون بعضها على الأقل للصلوات، ولكنهم ما كانوا يستشهدون بها في الغالب إلا في مجال التدليل على صدق الله العظيم في الوعد والوعيد وفي مجال العظة والاعتبار.

الملامح والميزات العامة للتاريخ المملوكي - المغولي

إن استمرار مناهج التأليف في العصر المملوكي - المغولي على الطرق التي سلفت فيما قبله من العصور دون كبير تجديد، ليس يعني أن الفكر التاريخي نفسه ظلّ بدوره أيضاً على حاله الأول. والتشابه في أشكال التدوين وطرقه كان يخفي وراءه، في الواقع، تطوراً واضحاً في الفكر التاريخي، وفي فهم التاريخ لدى المؤرخين والناس في هذا العصر. وذلك الفكر وهذا الفهم إنما كانا يسايران في الواقع مدى التطور الذي عرفته الجماعة الإسلامية فكريًّا وسياسيًّا بعد ستة قرون من الوجود الفريد. ولقد نستطيع أن نضع أيدينا على ملامح هذا التطور في عدد من النقاط التي يجب أن نسجل مسبقاً أن بعضها يرتبط ببعض في شبكة نسيج واحدة، كما أن بعضها ينحدر أحياناً كثيرة عن بعض:

١ ـ شيوع فكرة الإنسانية العامة ووحدتها. كانوا يعبرون عنها «بالبشر» خاصة و«بالأمم» أحياناً، أو كانوا يعددون ذكر هذه الأمم، ويتابعون أخبارها، أو يمدون حبال الحديث بين البداية، بداية الخلق، والنهاية، نهاية البشر.

ولكن وحدة الجنس البشري كانت واضحة على الدوام في أذهانهم. ولا شك أن جذر الفكرة ديني إسلامي، ولكن ملامحها كانت أظهر وأكثر نضجاً في هذا العصر منها في العصور السابقة. لم تكن بالقليلة المؤلفات، التي كانت، من موسعة ومختصرة، تبدأ التاريخ من آدم لتنتهي بعصر المؤلف، متناولةً كل الأمم في الطريق في جوٍّ من التسوية والحياد حتى بالنسبة للتتر والصين والفرنجة.

روح أشبه بالروح العالمية صارت هي الأساس في الفكر التاريخي، وكانت ذات بُعدين: بُعد يضرب في أعماق الزمن إلى آدم أبي البشر، يربط الناس جميعاً برباط واحد على السواء؛ وبُعد يتسع في المكان ليشمل أمم الأرض المعروفة كلها، لا على أساس أنها دار الحرب، ولكن على أنها الأمم الأخرى الموجودة، وأنها باقي البشر، وجزء من مخلوقات الله الإنسانية. وبالرغم من أنه لم يَجْرِ تعديل جذري، أو إضافة هامة، أو تغيير، أو تحقيق جديد

في أخبار الأمم القديمة والسابقة للإسلام، إلا أن اللهجة حولها اختلفت ولم تعد تتسم بالعداء أو بالتعالي بقدر ما تتسم بالإشفاق.

٢ ــ ويتصل بالفكرة الأولى، فكرة أخرى متممة لها هي الإيمان المطلق بما يمكن أن نسميه بالروح الإسلامية الشاملة (البان إسلامية Pan - Islamic).

المؤلفون كانوا يصدرون، في هذه الناحية، عن تسليم بعدد من البديهيات:

أولها ــ أن أمة الإسلام واحدة. تعدد الشعوب المسلمة من زنج وترك وعرب وفرس ومغول وبربر وأرمن وهند، وتعدد الدول الإسلامية على اختلاف حكامها وتفاوت الطبقات الاجتماعية بين خاصة وعامة، وأشراف وعبيد، ومماليك وأحرار، كل ذلك ينتهي أمام القانون القرآني: ﴿وإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، هذا القانون الذي أخذ أوسع تطبيقاته في تلك العصور، وصاغ الفكر التاريخي فيها.

ثانيها ــ أن هذه الأمة الإسلامية هي آخر الأمم. لا أمة كبرى بعدها. وهي تحتوي الجميع إلى قيام الساعة.

ثالثها ــ أنها خير الأمم: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وقد فُهم هذا المعنى القرآني لا في إطار العقيدة فحسب، ولكن في الإطار الأوسع: فكراً وتقاليدَ وأخلاقاً وموقفاً حياتيّاً، ونظاماً في الحكم، وموقعاً من الأرض، وتأييداً من الله...

رابعها ــ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، والمسلمون سواسية كأسنان المشط، وفي إطار هذه الأخوة الإسلامية الواسعة كان وصول المملوك القوقازي والتركي إلى قمة الحكم، أو بروز العالم السمرقندي، أو الشيرازي في القاهرة أو في المغرب، وبالعكس بروز الأندلسي والقيرواني في الهند، أو خراسان، ووصول هذا أو ذاك إلى قمة المقام الديني في القضاء والفتوى أمراً عاديًا لا يجادل فيه أحد.

وهكذا كتب الكثيرون من المؤرخين «تاريخ الإسلام»، وكرروا كتابته على أنه تاريخ البشرية الأخير. وعلى أن دولة الإسلام هي «الدولة العالمية»، والدولة «الوحيدة» الحائزة رضى الله على الأرض. عالمية الدولة الإسلامية وأوحديتها وأنها الختام كانت كلها معاني قائمة في أسس الفكر التاريخي، وفي أذهان المؤرخين.

وما من شك في أن إحياء «الخلافة العباسية» في القاهرة، وبقاءها في قلعة القاهرة طول العهد المملوكي كان سبباً، كما كان، في الوقت نفسه، نتيجة لهذا المفهوم التاريخي في عالمية الإسلام. كان التمسك بوجود الخليفة يحمل هذا المعنى السياسي - الديني وحده، رغم أن «الخلافة» بوصفها مؤسسة حكم كانت قد فرغت تماماً من أي معنى سياسي. كان الخليفة رمز الشمولية الإسلامية السياسية، وبرهان التأكيد على وجودها واستمراريتها المطلقة.

وبالرغم من ظهور القوى الأوروبية إثر عصر النهضة والاكتشافات، وإعادة توزيع القوى الإسلامية كلها بين المشرق والمغرب في الثلث الأول من القرن السادس عشر، وزوال الشكل السياسي «للعالمية» الإسلامية بغياب الخلافة سنة ١٥١٧ ، إلا أن المؤرخين والعلماء ظلوا حتى تحت الحكم العثماني يحتضنون هذه الفكرة، ويتصرفون في الفكر التاريخي، من خلال منظورها.

ولعل مما كان يزيد في عمق المشاعر «الهان إسلامية» لدى المؤرخ الإسلامي في هذا العصر شعوره بامتداد البلاد الإسلامية جغرافيًا في المكان الأوسع والأهم من الأرض، وبكثرة الأمم والنظم الإسلامية بين البشر، في الوقت الذي أخذت تظهر فيه وتقوى، بالمقابل، شعوب أخرى، غير إسلامية، في أوروبة خاصة، وتناهض العالم الإسلامي في الغرب والحبشة والهند.

٣ ـ الموسوعية في الفكر: وهي تقابل الشمولية الإسلامية في الجو السياسي وتكملها. منظومة القيم العلمية الإسلامية أضحت كلها فلكاً واحداً، لكل علم فيه دوره ومكانه وكهانه وأصوله. . . والمنتفعون به. وارتبطت العلوم بعضها مع بعض، لا سيما وقد ضمر الفكر الفلسفي، وفشلت علوم الأوائل، عدا الطب وما يتعلق به في البرهان على الحاجة العلمية إليها، فلا أبحاث الجبر أو الفيزياء ولا الفلك كانت ذات مردود، ولا علم الحيل اخترع الجديد ولا الكيمياء وصلت إلى حجر الفلاسفة. في الوقت الذي أضحت فيه علوم الدين وما يتعلق بها من علم الرجال ومن التاريخ، وعلوم اللغة وما يتصل بها من نحو وأدب وشعر، موارد رزق طيب، وجاه عريض.

وهكذا كان من الضروري، مقابل استقرار فكرة العلم «الشاملة» في الأذهان أن تظهر «الموسوعات» في التأليف، والكتب الموسوعية التي يجد فيها الدارس كل ما يحتاج من العلم.

على أننا نستطيع دون شك أن نضيف إلى هذا السبب الأول أسباباً ثلاثة أخرى لم يكن دورها بأقل شأناً من دوره:

أولها ـ إن سقوط بغداد بيد المغول لم يكن سقوطاً مادّيًا بقدر ما كان معنويًا. فتلك العاصمة التي كانت لخمسة قرون سلفت تربط عن طريق الخلافة الاسمية: الشرق الإسلامي الإيراني بالحوض الشرقي العربي للبحر المتوسط وبالبحر الأحمر، ثقافة وسياسة ومجتمعاً واقتصاداً انتهت مهمتها تلك بسقوطها في يد المغول. انقطع الجناح الغربي من أرض الخلافة العباسية عن الجناح الشرقي. وبينما تابع كل جناح طريقه الخاص، التحقت بغداد بالمشرق لا كمركز له، وإنما كبعض عواصمه.

انتهت كقطب ارتباط. وإذا لم يكن بالمهمّ كثيراً انتهاؤها كقطب سياسي، فقد كان أهمّ من ذلك بكثير انتهاؤها كقطب، ومركز لقاء للثقافة الإسلامية، وهاجر هذا المركز غرباً

إلى دمشق والقاهرة اللتين تقاسمتا معاً بالتساوي مركز بغداد السابق، كما تـوزعتا هجـرة العلماء الإسلاميين إليهما من كل فجٍّ، كما تبادلتاهم بينهما بشكل حركي مستمر. وعرفت العاصمتان خلال القرنين الثامن والتاسع عصراً من النهضة يمكن أن يعتبر بحق عصر النهضة الإسلامية الثانية. إنه يشكل في الخط البياني للحضارة العربية الإسلامية، القمة الثانية بعد القمة الأولى التي حققتها تلك الحضارة في القرنين الثالث والرابع، وإن تكن الثانية على المحافظة والاتباع، بعد أن كانت الأولى على الإبداع.

إن تجمع الفكر الإسلامي مرة أخرى في مركز ديناميكي جديد، مع وصول الحضارة العربية الإسلامية مرحلة النضج الأخير، أوجد لدى العلماء فكرة وإمكان الإحاطة بالعلوم جميعاً وتجميعها بين دفتيْ كتاب واحد. أو على الأقل جمع أوسع التفاصيل عن علم واحد في كتاب.

ثانيها ـ إن نكبة بغداد وتنامي الشعور بالخطر على الإسلام وبلاد الإسلام بعد الحروب الصليبية، وبعد تكرر هجمات المغول والتتر من الشرق، وظهور القوى الأوروبية وصراعها العدواني مع القوى الإسلامية في البحر، وعلى الأطراف، كل ذلك أوجد لدى حَمَلَة الثقافة العربية الإسلامية نوعاً من الخوف المصيري على الإسلام، وعلى التراث، لم يتجلَّ في التمسك والتشبث به فقط، وتناوله بالتكرار الكثير والتلخيص، ولكنه تجلّى كذلك في جمعه في مجموعات شاملة واحدة. القلق الفكري على التراث عبَّر عن نفسه، بين وسائل التعبير الأخرى، في العملية الإيجابية التي تحاول احتضانه كله في موسوعة شاملة، لا بغية إنقاذه فقط، ولكن لتأكيده وتثبيته أيضاً. وسواء اتجهت عملية الإحاطة إلى العلوم جميعاً، أو إلى بعضها فقط فالنتيجة واحدة، وهي حفظ أوسع ما يمكن حفظه في عمل تأليفي واحد.

ثالثها ـ الحاجة العملية الحكومية: إن كفاية كُتّاب الدواوين والموظفين الحكوميين إنما كانت تقاس بمقدار إلمامهم بمختلف نواحي العلوم والآداب، وبمقدار قدرتهم على الإفادة منها في العمل الديواني. «الأخذ من كل شيء بطرف» كان هدف الطامحين إلى دخـول الدواوين والتمتع بميزاتها. وقد تبارى عدد من كبار هؤلاء المـوظفين والكتاب في إظهـار براعاتهم في أعمال الديوان، وامتلاكهم لآلاته وعدته بتأليف الموسوعات المطولة التي تعلم الكُتّاب والناشئة منهم صناعة الإنشاء.

من خلال هذه الأسباب واشتباكها بعضها مع بعض، عرف عالم التأليف عـدداً من الموسوعات ظهرت خاصة في القرن الثامن بشكل يسمح لنا أن نسميه بالقرن الموسوعي. وكانت هذه الموسوعات على ألوان وأنواع تبعاً للحاجات التي كتبت من أجلها أو لأهواء مؤلفيها ونوازعهم:

ـ فمنها ما أخذ الطابع الأدبي مثل «نهاية الأرب في فنون الأدب» في ٣١ مجلداً أكثر من نصفها خصص للتاريخ.

ـ ومنها التاريخي الخالص كـ «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢٨ مجلداً)، وكتاب «كنز الدرر» لابن أيبك، وكتاب «النشر» لعزّ الدين الكناني في ٤١ مجلداً، و «أخبار الأمم» لابن معية في ١٠٠ مجلد من ٤٠٠ ورقة أنجز منها ٢١ فقط، و «نزهة الأنام في تاريخ الإسلام» لابن دقماق. . . و «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» للعيني.

ـ ومنها موسوعات الرجال كـ «الوافي» للصفدي (٢٨ مجلداً)، و «المقفى» للمقريزي ومشروعه ٨٠ مجلداً. . .

ـ ومنها الجغرافي البشري التاريخي مثل «مسالك الأبصار» للعمري في ٢٠ مجلداً كبيراً..

ـ ومنها الديواني مثل «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي في ١٤ مجلدة. . .

ـ ومنها اللغوي مثل «لسان العرب» لابن منظور، و «تاج العروس» للزبيدي.

وقد فاز التاريخ في جميع هذه الموسوعات، بالنصيب الأوفى. حتى الموسوعات اللغوية حفظت وجمعت بعض أمور التاريخ.

٤ ـ التسليم الديني: لم يكن تدوين الأحداث التاريخية، ولا التراجم يجري دون فلسفة فكرية خلفية. وإذا كان طبيعيًّا أن تكون هذه الفلسفة دينية، فإن طابعها العام إنما اختار من بين القيم الدينية خاصة قيمة التسليم لله.

المنظور التاريخي الواضح لدى جمهرة المؤرخين (باستثناء بعضهم مثلًا كالمقريزي أو ابن خلدون) هو منظور الاستسلام لركض الحوادث كيف ركضت. الموقف منها كان سلبيًّا. ولا نقصد الحياد ولكن نقصد ما هو أكثر منه: الهرب من الإدانة، في جليل الأمور أو حقيرها على السواء. مصرع جبار، أو فضيحة عالم، أو هزيمة حاكم، أو إعدام مجرم، كانت كلها تسجل بالكلمات ذاتها: عفا الله عنه، أو ابتلاه الله بكذا، أو لقي جزاءه من الله. . . ويجف القلم بعد ذلك. عناصر هذه السلبية كانت تجد غطاءها العقائدي الكامل في:

ـ الإيمان الكامل بالجبرية، القيمة السائدة في مجتمع ذلك العصر، لأنها الفلسفة الوحيدة التي تقيم التوازن النفسي لدى الناس، وتسمح بقبول واقع المماليك والمغول والتسلط العسكري.

ـ رد الحساب إلى الله في كل أمر فهو الديّان، وإليه ترجع الأمور، لأنه لبس في أيدي الناس من القوة ما يدفع عنهم غوائل السلطان. . .

ـ اعتبار كل نازلة جزاءً وبلاءً من الله؛ فإن نزلت بمن يستحق فالحكمة فيها واضحة، وإن نزلت بمن لا يستحقها فلأمر يريده الله.

وكان المؤرخون، في انصرافهم الكامل إلى هذه الأفكار يهملون قيماً دينية إسلامية أخرى، ليست أقلّ منها اتصالاً بالعقيدة، ولا ضرورة للمؤرخ الواعي.

كانوا يهملون قِيَمَ العمل ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ والمسؤولية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ والعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ ومكافحة الظلم ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. . .﴾ غابت هذه القيم عن المجتمع الإسلامي يومذاك، وغابت بالتالي عن أقلام المؤرخين الذين انصرفوا، كرجال الدين (وهم في معظمهم منهم) إلى توطيد قِيَمِ التسليم السلبي ودعمها.

وهكذا سيطرت الغيبية الميتافيزيكية على ميكانيكية التاريخ بدل السببية الواقعية، وتراوحت مواقف المؤرخين، في هذه الناحية، بين درجات فكرية ثلاث:

ــ فبعضٌ توقف عن الاتباع، شُلَّت ملكاته الإبداعية بالتقليد. اكتفى بالنقل والجمع ورصف المقتبسات بعضها وراء بعض من مختلف المراجع. وبالرغم من أن التاريخ، تتجدد حوادثه ووقائعه مع كل صباح، كان ـ مع الشعر ـ المجال الإبداعي الوحيد الباقي للعلماء بعد إغلاق باب الاجتهاد في الفقه، وتحدد علم النحو وتسجيل اللغة والحديث والقراءات، وعدم إمكان الوصول إلى المزيد من تفسير القرآن، فإن هذا التاريخ المتجدد قد أخذ طرائق النقل والجمع على التقليد القديم. انطبع الجديد بطابع القديم نفسه. أخذ قوالبه فكأنه ـ لولا تبدل الأسماء والحوادث ـ نسخة أخرى منه.

ــ وبعض المؤرخين مشى خطوات أخرى مع التقليد السكوني، فجعل الإنسان لعبة القدر، وجعل هذه اللعبة عبثية، لا معنى فيها ولا مصير ولا غاية. كل مسيرة التاريخ أضحت صوراً وحوادث تركض في فراغ، ودون رابط مادي، وأحياناً دون خيط منطقي عقلاني. تصوروا غاية التُقى في إضفاء الغيبية المبهمة على الحوادث، سواء كانت فردية في ترجمة بعض الناس، أو كانت عامة تلعب بمصائر الناس. كما يأتي الطاعون من المجهول ويأتي القحط، كذلك يأتي الظلم والظلام وعسكر الحكام، وكما يذهب الوباء والجفاف دون سبب، أو بالدعوات الصالحات من بعض الصالحين، أو بكسر زقاق الخمر، كذلك يذهب الظالمون بظلمهم كما جاؤوا. . .

ــ وبعض المؤرخين مشوا مع الغيبية حتى الإيمان «بالأولياء» و«الصالحين» و«رجال الله» ومنحوهم من «الكرامات» والسلطات الميتافيزيكية والقوى الخفية الخارقة، حتى بعد الموت، ما جعل منهم «قدرات» غريبة تستطيع إيقاف الحوادث وخرق قوانين الكون الثابتة وآيين الحياة. لم يعطوهم بالطبع قدرات «الأبطال» التي نعرفها في الفكر اليوناني، ولكن جعلوهم يتمتعون «بمنح ربانية» خاصة تستطيع بأمر الله وإذن منه الإماتة والإحياء ودفع الكوارث والتأثير عن بُعد في الوقائع.

وإذا سَجَّل بعض الكتّاب سيرة حياة «الرفاعي» مثلاً أو «البدوي» أو «الكيلاني» أو

«الدسوقي» وكراماتهم الخارقة، فإن ذلك لم يقتصر على أمثال هؤلاء، ولكن تعدّاهم إلى مختلف الكتب التي تتناول رجال «التصوف» و«أخبار الصـالحين والعبّاد» بـل دخلت في العديد من كتب التراجم العادية. . .

على أن هذا كله لا يعني أن تاريخ العصر لم يعرف ملامح فلسفة أخرى، عقلانية، ترتبط السببية فيها بالناس والأرض. يكفي أن نذكر المقريزي مثلاً وابن خلدون. على أن هذا الاتجاه جاء متأخراً جدًّا، جاء والمدارس التاريخية التي أبدعته ترسل آخر أشعة الغياب.

٥ ـ التسجيل التفصيلي للعصر كله: تميز الإنتاج التـاريخي للعصر كله بـالخصب الواسع للدرجة التي تطرح السؤال عن معنى تلك الظاهرة، والبحث عن تفسير لها: فهل هي نتيجة الشعور بشأن الأمة الإسلامية وأوليتها؟ أم هي بوادر ظهور الفكر الصحفي بشكل مبكر؟ أم هي محاولة تجذير جماعة لا جذور لها وإضفاء رداء الماضي وجلاله على حـاضر من الحكم السياسي ليس بذي جلال؟ أم أن التاريخ بتحدده اليومي كان المجال «الإبداعي» الوحيد والميدان الفرد الذي يمكن أن يأتي فيه العالم بجديد مع توقف الإبداع والأصالة في مجالات العلم الأخرى؟

لقد يكون كل عنصر من هذه العناصر قد ساهم بدوره وعلى طريقته في ظاهرة الخصب التاريخي. على أننا قد نستطيع أن نؤكد منها خاصة على ما سميناه بعنصر «التجـذير». فالواقع أن أبرز سلاطين المماليك والمغول وملوك اليمن على السواء اهتموا اهتماماً خاصًّا بالتاريخ، وبعضهم ألّف بنفسه فيه، كما شجع المؤرخين أن يؤلفوا له. ولم يكونوا في ذلك وحدهم ولكن جماعات واسعة من أبناء المماليك والمغول والفرس والهند والترك قد أسهموا الإسهام الواسع في هذا المجال.

وإذا كان من المفروض مبدئيًّا ألا يهتموا بالتاريخ العربي الإسلامي الواسع لأنـه لا يعرفهم، فهم لم يسهموا به، ولا عرفوا مراحله الأولى إن لم يكونوا حاربوه، بالإضافة إلى أنه يكشف غربتهم عن أهل البلاد، وعدم شرعيتهم في الحكم؛ إلا أن الإسلام نفسه فتح لهم الطريق واسعاً ليكونوا جزءاً أساسيًّا منه بسبب من مبدأ «التسوية» و«الأخوة» الإسلامية بين كافة المؤمنين. ومن هنا كان اهتمامهم أشد وأقوى بتاريخ الإسلام، لا من أجل البرهنة على حـرصهم الشديـد عليه فقط، وعلى تـدينهم الصادق، ولكن لـلاطلاع والاقتـداء والأسوة الحسنة. مجرد إسلامهم كان يسمح لهم أن يكونوا على مستوًى واحد في العراقة الإسلامية مع باقي المسلمين القدماء والمحدثين على السواء.

وقد تجلت ظاهرة الخصب التاريخي خاصة في:

أ ـ التدوين التفصيلي واليومي للأحداث والدخول في الجـزئيات ومـلء الصفحات الطويلة بمختلف الأخبار والوقائع، حتى لا يكاد يتسع المجلد الضخم لما يزيد عن أحداث

سنوات معدودة. فالجزء الرابع والأخير من كتاب «السلوك» للمقريزي مثلاً يقع في ١٢٣٧ صفحة من القطع الكبير تحوي أخبار ست وثلاثين سنة فقط من تاريخ مصر. والمجلد الباقي من كتاب «الإعلام في تاريخ أهل الإسلام» لأبي بكر بن قاضي شهبة (المتوفى سنة ٨٥١)، ويتناول تاريخ ما بين سنتي ٧٨١ - ٨٠٨، يقع في ٥٢٤ صفحة (مخطوطة بخط المؤلف في مكتبة أسعد أفندي باستامبول رقم ٢٣٤٥) والمجلد الأخير من ابن الفرات (وهو التاسع) لا يتحدث عن أكثر من ١١ سنة (٧٨٩ - ٧٩٩) مع أنه في ٤٨٠ صفحة، وآخر كتاب «مفاكهة الخلان» لابن طولون - يحكي حوادث ٤٢ سنة (٨٨٤ - ٩٢٦) في ٥٣٠ صفحة من القطع الكبير، والأجزاء الأخيرة من «بدائع الزهور» لابن إياس تمضي على النحو التالي:

- الجزء الثالث ويشمل أخبار السنوات ٨٧٣ - ٩٠٦ (٣٣ سنة) في ٤٧٧ صفحة.

- الجزء الرابع ويشمل الأخبار من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢١ (١٧ سنة) في ٤٩١ صفحة.

- الجزء الخامس وفيه الأخبار ما بين سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨ (سبع سنوات) في ٤٩٤ صفحة.

وهذه الوفرة في التدوين أقنعت بعض المؤرخين بأن يكتفوا بحوادث زمانهم فقط تذييلاً على السابقين. وهذا ما فعله:

- اليونيني مثلاً في «ذيل مرآة الزمان» الذي بدأه حيث وقف سبط ابن الجوزي سنة ٦٥٦، وانتهى به حسب النص الذي وصلنا إلى سنة ٧١١، أي حوادث حوالى نصف قرن ونيف في ما يزيد على ثلاثة آلاف صفحة، نشر الثلثان منها حتى الآن.

- البرزالي في «المقتفى» لتاريخ أبي شامة. بدأه بسنة مولده (سنة ٦٦٥) التي هي سنة وفاة أبي شامة، وانتهى به سنة ٧٣٨ في خمس أو سبع مجلدات، حسب ما يذكرون. القطعة الباقية منه والتي تصل حتى سنة ٧٢٠ مخطوطة في استامبول تقع في ١٢٥٤ صفحة، وتغطي خمساً وخمسين سنة.

- ابن حجر في «إنباء الغمر بأبناء العمر» الذي سجل فيه حوادث الزمان والوفيات من سنة مولده سنة ٧٧٣ حتى سنة ٨٥٠، أي قبل وفاته بعامين. فهو في الحوادث «يحسن كما قال صاحبه أن يكون ذيلاً على تاريخ ابن كثير، وفي الوفيات على الوفيات التي جمعها تقي الدين بن رافع». ويقع الكتاب في أكثر من ٢٤٠٠ صفحة تغطي أقل قليلاً من ثلاثة أرباع القرن.

- السخاوي في «التبر المسبوك» الذي ذَيَّل فيه على «السلوك» للمقريزي. وهو يغطي أخبار ١٢ سنة فقط، (ما بين سنة ٨٤٥ وسنة ٨٥٧) ويقع في أكثر من ١٩٠٠ صفحة مخطوطة من القياس الكبير وقد طبع بعضه

ـ ابن الحمصي الأنصاري في «حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران». جعله كالذيل على ابن حجر، وبدأه منذ مولده (هو سنة ٨٤١)، وينتهي به إلى سنة ٩٣٠، في أكثر من ألف ومائة صفحة . . .

ب ـ التدوين المتواقت: فشدة الرغبة في التاريخ وتدوينه قد أوجدت ما نستطيع أن نسميه بالتواريخ «المتواقتة» أو «المتوازية» أو «توائم» المؤلفات. وهي أن يكتب أكثر من مؤلف واحد تاريخ فترة محدودة عاشوها، وهكذا مثلاً:

ـ في الوقت الذي كتب فيه البرزالي تاريخه كان مؤلف آخر معاصر له، ومن بلده دمشق، يكتب تاريخ الفترة نفسها هو ابن الجزري. وكتابه «حوادث الزمان وأبناؤه» ينتهي بدوره سنة ٧٣٨.

ـ وفي الوقت الذي كان ابن حجر يكتب فيه «إنباء الغمر» كان الجوهري ابن الصيرفي يكتب بدوره «إبناء الهصر بأبناء العصر» مغطياً حوادث ما بين سنة ٧٨٤ إلى سنة ٨٤٩ بكتاب يوازي الأول، ثم عاد فكتب تاريخ الفترة نفسها في كتاب آخر هو «نزهة النفوس والأبدان» (وقد نشر الكتابين حسن حبشي).

ـ وفي الوقت الذي كان فيه السخاوي يكتب «التبر المسبوك» ذيلاً على السلوك، كان ابن تغري بردي يكتب «للسلوك» نفسه ذيلاً آخر يغطي الفترة نفسها التي غطاها السخاوي ما بين سنة ٨٤٥ وسنة ٨٥٧ باسم «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور» في أكثر من ٨٠٠ صفحة من القياس الكبير. وكان ثمة في اليمن من يكتب تاريخها الإقليمي ما بين سنتي ٨٥٤ وسنة ٨٧٠ وهو الداعي عماد الدين إدريس في كتابه «روضة الأخبار ونزعة السمار في حوادث اليمن الكبار في الحصون والأمصار».

ـ وكما كتب ابن الحمصي ذيله على ابن حجر، كتب في الوقت نفسه إبراهيم ابن علي البقاعي ذيلاً اخر بدأه حيث انتهى ابن حجر (سنة ٨٥٧)، ومضى فيه إلى سنة ٨٧٠ بعنوان «إظهار العصر لأسرار أهل العصر» تحتفظ مكتبة عارف حكمة بالمدينة بنسخة مخطوطة منها بخط المؤلف.

ـ وبينما كان ابن طولون يكتب حوادث عصره، وكان ابن الحمصي يكتب الحوادث نفسها أيضاً، كان مؤرخ ثالث يقوم بالمهمة ذاتها أيضاً. وهكذا قدم لنا ابن إياس المجلدات الأخيرة من كتابه «بدائع الزهور» التي تغطي تاريخ الفترة الممتدة من سنة ٨٧٢ حتى سنة ٩٢٨.

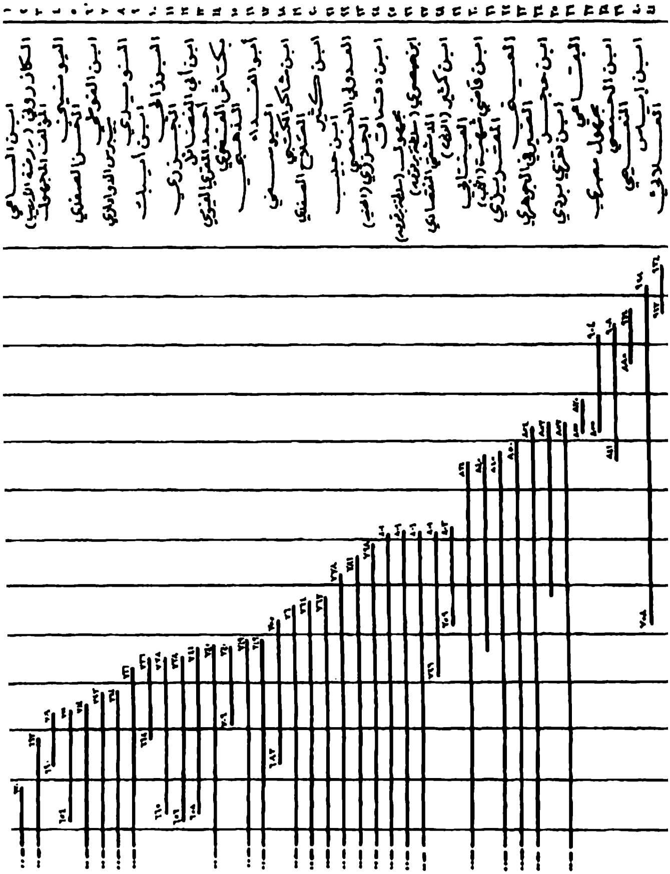
ج ـ وأخيراً التدوين التام، ونعني تغطية العصر كله بالتواريخ المعاصرة، فلا نكاد نجد في القرون المملوكية ـ المغولية، وفي ما بعدها بقليل من ثغرة أو فترة لم يظهر فيها كاتب

يكتبها عن عيان وشهادة. بلى قد لا تكون بعض هذه التواريخ شاملة عامة، ولقد يظهر في الكثير منها الطابع المحلي، أو تبرز صورة الحاكم في الإقليم الذي يكتب به المؤرخ دون غيره، ولكنا لا نعدم دوماً إشارات وأخباراً تتعلق بالأقاليم الأخرى، بل وبالمناطق غير الإسلامية أحياناً من أوروبا خاصة وبلاد الخزر أو المغل أو الحبشة أو الهند.

وهكذا مثلاً كتب ابن الساعي عن التاريخ إلى آخر عهده (سنة ٦٧٠) في تاريخه الذي زاد على ٣٠ مجلداً، وتلاه الكازروني فوصل في تاريخه «روضة الأريب» (وهو ٢٧ مجلداً) إلى قرب وفاته سنة ٦٩٧، ثم ذيل اليونيني على سبط ابن الجوزي فكتب ما بين سنتي ٦٥٤ و ٧١١، ثم وصل كل من البرزالي والجزري إلى سنة ٧٣٨، بعد أن كان ابن أيبك قد وقف في «كنز الدرر» عند سنة ٧٣٦، ثم وصل كل من أبي الفداء والذهبي إلى سنة ٧٤٨ وسنة ٧٤٩، وكتب اليوسفي سيرة الملك الناصر وعصره من حوالى سنة ٦٨٠ حتى سنة ٧٥٥ في ١٥ مجلداً، وأنهى ابن شاكر الكتبي كتابه «عيون التواريخ» وهو ٢٩ مجلداً بآخر سنة ٧٦٠، ثم وصل ابن كثير في «البداية والنهاية» إلى سنة ٧٦٧، وتابع العدولي الحمصي الكتابة حتى سنة ٧٨١، وجاءت بعد ذلك مجموعة من المؤرخين كتبت عصر السلطان برقوق (٧٨٤ ـ ٨٠١). كتبه ابن دقماق في نهاية كتابه «نزهة الأنام» كما كتبه التقاصدي الدمشقي وابن صصري الدمشقي وابن كثير (الابن) والجزري (الحفيد)...

ثم جاء ابن قاضي شهبة فكتب العصر الذي عاش، وجعله قرناً كاملاً ما بين سنة ٧٤١ وسنة ٨٤٠ في سبعة مجلدات كبار (موجودة معظمها بخطه في استامبول)، ثم وصل المقريزي في «السلوك» إلى سنة ٨٤٥، وتابع العيني في «عقد الجمان» (وهو في ٢٠ مجلداً)، وأرّخ كل من ابن حجر والخطيب الجوهري في الوقت نفسه لما بين سنة ٧٨٤ وسنة ٨٤٩، ثم لحقهما السخاوي وابن تغري بردي بالتاريخ لما بين سنتي ٨٤٥ - ٨٥٧، وانتهى البقاعي الدمشقي إلى سنة ٨٧٠. وجاء مجهول مصري فكتب ما بين سنتي ٨٧٣ ـ ٩٠٤، ثم دوّن ابن إياس في مجلدات «بدائع الزهور» تاريخ ما بين سنتي ٧٥٨ ـ ٩٢٨، وتواقت معه في التاريخ للقسم الأخير من هذه الفترة ابن طولون الدمشقي الذي كتب حتى سنة ٩٢٦ في كتابه «مفاكهة الخلان». والنعيمي الدمشقي أيضاً الذي كتب تعاليقه (المخطوطة) منذ سنة ٨٨٥ حتى سنة ٩١٤، وابن الحمصي الذي كتب حوادث الزمان ما بين سنتي ٨٤١ ـ ٩٠٨، ثم جاء العلائي فكتب ما بين سنتي ٩١٧ ـ ٩٣٤، ثم جاء ابن زنبل الرمال فأرّخ للفترة التالية والحكم العثماني الأول في مصر والشام، ثم تابع ابن كامل الشافعي والديار بكري والجنابي التاريخ حتى أواخر القرن العاشر، وهكذا.. ولعل المخطط التالي يكشف بوضوح هذه التغطية التاريخية الكاملة المتكاملة.

١ ـ ابن الساعي إلى عهده سنة ٦٧٠.



٢ ــ الكازروني «روضة الأديب» إلى سنة ٦٧٠.
٣ ــ المؤلف المجهول ٦٩٠ ـ ٧٠٩.
٤ ــ اليونيني من سنة ٦٥٤ حتى سنة ٧١١.
٥ ــ الحسن الصفدي حتى سنة ٧١٤.
٦ ــ ابن الفوطي حتى عهده سنة ٧٢٣.
٧ ــ بيبرس الدواداري حتى سنة ٧٢٤.
٨ ــ النويري حتى سنة ٧٣١.
٩ ــ ابن أيبك ٦٩٨ ـ ٧٣٦.
١٠ ــ البرزالي من سنة ٦٦٥ حتى سنة ٧٣٨.
١١ ــ الجزري من سنة ٦٥٦ حتى سنة ٧٣٨.
١٢ ــ ابن أبي الفضائل ٦٥٨ ـ ٧٤١.
١٣ ــ أحمد المقري الفيومي حتى سنة ٧٤٥.
١٤ ــ بكتاش الفخري من سنة ٧٠٩ إلى سنة ٧٤٥.
١٥ ــ الذهبي سنة ٧٤٩.
١٦ ــ أبو الفداء حتى سنة ٧٤٩.
١٧ ــ اليوسفي من سنة ٦٩٣ حتى سنة ٧٥٥.
١٨ ــ ابن شاكر الكتبي إلى آخر سنة ٧٦٠.
١٩ ــ الصلاح الصفدي حتى عهده؟ سنة ٧٦٤.
٢٠ ــ ابن كثير إلى سنة ٧٦٧.
٢١ ــ ابن حبيب من سنة ٦٤٨ حتى سنة ٧٧٨.
٢٢ ــ العدولي الحمصي إلى سنة ٧٨١.
٢٣ ــ الجزري (الحفيد) ذيل على ابن كثير حتى سنة ٧٩٨.
٢٤ ــ ابن دقماق حتى سنة ٨٠١.
٢٥ ــ مجهول (سلطنة برقوق) حتى سنة ٨٠١.
٢٦ ــ ابن صصري (سلطنة برقوق) حتى سنة ٨٠١.
٢٧ ــ الدمشقي التقصادي من سنة ٧٢٩ حتى سنة ٨٠١.
٢٨ ــ ابن كثير (الابن) من سنة ٧٥٩ حتى سنة ٨٠٣.
٢٩ ــ العينتابي حتى وفاته ٨٣٤.
٣٠ ــ ابن قاضي شهبة من سنة ٧٤١ حتى سنة ٨٤٠.
٣١ ــ المقريزي حتى سنة ٨٤٥.
٣٢ ــ العيني حتى سنة ٨٥٠.
٣٣ ــ الصيرفي الجوهري حتى سنة ٨٥٤.

٣٤ ــ ابن حجر من سنة ٧٧٣ حتى سنة ٨٥٧.
٣٥ ــ ابن تغري بردي حتى سنة ٨٥٧.
٣٦ ــ البقاعي من سنة ٨٥٥ حتى سنة ٨٧٠.
٣٧ ــ مجهول مصري من سنة ٨٥٥ حتى سنة ٩٠٤.
٣٨ ــ ابن الحمصي من سنة ٨٤١ حتى سنة ٩٠٨.
٣٩ ــ النعيمي من سنة ٨٨٥ حتى سنة ٩١٤.
٤٠ ــ ابن إياس من سنة ٧٥٨ حتى سنة ٩٢٨.
٤١ ــ العلائي من سنة ٩١٧ حتى سنة ٩٣٤.

على أنّا يجب أن نضيف، على أي حال، أننا لم ندخل في هذا الاستعراض الكثير من كتب تراجم الحكام، ومن كتب التاريخ الصغرى، وكلها تصلح صلة وصل وتاريخ فترة.

٦ ــ غياب مواضيع الجدل الديني، فقد تضاءلت كتب الإمامه وشروطها ومن يصلح لها، والجدل في صاحب الحق فيها، كما تضاءلت الكتب الباحثة في الفرق الدينية وتوزعها وأفكارها، فهذه وتلك لا تجاوز في مجموعها في العصر كله عدد أصابع اليد الواحدة.

ولعل السبب في ذلك أن «مشكلة» الخلافة، ومن له «الحق» في الحكم قد انتهت، وخاصة بعد سقوط بغداد، وحلّت محلها مشكلة «من يحكم» بالفعل. لم يعد الحاكم في مصر والشام، ولا في العراق وإيران، لا قرشيًّا ولا عربيًّا أصلاً، ولا حتى خليفة أو إماماً يحمل جلال الدين، ولكنه أضحى من مغامري «الجند» الذين تتكوّن كتلتهم الكبرى والمسيطرة من «المماليك» آلات الحرب والقتال. فكان العاملون في التاريخ يحتاجون فقط إلى معرفة ما يجري، في نوع من التسجيل الصحفي، ويهدفون أحياناً إلى الدعاية للحاكم، وتبييض صفحته بالعدل والجهاد والتقى؛ فظهرت كتب الدعاية للحكام، كما كان المؤرخون يريدون إلى بيان استمرار الفكر الإسلامي، على توهجه وارتباطه بالعروة الوثقى من الدين، وبالمثل العليا السالفة من الثقافة، فكان من ذلك الاهتمام بتراجم العلماء والقضاة والصالحين والأدباء. أما السؤال عن «شرعية» الحكم السياسي، وتحليل أعمال الرجال وأحوال الناس في موضوعية، والجدل الفكري الحي حول مواضيع الخلاف فقد خمد. . . الذين حاولوا إثارة العواصف في ذلك البُحران الهادىء من مجتمع الناس لقوا أعنف الخصومة. أوَ لسنا نذكر مثلاً ما لقي ابن تيمية وابن عبد السلام وابن دقيق العيد؟

والواقع أن مواضيع الخلاف العقائدي كانت ما تزال موجودة، ولكن في شكلها الهادىء المطمئن. وهكذا حلّت محلّ كتب الإمامة والفرق وما يشبهها كتب التعليم السياسي التي تعلم الحكام ـ وهم في معظمهم غرباء في أصولهم عن الإسلام، وحديثو الاعتناق له ـ كيف يكون الحكم الإسلامي المثالي، كما ظهرت من الطرف السُّنّي كتب فضائل الصحابة،

التي قابلها من الجانب الشيعي كتب فضائل آل البيت، ومؤلفات الجانبين كان هدفها ـ في الغالب، إثبات الوجود لا طلب الحكم السياسي أو دعمه أو رفضه.

٧ ـ بروز علم الرجال: كان علم الرجال قد نما وتكوَّن كعلم هام بين علوم الدين قبل العصر المملوكي ـ المغولي بزمن طويل، إلا أنه في هذا العصر أخذ معنًى خاصًا يميزه عن معناه في العصور السابقة. كان الاهتمام بالرجال من قبل إنما ينصبُّ، بصورة خاصة، على حملة الحديث ورواته. على أنه حين جاءت مطالع العصر المملوكي ـ المغولي كانت روح التسوية الإسلامية قد أعطت الكثيرين جدًا من «الأفراد» في المجتمع الإسلامي إمكانية البروز دون حرج أو مدافعة من أحد سواء على الصعيد السياسي أو الصعيد الديني ـ الاجتماعي... مجالات السياسة والدين والمجتمع والاقتصاد كانت مفتوحة لكل ذي إمكان. وقد بلغ ذلك الانفتاح أقصى درجاته مع وصول المماليك إلى الحكم، وتحول الخلفاء إلى موظفين دينيين تحت جناحهم.

أضحى الفرد في المجتمع الإسلامي هو القيمة... وبقدر ما يملك من القوة بالتعاون مع الجماعة التي تماثله من عسكرية أو دينية أو اقتصادية، كان يبرز.

وإذا كانت التركيبة السياسية المملوكية خاصة تقوم على «أفراد» مغامرين لا جذور لهم ولكنهم من ذوي الكفايات في الحرب أو في التآمر ـ فإن التركيبة الدينية ـ الاجتماعية كانت بدورها تقوم على «أفراد» من جمهور الناس ولكنهم انصرفوا ـ في نوع من التعويض عن السلطان السياسي، إلى السلطان الديني وبرزوا فيه.

كان ثمة، في الواقع، خطان متوازيان ـ وإن يكونا غير متكافئين ـ من خطوط القوة والسيطرة والبروز: خط السيف الذي يصل بصاحبه إلى سيطرة السلطنة، وخط العلم الذي يصل بحامله إلى قمة النفوذ الديني، وإن تكن هذه القمة دون تلك السدة في تسلسل القيمة والسلطان. وإذا كان رجال السياسة يفرضون أنفسهم بواقع القوة على الناس ويتصرفون بمصائرهم، فإن أهل العلم (والمؤرخون بعض منهم) كانوا في نوع من الانتقام، ومن التعويض النفسي، ومن إثبات الوجود، يفرضون أنفسهم في الميدان الآخر، ويسجلون وجودهم هذا، في إصرار وتوسع في ما يدوّنون. كانوا يقيمون بذلك نوعاً من التوازي في الشأن والقيمة ما بين السلطة السياسية والسلطة الدينية. ويستغلون جهل الحكام بالدين وحداثة معرفتهم به ليقاسموهم السلطان والهيبة بين الناس... وليقاسموهم أحياناً المنافع ورفاه العيش. ومن هنا فإن كثافة الاهتمام بعلم الرجال كانت إثباتاً لخطاب الجماهير المحكومة في وجه الفئات الحاكمة، وتأكيداً لقيمة حملة الدين في وجه أصحاب السياسة والحكم. كان التأكيد المتزايد على العلماء والرجال نوعاً من الاحتجاج الصامت على بروز الحاكم السياسي، وكانت سير العلماء الكبار والأولياء تمتد وتعطي البعد الروحي على العالمين، لتعادل وتوازن سلطان الحكام السياسيين على الناس، بل صار العلماء طبقات ووظائف

كرجال الحكم، وصار لبعضهم كالصوفية نظام محدد، ومراتب متدرجة، على رأسها خليفة وسلطان وله المقدمون والنقباء. . . ولقد كان المؤرخون في جمهرتهم من علماء الدين ومن كبار الموظفين. والأقلام التي تكتب إنما هي بأيدي هؤلاء. ولعل هذا ما يفسر تلك الكثرة الواسعة في أعداد العاملين على التاريخ منهم، حتى لنستطيع أن نعدّ ما بين القرنين الثامن والتاسع، من التاريخ الإسلامي، فترة العصر الذهبي للتاريخ. لقد كانا قرني التاريخ بامتياز. لم يتفق أن اجتمع في عصر واحد من قبل مثل تلك الجماعة من أمثال: ابن الفوطي والبرزالي والجزري والذهبي والصفدي وابن شاكر الكتبي وابن كثير وابن أيبك والخزرجي والنويري والعمري ثم القلقشندي وابن قاضي شهبة والمقريزي وابن حجر وابن تغري بردي والعيني والخطيب والجوهري والكناني والسخاوي وابن الفرات والسيوطي. . . ولعل تمسك العلماء بالتاريخ، وتاريخ الرجال بالذات، إنما كان الجواب الممكن الوحيد على افتقاد المجتمع الإسلامي في تلك العصور لسلطاته السياسية[1].

٨ ـ تحول المدارس التاريخية التقليدية في المراكز وفي الشأن: فقد نجم عن اتجاه بغداد نحو الشرق بعد سقوطها بيد المغول أن مراكز النشاط التاريخي قد هربت منها تدريجيًّا نحو الغرب. وبالرغم من أنها احتفظت لنفسها بمركز الريادة التقليدي مدة تزيد على نصف قرن بعد سقوطها، وأطلعت بين من أطلعت من المؤرخين الكبار ابن الساعي ثم الكازروني ثم ابن الفوطي ثم ابن معية الحلي، إلا أنها لم تستطع الاحتفاظ بمركزها الآمر الجذاب أكثر من ذلك بكثير، وغادرها العلماء، كما غادرتها الأنوار في اتجاهين:

أ ـ فبعضها اتجه غرباً مع حملة الثقافة العربية إلى دمشق والقاهرة حيث تقاربت المدرستان الإقليميتان القديمتان في هذين الإقليمين حتى درجة التوحد عن طريق تبادل العلماء والمؤرخين دون انقطاع، والتبعية لنظام سياسي واحد. وما أصاب القاهرة من الازدهار الفكري كعاصمة للمماليك أصاب دمشق باعتبارها العاصمة الثانية في الإقليم المملوكي الثاني بل أصاب عدداً من المدن الشامية الأخرى مثل حماة وحلب.

ب ـ وبعض الأنوار اتجه شرقاً إلى إيران، حيث كانت اللغة الفارسية قد توطدت بعد قرنين من الحكم السلجوقي والخوارزمي. فلما جاء المغول لم يستطيعوا إلا تبني هذه اللغة. وبعد أن كانت لغة السياسة والبيت فقط أضحت لغة الثقافة والعلم. وبالرغم من أن اللغة العربية بقيت لها حرمتها كلغة للقرآن والدين، وبقي العلماء على تعلمها وأحياناً على التأليف بها في أمور الدين خاصة، إلا أنهم انصرفوا في الأدب والتاريخ إلى الكتابة بالفارسية.

---

(١) أهملنا عامدين هنا ذكر الجماعة الثالثة من القوى في المجتمع الإسلامي المملوكي، وهي جماعة التجار ومالكي المال والأرض (وكان من بينها الجماعات الذمية المسيحية واليهودية) ذلك أنها انصرفت إلى الاستغلال الاقتصادي فلم يكن لها من همٍّ لا في عمليات السياسة والحكم، ولا في الذكر بالتاريخ.

وهكذا بينما تمزقت وذابت مدرسة بغداد التقليدية التي كانت عماد مدارس التاريخ الإسلامي، قام تنظيم جديد في هذا العصر يمكن أن نميز فيه بصورة أساسية مجموعتين من المدارس:

الأولى ـ فارسية لأن الكثرة الكاثرة من إنتاجها إنما كتب بلغة الفرس، ومع أن بعض هذا الإنتاج كتب بالعربية، وخاصة في العراق، إلا أن مركز الثقل في التدوين التاريخي لحق بالأسر الحاكمة وانتقل معها إلى أطراف الهضبة الإيرانية حيث نشأت حول البلاطات خاصة عدة مدارس محلية منفصل بعضها عن بعض ومتنافس بعضها مع بعض. فمدرسة في طبرستان، وأخرى في كرمان، وثالثة في هراة، ورابعة في سمرقند، وخامسة في دهلي بالهند... ولكنها جميعاً تكتب بالفارسية وحدها...

واغترب بذلك التاريخ الإسلامي في هذه البقاع وراء حجاب اللغة، اعتباراً من هذه القرون، وانقطع عن تاريخ البلاد الإسلامية الممتدة في غرب العراق والذي استمر بالطبع يكتب بالعربية.

الثانية ـ عربية، تابعت المسيرة في إطار الثقافة العربية الإسلامية التقليدية وكان محور القاهرة ـ دمشق هو العمود الفقري فيها، وإن كانت تمتد في الرقعة الجغرافية ما بين جبال اليمن وأرض الروم والصحراء الغربية في مصر.

غير أننا نستطيع أن نلاحظ، قبل الإيغال في دراسة خيرات هذه المجموعة ورجالها وإنتاجها، الملاحظات الآتية:

١ ـ ماتت بالتدريج المدرسة المسيحية. لا يكاد يمضي قرن على مطلع العصر المملوكي حتى ينتهي آخر مؤرخ مسيحي، فلا يظهر من بعده مؤرخ آخر حتى مطالع العصر الحديث مع الدويهي أواخر القرن السابع عشر.

٢ ـ تابعت المدرسة اليمنية تفردها الذي سبق أن تميزت به، وعرفت خلال هذه القرون عهداً من الازدهار لم تعرفه من قبل ولا من بعد.

٣ ـ نشأت على جناحي المدرسة المصرية ـ الشامية من الجانبين مدرستان متصلتان بها، وقد تكونت واحدة منهما على الأقل على حسابها:

المدرسة الأولى في الحجاز ـ وهي مدرسة نمت بسبب المكانة الدينية الخاصة للحرمين الشريفين. وإذا عنيت خاصة بتاريخهما، فقد أخذت عناصرها العلمية في كثير من الأحيان من رجال المدارس الأخرى الذين هاجروا للمجاورة في الحجاز عند الحرمين.

المدرسة الثانية ـ الرومية في الأناضول: ولم تكن بذات وجود ولا رجال معروفين في القرنين السابع والثامن، ونعني في ظل سلاجقة الروم الذين كانوا قد أقاموا دولتهم هناك منذ أواخر القرن الخامس، وكان عملهم الثقافي الأساسي توطيد الإسلام واللغة التركية في تلك

المنطقة. فلما برز العثمانيون هناك في القرن التاسع على حساب السلاجقة وأخذوا مكانهم، ثم لما انساح العثمانيون في البلاد العربية منذ مطالع القرن العاشر (السادس عشر الميلادي) وانتقل مركز الثقل الإسلامي من القاهرة إلى استامبول، برزت المدرسة الرومية من حول سلاطين بني عثمان. ولهذا كثيراً ما كتبت باللغة التركية مرضاة لهم، داخلة من التاريخ الإسلامي في غربة لغوية أخرى...

إن بحث هذه المدارس ورجالها وإنتاجها هو موضوع الفصول التالية.

المدرسة المصرية ـ ١
حتى المقريزي

كما ورثت القاهرة بغداد، حتى في خلافتها العباسية فاحتوتها بعد احتلال المغول لعاصمة بني العباس؛ كذلك ورثت، بين ما ورثت، زعامتها للمدارس التاريخية الإسلامية، في العصر المملوكي ـ المغولي التركماني، وحلّت مدرسة مصر محل مدرسة بغداد في تلك الزعامة. أسهم في ذلك أكثر من سبب. وبين تلك الأسباب ما هو سياسي، كما أن بينها ما هو اقتصادي، وما هو ثقافي واجتماعي.

وإذا اشتركت مدرسة مصر مع المدارس الإقليمية الأخرى لهذا العصر، في الملامح العامة التي سلفت حتى الآن، فالواقع أن هذه الملامح إنما كانت من صنع المدرسة المصرية نفسها بالاشتراك مع المدرسة الشامية. هاتان المدرستان هما اللتان طبعتا بطابعهما التدوين التاريخي في المشرق الإسلامي في العصر المملوكي ـ المغولي التركماني وأعطتاه الميزات التي تميز بها. وما كانت المدارس الأخرى، في اليمن والحجاز والروم، بل وفي العراق العربي سوى مدارس ثانوية تابعة أو لاحقة.

ومع ذلك فقد بقيت للمدرسة المصرية، كما بقيت للمدارس الأخرى ميزات خاصة بها تعطيها طعمها الخاص، وتميزها الإقليمي. وليست هذه الميزات بالجديدة فهي عريقة في تقاليد التاريخ في مصر، لأن المدرسة المملوكية المصرية هي على الأقل استمرار لهذه المدرسة الإقليمية نفسها في العصور السابقة أيام العباسيين والفاطميين والأيوبيين. ولا نحتاج بالطبع إلى تكرار الإشارة إلى أننا إنما نستعمل على الدوام كلمة مدرسة تجوّزاً وتوسعاً وبالمعنى الجغرافي خاصة، وأن الفروق في العملية التاريخية، في تلك العصور بين إقليم وآخر كانت أقل من أن تشكل تياراً فكريًّا أو منهجيًّا مميزاً، وإنما هي، على الأغلب، فروق في مدى التأكيد على لون دون آخر من ألوان التاريخ. وعلى قطر عربي معين دون آخر.

الملامح العامة

تستطيع أن تحصي، في مصر المملوكية، وما بعدها بقليل حتى مطالع القرن الحادي

عشر للهجرة، ما يقرب من ثلاثمائة رجل عمل في التاريخ، وحوالى ٧١٠ مؤلفات فيه. وهي أرقام ليست بالقليلة على امتداد فترة لا تزيد على ثلاثة قرون وثلث القرن. وبالإضافة إلى هذا فالمؤلفون في التاريخ، في مصر، شكلوا أكثر من ربع مؤرخي المشرق الإسلامي في تلك الفترة، كما أن أعمالهم تقارب ثلث كتب التاريخ التي كتبت فيها(١). وهذا بدوره تعبير عن الثقل الهام لإنتاج مصر التاريخي في ذلك العصر. ويمكن أن نسجل على هذا الإنتاج بصورة عامة الملاحظات التالية:

١ ـ عمل على التاريخ في مصر، في العهد المملوكي ثلاث فئات:

الأولى ـ موظفو الدواوين: وقد اهتمّ هؤلاء بأمرين بصورة خاصة هما سير الحكام والسلاطين، وتعليم ناشئة الديوان صناعة الكتابة وأدواتها الثقافية، والتي يشكل التاريخ جانباً هامًّا منها. وهكذا قدمت لنا هذه الفئة المؤرخة مجموعة من السير السلطانية وغيرها تزيد على ٣١ سيرة، كما قدمت مجموعة من كتب التعليم الديواني بلغ بعضها من الضخامة أن أضحى موسوعات كبرى تصل العشرين والثلاثين مجلدة، كـ «نهاية الأرب» للنويري، و «مسالك الأبصار» للعمري، أو على الأقل «صبح الأعشى» للقلقشندي.

الثانية ـ علماء الدين: وكان شغلهم التاريخي يتجه بخاصة إلى التراجم وعلم الرجال، وتعليم الناشئة الدينية كل ما يتعلق برواة الحديث والحفاظ، السابقين منهم واللاحقين والمعاصرين. ويتوسعون أحياناً فيشملون باهتمامهم جميع المعاصرين من ساسة وكتاب وتجار وأهل تقى ونسك. وهكذا وقعت لنا ثروة واسعة من كتب الرجال بشكل طبقات ووفيات ورجال قرون معينة ومشيخات ومعاجم شيوخ بلغت حوالى مائة كتاب في التراجم، ومائة وعشرة كتب في الطبقات، ومائة وتسعة وعشرين في السير المختلفة (بما في ذلك السيرة النبوية).

الثالثة ـ أولاد الجند: فإن الجند المملوكي الذي كان الجيل الأول منه على الدوام أجنبيًّا على الثقافة العربية، جديداً في الإسلام كان يدخل، في الجيل الثاني منه، في هذه الثقافة ويتبناها بعمق إرادي؛ وغالباً ما كان أبناء هذا الجيل الثاني من الميسورين الذين ترك لهم آباؤهم بعض الثروة، فكان بعضهم يحاول أن يتميز في الوسط الثقافي ما دام قد فاته أن يتميز في الجندية. وكان التاريخ بصورة عامة أهون العلوم مركباً، بالإضافة إلى أنه، بسبب من طبيعته التراكمية، قابل لإعطاء الجديد فيه على الدوام، مع تحدد الأحداث والأيام. لهذا كان ميداناً مغرياً لأمثال ابن تغري بردي وبيبرس المنصوري الدواداري وابن أيبك ومغلطاي وابن دقماق وأمثالهم. وكان اهتمامه منصبًّا في غالب الأحيان على الأحداث السياسية وأخبار المعارك والسلاطين ونزاعات الأمراء والحياة العامة. وبعض ما أنتج هؤلاء كان موسوعات

---

(١) ينظر للاستئناس ما في مطالع الفصل العشرين من أرقام إحصائية ونسب مئوية.

تاريخية ضخمة وسعت تاريخ الإسلام بصورة خاصة، ووقعت في مجلدات كثيرة وصل بعضها العشرين أو الخمسة والعشرين من المجلدات (كتاريخ بيبرس المنصوري).

٢ ـ عني المؤرخون المصريون عناية واضحة بتاريخ مصر. النظرة الإقليميه كانت تجتذب أقلامهم واهتمامهم أكثر بكثير من النظرة البشرية العامة أو الإسلامية الشاملة، حتى أولئك اللذين كان محتوى كتبهم التاريخية إسلاميًا عامًا. فإن ابن تغري بردي كان عنوان تاريخه هو «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، وكان ينطلق إلى البلاد الإسلاميه من خلال مصر ومن زاويتها الإقليمية. وبعضهم تخصص، كالمقريزي، بالتاريخ المصري فإذا كتب «كتاب السلوك في معرفة دول الملوك» كان أكثر المحتوى ألذي ضمّه كتابه متعلقاً بأحداث مصر نفسها، وإذا تناول بعض التواريخ الأخرى، في مؤلفات خاصة، فإنما كان يهتم بها بمقدار ما تتعلق بمصر اقتصاديًا أو سياسيًا... وهذا كله يذكرنا ببعض المؤرخين البغداديين المتأخرين كابن الجوزي اللذي كانت الأمم والملوك كلها بالنسبة إليه هي بغداد. وقد يكون لهذه النظرة «المصرية» أسبابها الجغرافية والتاريخية العريقة، لكنها في كل الأحوال أيضاً استمرار للمدرسة المصرية السابقة من جهة واعتزاز بمركز مصر السياسي والاقتصادي من جهة أخرى. فهي مقر السلطنة والخلافة، وقطب الدنيا الإسلامية المشرقية وأكبر موقع اقتصادي عالمي بين الشرق والغرب.

وهكذا نستطيع أن نعد أكثر من ٣٨ تاريخاً لمصر وباسمها. وبعضها أراجيز شعرية، أو شروح على هذه الأراجيز؛ هذا إذا لم نضف إليها الخصوصية المصرية الواضحة في كتب التاريخ العامة وهي أكثر من ثمانين تاريخاً، عدا المختصرات، وفي تواريخ المدن والدول وهي أكثر من ثلاثين. ومن أبرز المؤرخين لمصر ابن ميسر (المتوفى سنة ٦٧٧)، والدواداري (سنة ٧٢٥)، والقطب الحبي (سنة ٧٣٥) الذي كتب تاريخ مصر في عشرين مجلداً لو كمل[1]، وابن الدريهم (سنة ٧٦٢)، والأوحدي (سنة ٨١١)، وقد بزَّ الجميع دون شك المقريزي (سنة ٨٤٥)، وغطى على اللاحقين أمثال: السخاوي (سنة ٩٠٢)، والطولوني (سنة ٩٠٩)، وابن إياس (سنة ٩٣٠)، وابن عبد السلام (سنة ٩٣١)، والعثماني (سنة ٩٦٥)، والمنهاجي (سنة ٩٦٦) وغيرهم...

٣ ـ بجانب تاريخ مصر ومن خلاله ومعه، عني مؤرخو القطر المصري بكتابة التاريخ العام، الإسلامي والعالمي على السواء، وإن كانوا أحفل بالإسلامي وأكثر تأليفاً واهتماماً منهم بالتاريخ الشامل للأمم الأخرى. وقد لا نحتاج إلى تفسير ظاهرة «العمومية» هذه لدى المؤرخين إذا تذكرنا الشعور العام السائد في دولة المماليك التي كانت تتوسط العالم

---

(١) ابن حجر ـ «الدرر الكامنة» ج٣ ص١٢. وهذا التاريخ على التراجم ومنظم على الحروف، وانظر أيضاً السخاوي ـ «الإعلان» ٦٤٦.

الإسلامي، وتعتبر نفسها وارثة الخلافة العباسية وعمود الإسلام، لا سيما بعد تضاؤل الأضواء حتى الانطفاء في الأندلس، وانعزال المغرب بسياسته، واتجاهات اهتمامه، وتحول المشرق الإسلامي إلى أيدي المغول، ثم التركمان، وتلك الصبغة الرومية ـ الأوروبية التي كانت تأخذها الدول العثمانية أكثر فأكثر، مع الأيام.

ونستطيع أن نحصي في مصر المملوكية ما يزيد على ثمانين مؤلَّفاً في التاريخ العام (العالمي والإسلامي) ما بين مطول ومختصر. وبالرغم من أن هذه الكتابة المستجدة للتاريخ العام لم تأت بجديد، فإن المؤلفين عمدوا أحياناً كثيرة إلى الجمع الواسع للدرجة التي تضخمت فيها مؤلفاتهم أوسع التضخم، ولا سيما في فترات السيرة النبوية والفتوح وفي أخبار العصور المتأخرة بعد ذلك (السادس الهجري وما بعده). كما تضخمت بإضافة الوفيات إليها والتوسع أحياناً في تلك الوفيات. وهكذا مثلاً كتب المنصوري (بيبرس الدواداري المتوفى سنة ٧٢٥) تاريخ «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» في ٢٥ مجلداً رآها السخاوي في المدرسة المؤيدية[(١)]، وكتب النويري (المتوفى سنة ٧٣٢) القسم التاريخي من موسوعته «نهاية الأرب» في ٢١ مجلداً، وكتب ابن أيبك (المتوفى سنة ٧٣٦) كتابه «كنز الدرر» في تسع مجلدات ضخام، ووضع ابن الفرات الزواوي (المتوفى سنة ٧٤٣) مشروعاً للتاريخ العام من المبتدأ كتب منه عشر مجلدات قبل أن يدركه الأجل ثم مشروعه التاريخي الضخم «تاريخ الدول والملوك» الذي «بيض منه المئات الثلاثة الأخيرة فقط في نحو عشرين مجلداً وانتهت كتابته إلى سنة ٨٠٤هـ. / ١٤٠٠م.» حسب شهادة السخاوي الذي يضيف: «وأظن لو أكمله لكان ستين» مجلداً[(٢)] ولكنه توفي سنة ٨٠٧، وكتب ابن دقماق (توفي سنة ٨٠٩) «نزهة الأنام في تاريخ الإسلام» في اثني عشر مجلداً.

وكتب ابن تغري بردي (توفي سنة ٨٧٤) كتاب «النجوم الزاهرة» في أكثر من ١٥ مجلداً، وجمع الكناني العسقلاني (المتوفى سنة ٨٧٦) كتابه الأوسع «النشر في التاريخ» في ٤١ مجلداً لكل قرن تصنيفان: واحد على الحروف وآخر على السنين[(٣)]. ومن المؤسف أن عدداً من هذه المشاريع التاريخية قد أجهض وانقطع لأنه كان أضخم من أن يتسع لإنجازه عمر المؤرخ الذي تصدى له، أو ضاع كله (الكناني) أو بعضه (ابن الفرات) بسبب ضخامته نفسها.

وإذا لم تقدم هذه القوافل من المجلدات جديداً يتعلق بالعصور السابقة لأيامها، فإنها تحتفظ بشأن كبير في ناحيتين:

---

(١) السخاوي ـ «الإعلان» ص٦٧٩.

(٢) المصدر السابق ص٦٨٠.

(٣) العزاوي ـ «التعريف بالمؤرخين» ص٢٤٨.

الأولى ـ ما نقلته من كتب التاريخ السابقة المفقودة وبعضها كما لدى المنصوري والنويري وابن الفرات نصوص نادرة لم نعرف حتى بوجود أصحابها لولا هذه المقتطفات

الثانية ـ التاريخ المعاصر، فإن التنافس وكثرة المؤرخين واتساع الطلب على التاريخ وتحوله، مع توالي السنوات، إلى أن يصبح المجال الإبداعي الوحيد، كل ذلك قد دعا إلى الإغراق في ذكر التفاصيل والتوسع في ذكر الحوادث اليومية أحياناً. ولكن ذلك عاد على العملية التاريخية بالكثير من الخصب، وأدخل ضمن الخبر التاريخي ميادين جديدة تتجاوز الحدث السياسي إلى الظواهر الحضارية المختلفة في مجال الفكر والاقتصاد والنظم والحياة الاجتماعية.

٤ ـ وبرزت بوضوح عناية المؤرخين في مصر بالتراجم أكثر بكثير من ذي قبل، وأضحى علم الرجال هو الوجه الأول وأحياناً الوجه الأكثر شأناً في التاريخ، ولا سيما لدى أهل الثقافة الدينية. وإذا كان ذلك استمراراً للتقاليد الموروثة في علم الحديث والرواية، فإنه كان في الوقت نفسه باباً من ابواب التأصيل للمؤسسة المشاركة في الحكم مع المؤسسة العسكرية، ونعني المؤسسة الدينية. فإن السلطة التي وقعت منذ مطلع العصر المملوكي في أيدي طبقة الجند «الغرباء» عن المجتمع الإسلامي الأصيل وحضارته ونظمه، كانت في حاجة إلى المساندة من طبقة رجال الدين الذين شكلوا مع الأيام مؤسسة دينية سياسية تسلمت جانباً أساسيًّا من جوانب الإدارة في المجتمع المملوكي، وصارت لها تنظيماتها الموازية إلى حد كبير للتنظيمات العسكرية ـ الإدارية المملوكية، وصارت لها سلطاتها ووظائفها المحددة وعائداتها ونفوذها الواسع اعتباراً من قاضي القضاة، إلى مؤذن المسجد وإمامه، بما في ذلك ناظر الوقف، وناظر المدرسة، ومدرّس المادة الفلانية، أو المدرسة الفلانية، بل صار لبعض رجال هذه الطبقة سلطات غيبية ميتافيزيكية سمحت للخيال الشعبي الديني أن يعطيها بنوع من التوازي مع النظام السياسي لقب «السلطان» ولقب «القطب» ولقب «البدل» من خلال المنظور الصوفي.

وكان طبيعيًّا، مع ظهور «تراجم» السلاطين والخلفاء والأمراء، ورجال الدولة على المستوى السياسي، أن تظهر وتزداد وتتسع وتتوطد بالمقابل وعلى التوازي تراجم وأخبار من صاروا في النظام الإداري ـ السياسي العام «شيوخ الإسلام» و «قضاة القضاة» أو «القضاة» أو «الأئمة» أو «الحفاظ» أو «الأقطاب» و«الأبدال». وهكذا لم يكن بالغريب أن يؤلف المؤرخون في مصر المملوكية وأهل الدين منهم خاصة حوالى ٧٥ كتاباً في الرجال، وخمسة وعشرين مختصراً وذيلاً في الموضوع نفسه، و ٧٦ مؤلفاً في طبقات أهل المذاهب والمتصوفة والقضاة والعلماء، عدا سبعين كتاباً في السير المفردة للعلماء والمتصوفة، وعشرين من المشيخات، إذا لم نذكر بجانب ذلك ما كتبوا في السيرة النبوية (٢٨ مؤلفاً)، وفي آل البيت (٤ كتب)،

وفي الأنساب (٩ كتب)، وما أُلِّف حول بعض الأسماء (فيمن اسمه الحسن، أو عبد المؤمن، أو عوض...).

إن هذه المؤلفات بالإضافة إلى تأصيلها الطبقة الحاكمة الدينية قدمت الكثير في ثنايا التراجم عن الحياة الاجتماعية، والطبقات، والنظم، والعلاقات المجتمعية ـ الاقتصادية، وأسهمت بصورة غير مباشرة في إضاءة الكثير من جوانب الحياة والحضارة في العصر المملوكي.

٥ ــ وتؤدي بنا الملاحظتان السابقتان إلى هذه الملاحظة التالية، وهي توسع المنظور التاريخي في مصر المملوكية في الاتجاه الحضاري. فإذا كانت كثرة التفاصيل التي يوردها المؤرخون في تواريخ الأحداث السياسية، وفي كتب التراجم والرجال، قد أدخلت في التاريخ، بصورة غير مباشرة، العديد من ملامح التاريخ الحضاري، فإن ذلك لم يكن المجال الوحيد الذي سجل المؤرخون من خلاله جوانب الحضارة في عصورهم، فقد طرقوا مواضيع مختلفة، وجوانب شتى من القطاعات الاجتماعية، كانت تصبُّ كلها بصورة مباشرة أو غير مباشرة في الإطار الحضاري.

وقد لا نجد، ضمن هذا المجال، أعداداً كبيرة من المؤلفات، ولكننا نجد عدداً واسعاً من المواضيع المطروقة المتنوعة منها:

أ ــ التعليم السياسي: وقد كتب في مصر المملوكية أكثر من ٢٢ كتاباً في هذا الموضوع تقدم النماذج المثلى لسياسة الرعية ضمن إطار الشرع الإسلامي. ولا شك أن «غربة» السلاطين المماليك عن المجتمع الإسلامي، وعن المعرفة المتعمقة بالدين، وبتاريخ الإسلام، هي التي كانت تدفع العلماء لكتابة هذه الكتب من جهة، كما كانت تدفع السلاطين لتقبلها القبول الحسن من جهة أخرى. ومن هذه الكتب مؤلفات ابن عبد الظاهر (المتوفى سنة ٦٩٢)، والعباسي (المتوفى سنة ٧٠٨)، وكتب ابن جماعة الستة (المتوفى سنة ٧٣٣)، وما كتب اليوسفي (المتوفى سنة ٧٥٩)، وابن نباتة (المتوفى سنة ٧٦٨)، والأشرفي (المتوفى سنة ٨٨٠). هذا عدا ما كتب في الحسبة مثل كتاب ابن الرفعة (توفي سنة ٧١٠).

ب ــ التعليم الديواني: وإذا تركنا جانباً الموسوعات الكبرى التي كتبها، في هذا السبيل كل من النويري والقلقشندي والعمري، فإنا نجد عدداً آخر من الكتب التي لم تحمل الطابع الموسوعي، ولكنها اهتمت بتعليم كُتّاب الدواوين المراسمَ السلطانية، والخطوط، وأنواع الأقلام والورق، واستعمالاتها، وطبقات الألقاب وأصحابها، ونظم استعمالها، كما حرص بعضها على تعليمهم «قوانين الدواوين» في الضرائب، والإقطاعات، وما يتصل بالنظام المالي في الدولة، أو ما يتصل بالأقاليم والمماليك، وطرق البريد ووسائله ومراكزه، وغير ذلك. ومن أمثلة هذا النوع من الكتب مؤلفات ابن شاهين (المتوفى سنة ٨٧٢): «كشف

المماليك»، و«الزبدة والمنيف في الإنشاء الشريف»، ومؤلف ابن الجيعان (المتوفى سنة ٩٣٠) «قوانين الدواوين»، وكتاب الزفتاوي (المتوفى سنة ٨٠٦) «منهاج الإصابة في أوضاع الكتابة» وغيرها. . .

جـ ـ التعليم العسكري: وقد ظهرت كتب عديدة في الخيل (كتاب الصاحبي التاجي، توفي سنة ٦٩٧)، وفي عدة السلاح: من رماح وأقواس نشاب ومجانّ، ككتب بكتوت الرماح (المتوفى سنة ٧٧١)، وطيبغا (المتوفى سنة ٧٧١)، وابن بخشيش (المتوفى سنة ٨٥٢)، والزردكاش (المتوفى سنة ٨٥٢)، وفي معرفة الحروب (كتاب اليوسفي المتوفى سنة ٧٥٩)، وكتب ابن منكلي (المتوفى سنة ٧٧٨) حول «القتال وتدبير الحروب». وقد كانت هذه المؤلفات من لوازم وحاجات الحياة العسكرية التي كانت في ذلك العصر جزءاً من حياة الحكام، ومن التربية الرسمية للجهاز الإداري ـ العسكري المملوكي.

د ـ بعض القطاعات أو الطبقات الاجتماعية: فثمة كتب أُلّفت حول الأعراب (مثل «قلائد الجمان» للقلقشندي ومثل «البيان والإعراب عما في مصر من الأعراب» للمقريزي ـ توفي سنة ٨٤٥)، وأخرى حول أهل اللمة مثل «الملمّة في اللمّة» للنقاش (المتوفى سنة ٧٦٣)، و«ترميم الكنائس» للسبكي (المتوفى سنة ٧٥٦). كما كتبت كتب حول الجواري وحول الفلاكة والمفلوكين وحول الحمقى، كتبها الحجازي (المتوفى سنة ٨٧٥)، وحول الغلمان كتبها النواجي (المتوفى سنة ٨٥٩). هذا إذا لم نذكر ما كتب حول بعض أصحاب الكرامات من المتصوفة والزهاد ومناقبهم الربانية.

هـ ـ مواضيع تتصل بالمواقع وخططها وفضلها: كتاب المقريزي «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار» حول خطط القاهرة أشهر من أن يذكر في هذا المجال. وقد سبقه فيه ابن دقماق (المتوفى سنة ٨٠٦)، والأوحدي (المتوفى سنة ٨١١)، ثم جاء من بعده الخاصكي (المتوفى سنة ٩١٥)، وكتب غيرهم في جبل المقطم (ابن مكي المتوفى سنة ٧٨٠)، وفي أخبار النيل وفي جزيرة الروضة (السيوطي المتوفى سنة ٩١١)، وفي قلعة الجبل، وفي قصر سرياقوس (شافع العسقلاني المتوفى سنة ٧٣٠)، وفي المزارات (السخاوي المتوفى سنة ٨٨٩)[1]. يُضاف إلى ذلك ما كتب حول عجائب الأقطار (ابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠) وغير ذلك.

و ـ مواضيع تتصل ببلاد العالم الأخرى: وإذا تركنا جانباً ما ورد في مثل موسوعتي «صبح الأعشى» و«مسالك الأبصار» وغيرها، حول بلاد الله الإسلامية، وغير الإسلامية، فإنا نجد أيضاً مؤلفات تتحدث عن الحبشة والجيوش لدى المقريزي والسيوطي وعن حضرموت وعن الغرب (لدى المقريزي). ومعلومات هذه المؤلفات في معظمها تتعلق بالحياة العامة

---

(١) هو غير السخاوي المؤرخ المتوفى سنة ٩٠٢.

للآخرين، وتقاليدها وطرائفها في نوع من المقارنة الحضارية مع النظم السائدة في العالم الإسلامي المركزي.

ز ـ مواضيع متصلة بالحياة العامة للناس مثل كتب الأوزان والنقود (للمقريزي) وما كتبه حول الطاعون في «إغاثة الأمة» ومثل كتاب «الذخائر والتحف» الذي كتبه الأوحدي (المتوفى سنة ٨١١) وكتاب شافع العسقلاني «ما ظهر من الدلائل في الحوادث والزلازل»... وكتب الرحلات المختلفة التي تصوّر الطرق والمزارات والعادات والأسعار والمباني والأسواق والمخاطر...

وما من شك في أن المقريزي، في جميع هذه النواحي الحضارية، يقف في طليعة مؤرخي مصر في العهد المملوكي. وقد ظهر ذلك في تراثه التاريخي كله وبخاصة في كتابه «الخطط» الذي جاء موسوعة كاملة في خطط القاهرة، وتطورات عمرانها، بما فيها من أرض وأسواق وأحياء ومساجد ورباض ومدارس وكنائس وأديرة، بالإضافة إلى ما سَجّل من أحوال المجتمع المصري وظواهره النفسية وعاداته الخلقية والاجتماعية، وما دَوَّن من مشاكل السياسة والاقتصاد وملامح الفنون والآثار في استقصاء لا يكاد يجارى ونفاذ بصيرة واضح يثير الإعجاب.

٦ ـ والملاحظة الأخيرة تتعلق بالأسلوب الكتابي للمؤرخين. فقد كان كُتّاب التاريخ في صدر العصر المملوكي يتبعون منهجين في الكتابة:

ـ فمن كان منهم من كُتّاب الديوان عمد إلى السجع في الغالب، وإلى تقليد العماد الأصفهاني خاصة، بحيث تضيع الحقائق التاريخية في لفائف الألفاظ (كابن عبد الظاهر وأمثاله). ولم يكن قصد هؤلاء إلى التاريخ بقدر القصد إلى إظهار البراعة الكتابية. وإنما كانت الأحداث هي المشجب الذي يبرزون عليه تلك البراعة.

ـ ومن كان من الشيوخ والعلماء الحفاظ كتب النثر المرسل بأسلوب متصل مباشر، واهتم بالخبر وروايته التي تكاد تبلغ حد النقل الحرفي، في غالب الأحيان، عن غيره. على أن لغة الأدب التاريخي التي ظلت سليمة صحيحة إلى أوائل القرن الثامن، بدأت تضعف بعد ذلك بسبب دخول أولاد الجند عليها وضعف الكتابة بشكل عام، وتسلق الكثير من الراغبين في التأليف على أكتاف التاريخ، لأنهم لا يحسنون العلوم الدينية الأخرى، ولا يحتملون قيودها ومستلزماتها. وهكذا فشا اللحن في بعض المؤلفات مثل كتب ابن أيبك الدواداري (المتوفى بعد سنة ٧٣٦) وكتب الشبيكي (المتوفى بعد سنة ٧٦٠) وابن الفرات (المتوفى سنة ٨٠٧) وابن دقماق (المتوفى سنة ٨٠٩) حتى عاب عليهم السخاوي ذلك[1].

---

(١) انظر السخاوي ـ «الإعلان» ص٦٧٦ وص٦٨٠ وص٦٨٢.

ثم ازداد الضعف من بعد في مثل كتب ابن إياس وغيرها، ودخلته المصطلحات العامية نتيجة للضعف اللغوي العام، وعدم التدقيق في التكوين اللغوي [1].

المؤرخون الكبـار

تميز العصر المملوكي في مصر بظهور مجموعة حسنة العدد نسبيًّا من كبار المؤرخين. ونستطيع أن نعدَّ منهم قرابة الثلاثين، تفاوتت حظوظهم من الشهرة، ومن بقاء الإنتاج ومن ضخامته. لكنهم كوَّنوا العمود الفقري لهذا العلم، كما كانت كتبهم مرآة العصر وبأقلامهم كتبت صورته، ومنهم:

١ ـ المنذري [2]

أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي ثم المصري [3]: ولد بمصر الفسطاط سنة ٥٨١هـ./١١٨٥م. وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٥٤هـ./١٢٥٦م. توفي والده وهو في الحادية عشرة بعد أن أسمعه على شيوخ الحنابلة بوصفه حنبلياً. ثم تحوّل المنذري إلى المذهب الشافعي، ودرس وسمع في بغداد ودمشق والقدس وحران ومكة والمدينة بالإضافة إلى مصر والإسكندرية وغيرها حتى بلغ عدد التراجم التي خصصها لشيوخه في كتابه «التكملة» ثلث مجموع التراجم في الكتاب. وقد أجازه الكثيرون من العلماء من مختلف البلاد الإسلامية، كما سمع المنذري من النساء،

---

(١) أهملنا عامدين موضوع فلسفة التاريخ التي ظهرت في هذا العصر على يد ابن خلدون، لأن هذا المؤرخ إنما كان حصيلة الثقافة في المغرب، وكتب مقدمته هناك. وإذا تأثر به المقريزي وغيره، فإنه لم يشكل بعد انتقاله إلى مصر مدرسة لتلك الفلسفة، ولا ظهر في مصر من بعده من يتابع هذا الطريق.

(٢) سبق أن ذكرنا المنذري في الجزء الثاني في آخر مدرسه مصر، ولم نوفه حقه، ونعيد هنا ذكره ببعض التفصيل.

(٣) ذكر ابن دقماق في «نزهة الأنام في تاريخ الإسلام» (الورقة ١١٢ب) أنه يعرف بابن السميدع ولم يذكر ذلك غيره. وقد ترجم للمنذري الكثيرون ومنهم أبو شامة في «ذيل الروضتين» (ص٢٠١) والحسيني في «صلة التكملة» (الورقة ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ مخطوط كوبرلي باستانبول رقم ١١٠١) والدمياطي في «معجم الشيوخ» (نشرة جورج فيدا بالفرنسية ص٤٣) واليونيني: في «ذيل مرآة الزمان» (ج١ ص٢٤٨ ـ ٢٥٣) وأبو الفدا في «المختصر» (ج٣ ص٢٠٦) والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (ج٤ ص١٤٣٦ ـ ١٤٣٨) وفي «دول الإسلام» ج٢ ص١٢١ وفي «أعلام النبلاء» (ج١٣ الورقة ٣٠٢) ولدى الصفدي في «الوافي» وابن شاكر الكتبي في «عيون التواريخ» وفي «فوات الوفيات» (ج١ ص٦١) ولدى اليافعي في «مرآة الجنان» (ج٤ ص١٣٩، ١٤٠) ولدى السبكي في «طبقات الشافعية» (ج٥ ص١٠٨ ـ ١٠٩) وابن كثير في «البداية والنهاية» (ج١٣ ص٢١٢) والمقريزي (ج١ قسم٢ ص٤١٢) وابن تغري بردي (النجوم ج٧ ص٦٣) وابن الحنبلي في «شذرات الذهب» (ج٥ ص٢٧٧، ٢٧٨) وغيرهم كالفاسي وابن دقماق وابن الملقن، وابن قاضي شهبة والسخاوي وابن عبد الهادي...

فمنهن شيخات له ومجيزات. وتولى في مصر مشيخة دار الحديث الكاملية، فانقطع فيها ولها بقية عمره، أي حوالى عشرين سنة. وقد تتلمذ عليه أعداد واسعة من التلاميذ الذين شكلوا جيل كبار المحدثين بعده كابن دقيق العيد وغيره. وبعض الباحثين يعتبره حافظ الوقت وحافظ العصر دون منازع، وإماماً حجة ثبتاً ورعاً متحرياً فيما يقوله وينقله، وناقداً ماهراً في علم الجرح والتعديل بارعاً في علم الرجال والإفتاء، واسع الاطلاع على الأدب، مكثراً من رواية الشعر. هذا إلى الزهد والورع والتصوف.

ترك لنا المنذري عدداً من المؤلفات، كلها تتسم بالطابع الديني. ويطل منها على التاريخ بكتاب «التكملة لوفيات النقلة». والتكملة أو الذيل آتية من التعليق على كتاب سابق. وهذه الظاهرة منتشرة في عدد من العلوم الإسلامية وبخاصة في التاريخ والأدب لما فيهما من إمكان الإضافة إليهما مع الأيام. وهكذا مثلاً فإن كتاب «يتيمة الدهر» لأبي منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩) جرّ عدداً من الذيول عليه. وكتاب «الإكمال في المؤتلف والمختلف» لابن ماكولا (المتوفى سنة ٤٧٥) جرّ وراءه سلسلة من الذيول منها «إكمال الإكمال» للحافظ ابن نقطة (المتوفى سنة ٦٢٩) ثم «الذيل على الذيل في تكملة إكمال الإكمال» لأبي حامد الصابوني (المتوفى سنة ٦٨٠) ولمنصور بن سليم الإسكندراني (المتوفى سنة ٦٧٣). وأما في تواريخ المدن فما أكثر الذيول: كتاريخ بغداد للخطيب (المتوفى سنة ٤٦٣) والذيل عليه للسمعاني (المتوفى سنة ٥٦٢) و«الذيل على الذيل» للحافظ ابن الدبيثي الواسطي (المتوفى سنة ٦٣٧) ولابن النجار (المتوفى سنة ٦٤٣)...

وأما وفيات النقلة فهي سلسلة بدأها أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن زيد الربعي الدمشقي (المتوفى سنة ٣٧٩) ابتداءً من الهجرة ووصل به إلى سنة ٣٣٨. ثم سار على الكتاب سلسلة من الذيول بلغت أكثر من تسعة. فقد ذيل عليه أولاً الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني الدمشقي الصوفي (المتوفى سنة ٤٦٦) إلى قريب وفاته، ثم ذيل على الكتاني تلميذه أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني (المتوفى سنة ٥٢٤) نحو عشرين سنة وسماه «جامع الوفيات»، ثم ذيّل على الأكفاني شرف الدين أبو الحسن علي ابن المفضل المقدسي الإسكندراني الحافظ الكبير (المتوفى سنة ٦١١) ووصل به حتى سنة ٥٨١ وسماه «وفيات النقلة». وجاء المنذري فوضع عليه الذيل الطويل العام من سنة ٥٨١ إلى سنة ٦٤١ وسماه «التكملة لوفيات النقلة» الذي استثار من بعده ذيولاً أخرى، وضع الأول منها تلميذه عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشريف الحسيني المصري (المتوفى سنة ٦٩٥) بكتابه «صلة التكملة لوفيات النقلة» من سنة ٦٤١ حيث وقف المنذري إلى سنة ٦٧٤. ثم ذيّل على الحسيني أبو الحسين أحمد بن أيبك الحسامي المعروف بالدمياطي (المتوفى سنة ٧٤٩) ووصل به إلى سنة وفاته بالطاعون. وذيّل على الدمياطي الحافظ عبد الرحيم زين الدين بن الحسين المعروف بالعراقي (المتوفى سنة ٨٠٦) إلى سنة ٧٦٢، ثم ذيّل عليه ولده ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم

(المتوفى سنة ٨٢٦) ابتداء من سنة مولده وهي سنة ٧٦٢ ووصل به إلى سنة وفاته. وألّف علم الدين البرزالي (المتوفى سنة ٧٣٨) كتاباً في الوفيات وصل به حتى سنة ٧٣٨ غير أنه لم يبيض السنتين الأخيرتين. وقد جاء الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨) فاختصر وشذّب هذه الوفيات. وذيّل على البرزالي كذلك أبو المعالي محمد بن رافع بن هجر بن السلامي (المتوفى سنة ٧٧٤) ما بين سنتي ٧٣٧ و٧٧٣ ثم ذيّل على هذا الذيل شهاب الدين أحمد بن حجي بن موسى الحسباني الدمشقي مؤرخ الإسلام (المتوفى سنة ٨١٦)... وما ذكرنا إذ ذكرنا ها هنا إلا سلسلة الذيول لكن كتب الوفيات عديدة. ويبرز من بينها كتاب «التكملة لوفيات النقلة» الذي تضمن مجموعة ضخمة من نقلة الحديث، فيهم المحدثون والكتاب والأدباء والمؤرخون والشعراء والمتصوفة والفقهاء والزهاد والمدرسون والقراء والقضاة والعدول والأطباء والصيادلة والتجار والملوك والوزراء والأمراء، ولو أن نصيب المحدثين هو الأعظم، وكانوا من مختلف أصقاع العالم الإسلامي ولو أن عنايته (أو اطلاعه) على المشارقة كان أوفى وأدق.

والوفيات في الكتاب مرتبة حسب التواريخ في دقة كبيرة باليوم الشهر والسنة. وقد فعل ذلك قدر إمكانه. وكان يكتب بالتقريب إن فاته ذلك أو شكّ فيه. وللمنذري منهجه في ذكر الوفيات فيذكر تاريخ الوفاة أولاً ومكانها، ثم مكانة الرجل، ثم مولده ودراسته على الشيوخ، ثم تحديثه وتدريسه وأعماله، ويذكر رأيه فيه، كما يذكر المعروفين من أهله بالعلم والوجاهة. وقد اعتمده المؤرخون من بعده مثل منصور بن سليم الإسكندراني (المتوفى سنة ٦٧٣) وجمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني (المتوفى سنة ٦٨٠) وابن خلكان في الوفيات (المتوفى سنة ٦٨٢) وابن ناصر الدين (المتوفى سنة ٨٤٢) وبخاصة الذهبي الذي نقل عنه الكثير في كتابه «تاريخ الإسلام»، ومحيي الدين القرشي (المتوفى سنة ٦٧٥)، والأسنوي (المتوفى سنة ٧٥٦)، والسبكي (المتوفى سنة ٧٧١)، وابن الملقن وابن عبد الهادي وابن الفرات، بالإضافة إلى ابن العديم (المتوفى سنة ٦٦٠)، والأدفوي (المتوفى سنة ٧٤٨)، والفاسي (المتوفى سنة ٨٢٨)، وكل منهم اعتمد عليه في وفيات بلده، كما اعتمده المؤرخون الحلبيون كابن دقماق (المتوفى سنة ٨٠٩)، والعيني (المتوفى سنة ٨٥٥) وابن العماد الحنبلي في «الشذرات» (المتوفى سنة ١٠٨٩).

ولهذا الكتاب مخطوطات عديدة متفرقة المواضع منها نسخة في أيا صوفيا رقم ٣١٦٣ وعليها خط المؤلف من الجزء الثاني حتى وفيات سنة ٦٤٠ في ٢٥٢ ورقة، ونسخة بلدية الإسكندرية (رقم ١٩٨٢ د) وهي في جزءين يشملان الوفيات من سنة ٦٠٤ حتى نهاية الكتاب، وعليها سماعات كثيرة، لأن قسماً منها بخط أبي بكر محمد بن سراقة الشاطبي تلميذ المنذري. وثمة نسخة في جامعة كمبردج، وأخرى في المتحف البريطاني (رقم Or. ١٥٤١) في ٢٣٢ ورقة، وأخرى في دار الكتب المصرية (رقم ١٢٥ مجاميع)

وتشمل الجزء الثامن والعشرين وبعض التاسع والعشرين. على أن الباحث بشار عواد معروف قد أغنانا عن ذلك كله بالنشرة الحسنة المدققة التي نشرها عنه في ستة أجزاء منذ سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٧٦.

وللمنذري عدا التكملة كتب أخرى يطل على مادة التاريخ منها:

ـ الإعلام بأخبار شيخ البخاري محمد بن سلام السلمي بالولاء البخاري البيكندي المحدث (المتوفى سنة ٢٥٥). ذكره صاحب كشف الظنون[1].

ـ ترجمة أبي بكر الطرطوشي (ابن أبي رندقة محمد بن الوليد) وقد ذكره ابن خلكان في ترجمة الطرطوشي[2].

ـ تاريخ من دخل مصر (أو تاريخ مصر). وقد نقل عنه السيوطي في «بغية الوعاة» وهو يظنه كتاب التكملة نفسه[3]، وفاته أنها التكملة لوفيات أبي الحسن المقدسي التي وقف فيها عند سنة ٥٨١هـ./١١٨٥ م. كما نقل عن تاريخ مصر للمنذري الكمال الأدفوي (المتوفى سنة ٧٤٨) في ترجمة الشاعر إبراهيم بن محمد الأسواني[4].

ـ المعجم المترجم، ذكره تلميذه عزّ الدين الحسيني عند الكلام على شيوخ المنذري. وأضاف أنه كان في «ثمانية عشر جزءاً حديثية» كما ذكره الذهبي فقال: «وعمل معجماً في مجلد» والسبكي وابن الملقن وابن الحنبلي[5]. وقد نقل عن هذا المعجم جماعة كبيرة كابن الصابوني واليونيني والأدفوي والذهبي والصفدي وابن الملقن والفاسي والمقريزي وابن حجر وغيرهم.

ولعل هذا المعجم موجود من مكتبة كوبريللي، فثمة مخطوط هناك برقم ١٥٨٤ يحمل عنواناً يدلّ على أنه مشيخة المنذري.

ـ وخَرَّج المنذري تخاريج شديدة ذكرها في كتابه «التكملة»، منها تخريجه لجماعة من شيوخ ابن حمويه الجويني (المتوفى بالموصل سنة ٦١٧) ولجماعة من شيوخ أم محمد خديجة بنت الفضل المقدسية الإسكندرانية (المتوفاة بالإسكندرية سنة ٦١٨) ولقاضي القضاة الدمياطي (المتوفى سنة ٦١٩). كما خرج مشيخة ابن النحاس (ضياء الدين محمد الأنجب النعال أبي الحسن بن أبي عبد الله بن عبد الرحمن الصوفي البغدادي (المتوفى

---

(١) «كشف» ج١ محمود ١٢٨.

(٢) ابن خلكان ـ «وفيات الأعيان» ج٤ ص٢٧٣ الترجمة ٦٠٥ (ط. إحسان عباس).

(٣) انظر «بغية الوعاة» ج١ ص٤ والصفحات ٩٩، ٣٦، ٦٠، ١٦٣، ١٩٧.

(٤) الأدفوي ـ «الطالع السعيد» ص٣٠.

(٥) صلة التكملة (مخطوط كوبريللي باستامبول رقم ١١٠١) الورقة ١٥٦.

سنة ٦٥٩). وخرج كذلك معجماً معاصره ابن العديم (المتوفى سنة ٦٦٠)، ثم الأدفوي (المتوفى سنة ٧٤٨) وابن حجر (المتوفى سنة ٨٥٢).

ـ واختصر تاريخ مصر للمسبحي (المتوفى سنة ٤٢٠) (وهو عزّ الملك محمد ابن عبيد الله الحراني). وقد نقل عنه الفاسي في كتابه «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» (ج١ الورقة ١٠٩ والورقة ١٤٥ وج ٢ الورقة ٤٠). وقد اختصر الفاسي نفسه كتاب المسبحي [1].

٢ ـ المكين ابن العميد [2]

أبو المكارم جرجس بن أبي الياسر بن أبي المكارم ويلقب بالمكين (ولد في القاهرة سنة ٦٠٢هـ. /١٢٠٥م. ونشأ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢هـ. /١٢٧٣م.): وهو سليل أسرة مسيحية سريانية من سكان تكريت في ما بين النهرين، وردت القاهرة في عهد الخليفة الآمر الفاطمي، وعملت في جهاز الدولة الفاطمي ثم الأيوبي. وقد عمل المكين، مثل أبيه العميد، في الديوان الأيوبي في الشام، فلما غضب السلطان على الأمير الذي كان العميد يعمل في ظله، شمل الغضب المكين وأباه وأُرسلا إلى السجن في مصر مع باقي موظفي الديوان. وتوفي الأب سنة ٦٣٦. ثم استعاد ابنه المكين حريته بعد ذلك، وعاد إلى وظيفته في الشام؛ ولكنه سُجن كَرَّةً أخرى بسبب بعض المنافسين له، وبعض الشبهات حول تصرفاته المالية. فلما أطلق فضَّل العودة إلى دمشق، والاعتزال بها. وفيها التقى (سنة ٦٥٢) مع أبي الفرج ابن العبري. وكان ما يزال في دمشق حين غزاها المغول سنة ٦٥٨، فالتجأ إلى صور، ولكنه، بعد طردهم من الشام، إثر معركة عين جالوت، اتهم مع بعض المجموعات المسيحية التي اتهمت بالتعاون مع المغول وسجن فلم يطلق سراحه إلاّ قبيل موته بقليل.

وليس الرجل بالمؤرخ الكبير، ولكنا نذكره لأنه أبرز المؤرخين المسيحيين الذين ظهروا في مطالع العصر المملوكي، ثم لم يعودوا إلى الظهور فيه من بعد، ولأنه أيضاً نال شهرة مبكرة جدًا في أوساط المستشرقين بسبب نشر تاريخه بالعربية وباللاتينية في ليدن منذ سنة ١٦٢٥، ثم ترجمته فوراً إلى الإنكليزية (سنة ١٦٢٦)، ثم الفرنسية (سنة ١٦٥٧).

وتاريخ ابن العميد يحمل اسمه كما يحمل عنوان «المجموع المبارك» و«التاريخ الجامع» لأخبار العالم من أول الخليقة إلى عهد الملك الظاهر بيبرس (سنة ٦٥٨هـ. /١٢٦٠م.) فهو تاريخ عام عالمي، جعله المكين قسمين:

---

(١) «كشف» ١ عمود ٣٠٤.

(٢) سبق ذكره موجزاً في آخر الجزء الثاني مع المدرسة المسيحية. ونذكره الآن مع بعض التفصيل في مدرسة مصر.

الأول ـ من الخليقة إلى ظهور الإسلام، اختصر فيه التواريخ وذكر ما حدث للأمم، أمة بعد أخرى، وذكر قصص الأنبياء، ولا سيما موسى والمسيح (حيث أفاض الحديث)، وذكر ملوك النصارى (الروم) إلى ظهور الإسلام.

الثاني ـ من ظهور الإسلام إلى سنة ٦٥٨هـ. وسماه «تاريخ المسلمين».

وقد اقتبس في هذا القسم الثاني الكثير من تاريخ الطبري، وأورد تراجم الشخصيات البارزة في كل فترة ولكل ترجمة رقمها.

وللقسم الأول مخطوطات عديدة، منها مخطوطة غوطا ١٥٥٧، وليدن ٨٣٦ و ١٢٥ (في ٢١٢ ورقة)، وباريس ٢٩٤ و ٢٩٥ (في ٢٥٨ ورقة)، وفيينا ٨٨٤، وميونيخ أول ٣٦٧، ولينتغراد ١٦١ و ١٩١.

وللقسم الثاني أيضاً مخطوطات عدة منها: باريس ٤٥٢٤ و ٤٧٢٩، وبرلين ٩٤٤٣، وليدن ٨٣٧، وبودليانا ٢/٤٧.

ونجد المجموع المبارك كله مخطوطاً في المتحف البريطاني ٧٥٦٤ ومانشستر رقم ٢٣٨ وليبزيغ أول ٦٤٣.

وقد ترجم تاريخ ابن العميد إلى اللاتينية ونشر بقلم توماس أربنيوس بعنوان «تاريخ العرب»: Th. Erpenius: Historia Sarcenica, Leyde 1625. وسرعان ما ترجم الكتاب إلى الإنكليزية في السنة التالية (سنة ١٦٢٦)، وطبع في أكسفورد بقلم S.Purchas، ثم إلى الفرنسية (سنة ١٦٥٧) في باريس بقلم P.Vattier.

ومضت بعد ذلك فترة تزيد على ثلاثة قرون صار فيها تاريخ المكين أحد المصادر الاستشراقية الأساسية. ولما كان المترجم الأول قد توقف عند سنة ٥١٢هـ./١١١٧م. من الكتاب، فقد استقرّ في الأذهان أن هذا التاريخ يقف عند هذه السنة، ولم يهتم أحد بنشر قسمه الباقي الممتد ما بين سنة ٥١٢ وسنة ٦٥٨هـ./١٢٦٠م.

وجاء المستشرق كلود كاهن الفرنسي فنبه إلى هذا النقص، ونشر القسم الأخير من هذا التاريخ (ما بين سنة ٦٠٢ وسنة ٦٥٨هـ.) بعنوان أخبار الأيوبيين مع مقدمة حولها، وذلك في نشرة الدراسات الشرقية B.E.O. (العدد XV لسنة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧) التي ينشرها المعهد الفرنسي بدمشق[1].

---

(١) انظر حول المكين ابن العميد:
- بروكلمان (بالألمانية) ج١ ص٣٤٨ وبالترجمة العربية ج٦ ص١٤٤، ١٤٥.
- وأيليسيف Elisséeff، نور الدين ج١ ص٥٧ ـ ٥٨.
- وكلود كاهن مقدمة أخبار الأيوبيين في B.E.O. العدد ١٥ لسنة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ (ص١١٩ ـ ١٢٥).

وقد جاء بعد ابن العميد مؤرخ قبطي ذيّل عليه هو:

٣ ـ المفضل بن أبي الفضائل

(المتوفى بعد سنة ٧٤١هـ. /١٣٤١م.) فكتب ذيلاً باسم: «النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد» وفيه تراجم بعض السلاطين المماليك و«تاريخ البطاركة اليعاقبة» و «تاريخ المسلمين في اليمن والهند والتتر» وسوف نأتي على ذكره.

ومن هذا الذيل نسخة مخطوطة في باريس رقم ٤٥٢٥.

٤ ـ ابن ميسَّر

تاج الدين محمد علي بن يوسف بن جلب راغب المعروف بابن الميسر القاضي الفاضل[1]: توفي سنة ٦٧٧هـ. /١٢٧٨ م. والمعلومات عن هذا المؤرخ قليلة جدًا، ولا تجاوز عدة أسطر في ترجمته، متشابهة في النصّ والمعنى، وهي تذكر مع نسبه أنه «مؤرخ» وأنه كان فاضلاً بارعاً، وله تصانيف مفيدة، وأنه «دفن في المقطم».

ألّف ابن ميسر كتابين في التاريخ:

١ ـ أحدهما كتاب في قضاة مصر لا نعلم شيئاً عن مصيره سوى أنه كان بين مصادر ابن حجر العسقلاني في رفع الإصر.

٢ ـ والثاني كتاب تاريخ مصر أو أخبار مصر. وهو تاريخ على السنين في مجلدين ذيَّل به ابن ميسر على تاريخ المسبحي (عزّ الملك محمد بن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد الحراني كاتب الخليفة الحاكم بأمر الله والمتوفى سنة ٤٢٠هـ. /١٠٢٩م.) وكان هذا التاريخ في اثني عشر مجلداً[2].

وقد ضمت المكتبة الوطنية في باريس مخطوطة باسم «أخبار مصر» لابن ميسر (رقم ١٦٨٨) تتضمن الحوادث ما بين سنتيْ ٤٣٩ ـ ٥٥٣هـ. /١٠٤٧ ـ ١١٥٨ م.، نشرها

= ـ ومقالة Plessner في الموسوعة الإسلامية ج٣ ص١٨٣.

وانظر كذلك جرجي زيدان ـ «آداب اللغة العربية» ج٣ ص١٩٤. وكحالة ـ «معجم المؤلفين» ج٣، ص١٢٢. والزركلي ـ «الأعلام» (الطبعة الجديدة) ج٢ ص١١٦. «وهدية العارفين» ج١ ص٢٥٠. «وفهرس معهد المخطوطات العربية» (التاريخ) ج٣ ص٥٩ ـ ٦٠.

(١) يذكر الصفدي («الوافي بالوفيات» ج٤ ص١٨٦) وابن تغري بردي في مخطوط «المنهل الصافي» أنه ابن علي بن يوسف بن شاهنشاه المصري. وقد اتبعنا النسب الذي أثبته له المقريزي في «المقفى» (مخطوط ليدن ورقة ١٤٧) وذكره ناشره Massé في القطعة المنشورة من تاريخه.

(٢) من قطعة بالية في الأسكوريال تضم السنوات ٤١٤ ـ ٤١٥ هـ (وقد طبعت مؤخراً في «مصر» وقد ذكر عليها أنها المجلد الأربعون، وما ذكرناه تابعنا فيه كشف الظنون ١/٣٠٤.

المستشرق هنري ماسيه Massé في المجلد ٢٣ من منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة سنة ١٩١٩ بالنص العربي، مع التلخيص بالفرنسية. ويتبين من النص أنه ليس بتاريخ ابن ميسر الأصلي، ولكنه مختصر منقول عن التلخيص الذي صنعه المقريزي المؤرخ لنفسه وسماه المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر، وتاريخ تلخيصه سنة ٨١٤هـ. كما أن في النص فجوة ذكر المقريزي أو كاتب المخطوط أنه كتبها من عنده. وتقع الفجوة بين سنتيْ ٥٠١ وسنة ٥١٥، ولكن الكاتب الذي سدّ الثغرة ملأها بتواريخ الفاطميين في الفترة الممتدة ما بين أيام المعز سنة ٣٦٢ وأيام الحاكم حتى سنة ٣٨٧ هـ[1]. وقد طبع المنتقى من تاريخ ابن ميسر مرتين في مصر، إحداهما بتحقيق المستشرق الكندي ويليام ميلورد (الهيئة العامة للكتاب) سنة ١٩٨٠، والثانية بتحقيق أيمن فؤاد سيد (المعهد العلمي الفرنسي) سنة ١٩٨١.

٥ ــ ابن عبد الظاهر

أبو الفضل محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي المصري الضرير: (ولد بالقاهرة سنة ٦٢٠هـ. /١٢٢٣م. وتوفي بها سنة ٦٩٢هـ. /١٢٩٣م.). كان «كاتب الإنشاء» أو صاحب ديوان الإنشاء في بلاط الملك الظاهر بيبرس ثم لدى السلطان قلاوون. وكان أحد البلغاء المذكورين، وله «النظم الفائق والنثر الرائق» على حد قول السيوطي، و «شيخ أهل الرسل»، على ما وصفه به ابن شاكر في «فوات الوفيات»، سلك الطريقة الفاضلية في إنشائه. وطريقة القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني تَلْوي الأحداث في سبيل السجع وتفضل متابعة البهرج اللفظي على تصوير الواقع. لكن الحقائق التاريخية لدى ابن عبد الظاهر لا تغرق في ركام اللفظ والصناعة والبيان اللغوي. وإن اتخذ التاريخ تكأة لبيانه، كالعماد والأصفهاني أو كتب مثله الكثير. وإذا ظلّ في ما كتب ابنَ البلاط البار، والمسبّح بحمد سيد البلاط، فقد ترك لنا على أي حال عدداً من المؤلفات التاريخية التي تسجل أحداثَ عصره. ولما كان كاتب السر وعمله أن ينشىء الكتب الرسمية الصادرة، ويحفظ الواردة، وأن يقوم على تسجيل الأعمال والقرارات اليومية لسيده مع الأحداث الهامة للحكومة[2]، فإن تبييض هذه الأعمال في نسق متصل مع بعض المقتطفات الأدبية والشعر

---

(١) انظر النص المنشور ص V - VI وص٩٨ حيث يقول: «وجدنا هكذا مكتوب في آخر «المنتقى من تاريخ مصر» لابن ميسر، وتمّ على يد أحمد بن علي المقريزي في مساء يوم السبت لستّ بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربعة عشر (كذا) وثمانمائة». والنص الآخر ص VI وص٤٣ حيث يقول: «لم نجد في النسخة ما يتم المعنى ولا نسخة مثلها نقابل بها فكتبناها وجدنا على التوالي على هذا المنوال..» (وذلك فيما بين أحداث سنتيْ سنة ٥٠١ وسنة ٥١٥) في المخطوط الأصلي ورقة ٤٠ وجه حتى ورقة ٥٣ وجه، وهي الصفحات ٤٣ ـ ٥٦ من النص المنشور.

(٢) يذكرون أن ابن هذا المؤرخ وهو فتح الدين محمد كان أول من ولي كتابة السر في دولة المماليك، وأن المنصب كان في زمن الأب المؤرخ ضمن ديوان الإنشاء ومن أعمال صاحب هذا الديوان.

والأفكار والتأملات هي التي شكلت مؤلفاته التاريخية، والسير المتتالية التي كتبها حول الظاهر وقلاوون والأشرف، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى أدبية وديوانية. وهكذا فتراث ابن عبد الظاهر التاريخي يتكون من:

١ ــ «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» (بيبرس الذي تبسلطن ما بين سنتي ٦٥٨ - ٦٧٦هـ. / ١٢٦٠ - ١٢٧٧م.). وهي منظومة شعراً. ومنها مخطوط المجلد الأول في المتحف البريطاني أول ١٢٢٩ (رقم Add ٢٣٣٣١) وهو يمتد من أول السيرة إلى مطلع سنة ٦٦٣هـ./١٢٦٥م.

وقد اختصر شافع العسقلاني هذه السيرة نثراً. ومنها مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس برقم Ar ١٧١٧.

٢ ــ «تشريف الأيام والعصور بسيرة السلطان الملك المنصور» (قلاوون)[1].

وفي المكتبة الوطنية بباريس قطعة منها تشمل المجلدين الثاني والثالث تحت رقم ١٧٠٤ وتتناول سيرة قلاوون من خلال سنة ٦٨٩ حتى آخر عهده ووفاته.

وقد نشرت هذه السيرة بتحقيق مراد كامل (القاهرة سنة ١٩٦١ - نشر وزارة الثقافة).

٣ ــ الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية المكية الأشرفية وهي في سيرة الملك الأشرف خليل (٦٨٩ - ٦٩٣هـ. / ١٢٩٠ - ١٢٩٣م.).

وقد بقي منها الجزء الثالث الذي يتضمن الشهور الأخيرة من سنة ٦٩٠، إلى ربيع الأول من سنة ٦٩١، وهو بخط المؤلف في مخطوطة ميونيخ رقم ٤٠٥ وقد نشرها المستشرق أ. موبرغ A.Moberg وترجمها إلى الهولندية (سنة ١٩٠٢) ولعلها آخر ما كتبه ابن عبد الظاهر قبل موته. وقد أغفل ناشره بعض وثائق الوقف الواردة فيه.

٤ ــ مقامة عن مصر والنيل والروضة منها مخطوط في برلين ٨٥٥٠:٢.

ولابن عبد الظاهر كتب تاريخية أخرى ضائعة هي:

٥ ــ «الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة» التي كانت أحد مصادر المقريزي[2].

---

(١) هذه السيرة تنسب لدى «كشف الظنون» إلى القاضي الفاضل العسقلاني (المتوفى سنة ٥٩٦) وفي هذا خطأ كبير. ويفترض وستنفلد أنها لمؤلف آخر يلقب بالقاضي الفاضل وقد توفي سنة ٦٩٥. أما بروكلمان فبعد ان ذكر أنها لمجهول (ج١ ص٣١٩ - الترجمة العربية ٦/ ٢٠) عاد فاستدرك (على الملحق الأول ص٩٦٧) وذكر أنها لشافع بن علي سبط ابن عبد الظاهر اختصر فيها السيرة التي كتبها جده. لكن في نص السيرة ما يقطع بنسبتها إلى صاحبها عبد الله الذي يشير إلى نفسه فيها بقوله: «المملوك عبد الله بن عبد الظاهر».

(٢) المقريزي - «الخطط» ط. بولاق ج١ ص٥ وص٢٠ وج٢ ص٣٦٥.. الخ.

٦ ــ «النجوم الدرّية في الشعراء المصرية» في شعراء عصره.

٧ ــ «تحري الصواب في تهذيب الكتاب» وهو في التعليم الديواني.

٨ ــ مختصر سيرة ابن المأمون البطائحي الوزير وقد ذكرها ونقل عنها المقريزي[1].

٩ ــ كتاب «تمام الحمائم» تناول فيه حمامَ الزاجل واستخدامه وأنسابه.

١٠ ــ سيرة القاضي الفاضل.

وشأن ابن عبد الظاهر في التاريخ يتجلى في أنه سجل تاريخ عصره، وفي أنه حفظ لنا الكثير من وثائق العصر في صورتها الأصلية، وضمن شبكتها التاريخية. وأخيراً في أنه كان المصدر الأساسي عن العصر لجميع المؤرخين الذين جاؤوا من بعده. فكل من أرّخ للسلاطين المماليك الأوائل (بيبرس، قلاوون، الأشرف) كانوا عيالاً على ابن عبد الظاهر: كشافع العسقلاني والناصري الشافعي والمقريزي الذين أخذوا عنه سيرة بيبرس[2]، كما أن القلقشندي اعتمده في أكثر من موضع في صبح الأعشى[3]. والمقريزي نقل عنه الكثير في كتاب الخطط عن خطط القاهرة[4].

٦ ــ بيبرس المنصوري

الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الخطائي المصري الدوادار: ولد حوالى سنة ٦٤٥هـ./١٢٤٧م. وتوفي سنة ٧٢٥هـ./١٣٢٥م. بدأ حياته مملوكاً اشتراه السلطان المنصور قلاوون وأدخله في جنده فحضر عدداً من الحروب معه. فلما تسلطن عيّن نائباً على الكرك، ثم عرف، بسبب اضطراب الحياة السياسية بعده، حياة مضطربة قبل أن يصبح، مع وصول الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة (أول مرة) سنة ٦٩٣ مقدم ألف، ثم صاحب ديوان الإنشاء مع لقب الدوادار الكبير. ومنذ ذلك الوقت ارتبط مصيره مع مصير هذا السلطان. وإذ احتفظ بمنصب الدوادارية والإنشاء زمن كتبغا دون أن يمارس العمل، فإنه

---

(١) المقريزي ـ «الخطط» ج٣ ص٣٣.

(٢) انظر المقريزي ـ «الخطط» ج٢ ص٢٠٤ وص٢٦٨ وص٢٧٧ وص٣٦٥ وانظر كتاب العسقلاني «المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» وما اقتطفه الناصري من السيرة الظاهرية أيضاً.

(٣) انظر القلقشندي ـ «صبح الأعشى» ج١ ص٣٥٤ حتى ص٣٥٩ وج١ ص١٧٦ وج١٠ ص٩٨ وص١٦٠ وص١٦٣ ـ ١٦٦ وج٨ ص٤٠ ـ ٤٢ وج٧ ص٣٥٣ ـ ٣٥٧ و٣٦٠ ـ ٣٦٢ و٣٦٦ ـ ٣٧٠ وج٦ ص٣١٠ وج٢ ص٢٠٤ وص٢٦٨ وص٢٧٧ وص٣٦٥.. الخ.

(٤) ترجمة ابن عبد الظاهر نجدها موسعة في مقدمة .راد كامل لكتاب «تشريف الأيام» كما نجدها لدى بروكلمان ج١/٣١٨ (الترجمة العربية ج٦ ص١٩ ـ ٢١) ولدى السيوطي «حسن المحاضرة» ج١ ص٥٦٠ وابن شاكر «فوات الوفيات» ط. حجر ج١ص٢٧١. وانظر «هدية العارفين» ١/٣٦٣ وكحالة ـ «معجم المؤلفين» ج٦ ص ٧٤ وكاهن (بالفرنسية) سورية الشمالية ص٧٤

فقد مكانته في البلاط المملوكي زمن السلطان لاجين (٦٩٦ - ٦٩٨هـ. /١٢٩٦ - ١٢٩٨م.)، ثم استعادها مع عودة الناصر سنة ٦٩٨. وكان يكلف بالمهمات الخاصة والحملات الحربية. ثم عزل سنة ٧٠٤ من أعماله. فلما تنازل الناصر عن السلطة بذل بيبرس الجهود الواسعة لإعادته إليها. فلما عاد سنة ٧٠٩ كافأه بتعيينه لإدارة الأحباس ونيابة دار العدل، ثم جعله سنة ٧١١ هـ. /١٣١١م. ثاني رجل في الدولة حين عينه نائباً للسلطنة في مصر. . . ولكنه ما لبث أن وقع في غضب السلطان قبل مرور سنة على نيابته، وأرسل إلى السجن في الإسكندرية حيث بقي حتى سنة ٧١٧ هـ. /١٢١٧م. فلما أطلق سراحه بمساعي الأمير النائب أرغون استقرّ في مصر، مقدم المكانة، وافر المنزلة، يجلس على رأس الميسرة في مجلس السلطان إلى أن توفي سنة ٧٢٥ وهو في حوالى الثمانين من العمر.

كان بيبرس بجانب نشاطاته العسكرية والإدارية كثير الرغبة في الدراسات الدينية والتاريخية. وقد استطاع بمساعدة كاتبه (القس ابن كبر النصراني) حسب قول الصفدي والعيني وابن حجر[1] أن يؤلف في التاريخ:

١ ـ كتاب «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة». وهو تاريخ عام للإسلام[2] ينتهي سنة ٧٢٤هـ. /١٣٢٤م. وهو مؤلف ضخم في خمسة وعشرين مجلداً قسيمة على أساس القرون والسنوات. وأقسامه الأولى تعتمد الكامل لابن الأثير، في حين يأخذ شأنه الكبير في أقسامه الأخيرة التي يروي فيها المؤلف أخبار الحروب والأحداث السياسية التي شارك بنفسه فيها، وبخاصة ما يتصل منها بمصر في أواخر القرن السابع ومطالع الثامن.

وباقي مجلدات هذا الكتاب متفرقة اليوم في عدد من المخطوطات والمكتبات: فمنها القسم السابع (سنوات ٤٠٠ - ٤٩٠) في مكتبة فيض الله باستامبول رقم ١٤٥٩ في ٢٤٧ ورقة وهو مخطوط فريد، ومنه المجلد الرابع (من سنة ١٣٢ وقيام الدولة العباسية حتى خلافة المستعين) وهو مخطوط في جامعة أوبسالا في ٢٢٠ ورقة (كتب في القرن الثامن). والمجلد الخامس (من خلافة المعتز إلى ظهور القرامطة وانتهاء أمرهم، إلى ابتداء الدولة الديلمية وخلافة القاهر وخلعه) وهو مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس رقم ١٥٧٢ في ٢٤٥ ورقة (كتب في القرن الثامن).

---

(١) ذكر الصفدي ذلك وانفرد به. ونقله عنه العيني وابن حجر. وقد ذكر السخاوي «الإعلان» ص٦٧٩ هذا الخبر مشككاً فيه بسبب أن غير واحد من مترجمي بيبرس قد شهد له بالفضل والخير والتمجد والتلاوة وغيرها مما يمنع اعتماده على ابن كبر.

(٢) ذكر العيني في «عقد الجمان» أنه يقع في ١١ مجلداً. بينما ذكر السخاوي «الإعلان» ص٦٧٩ أنه في ٢٥ مجلداً راها بالمدرسة المؤيدية بالقاهرة. ويبدو أن الفرق سببه الخط وضخامة المجلدات.

والمجلد السادس ناقص من أوله وتبتدىء أوراقه أثناء سنة ٣٦٧ هـ وتنتهي إلى سنة ٣٦٩. وهو مخطوط في أكسفورد Hunt 198 في ٤٠٠ ورقة كتب في القرن الثامن.

والمجلد العاشر وهو ناقص من أوله وآخره ويبتدىء مع حوادث سنة ٥٩٩هـ . /١٢٠٣م. قبيل ذكر ما اشتملت عليه الرومية (الفرنجة) من البلاد الإسلامية وينتهي إلى سنة ٧٠٩ وما فيها من الحوادث، وحركة السلطان الناصر محمد من الكرك. وهو مخطوط في المتحف البريطاني رقم ١٢٣٣ في ٢٤/٠ ورقة.

وفي أكسفورد مخطوط آخر رقم Bodl.I,704 يبدأ بسنة ٦٥٥هـ . /١٢٥٧م. ولعل هذين المخطوطين هما الأخيران في الكتاب أو ما قبله. على أن مخطوط أكسفورد مختصر، ولعله من عمل بعض المؤلفين المجهولين.

٢ ــ كتاب «مختار الأخبار» وهو مختصر كتاب «الزبدة» السابق. وفي أوله: «هذا مختصر تاريخ المقر الركني بيبرس الدوادار ويسمى «مختار الأخبار» عني بجمعه القس الشمسي بن كبر مساقاً من آدم وإلى إبراهيم وموسى وإلى مجيء المسيح ومن عهد النبي (ﷺ) إلى عزّ الدين أيبك التركماني» (أول سلاطين المماليك البحرية). ثم ذكر الكتاب الآباء البطاركة من الأب الأول مرقس الإنجيلي الهولي إلى الأب أثناسيوس المعروف بابن كليل.

ويبدو أن القس ابن كبر قام بهذا المختصر بطلب من أميره، فهو ينص على أنه مختصر لتاريخه، ويذكر في النص دوماً قوله: «قال المصنف» ويقصد الأمير. ويذكر «مسطر تاريخنا هذا» ويقصد ابن كبر. ولا شك أن هذا الكاتب قد أضاف بعد ذلك تاريخ بطاركة الإسكندرية بمعرفته مما يجعل الكتاب إلى حدٍّ كبير من تصنيفه، كما أن هذه العلاقة تكشف الاتهام الذي وجهه الصفدي إلى الأمير الدوادار من أنه استعان بكاتبه على التأليف. ولعل الاستعانة كانت بصورة خاصة في هذا الكتاب، وفي نقل النصوص بسبب انشغال المؤرخ بمهامه العسكرية والإدارية.

ولدينا من هذا المختصر مخطوط لعله من القرن الثامن محفوظ في الأمبروزيانا برقم C45 INF وهو مخروم الآخِر، به نقص وينتهي إلى سنة ٧٠٢هـ. /١٣٠٢م.

٣ ــ «التحفة الملوكية في الدولة التركية»: ويذكرون أن المنصوري ذيّل به على كتابه «زبدة الفكرة». ويبدو أنه لم يكن تذييلاً لأن «الزبدة» تستمر حتى سنة ٧٢٤ قبيل وفاة صاحبها بسنة، ولدينا منها حتى سنة ٧٠٩. أما «التحفة» فيبدأ بذكر الدولة المعزية (عزّ الدين أيبك التركماني أول السلاطين المماليك بعد الأيوبيين) إلى دولة الملك المنصور قلاوون الصالحي، ثم السلاطين من بعده حتى سلطنة ابنه الناصر محمد سنة ٧٠٩، وحتى أحداث سنة ٧١١ التي صار فيها المنصوري نائب السلطنة وما بعدها. ولعل المؤرخ أراد به إلى إظهار براعته في الكتابة وإلى التوسع في بعض مواضيع «الزبدة» الخاصة بالدولة المملوكية الأولى، وذكر ما شهده وعرفه على التفصيل والإسهاب بلغة مسجوعة متأنقة. إن مقارنة النصوص اا . سبـ‍ت بها

الأحداث نفسها في الكتابين تكشف هذا الهدف المزدوج. ومن ذلك على سبيل المثال ثورة المماليك الأشرفية سنة ٦٩٤هـ. /١٢٩٤م. التي وردت في منتهى الإيجاز في «الزبدة» وفي غاية الإسهاب في «التحفة» مع التأنق الأسلوبي.

لدينا من «التحفة الملوكية» مخطوط مخروم الآخِر في مكتبة فيينا ينتهي بسنة ٧١١ في ١٥٠ ورقة، ونجده مصوراً في جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢٩.

وقد نشر الكتاب في مصر بتحقيق عبد الحميد صالح وصدر عن دار الفكر في القاهرة.

٤ ــ كتاب «اللطائف في أخبار الخلائف» وهو في مجلدات. وقد ذكره السخاوي ولا نجد له أثراً[١]. وقد استخدم كثير من المؤرخين التالين تواريخ المنصوري و «الزبدة» منها بخاصة وأكثر من قام بذلك هو العني. على أننا يجب أن نذكر أيضاً النوري، ولا سيما في الجزء الأخير (المجلد ٣١) من «نهاية الأرب» وابن الفرات والجزري وابن تغري بردي (في الجزء الثامن والتاسع خاصة) وابن أبي الفضائل، وقد اعتمدوا عليه بصورة مباشرة في حين أخذ عنه بصورة غير مباشرة الآخرون مثل المقري المصري، وابن خلدون، وأبو الفداء[٢].

٧ ــ سبط عبد الظاهر

ناصر الدين شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل بن عساكر بن شافع الكناني العسقلاني ثم المصري الضرير الشافعي: الكاتب الأديب ويعرف بسبط عبد الظاهر وهو ابن أخت المؤرخ الذي سبق. (ولد سنة ٦٤٩ بالقاهرة، وتوفي بها سنة ٧٣٠هـ. /١٣٣١م.) يقول فيه ابن حجر: «تعانى بالآداب وأتقن الخط والنظم والإنشاء وكتب في الديوان زماناً في ظلّ جده وخاله. ثم أصابه سهم في صدغه في واقعة حمص سنة ٦٨٠، فكان سبب عماه فلزم بيته. وكان يحب جمع الكتب، حتى أنه لمّا مات ترك نحو العشرين خزانة ملأى من الكتب النفيسة... ظلت زوجته تبيع منها إلى سنة تسع وثلاثين وسبع مائة»[٣]. ويبدو أن عمى الرجل الذي استمر خمسين سنة قد صرفه إلى

---

(١) السخاوي - «الإعلان» ص٥٤٦.

(٢) انظر ترجمة بيبرس الدواداري لدى:

«شذرات» ج٦ ص٦٦ ابن حجر - «الدرر» ج١ ص٥٠٩ - ٥١٠، بروكلمان ج٢ ص٤٤ وملحق ٢ ص٤٣ و Elisseeff إليسيف - نور الدين (بالفرنسية) ج١ ص٦٢ - ٦٤، E. Ashtor مادة بيبرس المنصوري في «الموسوعة الإسلامية» (ط. جديدة) ج١ ص١١٦٢، و C. Cahen سورية الشمالية (بالفرنسية) ص٧٨، ودونالد ليتل مدخل إلى التاريخ المملوكي (بالإنكليزية) ص٥ - ٨. وانظر كذلك «فهرس المخطوطات المصورة» لمعهد المخطوطات. الجزء الثاني: القسم١ ص١٥٠. والقسم الثاني ص٣٦ والقسم الثالث ص٢٥٨.

(٣) انظر ابن حجر - «الدرر» ٢/١٨٥ والصفدي - «نكت الهميان» ص١٦٢ - ١٦٧ وابن شاكر - «فوات» =

التأليف الكثير في قضايا عصره ولكن في إطار البلاغة اللفظية الشائعة في العصر. وهكذا كتب العديد من المؤلفات التاريخية التي ضاعت فلم يبق منها إلا:

١ ــ «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية»: وهو كتاب اختصر فيه السيرة التي كتبها خاله محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الكاتب للسلطان بيبرس. وكان محيي الدين قد طلب إليه اختصارها بسبب طولها فلم يتهيأ له ذلك في حياة خاله. ثم اختصرها بعد ردح من الزمن سنة ٧١٦، لأن المؤلف كما قال أثبت فيها الغث والسمين، وكرّر ما يشافه به سمع السلطان من إطراء. ويبدو أن السبط لم يختصر فقط، ولكنه أيضاً صَحّح بعض الأحداث وشرح بعض ما تجاوزه الخال من الأمور الحرجة. وفسّر بعض التصرفات وكشف بعض التزوير... مع طلب العذر للمؤلف!

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٧٠٧ في ١٥٦ ورقة، وقد نشرت بتحقيق عبد العزيز خويطر في الرياض سنة ١٩٧٦ مع مقدمة وفهارس في ١٩٠ صفحة.

وأما كتب السبط الأخرى فقد ضاعت. وقد أورد الصفدي قائمة بها والتاريخي منها أو ما يتصل بالتاريخ يبلغ أربعة عشر كتاباً هي:

١ ــ «شنف الآذان في مماثلة تراجم قلائد العقيان» (للفتح بن خاقان).
٢ ــ سيرة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون.
٣ ــ سيرة السلطان الملك المنصور قلاوون.
٤ ــ سيرة الملك الأشرف خليل (ابن قلاوون).
٥ ــ «نظم الجواهر في سيرة الملك الناصر» (شعر).
٦ ــ «ما يشرح الصدور من أخبار عكا وصور» (حول إخراج الصليبيين نهائيًا في الشام).
٧ ــ «الإعراب عما اشتمل عليه البناء الملكي الناصري بسرياقوس من الأغراب».
٨ ــ «إفاضة أبهى الحلل على جامع قلعة الجبل».
٩ ــ «قلائد الفرائد وفرائد القلائد فيما للشعراء العصريين الأماجد».
١٠ ــ «المساعي المرضية في الغزوة الحمصية».
١١ ــ «ما ظهر من الدلائل في الحوادث والزلازل».
١٢ ــ «الرأي الصائب فيما لا بدّ منه للكاتب».

= ٢٣٤/١. وهي نفسها مصادر ترجمته ويضاف إليها المقريزي ـ «السلوك» ٣٢٧/٢. وانظر أيضاً «هدية العارفين» ٤١٤/١ وكاهن ـ سورية الشمالية (بالفرنسية) ص٧٨، «وفهرس معهد المخطوطات» ج٢ قسم١ ص١١٦.

١٣ ـ «عده الكاتب وعمده المخاطب» وهذان الأخيران هما في التعليم الديواني ولم يذكر الصفدي الكتاب الرابع عشر ولعله أهمها وهو:

١٤ ـ «نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك».

وقد اعتمده ابن الفرات في مواضع كثيرة من تاريخه[1]،وهو تاريخ إسلامي مختصر ينتهي إلى سنة ٨٠٦، ويستند إلى ابن الأثير وابن أبي طي، وابن ميسّر، وابن واصل، وابن عبد الظاهر. وثمة شك في نسبة هذا التاريخ إلى سبط عبد الظاهر المتوفى سنة ٧٣٠ بسبب امتداده إلى سنة ٨٠٦. وصاحب كشف الظنون يعزوه إلى عبد الرحمن بن محمد (أو ابن علي) بن أحمد البسطامي الحنفي المتوفى سنة ٨٤٣، ولكن النص الواضح لدى ابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ (قبل البسطامي بكثير) وانتهاء هذا التاريخ سنة ٨٠٦ يشكك بدوره في نسبته إلى البسطامي. فهل كان الكتاب في الأصل من عمل شافع، ثم زاد فيه البسطامي قرناً آخر أو بعض القرن ونسبه إلى نفسه؟

٨ ـ النويري

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمي الكندي الشافعي: (ولد في الصعيد سنة ٦٧٧ وتوفي بالقاهرة سنة ٧٣٢هـ./١٣٣٣م.).

درس في القاهرة من الحديث والأدب والتاريخ ما يؤهله ليكون بين موظفي الديوان كأبيه. ويبدو أنه عمل أولاً في نسخ الكتب، فكان يبيع النسخة من صحيح البخاري بألف درهم. واتصل بالسلطان الناصر محمد ونال عنده حظوة فوكله ببعض الأمور المالية والإدارية كالكتابة وبسط الخرائط وأعمال الحسبة والمقايسات والمحاسبة والتحصيلات والنظر على الغلات والاعتصار والعلوفات والمبيعات[2]، قبل أن يعهد إليه بالديوان، ثم بنظارة الجيش في طرابلس سنة ٧١٠ ثم يستدعيه سنة ٧١٢ معزولاً ثم يصبح ناظر الديوان في الدقهلية فترة قصيرة...

ويبدو أن هذه الأعمال استمرت حتى السقوط الثاني للناصر واستقالته سنة ٧٠٨، وما رافق ذلك من اضطراب. فعاف النويري هذه الحياة الخطرة وتطلع إلى مصير آخر في العلم والأدب. ولا شك أنه كان قد وفّر لنفسه بعض بوادر العيش حين قرر ـ كما قال ـ «أن يمتطي جواد المطالعة ويركض في ميدان المراجعة... وأن يجرد منها كتاباً يستأنس به ويرجع

---

(١) انظر ابن الفرات ـ «تاريخ الدول والملوك» (مخطوط فيينا) ج٣ ورقة ١٦٨ وجه، وج٤ ورقة ١٦٥ وجه، وهو يقول: «وقال القاضي ناصر الدين شافع بن علي سبط القاضي ناصر الدين شافع بن علي سبط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في تأليفه: «نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك»، وقال بعض أهل التاريخ أن...».

(٢) النويري. «نهاية الأرب» ج١ ص٣ و«المخطوط» ج٣٠ الأوراق ١٩/٢٩/٤٥/٥٩/٧٧.

إليه. . .» بدأ العمل على ذلك في سنة ٧١٤ وأخرج المجلد الأول من هذا الكتاب سنة ٧٢١[1]. وسماه: «نهاية الأرب في فنون الأدب».

بقية حياة النويري لم يكن فيها شيء سوى إنهاء مشروعه الذي ملأ ٣١ مجلداً باعها النويري بخطه بألفي درهم، ثم توفي السنة التالية.

و «نهاية الأرب في فنون الأدب» موسوعة ضخمة تحوي المعارف اللازمة من حيث المبدأ لكاتب ناجح في الديوان، ولكنها جاءت من السعة والتنوّع والغزارة بحيث استوعبت معارف العصر كله. وكلمة الأدب التي وردت في العنوان كانت تعني لدى النويري أوسع معانيها وتشمل، مع الأدب المحض من نثر وشعر، الجغرافيا والفلك والقضاء والسياسة والإدارة وحديث الحيوان والأقوام والنبات، كما تعني إلى كل ذلك: التاريخ بقضه وقضيضه!

وهكذا وضع النويري لموسوعته التي كانت بالنسبة إليه وإلى كل كاتب: «نهاية الأرب» مخططاً دقيقاً منظماً قسم فيه موضوعها إلى خمسة فنون، وقسم كل فن إلى عدة أبواب:

الفن الأول ـ في السماء والأرض والملائكة والكواكب، وظواهر الطبيعة وتضاريس الأرض والبحار والأنهر، وطبائع البلاد والسكان والمباني والآثار.

الفن الثاني ـ في الإنسان وما يتعلق به، وفي النساء، وفي أنواع الشعر، والنوادر، وخبر القيان والغناء، وحديث الملك، والسياسة والإمامة والقضاء والحسبة، والكتابة وشروطها، وعلوم المعاني والبيان. . .

الفن الثالث ـ في الحيوان الصامت من ضار وأنيس وطير وسمك وحشرة. . .

الفن الرابع ـ في النبات والأثمار والزهر وأنواع الطيب.

الفن الخامس ـ في التاريخ كله.

لم يبتكر النويري هذا المخطط، ولكنه اقتبسه مع بعض التصرف من مؤلَّف معاصر له هو محمد بن إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط (المتوفى سنة ٧١٨) الذي وضع موسوعة صغيرة عنوانها «مباهج الفكر ومناهج العبر». فالفنون الأربعة الأولى هي فنون المباهج نفسها مع أبوابها، وإنما أضاف النويري الفن الخامس وانتقل به من ميدان التعليم الديواني إلى ميدان المؤرخين. يضاف إلى هذا أمر هامّ هو أن هذه الفنون وإن غلب عليها الطابع الأدبي، أو بسبب هذه الغلبة، تحوي ثروة من المعلومات الحضارية حول الموسيقى ومجالس

---

(١) النويري ـ المصدر نفسه ص٤٠٠

الشراب والزهد ونظم الحكم والقضاء والوزارة والجيش والسلاح والغزو في البر والبحر والتجارة والتموين وغيرها. . .

وإذ احتلت تلك الفنون الأربعة المجلدات العشرة الأولى من مخطوط «نهاية الأرب»، فإن ما أخذه التاريخ من هذه الموسوعة، وهو ٢١ مجلداً، قد نقل النويري من ميدان المؤرخين العاديين إلى مصافّ كبار المؤرخين. ولو أفردت هذه المجلدات وحدها لكفته وإن لم يكن فيها أكثر من جامع ومنسق لما سبق من أعمال المؤرخين.

يبدأ النويري كتابة التاريخ من بدء الخليقة وآدم لينتهي بعصره:

فالجزء الحادي عشر من آدم إلى موسى، والثاني عشر من موسىٰ إلى المسيح، والثالث عشر للأمم القديمة من اليونان والفراعنة والفرس، وينطلق منذ أواخره في تاريخ العرب قبل الإسلام والجاهلية، ويخصص المجلدات ١٤، ١٥، ١٦ للسيرة النبوية وما يتصل بها، والمجلد ١٧ للراشدين، ويذكر في المجلدين ١٨، ١٩ تاريخ الأمويين، ويلي ذلك مجلدان آخران للتاريخ العباسي حتى خلافة المستظهر، ويخصص القسم الثاني من المجلد ٢١ للدولة الأموية في الأندلس، ثم يأتي في المجلد ٢٢ على تاريخ المغرب منذ فتحه حتى المرابطين والموحدين، ويسهب في تاريخ التشيع والحركة القرمطية وثورات المشرق. ويمتد ذلك في المجلد ٢٣ الذي يحوي تاريخ الدولة الإسلامية في المشرق، وفي المجلدين ٢٤ و ٢٥ تاريخ السلاجقة وما سبقهم وتفرع عنهم من دول الجزيرة وآسيا الصغرى والشام، ويملأ تاريخ مصر والشام في عهد الطولونيين والإخشيديين والفاطميين والأيوبيين المجلدين ٢٦ و ٢٧ بما في ذلك الحروب الصليبية. ويأتي التاريخ المملوكي وسلطنة بيبرس (في المجلد ٢٨) ثم ما تلاه من تاريخ المماليك مرتباً على السنين (في المجلدين ٢٩ و ٣٠) حتى سنة ٧٣١، وخصص النويري في النهاية المجلد ٣١ لتاريخ اليمن. ويبدو أنه كان في عزمه متابعة تسجيل حوادث عصره، فقد أشار في ختام الموسوعة إلى مجلد قادم أوله حوادث سنة ٧٣٢.

ويتضح من هذا الوصف العام أن النويري نظم التاريخ الإسلامي على أساس الأقاليم الجغرافية أولاً، ثم على الأساس الزمني من الأسرات الحاكمة، وتوسع خاصة في السيرة النبوية وفي تاريخ مصر والشام وخاصة في العصر المملوكي.

وقد جمع النويري مادته من مختلف المؤرخين الكبار، وحفظ لنا أحياناً كثيرة بعضاً مما ضاع من آثارهم. فنحن مثلاً نقرأ لديه شيئاً من ابن ميسر والجزري وابن الساعي وابن الأثير عند الحديث عن القرن السادس، ونجد عنده سبط ابن الجوزي وابن واصل وابن خلكان وابن عبد الظاهر والنسوي في القرن السابع والعهد الأيوبي. كما نجد العديد من معاصريه عنده حين يصل الحديث إلى عصره. فهناك الوطواط وبيبرس الدوادار وابن أيبك، وهناك نجد النويري المؤرخ الحقيقي لأنه لا يكتفي بما يأخذ عن الآخرين، ولكن يضيف إلى

الأحداث رأيه وخبراته ومعلوماته الخاصة. إنه في هذه الأقسام الأخيرة منذ مطالع القرن الثامن، شاهد عصره، وفيها تظهر أصالته[1].

بدأ نشر «نهاية الأرب» في القاهرة برعاية أحمد زكي باشا منذ سنة ١٩٢٣، ولكنه لم يتم طبعاً حتى الآن. وقد طبعت الفنون الأربعة الأولى من الكتاب (المجلدات العشرة الأولى من المخطوط) في اثني عشر مجلداً (طبعة دار الكتب بالقاهرة)، وبدأ طبع القسم التاريخي (المجلد ١١ من المخطوط) اعتباراً من المجلد ١٣، وقد ظهر سنة ١٩٧٦ المجلد ٢١ الذي ينتهي بآخر العهد الأموي سنة ١٣٢ (المجلد ١٩ من تقسيم المؤلف)، وظهر بعد ذلك المجلدان ٢٢ و٢٣. وثمة خبر يذكر أنه حقق جميعاً وينتظر الطبع.

جمعت دار الكتب في مصر نسخة كاملة من مخطوطات أجزاء الكتاب ومصوراتها المختلفة، ويبدو أن أجزاءه الباقية قد انتهى تحقيقها فعلاً منذ فترة وتنتظر الطبع. وعلى أي حال فثمة مجلدات مخطوطة متفرقة في مكتبات العالم منها فيما يتعلق بالمجلدات غير المطبوعة.

وهناك في أيا صوفيا المخطوط رقم ٣٥٢٣ و٣١٠٦ من المجلد ٢٠، والمخطوط رقم ٣٥١٤ من المجلد ٢٣، والمخطوطان ٣٥٢٥ و٣٥١٦ من المجلد ٢٤، والمخطوط ٣٥٢٦ من المجلد ٢٨، والمخطوط ٣٥٢٧ من المجلد ٣١.

وهناك في كوبرلي المجلدان المخطوطان ١١٨٧ و١١٨٨، ويحويان النصف الآخر من الكتاب كله، من توالي المجلد ١٧ حتى النهاية، وهما منقولان (سنة ٩٦٧) عن المخطوط الأصلي للنويري.

وفي المكتبة الوطنية في باريس هناك المجلدات من رقم ١٥٧٣ حتى ١٥٧٩ (سبع مجلدات) ورقم ١٥٨٧ و١٥٨٨و ٥٠٥٠، ولكنها لا تحوي تاريخ القرنين السادس والسابع.

٩ ـ ابن أيبك الدواداري

أبو بكر بن عبد الله الدواداري بن عز الدين أيبك المعظمي: صاحب صرخد، سكتت المصادر عن ترجمة هذا الرجل، كما سكت وهو المؤرخ عن ذكر شيء واضح حول سيرته، فلسنا نعرف متى ولد ولا أين، ولا أين توفي ومتى. كل ما نعرف أنه كان حيًّا سنة ٧٣٦،

---

(١) نجد ترجمة النويري لدى: ابن حجر ـ «الدرر» ج١ ص١٩٧، ابن تغري بردي ـ «النجوم» ٩ سنة ٢٩٩، ابن كثير ـ «البداية والنهاية» ج١٤ ص١٦٤، ابن تغري بردي ـ «المنهل الصافي» ١ سنة ٣٦١، ابن الوردي ـ «تتمة المختصر» ج٢ ص٣٠٣، السيوطي ـ «حسن المحاضرة» ج١ ص٣٢٠، الأدفوي ـ «الطالع السعيد» ص٤٦، «إيليسيف» (بالفرنسية) نور الدين ج١ ص٦٦، كاهن ـ سورية الشمالية (بالفرنسية) ص٦٨، بروكلمان ج٢/١٧٥، وملحق ٢/١٧٣.

وقد توفي بعد ذلك. وهو يَدَّعي أنه من نسل آل سلجوق، وأن جده السابع هو ألب أرسلان (المتوفى سنة ٤٨٥)، وإنما أسر جده عزّ الدين ميكائيل، وبيع للملك المعظم الأيوبي فنسب إليه، وكان لهذا الجد مكتبة وعلم ومؤلفات بجانب مكانه العسكري، وكذلك كان الأب عبد الله الذي سكن القاهرة وعرف بالدوادار، وهناك نشأ ابنه (المؤرخ). وكان الأب مقرباً للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فولاه أعمال الشرقية في مصر وإمرة العربان فيها ما بين سنة ٦٩٩ ـ ٧١٠، ثم أرسله الناصر إلى الشام مع ابنه فعين «مهمنداراً» لتولي أمر الضيوف حتى توفي سنة ٧١٣ . . .

ويبدو أن الابن المؤلف عاد بعد ذلك، في وقت لا نعرفه، إلى مصر كما يبدو من اهتمامه برواية أخبار مصر وبوفاء النيل سنويًا فيها، وأنه ألّف هناك أهمَّ مؤلفاته . . . وأنه هناك توفي بعد ذلك. فهو مؤرخ شامي ـ مصري في وقت معاً.

يعتبر ابن أيبك أحد النماذج العديدة التي تمثل فيها اندماج العنصر التركي العسكري (المملوكي) في الثقافة الإسلامية والمجتمع المسلم الذي وجد فيه. فأجيال المماليك الأولى كانت دوماً عسكرية، والنابهون منها كانوا يتسلقون سُلّم السياسة والإدارة إلى القمة. أما الجيل الثاني فكان النابه والبارز منه يدخل إما الإدارة، وإما باب العلم الديني والتاريخ. وأما الجيل الثالث فمن شاء النباهة فيه فالعلم، وبخاصة التاريخ، ثم علوم الدين كانت سبيله الأول للبروز. وقد شدا ابن أيبك بعضاً من الأدب وكثيراً من التاريخ، فكان هذا وذاك هما زاده الذي اقتحم به ميدان التأليف التاريخي. وقد كتب من المؤلفات:

١ ـ «أعيان الأمثال وأمثال الأعيان».

٢ ـ «حدائق الأحداث ودقائق الحُذّاق».

٣ ـ «عادات السادات وسادات العادات في مناقب الشيخ أبي السعادات».

٤ ـ «اللقط الباهرة في خطط القاهرة»[١].

٥ ـ «النكت الملوكية إلى الدولة التركية». ذكره السخاوي[٢]. وقال إنه في مجلد وقد رآه في مكتبة ابن فهد.

وهذه المؤلفات قد ضاعت ويبدو أن بعضها أدبي . . . وقد بقي منها لحسن الحظ أهم مؤلفاته التاريخية، أعني:

٦ ـ تاريخه الكبير الهام، الذي سماه «كنز الدرر وجامع الغرر». وهو تاريخ عام في

(١) ذكره في كتابه «كنز الدرر» ج٧ ص١٨، وذكر بعض ما سطره فيه. وكان وعد في المجلد السادس بتأليفه وسماه «الروضة الزاهرة في خطط القاهرة».

(٢) انظر السخاوي ـ «الإعلان» ص٦١١.

تسع مجلدات قسمه المؤلف درراً متفرقة، وكل درة لمرحلة تاريخية معينة جعل لها عنواناً خاصاً بها، وأضاف بعده عنواناً آخر يتصل بأفلاك السماء وهكذا فهناك:

أ ــ الدرة العليا في أخبار بدوّ الدنيا وهي من فلك القمر، في تقسيم المؤلف.
ب ــ والدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة وهي من فلك عطارد.
جـ ــ والدر الثمين في أخبار سيد المرسلين وهي من فلك الزهرة.
د ــ والدرة السمية في أخبار الدولة الأموية وهي من فلك الشمس.
هـ ــ والدرة السنية في أخبار الدولة العباسية وهي من فلك المريخ.
و ــ والدرة المعنية في أخبار الدولة الفاطمية وهي من فلك المشتري.
ز ــ والدر المطلوب في أخبار دولة بني أيوب وهي من فلك زحل.
ح ــ والدرة الزكية في أخبار دولة الملوك التركية (المماليك) وهي من فلك البروج.
ط ــ والدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (سلطان العصر) وهي من الفلك الأطلس.

ابتدأ ابن أيبك كتابة تاريخه سنة ٧٠٩هـ./١٣٠٩م. قبل أن ينتقل إلى دمشق مع أبيه، واستمر ينسخ ويبيض ويعيد النظر ويكتب حتى وقف في حوادث الجزء الأخير عند سنة ٧٣٥ وذلك في سنة ٧٣٦. وقد قال ابن أيبك في مقدمة تاريخه: «انتخبته وانتقيته وغربلته ونقّيته من تواريخ رئيسية وكتب نفيسة فعاد كالحديقة المشرقة، ذات أشجار مورقة، ونوادر ومضاحك... وملح ورقائق. ولخصت من تواريخ الجمع ما ينزه الناظر...». والحقيقة أن ابن أيبك عمد إلى:

أ ــ التقميش والجمع في تاريخه كله إلا في الجزءين الأخيرين، فقد أضاف إليهما معلوماته الشخصية التي توفرت له عن طريق أبيه ومعاصريه وتجاربه وحياته. على أن في كتابه العديد من الإشارات والمعلومات التي يتفرد بها عن غيره.

ب ــ التلخيص: وقد أكد باستمرار في كتابه أنه يلخص. وقد يضرب عن بعض الأخبار «لطولها وكون تاريخنا تاريخ تلخيص» كما قال: وكان أحياناً يخرج عن شرط «الاختصار» إلى الاستطراد فيستغفر الله عنه ويحتذر عنه أو يبرره بأنه إنما يفعل ذلك «لتنشيط القارىء».

جـ ــ الأخذ عن عدد من المصادر المجهولة والمفقودة. وفي هذه الناحية يقدم ابن أيبك خدمة تاريخية وثقافية كبرى لأنه حفظ في كتابه بعض النصوص والمعلومات التي لا توجد في غيره، والتي استقاها من مصادر لم نكن لولاه نعرف عنها ولا عن مؤلفيها شيئاً. ومن مثل ذلك: تاريخ الشام للسميساطي الذي لم يذكره ولم يذكر مؤلفه أحد، ومثله الكتاب القبطي الذي وجده ابن أيبك بالدير الأبيض واستنسخ منه، وكتاب تاريخ الأتراك القديم (واي أطام بتكي/أو كتاب الأب الكبير) الذي نسخ منه عشرين صفحة، بعد أن وجده لدى الأمير

بيسري مجلدا بأطلس أحمر مع قفل من الذهب. . . وكتاب «جنى النحل» لمحمد البلخي[1] وغيرها كتب عديدة.

د ـ عدم الالتفات للوفيات أبداً. وقد اقتصر في تاريخه على ذكر الأحداث السياسية موجزة مركزة، فلم يسهب ويتوسع إلا في تاريخ عصره.

هـ ـ إضافة قسم خاص في نهاية كل جزء للشعراء البارزين في الفترة التي يؤرخ لها ذلك الجزء. مع ذكر المختار من أشعارهم في طبقتيْ «المرقص والمطرب». وابن أيبك في هذه الناحية أضاف لمحة حضارية إلى التاريخ السياسي، وأراد أن يقول إن الأدب والشعر هما جزء من التاريخ، وإنهما عنده أهم من تراجم العلماء والفقهاء.

وبالرغم من الذوق الأدبي الجميل عند ابن أيبك، ومن كتابته أحياناً بأسلوب جيّد، إلا أنه كثيراً ما يهبط إلى مستوى اللغة الدارجة والخطأ النحوي الغريب. لقد كان في هذا يمثل لغة عصره. نشر المعهد الألماني في القاهرة من «كنز الدرر» الأجزاء الأربعة الأخيرة (٦، ٧، ٨، ٩) وطبعها بتحقيق كل من صلاح الدين المنجّد (سنة ١٩٦١)، وسعيد عبد الفتاح عاشور (سنة ١٩٧٢)، وهارمان (سنة ١٩٧١) ورويمر (سنة ١٩٦٠).

وثمة من الكتاب كله نسخة مخطوطة كاملة مكتوبة بخط المؤلف، منها خمسة أجزاء في مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ٢٩٣٢، وينقصها الأول والثاني والرابع والخامس. وهي الأجزاء الموجودة في مكتبة أياصوفيا. فالجزء الأول موجود هناك برقم ٣٠٧٣، والثاني برقم ٣٠٧٤، والرابع برقم ٣٠٧٥، والخامس برقم ٣٠٧٦.

٧ ـ تاريخ ابن أيبك المختصر، وعنوانه «درر التيجان وغرر تواريخ الزمان» وهو بدوره تاريخ عالمي عام يبدأ من آدم وينتهي إلى الإسلام، فيذكر بعد ذلك الحوادث سنة بعد سنة حتى سنة ٧١٠. وقد أضاف إليه المؤلف ذكر تراجم الملوك والوزراء والعلماء والشعراء والأطباء. ولم يطبع هذا التاريخ بعد. ومنه نسخة مخطوطة في ٦٧٦ ورقة في مكتبة أحمد خان في استامبول (مصورة في دار الكتب بمصر رقم ٢٦٠٥ ونسخة أخرى في داماد إبراهيم باشا برقم ٩١٣ باستامبول أيضاً). ونسخة ثالثة في بلدية الإسكندرية برقم ٣٨٢٨ ولكنها ناقصة الأول والآخر، عدد أوراقها ٢٥٠ تقريباً ويبدو أنها بخط المؤلف[2].

---

(١) انظر بالترتيب من أجل هذه الكتب «الدرة المضيئة» (ج٦) ص٢٧٢ ثم ص٣٥٣، ثم «الدر المطلوب» (ج٧) ص٢١٨ ـ ٢٣٧، ثم ص٢٤٥ ـ ٢٤٨ وج٦ ص٤٣٧.

(٢) لا تراجم لابن أيبك في المصادر، ولكنا نجد محاولة لترجمته من خلال ما عرف عنه في مقدمة الجزءين السادس والسابع. وهناك ترجمة بالألمانية، في مطلع الجزء التاسع. وأخرى بالألمانية مختصرة لدى بروكلمان ملحق ٢/ص٤٤ (وقد جعل وفاته خطأ سنة ٧٣٢). وانظر كذلك رونالد ليتل: «مقدمة للتاريخ المملوكي» (بالانكليزية) ص٩ فما بعد، والإشارات التي وردت في الجزء التاسع خاصة بالمؤلف ومنها مثلاً الصفحات ٤١، ٤٣، ٥١، ٥٢، ٧١، ١٠٤، ١٠٦، ١٧٩، ٣٦٩، ٣٨٨، ٣٩١. . الخ.

١٠ ــ ابن الملقن

أبـو حفص سراج الـدين عمر بن علي بن أحمـد بن محمد الأنصـاري الـوادآشي، الأندلسي، التكروري الأصل، المصري، الشـافعي: ولد سنـة ٧٢٣ وتوفي سنـة ٨٠٤. وقد توفي أبوه وعمره سنة، فنسبه الناس إلى زوج أمه الذي كان يلقن القرآن، فعرف بابن الملقن، وإن كان يرفض هذا اللقب. وابن الملقن هو في الدرجة الأولى، محدث، سواء في تكوينه الفكري أو في أعماله التي قام بها في حياته أو في مؤلفاته. جهوده ومعارفه وإنتاجه في التاريخ إنما أتت من باب خدمة الحديث وفي إطاره. وبالرغم من أنه اشتغل في كل فن حتى قرأ في كل مذهب كتاباً. وبرع في الفقه وفي الخط وفي الأصول والإفتاء، فقد كانت له مشاركة واضحة في علم الرجال. وإذا كانت له قافلة طويلة جدًّا من المجلدات في جمع كتب الحديث المعروضة وتلخيصها وشروحها، وتؤلف حسب قوله ثلاثمائة مؤلَّف، وبعضها في مجلدات تبلغ العشرين، فقد كان منها في التاريخ والرجال عددٌ جيد معظمه مخطوط أو ضائع:

١ ــ «نـزهة النـظار في قضاة الأمصـار»: ومنه نسخـة مخـطوطـة في مكتبـة طلعت (التيمورية ٢٢٥٦ تاريخ) في القاهرة. وقد وصل فيه المؤلف إلى سنـة ٧٨٠، ورتبـه طبقة بعد طبقة، وأورد في آخره منظومات في أسماء القضاة.

٢ ــ «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال»: ذكر فيه تراجم كتب ستـة هم أحمد ابن حنبل وابن خزيمة وابن حِبَّان والدارقطني والحاكم. ويبدو أن معظم الكتاب ضـاع منذ القرن التاسع، فلم يَرَ منه السخاوي سوى مجلد. وثمة مجلد مخطوط منه في مكتبة قليج على رقم ١٩١ في استامبول يحوي التراجم من داوود بن سابور أبي سليمـان المكي إلى عبد الله بن مغفل وهو آخر الجزء الخامس والستين. والمخطوط نسخة من القرن التاسع في ٣٣١ ورقة.

٣ ــ «العقد المذهب في طبقـات حملة المذهب» والـذيل عليـه: وهو في طبقـات الشافعية، ومن زمن الشافعي إلى سنـة ٧٧٠هـ. وعـدة الأسماء فيه ألف وسبعمائة. أخذ من طبقات الأسنوي وابن كثير والسبكي. وقد رتبـه على ثلاث طبقـات: الأولى في أصحاب الوجوه وهذه على ٣٤ طبقة. وأما الثانية فهي دونهم وفيها ست وثلاثون طبقة. والثالثة على حروف المعجم.

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطـة في استامبـول (عموميـة ٥٢١٢) في ١٢٤ ورقة. ونسخة أخرى في عارف حكمت في المدينة، وقد نقلت عنها نسخة دار الكتب بالقاهـرة برقم ٥٧٩ تاريخ وهي في ٢٧٨ ورقة، وفي آخرها ذيل للمؤلف على كتابه. وثمة نسـخة ثالثة في مكتبة مولانا خليل الله المدارسي بحيدرآباد.

٤ ــ «الإشارات إلى ما وقع في المنهاج من الأسماء والأماكن واللغات»: وهو مختصر

كتاب «نهاية المنهاج إلى ما يستدرك على المنهاج» للإمام النووي. وقد قسمه المؤلف ثلاثة أقسام: الأول في الناحية اللغوية، والثاني في الأسماء المشتركة والمترادفة، والثالث في أسماء الأماكن وتحقيقها في مواطنها وضبطها. بدأ في تأليفه سنة ٧٤٣ ثـم زاد عليه بقدره سنة ٧٤٥. ثم لم يزل يـزيد حتى سنـة ٧٥٨. ومن هذا الكتـاب نسخة كتبت في حيـاة المؤلف في ١٨٠ ورقة هي مخطوط بلدية الإسكندرية رقم ٢٢٩٤ ب.

٥ ـ «خصائص النبي ﷺ»: وهو مختصر في خصائص الرسول. ومنه نسخة كتبت سنـة ٨٨٩ مـوجودة في دار الكتب بمصر رقم ٤٦٠ تاريخ - في ٣٤ ورقة.

٦ ـ «إيضاح الارتياب في معرفة ما يشتبه ويتصحف من الأسماء والأنساب والألفاظ والكُنى والألقاب الواقعة في تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج»: ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب بمصر رقم ١٧٤٦ حديث - في عشر أوراق؛ ونسخة أخرى في تشستربتي.

٧ ـ «عمدة المفيد وتذكرة المستفيد»: ومنه مخطوط تشستربتي رقم ٣٣٣٥ وهو نسخة فريدة.

٨ ـ «طبقات الأولياء» وهو مخطوط.

٩ ـ فهرس ابن الملقن وهو مطبوع. ولابن الملقن أيضاً كتب تاريخية أخرى هـامة ضاعت. ولعل لاحتراق مكتبته التي كان «فيها من الكتب ما لا يدخل تحت الحصر» أثراً في ضياعها. . . وضياع رشده معها في أواخر حياته، فقد احترقت معها مؤلفاته ومسوداته. «نعرف من هذه الكتب:

١٠ ـ «كتاب الصوفية»: وهو في مجلد صغير «جمع فيه جملة من طبقات العلماء الأعيان وأوتاد الأقطاب في كل قطر وأوان» كما يقول السخاوي.

١١ ـ «تاريخ الدولة التركية»: ويعرف بتاريخ ابن الملقن وهو في دولة المماليك.

١٢ ـ «نزهة العارفين من تواريخ المتقدمين».

١٣ ـ «در الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر».

١٤ ـ «طبقات المحدثين من زمن الصحابة إلى زمني».

١٥ ـ «طبقات القـراء».

١٦ ـ «عدد الفرق».

وقد ذكر السخاوي أنه اطّلع على عدد من هذه الكتب(١).

---

(١) نجد ترجمة ابن الملقن لدى السخاوي - «الضوء اللامع» ٦/١٠٠ - ١٠٥، «شذرات الذهب» ٢٤/٧، الشوكاني - «البدر الطالع» ٥٠٨/١ - ٥١١، السيوطي «حسن المحاضرة» ٢٤٩/١ ابن هداية - «طبقات الشافعية» ٩٠، ٩١، وانظر أيضاً بروكلمان، ج٩٢/٢ وملحق ١٠٩/٢ و«هدية العارفين» ٧٨١/١ وكحالة ٢٩٧/٧ - ٢٩٨ و«الأعلام» ٥٧/٥.

١١ ــ ابن الفرات

ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات، الحنفي، المصري: ولد سنة ٧٣٥هـ./١٣٣٦م. وتوفي سنة ٨٠٧هـ./١٤٠٥م. والرجل من أوساط الشيوخ المحدثين وأوساط الموظفين. شدا، على طريقة التعليم في عصره، بعض الحديث في مصر وفي دمشق، وسمع من حفاظ عصره، كما أسمع وتكسب بحوانيت الشهود في ظاهر القاهرة على باب المقاصي، كما وليَ خطابة المدرسة المعزية بمصر وعقود الزواج. لكنه «كان لهجاً بالتاريخ لا يزال مكبًّا على كتابته» كما يقول السخاوي. ومن باب الهواية تحول ابن الفرات مؤرخاً ذا مشروع من أجرأ المشاريع التاريخية هو أن يقدم تاريخاً عامًّا وإسلاميًّا يجمع فيه كل شيء. وهكذا ولد كتابه التاريخي «الكبير جدًّا»:

١ ــ «تاريخ الدول والملوك»: يقول ابن حجر في «الإنباء» إنه «كتب في التاريخ مسودة تبلغ مائة مجلد، بيّض منها نحو العشرين، وقفت عليها واستفدت منها». وهي «المئين الثلاثة الأخيرة» أي القرون الثامن والسابع والسادس. واخر ما كتب إلى انتهاء سنة ثلاث وثمانمائة/١٤٠٠م. وقد بيع الكتاب مسودة لعدم اشتغال ولده (عبد الرحيم) بذلك. . .

وطريقة ابن الفرات أن يتخير من المصادر ما يريد الكلام عنه فيثبته بالنص الحرفي بعد ذكر المصدر، الذي قد يذكره تفصيلاً أو يذكر عنوانه فحسب أو صاحبه وحده، أو يكتفي بالقول: «قال أهل التواريخ» ويمضي. . . والكتاب منظّم على أساس السنين (في المجلدات الباقية بين أيدينا) كما أن ابن الفرات لم ينس الوفيات فهو يثبتها في ذيول الحوادث السنوية.

وشأن تاريخ ابن الفرات لا يأتي من سعته، ولكن من أمرين اخرين:

الأول ـ أنه حفظ لنا أقساماً من بعض الكتب الضائعة، والمؤلفين المجهولين أحياناً تمام الجهل. ومن هؤلاء مثلاً تواريخ ابن أبي طي التي فقدت كلها، وكتاب «المختار من عيون التواريخ» لابن أبي أصيبعة، وكتاب «معادن الذهب في تاريخ الملوك والخلفاء وذوي الرتب»، وكتاب «نظم السلوك» لسبط ابن عبد الظاهر، وكتاب «جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام» لأبي الغنائم، و«ذخيرة الكتاب» لابن المكرم، وغيرها كثير. . .

الثاني ـ تاريخ عصره فإنه مسجله التسجيل الدقيق الغريب. وهو لا يذكر تاريخ الحادث فقط، ولكن يذكر اليوم كما يذكر أحياناً الساعة. فالأقسام الأخيرة من تاريخه تحسبها جريدة يومية. وقد تدرج في ذلك حسب الأجزاء فهو في أحداث القرن السادس يتابع السنين مع الإشارة أحياناً للأشهر والأيام، وفي السابع، منذ أواسطه وحتى أواسط الثامن، يسجل بالشهور ويضيف الأيام ما أمكنته المصادر. وفي القرن التاسع تصبح الأيام والساعات هي طريقة التأريخ عنده. واعتمد في ذلك على ما يسمع ويقرأ ويشهد.

ويلاحظ على ابن الفرات المؤرخ أربعة أمور أخرى:

أ ـ أنه يتخيَّر النصوص الأقدم والمعاصرة للأحداث حين ينقل عن المصادر.
ب ـ أنه يناقش بعض الأحداث أحياناً ويرجح خبراً على آخر.
ج ـ أنه ذو ميل أدبي واضح فهو ينقل أحياناً القصائد الطويلة ويبدي الرأي في الأدب.
د ـ أنه يقع في اللحن الفاحش والعبارة العامة جدًّا في كثير من الأحيان.

لم يبق لنا شيء من مسودة ابن الفرات. وأما المجلدات العشرون التي بيضها للقرون (٦، ٧، ٨)، فقد بقي منها عشرة مجلدات مخطوطة بخطه، وهي نسخة فريدة في العالم، تسعة منها محفوظة في مكتبة فيينا وتحمل الأرقام من ١١٧ إلى ١٢٥ .A.F. وأما المجلد العاشر الذي تقع حوادثه ضمن حوادث المجلدات العشرة فهو في مكتبة الفاتيكان تحت رقم ٧٢٦ (ويمثل الفترة من سنة ٦٣٩ حتى سنة ٦٥٩). وثمة عدا ذلك مجلدان في خزانة الرباط. وفي مكتبة باريس الوطنية ثلاثة مجلدات من «تاريخ الدول والملوك»[١] تحمل الأرقام ١٥٩٥ .Ar، ١٥٩٦و ٥٩٩٠، ومجلد رابع في المتحف البريطاني تحت رقم ٣٠٠٧ .Or. ولكن هذه المجلدات الأخيرة تتصل على ما يظهر بالمجموعة الأخرى من الكتاب والتي تحمل عنوان:

٢ ـ «التاريخ الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك». وهذه المجموعة الثانية هي غير تلك التي ذكر ابن حجر والسخاوي تبييضها في عشرين مجلداً، ويبدو أنها تشكل الأقسام الأولى من تاريخ ابن الفرات نفسه. ولم يكن ابن حجر يعلم شيئاً من أمر تبييضها. كما أن المؤلف ـ على ما يظهر ـ لم يكن قد قرر بعد وبشكل نهائي عنوان الكتاب، ومن هنا جاء التباين بين العنوانين. .فهذه المجموعة الثانية التي تضم مخطوط الرباط، ومخطوط المتحف البريطاني، وأحد مخطوطات المكتبة الوطنية في باريس كما تضم أربعة مجلدات أخرى بخط المؤلف موجودة في مكتبة حسين چلبي رقم ٢١ تاريخ في استامبول (هي المجلدات ٦، ٩، ١٠، ١١).

وهي تشكل مجموعة التاريخ القديم حتى الإسلام في تاريخ ابن الفرات:

فمخطوط الرباط الذي يحمل رقم المجلد الثاني هو قطعة أولى من المجموعة. ومخطوط المتحف البريطاني (ويجب أن يكون المجلد الثالث أو الرابع من الأصل) يشمل أخبار العهد القديم من شيث إلى إسحق.

ومخطوطا الرباط وچلبي (اللذان يحملان رقم المجلد السادس) يبدأ فيهما الكلام عن اختلاف الفقهاء حول حكم الساحر المسلم، وينتهي بآخر الكلام عن الحواريين، وفي نهايته يذكر أن المجلد السابع سيبدأ بذكر إرسال الله عزّ وجلّ رسله الثلاثة (١٩٧ ورقة).

---

(١) المجلدان ١٥٩٥ و٥٩٩٠ هما الأصليان. وأما المجلد ١٥٩٦ فيحوي مقتطفات نقلها المستشرق جوردان Jourdain عن مخطوطات فيينا وترجمها إلى اللغة الفرنسية، وتتصل بالقرن السابع الهجري (١٣م.).

ومخطوط المكتبة الوطنية في باريس (ويجب أن يكون الثامن في العدد) برقم ٥٩٩٠ يبدأ بأخبار الساسانيين وينتهي بشعراء الجاهلية.

والتاسع في چلبي يبدأ بذكر أخبار شعراء الجاهلية (١٧٦ ورقة).

والعاشر في چلبي أوله فصل في ذكر أيام العرب وأخبارها (١٩٦ ورقة).

والحادي عشر في چلبي يبتدىء بذكر مبعث رسول الله (١٩٦ ورقة).

أما المجلد رقم ١٥٩٥ في مكتبة باريس فيحوي قطعة من تاريخ الإسلام بين سنتي ١١ - ١٩هـ.

وقد عني المستشرقون أمثال شيفر وجوردان ولين - بول مبكرين بابن الفرات. أما في المشرق العربي، فقد بدأ الانتباه إليه ونشره الأستاذ الدكتور قسطنطين زريق مع الدكتورة نجلاء عزّ الدين فنشرا المجلد الأخير (التاسع) من مجلدات فيينا (حوادث سنة ٧٨٩ - ٧٩٩ مع الفهارس) في مجلدين (مطبوعات الجامعة الأميركية في بيروت ١٩٣٦ - ١٩٣٨)، ثم نشرا المجلد الثامن (سنة ١٩٣٩) (حوادث سنة ٦٨٣ إلى سنة ٦٩٦)، ونشر الدكتور زريق المجلد السابع سنة ١٩٤٢ (حوادث سنة ٦٧٢ إلى سنة ٦٨٢).

وتوقف العمل إلى أن استأنفه الدكتور حسن محمد الشماع، من جامعة البصرة فنشر المجلد الرابع في مجلدين طُبعا في البصرة سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٦٩، ثم نشر الجزء الأول من المجلد الخامس سنة ١٩٧٠، وتتضمن هذه المجموعة تاريخ الفترة من سنة ٥٦٣هـ. إلى سنة ٥٦٧، ثم يأتي خرم يمتد ١٩ سنة، ثم تاريخ ما بين سنة ٥٨٦ وسنة ٥٩٩، ثم تاريخ ما بين سنتي ٦٠٠ - ٦١٥هـ. /١٢١٨م.

٣ ــ «تاريخ البلاد والعباد».

٤ ــ «تاريخ مصر» (كبير).

وهذان الكتابان الأخيران ينسبهما صاحب هدية العارفين (إسماعيل البغدادي)[1] إلى ابن الفرات. وأحسب أنه لا يعني في الكتابين سوى تاريخ ابن الفرات السابق. إلاّ أن يكون مصدر البغدادي موثوقاً، ولم يدخل عليه الوهم[2].

---

(١) «هدية العارفين» ج٢ ص٢٠٧.

(٢) ترجمة ابن الفرات: لدى السخاوي - «الضوء اللامع» ج٨ ص٥١، «شذرات الذهب» ج٧ ص٧٢، ابن فهد - «لحظ الألحاظ» ٢٤٢، السيوطي - «حسن المحاضرة» ١/ ٣٢٠، السخاوي - «الإعلان» ص٦٨٠. وانظر أيضاً بروكلمان ج٢ ص٥٠ وملحق ٢/ ٤٩، ملحق ٣/ ١٢٥٠، «كاهن» - سورية الشمالية (بالفرنسية) ص٨٥ «إيليسييف» نور الدين (بالفرنسية) ١/ ٧٣ ومقدمة الدكتور زريق والدكتور الشماع لما نشرا من التاريخ، وكحالة معجم، و«الأعلام» ج٦ ص٢٠٠ - ٢٠١.

١٢ ــ ابن دقماق[١]

صارم الدين إبراهيم بن محمد بن شمس الدين آيدمر بن دقماق العلائي الحنفي المصري: ولد في حدود سنة ٧٥٠ وتوفي سنة ٨٠٩هـ. /١٤٠٧م . كان دقماق جد أبيه أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون فهو من «أولاد الناس» الذين انصرفوا، مع تيسر الحياة الطيبة لهم إلى محاولة البروز في العلم بعد أن تزيّا فترة بزي الجند. فتفقه يسيراً بجماعة من العلماء. ثم مال إلى الأدب على الرغم من قلة بضاعته في العربية. ثم حبب إليه التاريخ فأكب عليه يقرأ ويطّلع ثم يؤلف. وكانت مشاريعه التاريخية كبيرة الطموح، ولكنه عالجها بالدأب والصبر، حتى كتب ما يزيد على مائتي سِفْر من تأليفه، وإن عابوا عليه فيها العبارة العامية. وقد انصبّ أكثر اهتمامه على تاريخ الدولة التركية المملوكية حتى شهد له معاصروه بالمشاركة الجيدة الواسعة فيه، والاطلاع الحسن. وبالرغم من أنهم ذكروا عفاف لسانه وقلة وقيعته في الناس، إلا أنه أُتِيَ من هذا الجانب نفسه. فقد أخذ عليه فقهاء الشافعية أنه كتب في ترجمة الشافعي شيئاً يمسه فجيء به سنة ٨٠٥ إلى مجلس قاضي الشافعية فعزّره بالضرب والحبس. «ولم يكن - كما قال ابن حجر - يستأهل ذلك»، فكانت محنة من المحن لهذا الرجل، توفي بعدها بأربع سنوات. تخصص ابن دقماق في التاريخ وترك فيه عدداً وافراً من المؤلفات عالج فيها التاريخ السياسي والتراجم والسير عل السواء. وقد قدر السخاوي عدد تراثه منها بمائتي سفر[٢] من تأليفه وغيره. ومما نعرفه منها:

١ ــ كتاب «نزهة الأنام في تاريخ الإسلام»: وهو إسلامي عام، نظمه ابن دقماق على السنين، وكتبه في عدة مجلدات. ويعتبره (تاريخاً صغيراً). ويبدو أن أجزاءه بُعثرت، وبعضها فُقِدَ على ما يظهر. ومنه مجلد في مكتبة فيض الله باستامبول برقم ١٥٤٩ يمتد من سنة ٢٧٩ إلى سنة ٤٩٩، وفيه فجوة ما بين سنتي ٤٠٧ - ٤٣٦هـ. وهو في ٣٤٧ ورقة. وثمة قطعة أخرى في المكتبة الوطنية في باريس برقم ١٥٩٧ تمتد من سنة ٦٢٨ حتى سنة ٦٥٩ وهي بخط المؤلف.

٢ ــ كتاب «ترجمان الزمان من تراجم الأعيان»: وهو منظم على الحروف، ولعله اختصر فيه الوافي للصفدي فهو يتبعه، ويبدو أنه كان يزيد على عشرين قسماً. ومنه في مكتبة احمد الثالث أربعة أقسام بخط المؤلف تحمل رقم ٢٩٢٧، وتتضمن الأقسام ٧ (من راجح ابن قتادة أبي سليمان بن مهران) و ١١ (من عبد الودود بن عبد الرحمن أبي علي بن يحيى)

---

(١) ضربنا هنا صفحاً عن ذكر ابن خلدون لأنه إنما نشأ وتكوّن وكتب في المغرب وسوف نأتي على ذكره مع المغاربة.

(٢) السخاوي - «الإعلان» ص٦٨٢. وقد نقل ذلك عن ابن حجر الذي نقلها عن المقريزي. وانظر ابن حجر. «الضوء اللامع» ج١ ص١٤٥ وما بعد.

و ١٣ (من فناخسرو بن حسن إلى محمد بن إسماعيل) و١٦ (من محمد بن محمد إلى مسعود بن علي).

٣ ــ كتاب «الانتصار في الأمصار»: وهو في عشرة أقسام، يتناول كل قسم مدينة من مدن الإسلام الكبرى. ولسنا واثقين من أن ابن دقماق قد أكمل الكتاب، فليس ثمة أثر لمعظم أقسامه، ولا نُقِل عنه أيضاً. وإنما بقي منه فقط القسمان الرابع والخامس، وجدا بخطه صدفة في دار الكتب الخديوية بمصر سنة ١٨٩١، ولا يزالان في القاهرة برقم ١٢٤٤ تاريخ (أولهما في ١٣٠ ورقة والثاني في ١٢٧) وقد طبعهما المستشرق فولرز Vollers سنة ١٨٩٣ بالقاهرة بالعنوان الذي يحملانه وهو: «الانتصار لواسطة عقد الأمصار» وهما يحملان معلومات عامة عن مصر تاريخية جغرافية معاً. ومن الغريب أن المقريزي (وكان تلميذ ابن دقماق) لم يطلع على هذا الكتاب، ولم يذكره، أو يعتمده في كتابه «الخطط». ولعل السبب أن نوعاً من القطيعة قامت بين التلميذ (الذي كان حنفيًّا ثم صار شافعيًّا) وبين أستاذه الحنفي حالت دون اطلاع المقريزي على الكتاب الذي ألّفه ابن دقماق بين آخر القرن الثامن ومطلع التاسع.

٤ ــ «نظم الجمان في طبقات أصحاب النعمان» (أبي حنيفة)؛ في تراجم الأحناف. وقف حاجي خليفة صاحب كشف الظنون على المجلدين الأول والثالث منه بخط ابن دقماق[١] نفسه. وقد بقي منه الجزء الثاني (من ترجمة إبراهيم بن أدهم حتى ترجمة نصر بن بشر العراقي) مخطوطاً في مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٨٣٢ في ١٦٤ ورقة وهو مخروم الآخِر.

٥ ــ كتاب «الجوهر الثمين في سِير الملوك والسلاطين»: ذكر ابن دقماق في أوله أنه ألّفه بإشارة السلطان الملك الظاهر برقوق، وجمع فيه أخبار الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين وسيرة كل منهم ابتداء بأبي بكر وانتهاء بالملك المنصور عبد العزيز بن برقوق. ورتبه على السنين وجعل سيرة كل خليفة أو سلطان على حدة مع مدة حكمه. ووصل إلى الظاهر وهو السابع والعشرون من ملوك الترك. وهو في مجلد. ومخطوطاته كثيرة منها: مخطوط أيا صوفيا رقم ٤١٧٢، وحكيم أوغلو علي (٢٢٥ ورقة) رقم ٧٣٧، وأحمد الثالث ٢٩٨٤ (٢) ونسخة في التيمورية برقم (١٤٩٢ تاريخ) في أولها كتاب آخر يأخذ سبع ورقات من ورقاتها الـ ٢٢٠.

ويظهر من مجموع هذه القطع الباقية من تراث ابن دقماق أنه عرف معظم المؤرخين السابقين وأخذ عنهم. فلديه نُقُول عن الطبري وابن الأثير وأبي شامة وسبط ابن الجوزي والذهبي والصفدي وابن شداد (عن طريق اليونيني) وابن عبد الظاهر والتنوخي وابن خلكان والجوزي، وعن مؤرخي مصر أمثال ابن سعيد وابن زولاق والإدريسي وابن حوقل وابن يونس والكندي وابن عبد الحكيم والقضاعي والإدفوي واليغموري وابن المأمون. على أن ابن دقماق

---

(١) «كشف الظنون» ٢/١٠٩٣.

نميز إلى هذا كله بأنه استفاد من بعض المؤرخين الذين قلما وقعت آثارهم لغيره، أو استفاد منهم غيره، أمثال ابن الطوير والعظيمي وابن جلب راغب مما يؤكد سعة قاعدته التاريخية.

وعدا هذا التراث الذي ذكر، نعرف لابن دقماق مجموعة من عناوين المؤلفات الضائعة التي لا شك أن بعضها ثمين هام[1].

٦ ـ «تاريخ الدولة التركية» (في مجلدين) وكان من الممكن أن يلقي أضواء هامة على العهد المملوكي لما عرف عن ابن دقماق من الاطلاع الواسع على هذا الموضوع بشهادة معاصريه.

٧ ـ «الدر المنضد في وفيات أعيان أمة محمد».

٨ ـ «الدرة المضية في فضل مصر والإسكندرية».

٩ ـ «الكنوز المخفية في تاريخ الصوفية».

١٠ ـ «عقد الجواهر في سيرة الملك الظاهر» (برقوق).

١١ ـ «ينبوع المظاهر في سيرة الملك الظاهر» (وهو مختصر السابق).

١٢ ـ «سيرة إبراهيم بن أدهم» جمعها لنفسه[2].

١٣ ـ القلقشندي

أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن الشهاب عبد الله بن أبي اليمن الغزاوي المصري الشافعي: (ولد سنة ٧٥٦ في قلقشندة بمصر وتوفي سنة ٨٢١ هـ/١٤١٨ م). درس في بلده ثم في الإسكندرية على ابن الملقن. وعمل فترة في دراسة الفقه والتأليف فيه، وفي بعض أعمال الإدارة قبل أن يسمى سنة ٧٩١ للعمل في ديوان الإنشاء في عهد السلطان برقوق. وفي هذه المرحلة التي امتدت عشر سنوات تعرف القلقشندي على عالم آخر من الأعمال لا علاقة لها بتكوينه الثقافي الأول، وهي شؤون الحكم والسياسة والعلاقات الدبلوماسية والأمور الرسمية في الدولة. . . ويبدو أن الرجل أقبل على تعلم هذه «الصناعة» صناعة الكتابة الرسمية لا بالتجربة فقط ولكن بالدراسة. وتناول كتاب ابن فضل الله العمري

---

(١) جميع هذه الكتب الضائعة ذكرها عدد من المؤرخين فيما عدا «الدرة المضية» الذي ذكره صاحب «هدية العارفين» (١/١٨) وكتاب «الكنوز المخفية» الذي ذكره ابن دقماق نفسه في كتاب «الانتصار» (قسم٢ ص٣٣)، وذكر أنه أورد فيه ترجمة واسعة لسيدي عبد الرحيم القنائي، وأخيراً «سيرة إبراهيم بن أدهم» التي ذكرها السخاوي (الجواهر والدرر ص٣٣٨).

(٢) ترجمة ابن دقماق موجودة لدى ابن تغري بردي في «المنهل الصافي» (١/١٢٠) والسخاوي في «الضوء اللامع» (١/١٤٥)، ولدى السيوطي في «حسن المحاضرة» (١/٥٥٦)، حيث يخطىء في سنة وفاته وفي «شذرات الذهب» (٧/٨٠)، كما نجد عنه لدى بروكلمان مجلد ٢/٥٠ و٦٧ وملحق ٢/٤٩، وفي «الأعلام»، و«معجم المؤلفين» و«هدية العارفين».

«التعريف بالمصطلح الشريف»، وكان قد سبقه إلى رئاسة ديوان الإنشاء قبل نصف قرن، فدرسه القلقشندي بعمق. ولعله وجده موجزاً أو ناقصاً، وكتب مقامة متممة في ذلك، فجاءته الإشارة من مقام عالٍ وامتثلها «بالسمع والطاعة» بوضع كتاب جامع يبسط الكلام في الموضوع ويستوفي أصوله وفنونه... وهكذا دخل القلقشندي عالم التأليف الموسوعي بكتابه المعروف الضخم: «صبح الأعشى» الذي ألحقه بعد ذلك بكتابين آخرين في الأنساب والقبائل العربية لعهده. وهكذا انتظمت مؤلفاته في أربعة:

١ ـ «الكواكب الدرية في المناقب البدرية» وهو تقريظ للقاضي بدر الدين بن علاء الدين بن محيي الدين بن فضل الله العمري، وقد بناها على التعريف بكتابة الإنشاء، وضمنها الكثير من أصول هذه الصنعة.

٢ ـ «صبح الأعشى في كتابة الإنشا» (أو فنون الإنشاء). وهي الموسوعة التي شرح فيها المقامة السابقة مسترشداً بكتاب «المصطلح الشريف» وأنفق في ذلك أعواماً طويلة لعلها تقارب ١٥ سنة، وانتهى من الكتاب في شوال من سنة ٨١٤ فإذا هو في ١٤ مجلداً ضخماً.

استند القلقشندي في كتابه إلى محفوظات ديوان الإنشاء الرسمية فاستخرج من الديوان الوثائق والكتب والمراسلات الخلافية والسلطانية وأصناف المكاتبات الرسمية والدبلوماسية حتى اجتمعت له منها مادة غزيرة تكدست في الديوان خلال العصور السابقة. وأضاف إلى هذا دراسة الكتب التي سبقته إلى موضوعه كافة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: «ذخيرة الكُتّاب» لابن حاجب النعمان، و«حسن التوسل في صناعة الترسل» لشهاب الدين محمود الحلبي، و«المثل السائر» لابن الأثير، و«قوانين الدواوين» لابن مماتى، و«معالم الكتابة» لابن شيث، و«مواد البيان» لعلي بن خلف، و«العلم والدواة» لمحمد بن علي و«صناعة الكتابة» لأبي جعفر النحاس، بالإضافة إلى كتب أبي هلال العسكري والصولي وابن قتيبة والكتب الثقافية المساعدة كالشهرستاني والجاحظ وابن عبد ربه والدميري والماوردي وأبي الفداء وابن عبد الظاهر والحميري وغيرها كثير من كتب الجغرافيا والتاريخ والأنساب والأدب والفقه والسير...

نظم القلقشندي هذه المادة كلها في مقدمة وعشر مقالات يمكن أن تكون كل واحدة منها كتاباً قائماً بذاته، فجعل المقدمة لفضل الإنشاء وتاريخه في الإسلام، ووظائفه واختصاصاته في مصر في مختلف العصور.

ثم تحدث في المقالة الأولى عما يجب أن يستوعبه الكاتب من المعارف، وألوان الثقافة، حتى في أنواع الأقلام والحبر والخط.

وخصص المقالة الثانية للمسالك والممالك منذ ظهور الإسلام حتى عهده، مع تفصيل شؤون مصر والشام وما يجاورهما من الأمم.

ونجد في الثالثة ترتيب المكاتبات وأنواعها وبخاصة في الديوان المملوكي.

وأما المقالة الرابعة وهي أضخم وأهم مقالات الكتاب فقد جعلها فهرساً مطولاً لمختلف الألقاب، مع أساليب الاستفتاح والختام والمصطلحات الرسمية في المكاتبات الخارجية، مؤيداً ذلك كله بمئات النماذج والوثائق المتنوعة مما وجهه البلاط المملوكي إلى عماله في السلطنة، أو إلى ملوك الأرض في كل من أوروبا وإفريقيا وآسيا، ومما تلقاه هذا البلاط أيضاً من رسائل هؤلاء جميعاً، وهي من جهة الوثائق من أخطر ما حفظه القلقشندي للتاريخ.

وتتناول المقالة الخامسة الولايات وطبقاتها وعهودها وألقاب أصحابها مع الوثائق النموذجية دوماً وهي تتمم المقالة الرابعة، وتشغل معها نحو ثلاثة مجلدات من الكتاب (من أواسط السادس حتى أواخر الثامن).

وفي المقالة السادسة نجد الكلام على الوصايا الدينية وتصاريح الخدمة.

وفي السابعة عن الإقطاعات وتاريخها وأحكامها ومراسيمها.

وفي الثامنة عن الأيمان وأنواعها في التاريخ الإسلامي.

وفي التاسعة عن عهود الأمان لأهل الإسلام ولأهل الذمة وللكفار والهدنات وعقود الصلح.

وفي المقالة العاشرة والأخيرة يعرض القلقشندي نماذج من الرسائل الملوكية ثم يتحدث عن متعلقات الرسائل من البريد وتاريخه وحمام الزاجل والمناور والمحرقات لاستطلاع حركات العدو، وبها يختم الكتاب.

عني المستشرقون بهذا الكتاب ونشر بعضهم أجزاء منه (وستنفلد، سوفير، لامانس) مع الترجمة. وقد طبع «صبح الأعشى» في القاهرة طبعة متقنة كاملة هي طبعة دار الكتب ما بين سنتي ١٩٠٣ ـ ١٩١٩ في أربعة عشر مجلداً (ثم طبعت تصويراً) وألحق بها مجلد للفهارس.

ويبدو أن القلقشندي، أثناء كتابته «صبح الأعشى»، كتب أيضاً مؤلفه:

٣ ـ «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب»، رتبه المؤلف على حروف المعجم وجعله في مقدمة ومقصد وخاتمة. فالمقدمة لما يحتاج إليه الباحث في علم الأنساب والقبائل، من تعريف العرب، وطبقات النسب. وأما المقصد فيحتوي فصلين: الأول في النسب النبوي، وما يتفرع عنه، والثاني في تفاصيل القبائل على حروف المعجم. وأما الخاتمة فتتحدث عن ديانات العرب ومغامرات قبائلهم وحروبهم ونيرانهم وأسواقهم.

ولعلنا نشير هنا إلى أن القلقشندي عربي الأصل، سليل قبائل فزارة من قيس عيلان التي نزلت إقليم القليوبية في مصر، حيث نشأ الرجل[1].

وفي مكتبة برلين نسخة مخطوطة من هذا الكتاب يستفاد منها أنه كتب سنة ٨١٢، والقلقشندي يحيل إليه في بعض صفحات «صبح الأعشى» التي كتبت قبله. وقد نشر كتاب «نهاية الأرب» هذا بتحقيق إبراهيم الإبياري (القاهرة سنة ١٩٥٩) كما طبع قبل ذلك في بغداد[2].

وقد عاد القلقشندي مرة أخرى إلى موضع القبائل العربية في كتاب تالٍ سماه:

٤ ـ «قلائد الجمان في التعريف (أو في معرفة) قبائل عرب الزمان» انتهى منه سنة ٨١٩. وكان قصده منه الاستدراك على الكتاب السابق بالحذف والإضافة والتعديل. وقد أهداه لأبي المحاسن محمد الجهني صاحب ديوان الإنشاء. ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم ٢٢٦٥ تاريخ في ١١١ ورقة. وقد نشر الكتاب بتحقيق إبراهيم الإبياري (دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٣).

وقد عاد القلقشندي كرة أخرى على التاريخ والوثائق فكتب:

ـ «مآثر الإنافة في معالم الخلافة» كتبه سنة ٨١٩، أي قبيل موته بسنتين تقريباً من مقام الخليفة العباسي في القاهرة (وهو في ذلك الوقت المعتضد بالله). بدأ الكتاب بذكر معنى الخلافة وألقابها وشروطها ثم استعرض خلفاء التاريخ الإسلامي، الراشدين والأمويين والعباسيين. وقفز بعد المستعصم وسقوط بغداد سنة ٦٥٦ ليكمل السلسلة بخلفاء العباسيين في القاهرة، ذاكراً الخليفة والحوادث والماجريات في خلافته وولايات الأمصار حتى انتهى إلى المعتضد بالله (الإمام الأعظم أبي الفتوح داوود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد). وعطف بعد ذلك إلى مقرات (عواصم) الخلافة، ثم انصرف في النصف الثاني من الكتاب إلى بحث شكليات الخلافة، فذكر كيفية التولية ثم مشاهير من ادعى الخلافة (وهنا ذكر خلفاء بني أمية في الأندلس والعبيديين ـ الفاطميين ـ والحفصيين) مبيناً بطلان دعوى الطوائف الثلاث في الخلافة! وأقبل بعد ذلك يذكر البيعة، والمذاهب بها، وعهود الخلفاء وأشكالها، وصورة ما يكتب للخلفاء وأتباعهم، وما يكتب باسمهم ويصدر عنهم، وأساليب ذلك، مدعماً هذا القسم كله من كتابه بالصور والنماذج المستخرجة من الديوان في أكثر من

---

(١) ينسب كتاب «نهاية الأرب» هذا لمحمد ابن القلقشندي نفسه بسبب وجود نسخة مخطوطة ذكر فيها أن هذا الابن يهدي كتابه الذي فرغ من نسخة سنة ٨٤٦ إلى الأمير أبي الجود. ويبدو أن الابن إنما كان يهدي نسخة من كتاب أبيه.

(٢) عنوان المطبوع في بغداد هو «نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب».

ستين وثيقة. وينتهي الكتاب بفصلين من الطرائف والغرائب، وفصلين في الخليفة المعتضد نفسه.

وقد طبع الكتاب في ثلاثة مجلدات بتحقيق عبد الستار فراج (مطابع حكومة الكويت ١٩٦٤). وللقلقشندي عدا هذا وذاك كتابان آخران:

٦ ـ «ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر» وهو مختصر «صبح الأعشى»، وينسب أيضاً لابنه محمد في بعض المصادر.

٧ ـ نظم سيرة المؤيد شعراً. والسيرة في الأصل لمحمد بن ناهض كتبها للسلطان المؤيد شيخ (السلطان بين سنتي ٨١٥ ـ ٨٢٤/١٤١٢ ـ ١٤٢١) فنظمها القلقشندي[١]. كما ذكر أن المقريزي نظمها[٢].

١٤ ـ أبو زرعة العراقي

ولي الدين أحمد بن زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن الكردي الأصل المهراني القاهري: (ولد سنة ٧٦٢هـ./١٣٦١م. وتوفي بالقاهرة سنة ٨٣٦ هـ/١٤٢٣ م.). بكر به أبوه ـ وهو من العلماء ـ على الشيوخ والسماع. ثم رحل به وهو في الثالثة إلى دمشق فأحضره على شيوخها. ونشأ أبو زرعة على هذا الإلحاح في التماس الشيوخ، فأخذ «عمن دبّ ودرج» في مصر حين عاد إليها، ثم في دمشق مرة أخرى، ثم في مكة والمدينة، ثم في مصر من جديد.. حتى برع في العربية والفقه والحديث وصار له التدريس في عدد من مدارس القاهرة كالبيبرسية والقره سنقرية وجامع ابن طولون والفاضلية والجمالية مع مشيخة التصوف بها، وناب في القضاء حوالى عشرين سنة، ثم ترفع عن ذلك وتفرغ للتدريس والإفتاء إلى أن سماه السلطان ططر (سنة ٨٢٤) قاضي القضاة للديار المصرية، لكنه صرف بعد موت هذا السلطان في أواخر السنة نفسها لصرامته، وتشدده في الحق، وعدم المحاباة. وقد اغتم لأنه صرف ببعض تلاميذه ومن هم دونه في العلم والمنزلة. وقد توفي بعد ذلك بسنة وبعض السنة.

---

(١) السخاوي ـ «الإعلان بالتوبيخ» ٧٠٢.

(٢) نجد ترجمة القلقشندي لدى السخاوي «في الضوء اللامع ٢/٨»، وابن تغري بردي «في المنهل الصافي ١/٣٣٠»، و«شذرات الذهب» (١٤٩/٧)، وابن حجر في «إنباء الغمر»، والعيني في تاريخه. وقد درس سيرته من المعاصرين عبد الله عنان (مؤرخو مصر الإسلامية) ـ القاهرة سنة ١٩٦٩ ص٧٦ ـ ٨٤، وعبد اللطيف حمزة في سلسلة أعلام العرب (المقريزي ـ الكتاب١٢). وإبراهيم الإبياري في مقدمة كتاب «نهاية الأرب»، عدا ما ذكره بروكلمان ٢/١٣٤ وملحق ٢/١٦٤ وكل من وستنفلد وسوفير ولامانس كمقدمات لما نشروا من «صبح الأعشى».

كان تأليف أبي زرعة الأساسي في علوم الدين. ومن هنا أطلّ على التاريخ بعدد من المؤلفات كان معظمها ذيولاً على كتب سابقة لعلماء أعلام، كما كانت كلها حديثية:

١ ــ «أخبار المدلسين».

٢ ــ «ذيل على كتاب تاريخ الإسلام» للذهبي. وهو في الواقع ذيل على الذيل الذي كتبه والده. بدأه من حيث انتهى الوالد (سنة ٧٦٢) (وهي سنة مولد أبي زرعة) إلى سنة ٧٨٦. وبالرغم من أن المصادر تختلف بين جعله ذيلاً على تاريخ الإسلام، أو ذيلاً على كتاب العبر للذهبي أيضاً، إلا أنه كان للوفيات خاصة، مما يجعله أحرى بأن يكون ذيلاً للعبر. وقد اعتبره السخاوي في الوفيات وقال: «وقفت عليه بخطه إلى سنة سبع وثمانين ووريقات مفرقة بعد ذلك» ثم أضاف: «وقال التقي الفاسي إنه وقف منه إلى سنة ثلاث وتسعين. فالظاهر أنه أكمله...»[1].

ومن هذا الذيل نسخة مخطوطة في مكتبة كوبريللي باستامبول رقم ١٠٨١ بخط المؤلف في ٤٣ ورقة، ونسخة أخرى في مكتبة فيض الله رقم ١٤٥٢.

٣ ــ كتاب «البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مسّ بضرب من التجريح». فرغ أبو زرعة من كتابته سنة ٧٨٩. ومنه نسخة مخطوطة في الجامعة الأمريكية في بيروت في ١٢٠ ورقة.

٤ ــ ذيل على الكاشف في أسماء الرجال للذهبي، وهو لرجال الكتب الستة مع مسند ابن حنبل. اقتضبه من تهذيب الكمال للحافظ المزي، وذكر فيه من تركه الذهبي، ورتبه على أحرف الهجاء. ومنه نسخة في مكتبة فيض الله رقم ١٤٥٤ في ١٤٢ ورقة نقلت عن نسخة المؤلف في القرن التاسع مع زيادات ولده عليه.

٥ ــ «مبهمات الأسانيد» أو «المستجاد في مبهمات المتن والإسناد» لخّصه من كتب أبي محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي والخطيب البغدادي وابن بشكوال وأبي طاهر المقدسي وأبي زكريا النووي مع زيادات جمة، ورتبه على أبواب الفقه. ومنه نسخة مخطوطة في ٩٨ ورقة تنقصها الورقة الأولى في المكتبة الأزهرية في القاهرة رقم ٨٧٩٣.

وعدا هذا فقد كتب أبو زرعة أيضاً تذكرة في عدة مجلدات وكتب:

٦ ــ «تحفة الوارد في سيرة الوالد» ترجم فيها لأبيه.

٧ ــ خرج عدداً من المشيخات لشيوخه ومنها: مشيخة الصدر بن المنادي، وعبد الوهاب الاخنائي المالكي، وابن الشيخة، والسراج البلقيني، وأبي البركات ابن النظام القوصي.

---

(١) انظر السخاوي ـ «الضوء اللامع» ج١ ص٣٤٢، ٣٤٣.

٨ ــ «فضل الخيل وما ورد فيها من الخير والنَّيل».

٩ ــ عمل لنفسه فهرساً لطيفاً في مروياته.

١٠ ــ تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل.

١١ ــ تراجم رجال منهاج الأصول.

والعراقي بهذا كله نموذج لزاوية النظر الحديثية الضيقة إلى التاريخ في عصره[1].

---

(١) نجد ترجمة أبي زرعة العراقي مبسوطة مطولة لدى السخاوي «الضوء» ج١ ص٣٣٦ ـ ٣٤٤، وقال في آخرها: وترجمته تحتمل أضعاف هذا. وثم ترجمة مختصرة لدى ابن تغري بردي «المنهل الصافي ج١ ص٣١٢»، والشوكاني «البدر الطالع» ١/٧٢ ـ ٧٤، والسيوطي «حسن المحاضرة» ١/٣٦٣، و «شذرات الذهب» ٧/١٧٣. وانظر كذلك كحالة «معجم المؤلفين» ١/٢٧٠ ـ ٢١٧١ ، و «هدية العارفين» ١/١٢٣ ، وبروكلمان ج٢ ص٦٦ ـ ٦٧ ، والكتاني «فهرس الفهارس» ١/٤٣٥ ـ ٤٣٦ .

المدرسة المصرية ٤: المقريزي ومن بعده

تأخرت المدرسة المصرية كثيراً حتى أطلعت مؤرخها الكبير المقريزي. ولم يكن السابقون له من فحول المؤرخين مثله. فبعد النويري، والدواداري، وسبط ابن عبد الظاهر، انتظرت مدرسة مصر نصف قرن حتى ظهر فيها ابن الفرات، وابن دقماق، والقلقشندي. لكنها بلغت أوجها دون شك مع المقريزي.

١ ــ المقريزي

أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم البعلي، العبيدي الحسيني. أصله من بعلبك من حارة المقارزة فيها، وإليها ينسب. كما كان يدّعي النسب الفاطمي، ومن هنا كان العبيدي في نسبه. ولد في القاهرة سنة ٧٦٦ هـ/١٣٦٥ م. وتوفي فيها سنة ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م. وكان جد المقريزي من كبار المحدثين في بعلبك وقد تحول والده إلى القاهرة حيث وليّ بعض وظائف القضاء وكتب التوقيع بديوان الإنشاء. وكان يسكن حارة برجوان، وهي من أكثر حارات القاهرة حيوية وامتلاءً بالصخب وضوضاء العمران والحياة، وهناك نشأ ابنه أحمد، ودرس على مشايخ العصر كابن الصائغ، كافله ومربيه بعد أن مات أبوه وهو صغير، وابن رزين، والبرهان الآمدي وزين الدين العراقي وابن أبي المجد والسراج البلقيني والهيثمي وابن خلدون. وقد بلغ عدد شيوخه ستمائة شيخ فتوفر له التكوين الثقافي اللازم للبروز في عصره. وكان أكثر شيوخه تأثيراً فيه أولهم ابن الصائغ في مرحلة النشأة، وآخرهم ابن خلدون الذي عرفه في مرحلة النضج.

وقد برع المقريزي في علوم الدين من فقه وحديث براعته في الأدب من نظم ونثر، وإن أبدى هواية خاصة للتاريخ من جهة، وللعمل بالتنجيم والرمل والزايرجة والاصطرلاب من جهة أخرى. واستمرت هذه الهوايات معه طول حياته. على أن مؤهلاته العلمية فتحت له باب العمل الحكومي. فكان موقّعاً أول الأمر في ديوان الإنشاء سنة ٧٨٨، ثم تولى وظائف

الوعظ وتدريس الحديث في عدد من المساجد. كما تولى حسبة القاهرة غير مرة (اعتباراً من سنة ٨٠١) والخطابة (بجامع عمرو ومدرسة السلطان حسن) والإمامة (بجامع الحاكم) وإقراء الحديث (بالمدرسة المؤيدية). وتقلب في الوقت نفسه في عدد من وظائف القضاء والإدارة في مصر والشام. وحج مرات، كما زار دمشق مرات، كانت أولاها سنه ٨١٦ بصحبة الناصر فرج بن برقوق. وعرض عليه قضاء دمشق فأباه. لكنه تولى فيها فيما بعد أوقاف المدرسة القلانسية والبيمارستان النوري والتدريس ببعض المدارس مدة عشر سنوات قبل أن يعود إلى القاهرة ليعتزل كل عمل رسمي..

ومواهب المقريزي (مع علمه وطرافة اهتماماته) أهّلته للحظوة عند الملك الظاهر برقوق، ثم عند ابنه الملك الناصر فرج من بعده، وكان على صلة طيبة بالأمير يشبك الظاهري بعض الوقت، ونال في ظله الجاه والمال... فلما بلغ مشارف الستين واجتمع له من الثروة ما يكفي للعيش الهانيء، عاد ليستقر في القاهرة، ويتوفر على الاشتغال بالعلم والتاريخ والعبادة.. ولم يغادرها إلا إلى مكة للحج سنة ٨٣٤ حيث بقي خمس سنوات، يدرِّس ويملي قبل أن يعود.

ويبدو أن هواية التاريخ قد استبدت بالمقريزي قبل ذلك بسنين طويلة جدًّا فهو يقول في مقدمة الخطط: «فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة، وجمعت من ذلك فوائد قلَّ ما يجمعها كتاب، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب..» وكل ما جمعه ـ على ما يظهر ـ كان متصلاً بمصر لأنها كما قال «مسقط رأسي ومجمع ناسي.. لا زلت منذ شدوت العلم.. أرغب في معرفة أخبارها وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها..».

وقضى المقريزي ثلاثين سنة بعد الاعتزال يعمل في التأليف التاريخي خاصة حتى زادت مؤلفاته ـ حسب ما قرأ السخاوي بخط المؤرخ نفسه ـ على مائتي مجلد في الحجم وعلى نيف وثلاثين عنواناً في التاريخ وحده، بعضها كتيبات ورسائل، وبعضها كتب موسوعية كبيرة في مجلدات وصلت أحياناً ١٦، كما وصلت المائة. ويمكن تقسيمها خمسة أقسام: فقسم يتناول تاريخ مصر والقاهرة في مختلف عصورها، وقسم يتناول التاريخ الإسلامي، وقسم ثالث يتجه إلى بعض المواضيع الخاصة (النقود، الموازين، حج الملوك، الغناء، الكعبة، النزاع الأموي الهاشمي)، وقسم رابع لبعض البلاد المجهولة (الحبشة، حضرموت، الغرب). أما الخامس فيشمل النبذ والمعلومات المتفرقة كالتذكرة وما إليها. على أننا سنستعرض هذا التراث التاريخي إرسالاً:

١ ـ كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»: وهو أثر فريد في موضوعه وطريقته ومادته الغزيرة يتحدث عن القاهرة وخططها (طُبُغْرافيتها) القديمة، وتطورات الخطط والشوارع والأرض والأسواق والأحياء والمساجد والقصور والدور والمدارس والرياض والأسوار... ويظهر من نصوص هذا الكتاب أنه استمر تحت يدي المقريزي يبدي فيه ويعيد

أكثر من ٣٥ سنة. ففيه صفحات كتبت سنة ٨٠٦ وأخرى صممت أو أضيف إليها ما استجد سنة ٨٤٣[1]. وإذا كنا نعرف اليوم مدينة القاهرة في القرون الوسطى أتم المعرفة، فإنما يرجع ذلك إلى هذا الكتاب الذي استوعب ونظم كل المؤلفات التي سبقته في هذا الموضوع، وأضاف إليها الكثير الكثير.

ولا يُخفي المقريزي مصادره في الخطط وهو ينصُّ في مطلع كُلِّ خبر على مصدر نقله. وكثير من هذه المصادر قد فُقِد، فليس لدينا منه سوى ما نقله المقريزي الذي نظم معلوماته على سبعة أجزاء (ألغى في النهاية الجزء السابع منها والمتعلق بأسباب خراب مصر). فالجزء الأول جغرافي عامة في أخبار مصر ونيلها وخراجها وجبالها. والثاني في المدن وأجناس السكان. والثالث في أخبار الفسطاط. والرابع في أخبار القاهرة. والخامس في أحوال القاهرة في عصره. والسادس في ذكر قلعة الجبل وملوكها. ويستطرد المؤلف فيتناول ما في القاهرة من المساجد والمنشآت. ويختم بفصول عن تاريخ اليهود والقبط والأديار والكنائس... والكتاب بعد هذا منجم تاريخي فيه تسجيل لتاريخ مصر العمراني والاجتماعي والفني والاقتصادي والثقافي لا نجده في أي مؤلف آخر. والسخاوي يتهم المقريزي بأنه سطا على مسودة كان الأوحدي قد أعدها لهذا الكتاب، فأخذها بعد موته وزادها زوائد غير طائلة وقدمها للناس باسمه[2].

كان كتاب «الخطط» موضع عناية المستشرقين منذ أكثر من قرن، وقد وجدوا منه عدداً من المخطوطات: منها مخطوط الأوقاف في استانبول، في مجلدين، ومخطوط أحمد الثالث رقم ٢٩٤٦ (في مجلد)، و٢٩٤٧ في ثلاثة مجلدات، وعاشر ريس ٦٩٣، وحكيم أوغلو ٧٤٣ - ٧٤٤، وأياصوفيا ٣٤٧١ - ٣٤٧٧ مع نسختين أخريين، وفيض الله ١٥٣٧ - ١٥٣٩، ودامار إبراهيم ٩١٤ - ٩١٥، والظاهرية بدمشق رقم ٧٠٠٤ و٥٦٩٦ و٥٦٩٧، وكلها نسخ كاملة عدا القطع المخطوطة من الكتاب وهي كثيرة متفرقة في استامبول ومصر والظاهرية وغيرها.

وقد طبع الكتاب مبكراً طبعات عديدة منها طبعة بولاق القديمة - القاهرة سنة ١٢٧٠ هـ/١٨٥٤ م. في مجلدين كبيرين،.ثم أعيد طبعه في مصر (المطبعة الأهلية في

---

(١) انظر «الخطط» مثلاً ج١ ص٥ ثم ج٢ ص٣٣١ وانظر بينهما في ج٢ الصفحات ٣٣٠، ٤٠٨، ٢٤٤، ٣٣١، ٤٦٣ وج١ ص١٨٨.

(٢) من الأرجح أن للتهمة أساساً من الصحة. وقد رددها السخاوي ثلاث مرات نقلاً عن شيخه ابن حجر، مرتين في «الضوء اللامع» ومرة أخرى في «الإعلان بالتوبيخ» (ص٦٤٧) من ترجمة صالح العلي. لكن مما لا شك فيه أن المقريزي، - إذا كان قد اعتمد مسودة الأوحدي الذي توفي سنة ٨١١، فقد أضاف إلى الكتاب الكثير من وصف القاهرة في عصره، ويشغل ذلك أكثر من ثُلث الكتاب.

٤ أجزاء سنة ١٩٠٧). كما أعيد مؤخراً طبع نسخة بولاق على الأوفست (مكتبة المثنى ـ بغداد ـ دون تاريخ) وطبع قسم منه طبعة أوروبية فخمة.

وترجم كتاب الخطط مبكراً جدًّا إلى اللاتينية. فقد طبعت هذه الترجمة سنة ١٧٢٤، ونقل شيء من الكتاب إلى الفرنسية، وطبع في باريس سنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠١، واستخرج منه المستشرق كازانوفا وصف قلعة القاهرة وتاريخها، وأوضح ذلك بالرسوم والخرائط، وطبع كتابه بالفرنسية سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩٧ في مجلدين. وقام بنحو هذا العمل المستشرق رافيس فتناول خطط القاهرة وأوضحها بالخرائط وطبع ذلك سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٩ في قسمين، وترجم المستشرق وستنفلد القسم الخاص بتاريخ الأقباط في مصر إلى الألمانية وطبعه مع الأصل العربي في توبنغن سنة ١٨٤٥، وترجم أيضاً ما يتعلق بوصف المارستانات في القاهرة نقلاً عن مسودات غوطا وفيينا ونشرها في مجلة خلاصة العلوم.

ومن جهة أخرى فقد حظي كتاب الخطط إلى هذا كله بعناية الكثير من العلماء القدامى، وعمد بعضهم إلى اختصاره، ومن ذلك:

ـ كتاب «الروضة البهية في القاهرة المعزية» لمحمد بن أحمد بن محمد الحنفي الشلبي العلائي (أواسط القرن الحادي عشر).

ـ كتاب «قطف الأزهار من الخطط والآثار» لشمس الدين بن أبي السرور البكري الصديقي المؤرخ (المتوفى سنة ١٠٦٠هـ: /١٦٥٠م.).

٢ ـ كتاب «السلوك في معرفة دول الملوك»: وهو بدوره كتاب من أبرز كتب المقريزي، ومن أبرز كتب التاريخ المصري الوسيط. أتمَّ به المقريزي سلسلة التواريخ المصرية بجمع وتسجيل أوسع ما وجد من المعلومات حول عصري الدولتين الأيوبية والمملوكية من سنة ٥٧٧ حتى السنة التي سبقت وفاته سنة ٨٤٥.

اعتمد المقريزي عدداً وافراً من المصادر السابقة له. ومن عادته ذكر هذه المصادر أو الإشارة إليها. ونستطيع أن نرى لديه بعضاً من ابن الفرات وبعضاً من ابن أيبك وبيبرس ومن الدواداري والنويري والجزري والبرزالي ونصوصاً من ابن واصل وابن عبد الظاهر.

على أن المقريزي جمع إلى هذه المصادر براعة طيبة وسداداً في تخير المعلومات، وعيناً ذكية تعرف كيف تسوقها وتربطها، وحسًّا تاريخيًّا مرهفاً يهديه إلى ما يجب أن يضيف إليها من المعلومات والتفاصيل الضرورية، والمكملة. وربما وصل المقريزي في هذا الشغف التاريخي حدَّ الثرثرة بأمور يعتبرها معاصروه من المعارف الدارجة التافهة، ولكنها أضحت بالنسبة إلينا اليوم ثروة تاريخية كشفت لنا جوانب كثيرة من مشاكل العصر في العملة والأسعار مثلاً وفي الأبنية والهدايا والأوبئة والمكوس والحرائق، وفي نقد الحكم أو إحصاء الأنوال أو مشكلة الحجاب...

نظم المقريزي كتابه على نهج مغاير لما شاع في المؤلفات السابقة له في تاريخ ابن الفرات أو الدوادار أو النويري، فقد جعل كتابه حوليًا ودوّن حوادث كل عام في فصل مستقل يحمل عنوان ذلك العام، وختم الحوادث بذكر الوفيات، والترجمة لأصحابها في شيء من الاختصار المتعمّد في الأرجح. وكثيراً ما يعمد في النصف الثاني من كتابه خاصة إلى أن يفتتح السنة بذكر الوظائف الكبرى ومن يتولاها، وبخاصة إن وافق بدء السنة قيام سلطان جديد، وما يصحب ذلك، في العادة، من تغيير وتبديل بين موظفي البلاط السلطاني وكبار الأمراء. وقد يكتفي المقريزي بعبارات افتتاحية في أصل ذلك السلطان وماضيه، ثم ينتقل إلى ذكر الحوادث والأخبار بترتيبها الزمني.

وثمة من كتاب السلوك مخطوطات بعضها كامل مثل مخطوط أياصوفيا (في ٤ مجلدات) رقم ٣٣٦٩ حتى ٣٣٧٢، ومخطوط آخر فيها برقم ٣٣٧٣ حتى ٣٣٧٦، ونسخة أخرى في مكتبة فاتح ٤٣٧٧ حتى ٤٣٨٠، ونسخة أخرى نفيسة برقم ٣٣٨١ حتى ٣٣٨٩، كما أن ثمة قطعاً متفرقة في أحمد الثالث وين جامع (لعلها بخط المقريزي) وكوبرللي وحافظ أحمد وغيرها. ومنه قطعة في الظاهرية بدمشق رقم ٧٣٠٤، ونسخة في أكسفورد (في ٤ مجلدات) عنوانها واسطة السلوك

وقد طبع بعض من كتاب السلوك في عهد مبكر. فقد نشرت أجزاء منه بتحقيق كاترمير الفرنسي Qatre mère بعنوان: «تاريخ السلاطين المماليك بمصر» في مجلدين (باريس ١٨٣٧ ـ ١٨٤٥). وبعد ذلك بقرن بدأ نشره في مصر، فظهر الجزء الأول منه سنة ١٩٣٤ بتحقيق محمد مصطفى زيادة، ثم نشر الجزء الثاني (سنة ١٩٥٨) الذي انتهى ببعض أحداث سنة ٧٥٥هـ./١٣٥٤م. ثم صدر الجزء الثالث ثم الرابع والأخير بتحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ما بين سنتي ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ وكل جزء من هذه الأجزاء في عدد من الأقسام.

٣ ـ كتاب «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا»: وهو أوفى مصدر في التاريخ الفاطمي: يؤرخ أولاً للسلالة ولمشكلة النسب الفاطمي ولقيام الدولة في المغرب وخلفائها الأربعة هناك، ثم يتحدث عن الفتح الفاطمي لمصر، ويسهب في قصة الصراع مع القرامطة، ويتناول بعد ذلك خلفاء الفاطميين الواحد بعد الآخر حتى نهاية الدولة. وقد استوعب المقريزي في كتابه هذا خلاصة ما أورده جمهرة المؤرخين الذين أرخوا للدولة الفاطمية قبله ممن عاصروها أو جاؤوا بعدها. ومعظمهم ممن ضاعت مؤلفاتهم وبقي للمقريزي الفضل في حفظ مجموعة واسعة من نصوصها من أمثال ابن زولاق وابن الطوير والأمير ابن شداد، وأخي محسن، وابن المهلب وابن رزام... مما جعل الصورة الفاطمية كاملة.

وكان المعروف حتى الأربعينات من هذا القرن أنه لا توجد من هذا الكتاب سوى

نسخة مخطوطة وحيدة ناقصة في مكتبة غوطا (في توبنغن بألمانيا رقم ١٦٥٢) وعنها نشر المستشرق يونز الكتاب (سنة ١٩٠٩) (طبعة دار الأيتام بالقدس) وقدّم لها بمقدمة بالألمانية طبعها في ليبزيغ، وأثبت أن النص مكتوب بخط المقريزي نفسه.

وقد أعاد الدكتور جمال الدين الشيال طبع هذا النص بعد تصحيحه وتحقيقه بشكل علمي (القاهرة ١٩٤٨)، ثم كشف كلود كاهن أن في مكتبة أحمد الثالث باستامبول نسخة كاملة من الكتاب تحت رقم ٣٠١٣، وكشف الدكتور الشيال أن النص السابق ليس أكثر من سُدس الكتاب (٣١ ورقة من أصل ١٧٢) فجاء بالنص الكامل ونشر المجلد الأول منه (القاهرة ١٩٦٧) ثم توفاه الله فأتم النشر محمد حلمي أحمد في مجلدين آخرين (القاهرة ١٩٧١ و ١٩٧٣).

٤ ـ «كتاب المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها»: وهو كتاب حافل في تراجم الملوك والأمراء والعلماء المصريين أو من عرفتهم مصر من جميع الأقطار (على منهاج تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر) كتب منه المقريزي ١٦ مجلداً. وقد ذكر ابن تغري بردي كلمة المقريزي الذي قال له عنه: «لو كمل هذا التاريخ على ما اختاره لجاوز الثمانين مجلداً»(1). وقد جعله المقريزي على حروف المعجم.

وقد ضاعت المجلدات المكتوبة من هذا المؤلف ولم يبقَ منها سوى ثلاثة مجلدات بخط المؤلف، واحد في ليدن برقم ١٣٦٨ فيه بعض حرف الألف وحرفا الكاف واللام وبعض الميم. ومجلد آخر في مكتبة برتو باشا في المكتبة السليمية باستامبول (رقم ٤٩٦) فيه الباء والثاء، ومجلد ثالث في المكتبة الأهلية بباريس (رقم ٢١٤٤).

٥ ـ كتاب «شذور العقود في ذكر النقود»: وهو رسالة نفيسة في تاريخ النقود العربية الإسلامية. فقد ضربت الدراهم أول مرة زمن عمر بن الخطاب حتى أيام الظاهر برقوق، فيمر المقريزي بالنقود أيام معاوية وعبد الملك والخلفاء العباسيين، ثم يعطف إلى النقود في مصر في العهد الأموي والطولوني والفاطمي والأيوبي حتى المملوكي، في دقة حسنة. ولعله أول كتاب مفرد كتب في هذا الموضوع، وقد كان في الأصل فصلاً من كتاب «إغاثة الأمة» ثم أفرده المقريزي بكتاب مستقل وعنوان خاص بعد أن توسع فيه.

وثمة من هذه الرسالة نسخ مخطوطة عديدة في برلين وليدن واستامبول والأسكوريال، ولكن أهميتها جعلتها تلقى الكثير من العناية والنشر منذ فترة طويلة. فقد نقلت إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٧٩٧، وترجمها المستشرق دوساسي إلى الفرنسية، ونشرها في باريس سنة ١٧٩٧ أيضاً. ثم نشرت في القسطنطينية بعناية أحمد فارس الشدياق

---

(1) ابن تغري بردي ـ «المنهل الصافي» ١/٣٩٧، وروى ذلك السخاوي أيضاً في «التبر المسبوك» (ط. مكتبة الكليات الأزهرية ـ المصورة) ص٢٣ وفي «الضوء اللامع» ٢/٢٣.

سنة ١٢٩٨هـ . /١٨٨١م. بمطبعة الجوائب (ضمن مجموعة رسائل لابن العديم وياقوت المستعصمي). وطبعت في الإسكندرية سنة ١٩٣٣ بعناية ماير L.A.Meyer، ثم في النجف الأشرف سنة ١٩٣٨ بعناية محمد صادق بحر العلوم، ثم طبعت في القاهرة (سنة ١٩٣٩) بعناية أنستاس الكرملي (ضمن عدة رسائل في موضوعها)، وطبعت بعد ذلك أيضاً في النجف سنة ١٩٦٧ مع دراسة موسعة للمؤلف وللموضوع بقلم محمد بحر العلوم.

٦ ــ كتاب «إغاثة الأمة بكشف الغمة»: وهو كتيِّب صغير، ولكنه من خير ما كتب المقريزي عمقاً وفهماً. استعرض فيه تاريخ المجاعات التي حلّت بمصر منذ أقدم العصور حتى مجاعة سنة ٨٠٨، السنة التي كتب فيها الكتاب، مع تحليل العوامل الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأزمات. ومنه مخطوطات عديدة: في كمبردج ضمن مجموع برقم Add ٧٤٦ (من ورقة ١٩ ظهر حتى ٥٠ ظهر) وفي باريس بالمكتبة الوطنية وغيرها.

وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٤٠ بتحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ثم أعيد طبعه سنة ١٩٥٧، كما طبع طبعات أخرى إحداها في حمص سنة ١٩٥٦، ثم سنة ١٩٧٠.

٧ ــ كتاب «الخبر عن البشر»: وهو كتاب في التاريخ لعله مشروع تاريخ عام كان المقريزي يودُّ كتابته. والمصادر تذكر أنه جعله كالمدخل لكتابه «إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأتباع» ويذكر ابن تغري بردي في «المنهل الصافي» أنه «في ٤ مجلدات وعمل له مقدمة في مجلد»، وثمة من هذا الكتاب بعض الأجزاء المخطوطة:

فهناك ستة أجزاء في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩٢٦/ ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، (من A ٥٨٩٩ إلى A ٥٩٠٤) فالأول من أول الخلق (في ٢٠٣ أوراق)، والثاني من التبابعة إلى قريش البطاح (في ١٩٨ ورقة)، والثالث من بني عدنان حتى أسواق الجاهلية (في ٢٢٠ ورقة)، والرابع من أيام الفِجار إلى يوم أوارة (في ١٦٨ ورقة)، والخامس (في ١٨٣ و مة)، والسادس (في ٢٤٢ ورقة).

وهناك نسخة في مكتبة فاتح باستامبول في ٦ أجزاء بخط المؤلف مع فهرس لمحتويات الجزء الأول مصورة في دار الكتب بمصر (رقم ٩٤٧ تاريخ) في ١٦ مجلداً.

ونسخة ثالثة في الأزهر رقم تاريخ ٤٣٩ (٦٧٣٣) أباظة (الجزء الثاني فقط). ومنه مجلد في استراسبورغ أيضاً نقلت منه مجلة المستشرق فصلاً في تاريخ الكتابة العربية في الإسلام (السنة العاشرة ص ٤٧٨ فما بعد).

٨ ــ كتاب «إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأتباع»: طالعه ابن تغري بردي وذكر أنه «نفيس»، وهو يتحدث في شمائل النبي ﷺ والنبوات وآل الرسول والسيرة النبوية

والهجرة والغزوات، ومجموعة من الأخبار عن أحوال الرسول وأحكامه وأعماله ودقائق حياته وحديثه.

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في كوبريللي باستامبول رقم ١٠٠٤ في ستة مجلدات، ومصورة في دار الكتب بمصر رقم (٨٨٦ تاريخ) في تسعة مجلدات.

وهناك نسخة من الإمتاع في عمومجة حسين باشا رقم ٣٥٤ تاريخ، ونسخة أخرى في غوطا (غوتنغن).

٩ ــ «الإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام»: كتبه في مكة سنة ٨٣٩، وحرره في مصر سنة ٨٤١ بعد تدقيقه. ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموع ٣١٩٥ في مكتبة ولي الدين باستامبول. وقد طبع في بتافيا مع ترجمة فرنسية سنة ١٧٩٠، كما طبع في مصر سنة ١٨٩٥.

١٠ ــ «الطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة»: وهي رسالة كتبها وهو مجاور في مكة سنة ٨٣٩ أيضاً، ومنها مخطوطة في كمبردج وأخرى في باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧). وقد طبعت مشروحة مصورة سنة ١٨٦٦ في بون بعناية المستشرق سكوى باللغتين العربية واللاتينية.

١١ ــ «البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب»: ويبحث في القبائل العربية التي سكنت مصر، ومنه نسخة مخطوطة في فيينا، ونسخة في باريس رقم ١٧٢٥، ونسخة مخطوطة أخرى هناك (ضمن مجموع ٤٦٥٧٤)، ورابعة في دار الكتب بمصر رقم ١١٥٠ تاريخ. وقد ترجمه وستنفلد إلى الألمانية ونشره في غوتنغن سنة ١٨٤٧ في ثلاثة أجزاء.

وقد طبع في مصر بتحقيق عبد المجيد عابدين (طبع عالم الكتب سنة ١٩٦١)، وكان قد طبع بمصر قبل ذلك بتحقيق إبراهيم رمزي (طبعة المعارف) سنة ١٩١٦ نقلاً عن النسخة الألمانية.

١٢ ــ «الذهب المسبوك في ذكر من حجَّ من الخلفاء والملوك»: كتبه المقريزي سنة ٨٤١ وذكر فيه ٢٦ من هؤلاء الحجاج، بدأهم بالرسول ﷺ ثم الخلفاء الراشدين ومن بعدهم إلى أيامه في خمسة أجزاء. ومنه مخطوطات في كمبردج[1]، ومخطوط ضمن مجموع ٣١٩٥ في ولي الدين باستامبول، ورابع في المكتبة الأهلية في باريس ضمن مجموع (رقم ٤٦٥٧). وقد نشره جمال الدين الشيال (القاهرة سنة ١٩٥٤).

---

(١) الأول ضمن مجموع رقم (1) Qp 141 (من ورقة ١ إلى ٣٧)، والثاني ضمن مجموع رقمه (4) Dd A 746 (من الورقة ٧٨ إلى ١٠٥).

١٣ ـــ «النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم»: رسالة صغيرة منها مخطوط في فيينا ضمن مجموع وآخر في باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧)، وثمة نسخة ثالثة في الظاهرية بدمشق رقمها ٣٧٣١. وقد ترجم إلى الألمانية، ونشر في ليدن سنة ١٨٨٨، ثم طبع في القاهرة أكثر من مرة كما طبع في النجف (المطبعة الحيدرية سنة ١٩٦٦).

١٤ ـــ «الدرر المضيئة في تاريخ الدول الإسلامية» (أو) «الخلفاء حتى نهاية العباسيين»: وهو من مقتل عثمان بن عفان إلى مقتل المستعصم ونهاية الخلافة العباسية (سنة ٦٥٦). وهو مخطوط في كمبردج رقم Q94 في ٢٧٣ ورقة كبيرة كتب بعد عهد المؤلف بقليل دون خاتمة وبه تزيينات.

١٥ ـــ «الضوء الساري في خبر تميم الداري»: وهو أحد الصحابة الأولين، استقر في أرض الخليل بفلسطين (وتوفي سنة ٤٠ هـ.) وله وقف كبير استمر طول التاريخ الإسلامي. وثمة من هذه الرسالة نسخة ضمن مجموع رقم ٣١٩٥ في مكتبة ولي الدين باستامبول، ونسخة أخرى ضمن مجموع رقم ٤٦٥٧ في باريس، وثالثة في المتحف البريطاني، ورابعة في ليدن ضمن مجموع رقمه ٢٤٠٨.

وقد نشرها شارل د. ماتيوس سنة ١٩٤١ في مجلة . Jour. Pal. Oz. Soc (المجلد ١٩ ص ١٤٧ - ١٧٩ مع المقدمة).

١٦ ـــ «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» (ثلاثة مجلدات): ترجم فيه لأعيان عصره البارزين ومنهم علماء اليمن. وقد نقل عنه السخاوي في الضوء اللامع عدداً من التراجم وبخاصة المتصوفة من أهل اليمن وعدد تراجمه ٥٥٦ ترجمة.

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة في مجلدين نقلت عن نسخة بخط المؤلف سنة ٨٧٨ وتقع في ٢٩٢ ورقة و ١٥٠ ورقة[1]، وهي في مكتبة آل الجليلي الخاصة في الموصل. وثمة قطعة في حرف الألف وأخرى في حرف العين بخط المؤلف في مكتبة غوطا.

١٧ ـــ «عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط» (أو في ذكر ملوك مصر والفسطاط): وهو أول كتاب كتبه المقريزي في تاريخ مصر الإسلامي الأول ثم أتبعه بكتاب «اتعاظ الحنفا» في تاريخ مصر زمن الفاطميين ليأتي من بعدهما «السلوك» فيغطي العهدين الأيوبي والمملوكي.

وثمة من هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة في برلين ضمن مجموعة خطية تحمل رقم ٩٨٤٥.

١٨ ـــ «منتخب التذكرة في التاريخ»: ويصفه المقريزي بأنه كتاب عديم المثال في

---

(١) ذكرها محمد الجليلي - مجلة المجمع العراقي ١٣/١٩٦٦ ص٢٠١ - ٢١٤.

جمل التاريخ، انتخبه من كتابه المسمى بـ «التذكرة» وذكر فيه تاريخ الملوك والأعيان ومدة كل منهم ووقت انقضائه وأنسابهم وتلخيص أحوالهم.

وقد بقي من هذا الكتاب مجلد واحد مخطوط هو المجلد الأول من آدم إلى سنة ٢٧٠هـ. في ١٦٦ ورقة مع بعض الأوراق الأخرى وهو في المكتبة الوطنية في باريس برقم ١٥١٤.

١٩ ــ «نبذ تاريخية»: وهو مجموعة معلومات، أولها نبذة عن الروك الحسامي والروك الناصري، ثم تراجم مختلفة لبعض الأعيان، ثم وزراء الدولة السلجوقية، ثم من وَلِيَ حلب من سنة ٣٠٠، ثم من وَلِيَ دمشق من الترك. ولعل هذه النبذ لم تكتب بوصفها مؤلَّفاً ولكنها مما كان المقريزي يجمعه من المصادر لمؤلفاته التاريخية.

وهذه النبذ موجودة بخط المقريزي في ٥٢ ورقة، والمخطوط في بلدية الإسكندرية رقم ٢١٢٥ د.

٢٠ ــ «مختصر الكامل في الضعفاء» (وهو الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين لعبد الله ابن عدي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٥)، وقال المقريزي في مقدمته: «إن ابن عدي شحنه بكثرة الأسانيد فأحببت أن ألخص منه ما قيل في الرواة على سبيل الإيجاز وحذفت علل الحديث... والأسانيد إلا أن تدعو الضرورة...» ومن الكتاب نسخة بخط المقريزي كتبت (سنة ٧٩٥) في مكتبة مراد ملا باستامبول رقم ٥٦٩ في ٣١٥ ورقة.

٢١ ــ «رسالة في الموازين والمكاييل» (أو الأوزان والأكيال) الشرعية، ومنها مخطوط في ليدن وآخر في دار الكتب المصرية في ١٨ صفحة وقد ترجمت إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٨٠٠ في روستك بعناية المستشرق رنك.

٢٢ ــ «تراجم ملوك الغرب»: وقد ذكر فيه أخبار أبي حمو ومَنْ خلفه على تلمسان من بني زيان. ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة عديدة منها واحدة في ليدن، وأخرى في فيينا وكُلٌّ ضمن مجموعة تحوي بضعة عشر مؤلَّفاً (رسالة) للمقريزي.

٢٣ ــ «ذكر ما ورد في بني أمية وبني العباس من الأقوال»: ومن هذه الرسالة نسخة مخطوطة في فيينا.

٢٤ ــ «معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عداهم»: وهي رسالة كتبها (سنة ٨٤١) ومنها مخطوط في فيينا (ضمن مجموع)، وأخرى في باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧).

٢٥ ــ رسالة في الغناء، عنوانها «إزالة التعب والعَنا في معرفة حال الغنا». ومنها مخطوط في باريس ذكره زيدان ولم أجده في فهارس المكتبة الوطنية هناك.

٢٦ ــ «ذكر بناء الكعبة والبيت الحرام»: وهو مخطوط في الظاهرية بدمشق في ٧٨ ورقة

وقمه ٤٨٠٥. وللمقريزي كتابان في هذا الموضوع مطول ومختصر ذكرهما السخاوي وهذا أحد الكتابين.

٢٧ ـ كتاب «البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد» (وقد يسمى تجريد التوحيد المفيد) ومنه نسخ عديدة في تشيستربتي رقم ١٤٩٦، وفي ليدن رقم ٤٥١، وفي باريس برقم ٤٦٥٧، وفي دار الكتب بمصر

وثمة عدا هذه المؤلفات مجموعة أخرى ضاعت أو فقدنا آثارها حتى الآن:

٢٨ ـ كتاب «مجمع الفرائد ومنبع الفوائد»: وهو كالتذكرة التي تجمع ألواناً من الأخبار والمواضيع، أكمل المقريزي منه كما ذكر ابن تغري بردي نحو الثمانين مجلدة[1]. وأما السخاوي فيذكر أنه يشتمل على «علمي العقل والنقل المحتوي على فني الجدّ والهزل بلغت مجلداته نحو المائة»[2]. ومن الهامّ أن نلاحظ أن ابن قطلوبغا (المتوفى سنة ٨٧٩) جمع كتابه تاج التراجم في طبقات الحنفية من تذكرة أستاذه المقريزي ومن الجواهر المضية لابن أبي الوفا (المتوفى سنة ٧٧٥).

٢٩ ـ «شارع النجاة»: ويشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول دياناتهم وفروعها مع بيان أدلتها ووجه الحق فيها. ذكره السخاوي وانفرد بذكره.

٣٠ ـ كتاب ما شاهده وما سمعه مما لم ينقل في كتاب. ذكره السخاوي أيضاً وحده.

٣١ ـ كتاب «الإشارة والإعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام»: وهو الكتاب الآخر الضائع من الكتابين (الأصل والمختصر) اللذين ذكرهما السخاوي.

وهناك بعد هذا أربعة كتب ذات شجون:

٣٢ ـ «جنى الأزهار من الروض المعطار»: وهو موجز الروض المعطار للحميري (المتوفى سنة ٩٠٠) وهو منسوب للمقريزي، ويظهر أنه لأحد أحفاده فالنسخة المخطوطة الموجودة منه في ٥٨ ورقة برقم ٤٥٨ جغرافيا في دار الكتب المصرية تلقب صاحب الكتاب بشهاب الدين المقريزي لا بتقي الدين. وثمة نسختان مخطوطتان أخريان من الكتاب في باريس برقم ٤٧٩٧ و٥٩١٠.

٣٣ ـ ذكر السخاوي في الضوء اللامع أن المقريزي «قرض سيرة المؤيد» شعراً لمحمد بن ناهض[3]. وقد ذكر الخبر نفسه في ترجمة القلقشندي، فإن لم يكن ذلك سهواً منه، فإن هذا قد يعني أن السلطان المؤيد شيخ (المتوفى آخر سنة ٨٢٤) بعد سنة أو نحوها

---

(١) ابن تغري بردي ـ «المنهل الصافي» ج١ ص٣٩٨.
(٢) السخاوي ـ «التبر المسبوك» ص٢٣.
(٣) السخاوي ـ «الضوء اللامع» ٢/ ٢٣.

من السلطنة أو بعض أمرائه الكبار قد طلب من الاثنين أو أوقع التنافس بينهما في نظم السيرة التي كتبها ابن ناهض.

٣٤ ــ نشر للمقريزي كتابان عن تاريخ الأقباط، وهما كتاب واحد مستخرج من كتاب المواعظ والاعتبار (الخطط) نشر أولاً بعنوان دخول قبط مصر في دين النصرانية ومعه ترجمة لاتينية بعناية المستشرق ونزر في سالباشي سنة ١٨٢٨، ونشر باسم أخبار قبط مصر بعناية هماكر في أمستردام سنة ١٨٢٤، ثم طبع بعناية وستنفيلد في غوطا سنة ١٨٤٥(١).

٣٥ ــ «تاريخ الجراكسة» وهو مخطوط في أكسفورد ينسب للمقريزي. ذكره زيدان واستظهر أنه قد يكون مقتطفاً من «واسطة السلوك» المخطوط هناك أيضاً(٢).

وأخيراً نذكر للمقريزي:

٣٦ ــ كتاب «نحل عبر النُحْل وما فيه من غرائب الحكمة»: وهو مخطوط في كمبردج، وقد نشره الشيال في القاهرة سنة ١٩٤٦. وهو نموذج لاهتمامات المقريزي العلمية التي تمثلت في كتب أخرى مثل: «المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية»، و«الإشارة والأسماء إلى حل لغز الماء». ومنها نسخ خطية موجودة بالإضافة إلى كتب ذات طابع ديني أو ما يشبهه كـ «السير في سؤال خاتمة الخير»، و«الأخبار عن الإعذار»، ومقالة في حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر.

٣٧ ــ لخص كتاب عجائب المقدور في وقائع (أو أخبار أو نوائب) تيمور لابن عربشاه (المتوفى سنة ٨٥٤) والمقريزي بهذا التراث كله واحد من ثلاثة أو أربعة رجال كانوا أسياد علم التاريخ في العصر المملوكي أجمع(٣).

---

(١) سركيس ـ «معجم المطبوعات العربية» ٢/١٧٨.

(٢) زيدان ـ «تاريخ آداب اللغة العربية» ج٣ ص١٨٦.

(٣) حظي المقريزي أكثر من الكثيرين غيره بالذكر والدراسة. ومن مصادر ترجمته:

ـ ابن تغري بردي «المنهل الصافي» ١/٣٩٤ فما بعد.

ـ الشوكاني «البدر الطالع» ١/٧٩ ـ ٨١.

ـ السخاوي «الضوء اللامع» ج٢ ص٢٢، و«التبر المسبوك» ص٢١ ـ ٢٤.

ـ السيوطي، حسن المحاضرة ١/٣٢٠، شذرات ٧/٢٥٥.

ومن الدراسات الحديثة حوله:

المقريزي مجموعة دراسات وأبحاث طبعها المجلس الأعلى لرعاية الفنون، القاهرة سنة ١٩٦٨. محمد مصطفى زيادة ـ المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، القاهرة ١٩٥٤. محمد عبد الله عنان ـ مؤرخو مصر الإسلامية، القاهرة سنة ١٩٦٩. ومقدمات جمال الدين الشيال لما نشر من كتبه. ومحمد بحر العلوم لشذور العقود. وانظر أيضاً «هدية العارفين» ١/١٢٧، وفهرست معهد المخطوطات العربية ج٢ قسم١ ص٣٢ و١٢١ و١٤١ وقسم٢ ص١٦٥ وقسم٣ ص٢٩٧. وبالإضافة إلى زيدان «آداب

٣ ـ ابن حجر العسقلاني

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني الأصل المصري المولد والنشأة والدار، وقد اشتهر بابن حجر لقب بعض آبائه: ولد سنة ٧٧٣هـ. /١٣٦١ م. وتوفي سنة ٨٥٢هـ. /١٤٤٨ م. وهو واحد من أكابر تلك السلسلة الطويلة من المحدثين المؤرخين التي كان منها الطبري وابن الأثير والبغدادي وابن عساكر والذهبي... وإنما دخل علم التاريخ من باب الحديث، وما يجب لعلومه من المعرفة بالرجال والأحداث والرواية، فكان مؤرخاً كبيراً بقدر ما كان محدِّثاً كبيراً.

فَقَدَ ابن حجر أبويه وهو طفل فنشأ كالمقريزي يتيماً في وصاية أحد كبار التجار من أصدقاء أبيه، وقد صحب هذا الوصي إلى الحج وهو فتى فدرس في مكة، ثم عاد فدرس في مصر على أعلام العصر. وكان من شيوخه الزين العراقي، والسراج ابن الملقن، والشهاب البوصيري، والبدر البشتكي، والعز ابن جماعة، والشمس القطان، والمجد الفيروزآبادي، والشمس الغماري، والسراج البلقيني، والبرهانه الأبناسي، وغيرهم...

وعن هؤلاء وأمثالهم أخذ الفقه وعلوم القرآن واللغة، لكنه انصرف بكليته للحديث منذ كان في العشرين من عمره. وأكثر من الرحلة في طلبه في مصر وفي الشام والحجاز واليمن حتى اجتمع له من الشيوخ ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، «كما بزّ غيره في علوم الحديث مطالعة وقراءة وتصنيفاً وإفتاءً» فصار فيه المفرد العلم. وبلغت مصنفاته فيه وحده أكثر من مائة وخمسين مصنفاً. «وانتهت إليه الرحلة في الحديث في الدنيا بأسرها، فلم يكن في عصره حافظ سواه» على حد قول السيوطي.

وقد عمل ابن حجر في التدريس كغيره من العلماء في العديد من مدارس القاهرة كالصالحية والمنصورية والجمالية والصلاحية والبيبرسية والشيخونية والمؤيدية. وتولى أيضاً منصب القضاء أكثر من مرة، ولمدة تزيد على إحدى وعشرين سنة (عُيِّن وعُزِل خلالها تسع مرات). فلما زهد في القضاء، وصرف عنه سنة ٨٥٢ كان العمر أيضاً قد انتهى به، فقد مات بعد أشهر قليلة!

ترك ابن حجر من التراث العلمي ما تنوء به العصبة أولو العزم. ونستطيع أن نُحصي من إنتاجه حوالى ٢٧٠ كتاباً ورسالة، عدا ثلاثة دواوين من الشعر و١٣ فتوى جوابية. ولا يدخل في ذلك ٣٥ مؤلَّفاً نُسبت أيضاً إليه، أو ثمة شك في نسبتها إليه. وإذا كان ما يهمنا من هذا التراث هو الجانب التاريخي، فإنه بدوره ليس بالجانب الهين ولا القليل. ونستطيع أن نحصي فيه حوالى (٨٢) كتاباً ورسالة ضاع منها النصف (٤١) ومعظم الباقي مخطوط (٢٩)

= اللغة» ج٣ ص١٨٤ ـ ١٨٦، وبروكلمان ج٢ /٣٨ وملحق ٢ /٣٦، وكحالة: «معجم المؤلفين» والزركلي: «الأعلام».

ولم يطبع سوى السُبع أو أقل (١٢). وإن كان هذا الذي طبع هو الأضخم في الحجم والأثقل في الوزن العلمي. وبعضه تاريخي خالص، وبعضٌ حديثي يتصل خاصة بالحفاظ والرواة.
والمجموعة الأولى المطبوعة هي:

١ ـ «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»: هو أكبر معجم للرجال في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) «وفيات سنة ٧٠١ حتى سنة ٨٠٠ من الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأدباء والشعراء» في مصر وفي البلاد الإسلامية على السواء. وإن توجهت عناية ابن حجر إلى الحُفّاظ «رواة الحديث النبوي» بصورة خاصة. ولم يهمل النساء فترجم للمحدثات والعابدات وكسب كتابه شأناً تاريخيًّا خاصًّا بما أورد من تراجم ملوك المغول وأمراء التتر وسلاطين الترك ومن أحداث السياسة في مصر والشام.

نظم ابن حجر التراجم التي أوردها ـ وهي في الغالب قصيرة مركزة ـ على حروف المعجم، وكان يأمل أن يكون الكتاب في أربعة مجلدات، ولكن تلميذه السخاوي بيَّضه في مجلدين فقط. وقد فرغ المؤلف منه سنة ٨٣٧.

وقد أدرك ابن حجر عدداً من أصحاب التراجم، ولكنه اعتمد في معظم الكتاب على موارد أخرى ذكرها ـ وكانت هذه عادته في مؤلفاته ـ في مقدمة الكتاب، ومنها «أعيان العصر» للصفدي، و«مجاني العصر» لأبي حيان، و«ذهبية القصر» لابن فضل الله، و«تاريخ مصر» للقطب الحلبي، و«ذيل سير النبلاء» للذهبي، و«الوفيات» للدمياطي، والذيل عليه للعراقي، وتاريخ ابن خلدون، و«تاريخ غرناطة» للخطيب، و«الوفيات» لابن رافع، وذيله لابن حجي، وعلى عدد من معاجم الشيوخ.

وليست هذه أول مرة يعتبر فيها القرن وحدة تاريخية للتأليف، فقد سبق ابن حجر في هذا كل من الأدفوي في كتابه «البدر السافر» والبرزالي في «تاريخ مختصر المائة السابعة» والصلاح الصفدي في «أعيان العصر» الذي بدأه من مطلع القرن الثامن حتى وفاته (سنة ٧٦٤)، كما اتبع الطريق نفسه ابن أبي عذيبة (٨٥٦) المعاصر لابن حجر في كتابه «إنسان العيون في مشاهير سادس القرون»، ولكن كتاب «الدرر» كان أشهرها. وبدأ سلسلة مماثلة استمرت بعده عدة قرون في السخاوي (القرن ٩) ثم العيدروس والغزي (القرن ١٠) والمحبي (القرن ١١) والمرادي (القرن ١٢) والبيطار (القرن ١٣).

ثمة عدة نسخ محفوظة من «الدرر» منها نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٢، ونسخة التيمورية رقم ١٣١٢، ونسخة ولي الدين باستامبول رقم ١٣٤، ونسخة المتحف البريطاني، والأهلية في باريس، وفيينا، وغيرها. وقد طبع الكتاب لأول مرة في الهند (سنة ١٩٢٩) في ٤ مجلدات ضخمة، وطبع في السنة نفسها في القاهرة (المطبعة الرحمانية) في أربعة مجلدات أيضاً، ثم طبع في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٤٩ ـ ١٣٥٠هـ. ثم طبع في القاهرة سنة ١٩٦٦ في خمسة أجزاء (تحقيق محمد سيد جاد الحق). وأخيراً ظهرت طبعة مصورة

عن طبعة الهند الأخيرة في بيروت (دار الجيل). وقد اختصر كتاب «الدرر» كلٌ من جلال الدين السيوطي (٩١١) ومعاصره ابن عبد الهادي (٩٠٩).

٢ ـ «ذيل الدرر الكامنة»: ويتضمن تراجم «الأعيان المختصة بالمائة التاسعة» كما قال صاحبه وقد رتبه على السنين «استجابة لرغبة أصحابه ليتحقق له الاستيعاب، ولم يتبسط في تراجم الشاميين»، ونظم التراجم على سني الوفاة بالفعل، ولكنه جعلها في كل سنة على حروف المعجم. واستعان بمؤلفه «إنباء الغمر» في تأليفه. وقد ذكر السخاوي أنه رأى الكتاب في دمشق في مجلد لطيف عند الشهاب اللبودي، وأن ابن حجر وصل به إلى سنة ٨٣٢.

ولم يطبع الذيل. وثمة نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية برقم ٦٤٩ تاريخ تيمورية، وهي مسودة بخط ابن حجر نفسه وفيها شطب وتعديل واستدراك في ٢٢٢ ورقة تنتهي سنة ٨٣٢. ومع أن المخطوط يحمل عنوان «ذيل الدرر» إلا أنه، كما نلاحظ، ليس بذيل عليه، ولا سماه صاحبه ولا تلميذه السخاوي بذلك، ولكنه كتاب خاص بتراجم أعيان المائة التاسعة وإن كان يتابع فيه كتاب «الدرر الكامنة» في ترجمة رجال العصر.

٣ ـ «إنباء الغمر بأبناء العمر»: هو مؤلف حافل في أكثر من ألف صفحة كبيرة. وإذا كان «الدرر» و «ذيله» في الرجال فهذا في التاريخ وأحداثه، وهو الصورة المكملة للدرر في إعطاء صورة العصر الذي عاشه ابن حجر مع رجاله، جمع فيه الأحداث التي أدركها منذ ولادته سنة ٧٧٣ حتى انتهى إلى سنة ٨٥٠ نظمه على السنين وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوعباً ـ طبق اهتماماته ـ لرواة الحديث النبوي، خصوصاً ـ كما قال ـ لمن لقيه وأجازه.

اعتمد ابن حجر في «الإنباء» على ما سمعه ورآه في عصره، كما اعتمد على عدد من المصادر ذكرها ـ على عادته ـ في مقدمة الكتاب، منها: ابن الفرات، وابن دقماق، وابن حِجّي، والمقريزي، والتقي الفاسي، والبدر العيني، والصلاح الأقفهسي، وابن خطيب الناصرية من مؤرخي مصر والشام الذين سبقوا عصره بقليل أو عاصروه.

ويبدو أن ابن حجر، حين قرر الشروع في الكتاب، كان في خاطره أن يجعله إكمالاً لبعض عمل السابقين في التاريخ والرجال، لهذا قال في المقدمة: «وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلاً على تاريخ الحافظ ابن كثير، فإنه انتهى في ذيل تاريخه «البداية والنهاية» إلى هذه السنة (٧٧٣)، ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلاً على وفيات ابن رافع (توفي سنة ٧٧٤) فإنها انتهت إلى أوائل هذه السنة». وآثر ابن حجر شديد الدقة في التسجيل فلم يكتفِ بالتاريخ الحولي، ولكنه كان يقيد الأحداث بالشهور والأيام في الغالب. ومعظم ما دوّنه خاص بتاريخ مصر في تلك الحقبة، ولكنه دوّن بجانبه أيضاً ما وقع في عدد من الأقطار الإسلامية من تركستان إلى المغرب الأقصى، ومن مملكة الروم العثمانية إلى اليمن. وهو يتبع الحوادث بذكر الوفيات حسب التقليد التاريخي الذي استقرّ في تلك الفترة.

ويسجل وفيات كبريات النساء أيضاً. ومقام ابن حجر واتصالاته العليا ودقته العلمية تجعل الكتابَ سجلاً لتاريخ البلاد الإسلامية على مدى ثلاثة أرباع قرن وبخاصة في مصر.

وقد ذيّل على «الإنباء» البرهان البقاعي (المتوفى سنة ٨٨٥) حتى سنة ٨٧٠ في «إظهار العصر» كما كتب عليه ذيل آخر بعنوان «إنباء المصر في أبناء العصر» من سنة ٨٥١ إلى سنة ٨٨٦. وللسيوطي كتاب «تاريخ العمر» أراده ذيلاً على «إنباء» ابن حجر.

وثمة من «الإنباء» نسخ عديدة مخطوطة تزيد على العشرين. وأهمها نسخة المؤلف الموجودة في دار الكتب الظاهرية (رقم ٢٤١ تاريخ)، وثمة نسخة في الأزهر (٧١٠ تاريخ)، وفي أحمد الثالث (١/٢٩٤٢)، وفي باريس (١٦٠١)، ونسخة خزائنية بصنعاء، وأخر في المتحف البريطاني وحيدر آباد واستامبول وفاس والمدينة المنورة (حتى سنة ٨٣٨). وقد طبع الكتاب بتحقيق حسن حبشي في القاهرة سنة ١٩٦٩ - سنة ١٩٧٣، في ثلاثة أجزاء (حتى سنة ٧٣٨)، كما طبع قبيل ذلك سنة ١٩٦٧ في حيدر آباد بتحقيق عبد المعيد خان.

٤ - «رفع الإصر عن قضاة مصر»: وهو في تراجم رجال القضاء الكبار في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى بداية القرن التاسع، حتى إنه ترجم فيه لنفسه، فقد كان هو واحداً منهم (إذ ولي وعزل تسع مرات)، وقد جمع فيهم مجلداً ضخماً رتبه على الطبقات، غير أن تلميذه العز الحنبلي رتبه بعد وفاته على حروف المعجم، وأجرى عليه بعض التنقيح. وكان اعتماد ابن حجر على من سبقه في هذا الموضوع كالكندي وابن زولاق، وقد اعتبر كتابه ذيلاً على ابن زولاق، كما استقى مادته من تاريخ ابن ميسر والقطب الحلبي وكتب المقريزي. ويذكر ابن حجر في المقدمة أنه وقف على أرجوزة لشمس الدين ابن دانيال نظمها لقاضي القضاة ابن جماعة في من ولي قضاء الديار المصرية، ثم طلب إليه أن يترجم لمن تضمنه الرجز فاستجاب وكان هذا الكتاب.

وقد ذيّل عليه تلميذه السخاوي (في بغية الوعاة في الذيل على شيخي في القضاة)، واختصره ابن شاهين سبط ابن حجر في «النجوم الزاهرة بتلخيص أخبار قضاة مصر والقاهرة»، كما اختصره أيضاً علي بن عبد اللطيف المقدسي (توفي سنة ٩٠٠).

وثمة من «رفع الإصر» نسخ مخطوطة عديدة منها في مكتبة فيض الله باستامبول (رقم ١٤٥٥) في ١٤٠ ورقة، وفي دار الكتب المصرية (رقم ١٠٥)، وفي الأهلية بباريس (رقم ٥٨٩٣).

طبع قسم من «رفع الإصر» في أعقاب كتاب ولاة وقضاة مصر للكندي (لجنة جب التذكارية سنة ١٩٠٨)، ثم طبع كاملاً في قسمين: الأول بتحقيق حامد عبد المجيد وأبي سنة والصاوي (طبعة وزارة التربية - القاهرة ١٩٥٧)، والثاني بتحقيق حامد عبد المجيد أيضاً وزارة الثقافة - القاهرة ١٩٦١).

٥ - «الإصابة في تمييز الصحابة»: وهو أشهر كتب ابن حجر وأهمها في التاريخ

الحديثي، رتب فيه الصحابة على حروف المعجم، ثم رتبهم داخل كل حرف على أربعة أقسام: من وردت عنه رواية، ومن رأى الرسول ﷺ فقط، ومن لم يره ولكنه من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وأخيراً من ورد اسمه عن خطأ أو ذهول في كتب مصنفي الصحابة. وهذا القسم الأخير هو أهم ما في الكتاب لما فيه من التحقيق التاريخي الذي لم يسبق إلى غالبه. وقدم ابن حجر لكتابه بمقدمة من ثلاثة فصول عرف فيها الصحابي، وطريقة معرفته، وبيان عدالته. وخصص باباً للصحابة المعروفين بالكُنى وباباً للصحابيات.

وقد سبق ابن حجر كثير من المؤلفين في الصحابة، بل سبق أيضاً إلى الاسم الذي استخدمه ابن الجوزي والمقدسي والذهبي والخليلي (محمد بن يعقوب)، ولكن كتاب ابن حجر احتلّ مكانه الخاص وصار واحداً من ثلاثة أو أربعة كتب معتمدة مشهورة في موضوعه رغم قصر ترجماته، لأنه استوعب الكتب التي سبقته، واستدرك عليها، ونفى وأثبت الصحبة وفق أسس منهجية ثابتة.

بدأ ابن حجر في جمع كتابه سنة ٨٠٩، واستمرَّ في عمله حوالى أربعين سنة، وأعاد كتابة مسودته ثلاث مرات، وبقيت الثالثة مسودة قيد التصحيح أيضاً. ومجموع التراجم فيه (١٢٣٠٤) تراجم بما في ذلك المكرر، استند في جمعها إلى ما يزيد على ٩٤٠ مصنَّفاً وقد جاء الكتاب في خمسة مجلدات ضخمة.

بلغ من شهرة كتاب «الإصابة» أن انتشرت منه نسخ مخطوطة في أعداد كبيرة من المكتبات. ففي استامبول منه أكثر من ١٢ نسخة، وفي مصر بدار الكتب، ودمشق (الظاهرية) وتونس (الأحمدية) وبغداد (الأوقاف) نسخ أخرى متعددة.

كما طبع كتاب «الإصابة» أكثر من ست طبعات: أولها في الهند (سنة ١٨٥٣) في ثمانية مجلدات، ثم في كلكوتا (١٨٥٦ - ١٨٧٣) في أربعة، ثم في القاهرة سنة ١٩٠٧ في ثمانٍ. وتكرر طبعه في القاهرة بعد ذلك أربع مرات كان آخرَها طبعةُ دار نهضة مصر سنة ١٩٧٠ - ١٩٧٢ بتحقيق علي محمد البجاوي في ثمانية أقسام قبل أن يعاد طبع بعض الطبعات السابقة تصويراً.

٦ - «تهذيب التهذيب»: هو مصنف ضخم في رجال الحديث في مختلف العصور. اختصر فيه ابن حجر كتاب «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ المزي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٤٢). وكتاب «الكمال» هو في الأصل للحافظ عبد الغني المقدسي الدمشقي (المتوفى سنة ٦٠٠هـ. /١٢٠٤م.). لكن ابن حجر أضاف إلى تهذيب المزي ما يعادل ثلث حجمه من المعلومات الإضافية، ومع ذلك فقد أخرجه في ثلث حجم الكتاب المهذب، أي كتاب المزي. فقد حذف التطويل في المرويّات، واقتصر على أشهر شيوخ الرجال، ولم يحذف التراجم الصغيرة، ولكنه زاد فيها ما يدخل في شرط الكتاب مما وجده في المراجع الأخرى. وانتهى منه سنة ٨٠٧ راضياً عنه.

جاء الكتاب في ثلاثة مجلدات بخط المؤلف (وفي ستة من خط غيره). وثمة نسخة في خمسة مجلدات في طوبقابو (من رقم ٤٥٣ ٦٢١ إلى ٤٥٨ ٦٣٢٥)، ونسخة تشستربتي (رقم ٣٢٨٩ و ٣٣٤٥)، ومخطوط ولي الدين رقم ٣٢٥ ـ ٣٢٧، ومخطوطة القرويين في فاس رقم ٦٢٧ ـ ٦٢٨ وغيرها.

وقد طبع «تهذيب التهذيب» في دلهي سنة ١٨٩١، وفي حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٥ هـ./١٩٠٧ م. في ١٢ مجلداً. وأعيد طبعه مصوراً سنة ١٩٦٨ (دار صادر في بيروت) عن النسخة الأخيرة.

٧ ـ «تقريب التهذيب»: هو مختصر الكتاب السابق ولا تزيد الترجمة على سطر فكأنه فهرس للتذكرة. ويحوي رجال الكتب الستة مع زيادات كثيرة، منها فصل في بيان المبهمات من النساء.

ومنه نسخ مخطوطة كثيرة، ومنها نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية ـ التيمورية رقم ٥٣٣ تاريخ في ٤٣٠ ورقة، بالإضافة إلى نسخ أخرى في الدار (أرقام ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥)، وفي الأزهرية، ونسخ عديدة في استامبول (ينى جامع ٤٣ ـ ٤٤، ولي الدين ٢٧، وعاطف أفندي ١٠٦، وأسعد أفندي ٢٠، وثلاث نسخ في طوبقابو أرقامها ٤٥٩ ٦٣١٨ في ٢٥٧ ورقة، و ٤٦٠ ٦٣١٩ في ٩١٧ ورقة، و ٥٠٥ ٦٣٢٠ في ٢٢١ ورقة) عدا ما في بغداد والموصل غيرها.

وقد طبع «التقريب» بتحقيق وتعليق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف (دار الكتاب العربي ـ القاهرة) سنة ١٩٦٠، وكان قد طبع من قبل في دلهي سنة ١٨٩١.

وعلى كتاب «التقريب» بنى ابن عبد الهادي كتابه «ضبط من غبر في من قيده ابن حجر».

٨ ـ «لسان الميزان»: وقد بناه ابن حجر على أساس اختصار كتاب «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي (وهو في التعديل والتجريح)، ولكنه بجانب الاختصار اقتصر فقط على ذكر التراجم التي وردت في الميزان، ولم ترد في تهذيب الكمال، وأضاف في الوقت نفسه من عنده زيادات كثيرة جدًّا سواء في التراجم نفسها، أو في تجريح وتعديل المترجمين، مما جعله يقول فيما بعد: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أتقيد بالذهبي ولجعلته كتاباً مبتكراً. . .» وقد بلغ من اهتمام ابن حجر بهذا الكتاب أن ظلّ يتابعه بعد الفراغ منه بالتعديل والإضافة في كتب أخرى، وهكذا نجد له:

٩ ـ «تحرير الميزان» وفيه تصحيح ما وقع له من وَهْمٍ فيه، وإضافة ما فاته من تراجم.

١٠ ـ «تقويم اللسان» وفيه أورد من ضَعَّفه الذهبي، ولم يذكر مستندَه في تضعيفه.

١١ ـ «ذيل الميزان» وقد جمع فيه ابن حجر نحواً من ألفيْ ترجمة إضافية وبيّض قسماً

منه. وثمة من لسان الميزان نسخة كاملة في ثلاثة أجزاء في مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ٢٩٤٤، الأول إلى آخر حرف الزاي، والثاني إلى آخر اللام والثالث حتى نهاية الكتاب. وثمة في مكتبة «لا له لي» الجزء الثاني منه فقط رقم ٦٣١. وفي أيا صوفيا نسخة. وقد طبع الكتاب بحيدر آباد سنة ١٩١١ ـ ١٩١٢ في ستة أجزاء.

١٢ ـ «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»: وهو في المشتبه من أسماء الرجال الرواة، وما يتصل بذلك من المؤتلف والمختلف، قصد به ابن حجر التحرير والضبط لكتاب المشتبه للذهبي والاستدراك عليه. وقد بلغت زيادات ابن حجر مرة ونصف المرة من الكتاب الأصلي، وجاء كتاب التبصير في مجلد كبير فرغ منه سنة ٨١٦ وهو مرتب على حروف المعجم.

ومنه نسخة كتبت في عصر المؤلف وعليها خط ابن الشحنة وولده موجودة في مكتبة مراد ملا باستامبول رقم ٣٤٣ في ٢٥٨ ورقة. وثمة نسخة خزائنية كتبها البوصيري (سنة ٨٢٠) وقرأها على المؤلف موجودة في رضا رامبور رقم ١٠٢٠، وثالثة في حيدر أباد رقم ١٠ رجال، ورابعة في خدابخش رقم ٢٤١٢، وخامسة في شهيد علي رقم ٣٧٧ وغيرها. وقد طبع «تبصير المنتبه» بتحقيق علي محمد البجاوي في القاهرة سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ في أربعة أقسام.

١٣ ـ «تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس»: ألّفه ابن حجر سنة ٨١٥، وجعل المدلسين خمس مراتب أو طبقات. وثمة منه نسخ عديدة منها ثلاث في دار الكتب المصرية أرقامها ١٤٤ مجاميع، ١٧٥ مجاميع، و ٥٢ مجاميع، وفي التيمورية مثل ذلك، عدا نسخ الأزهرية وكوبريللي في استامبول رقم ١٥٩١. وقد طبع الكتاب بمصر سنة ١٩٠٤.

١٤ ـ «المرحمة الغيثية في الترجمة الليثية»، أو «مرحمة الغيث بترجمة الليث»: وهو الليث بن سعد قاضي مصر وصاحب المذهب الفقهي المعروف باسمه (ولد سنة ٩١ وتوفي سنة ١٧٥).

والمؤلّف رسالة كتبها ابن حجر في يومين (سنة ٨٣٤) في أوراق، ومنها نسخة في ١٣ ورقة مخطوطة (خدابخش بتنة رقم ٢٣٨٢).

وقد طبعت الرسالة مرة في بولاق سنة ١٣٠١هـ. /١٨٨٤م.، وطبعت مع مجموعة من الرسائل «الرسائل المنيرية» ببيروت سنة ١٩٧٠ج٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٦٥.

١٥ ـ «توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس»: وهو بدوره رسالة في مناقب الإمام الشافعي مرتبة في بابين فرغ منها ابن حجر سنة ٨٣٥. وثمة نسخة مخطوطة لها في

الظاهرية بدمشق رقم ٩٢٢٤ عام في ٢٤ ورقة، وأخرى في أياصوفيا (٣٥٠٨)، وقد طبعت الرسالة مع الرسالة السابقة في بولاق سنة ١٣٠١هـ./١٨٨٤ م.

١٦ ــ «الزهر النضر في أبناء الخضر»: وقد تتبع ابن حجر في هذه الرسالة أخبار الخضر في الأقوال المختلفة، وفحص أسانيدها جامعاً ما سبقه إليه الباحثون الآخرون في هذا الموضوع كابن الجوزي، والرواة الباقون كالقشيري، والماوردي، وأبي نعيم...

ومن الرسالة مخطوط في دار الكتب المصرية رقم ١٧٥ مجاميع في ١٥ ورقة. وهي مطبوعة مع مجموعة الرسائل المنيرية في بيروت سنة ١٩٧٠.

١٧ ــ «غبطة الناظر في ترجمة عبد القادر (الكيلاني)»: ولعله ملخص عن كتاب «بهجة الأمراء» لابن الملقن فقد ذكر السخاوي في «الجواهر والدرر» (ورقة ٢٩٦ ظهر) أنه لخصه. ومن «غبطة الناظر» نسخة في الرباط ذكرها بروكلمان (رقم ٧٥). وقد طبع الكتاب في كلكوتا سنة ١٩٠٣، وله مختصرات بدوره منها مخطوطات في تونس وغيرها.

وتأتي بعد هذا مجموعة كتب ابن حجر التاريخية الثانية التي ما تزال مخطوطة وقد تقدم بعضها في مواضعها، ويبقى:

١٨ ــ «تجريد الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي»: والمعجم الوافي ضخم جدًّا في أصله (٢٩ مجلداً)، ولكن ابن حجر أوجزه في مجلد كأنه الفهرس، كتبه فبيل وفاته بقليل بحيث لا تزيد الترجمة عامة على سطر. ومنه نسخة مخطوطة بخط ابن فهد المكي في مكتبة فيض الله باستامبول رقم ١٤١٣ في ٢٦٩ ورقة.

١٩ ــ «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس»: وهو يضم تراجم ومرويات حوالى ٤٥٠ شيخاً من شيوخ ابن حجر بالسماع والإجازة والإفادة، وقد رتبهم على حروف المعجم في قسمين: الأول لمن روى عنه، والثاني للباقين، وجعلهم من حيث علو الأستاذ خمس مراتب أو طبقات. بدأ ابن حجر جمع الكتاب في عدن سنة ٨٠٦، وفرغ منه سنة ٨١٩ في القاهرة، وقد جاء في ١٦٢ ورقة.

ومسودة هذا الكتاب الأولى ما تزال مخطوطة، وهي في المكتبة الأزهرية برقم $\frac{١٧٨}{١٣٦٠}$ مصطلح الحديث. وهناك في الأزهرية نسخة أخرى برقم ٩٣٤ حديثية، وفي دار الكتب المصرية نسخة ثالثة برقم ٧٥ مصطلح (في قسمين من ١٢٧٧ ورقة). وثمة أيضاً نسخة في الأحمدية بحلب رقم ٣٤٥ (٣٧٥ ورقة). وفي مكتبة مراد ملّا نسخة بخط المؤلف كتبت سنة ٨١٦ ورقمها ٦٠٣ (وتمثل مشروع المجمع المؤسس قبل استكماله) وهناك أيضاً نسخ أخرى في الحرم الشريف واستامبول وغيرهما.

٢٠ ــ «المعجم الفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة». ويبدو

أنه غير الذي سماه ابن حجر أيضاً ـ حسب رواية السخاوي ـ «المقاصد العليات في فهرست المرويات»، أو «المقاصد العلية في فهرست الكتب والأجزاء المروية»: وهو في مجلد يحوي ما رواه ابن حجر بالأسانيد من مطولات الكتب والمختصرات والجوامع فيها والمفرقات والشيوخ والمعاجم والمشيخات والتواريخ وفنون الحديث والتصانيف في القرآن والفضائل والزهد والفقه والرقائق والمناقب والنوادر وغيرها، مع بيان محتوى بعضها وحجمها وطريق قراءتها... فهو عرض للمكتبة الثقافية التي استوعبها قطب من أقطاب العلم في ذلك العصر. ومن هنا الشأن التاريخي لهذا المعجم بوصفه إطلالة واسعة عالية على ثقافة العصر. ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم ٨٢ مصطلح وتقع في ١٨٥ ورقة رويت مباشرة عن ابن حجر. ونسخة أخرى في المتحف البريطاني رقم ٩٦٧٧.

٢١ ــ «الإيثار بمعرفة رواة الآثار»: وهو في رواة كتاب الآثار لمحمد بن الحسن الشيباني (قاضي الرشيد المعروف المتوفى سنة ١٨٩هـ) وفي ما رواه عن أبي حنيفة. وقد رتب ابن حجر تراجم هؤلاء الرواة على حروف المعجم في الأسماء والكُنى ثم المبهم، وعقد في النهاية فصلاً في النساء. وقد فرغ منه أواخر سنة ٨٣٣.

وثمة نسخة مخطوطة بخط ابن حجر في دار الكتب المصرية رقم ١٥٦ مصطلح.

٢٢ ــ «تسمية من عرف ممن أبهم في العمدة»: (أي عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠) ويستوفي فيه ابن حجر تراجم أولئك المغمورين المذكورين في الكتاب بترتيب أبوابه. وهناك نسخة مخطوطة منه في المكتبة الأزهرية ضمن مجموع (١٠٩ مجاميع).

٢٣ ــ «تعجيل المنفعة برجال الأئمة الأربعة»: ترجم فيه ابن حجر لمن خرج له في كتاب من كتب الأئمة الأربعة (دون الكتب الستة) فهو في تاريخ الرواة الثقات. ومنه نسخة خطية في الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ١٤٦ حديث (من ورقة ٣١ إلى ١٢٤).

٢٤ ــ «نزهة الألباب في الألقاب»: استوعب فيه ابن حجر وجمع واختصر الكتب السابقة في هذا الموضوع، وأضاف واستدرك وصحّح الكثير، وجعل الكتاب في ثلاثة أبواب، ونظم كل باب على حروف المعجم. وللكتاب شأنه الهام في التاريخ وعلم الرجال والحديث.

ومنه نسخ مخطوطة عديدة: أهمها نسخة بخط ابن حجر في دار الكتب المصرية برقم ٣٣٦ مصطلح بخط المؤلف. وهناك نسخة أخرى برقم ١٦٦ وثالثة في فيض الله باستامبول رقم ١٥٤٨ وغيرها. والكتاب مطبوع.

٢٥ ــ «إتحاف إخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفا». وهو مخطوط[1].

---

(١) وجدته مسجلاً في جذاذاتي وفاتني فيها تسجيل المصدر

٢٦ ـ «تاريخ المدينة المنورة»: ذكر بروكلمان أنه مخطوط في مكتبة رضا رامبور، ومنه نسخة أخرى في المدينة[١]، وليس في المصادر القديمة ذكر له.

٢٧ ـ «رحلة ابن حجر من مصر إلى دمشق» وتسمى أحياناً: «اتباع الأثر في رحلة ابن حجر». وثمة شك في نسبتها لابن حجر. ومنها مخطوط الظاهرية برقم ١٠٢٢٦ وهي مخرومة الأول وتقع في ١٣ صفحة.

٢٨ ـ «المغني في ضبط الأسماء والأنساب»: وقد ذكر بروكلمان وجود نسخة مخطوطة منه في رضا رامبور[٢].

٢٩ ـ «تحفة أهل الحديث عن شيوخ التحديث»: ومنه مخطوطان في المكتبة المركزية بالموصل رقم ١٩٤ و ٢٣٨ وذكرهما بروكلمان[٣] وذكر أن الكتاب في ٣ مجلدات.

٣٠ـ «منتقى مغازي الواقدي»: (ويسمى أحياناً تعاليق منها أو تلخيصها). وفي دار الكتب المصرية نسخة منها برقم ٥٢٢ تاريخ تضم أيضاً تلخيص البداية والنهاية. (من الورقة ٣٨ حتى ١٥٠) بخط ابن حجر نفسه.

٣١ ـ «تعليق من تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق)»: ومنه نسخة في المخطوط السابق نفسه في دار الكتب المصرية ٥٢٢ تاريخ من الرقم ١٥٠ إلى ١٩٤ فيها مختارات من تراجم المحدثين بخطه.

٣٢ ـ «ما ورد من الرواية في البداية والنهاية لابن كثير»: لَخَّص فيه ابن حجر من هذا الكتاب أخبار الأنبياء وغيرهم، دون الرسول. ونصَّ في المقدمة على أنه كتبه لنفسه ولمن ينتفع به. ولعل هذا حال الكتابين السابقين اللذين نجدهما مع هذا الكتاب في مخطوطة واحدة بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٢ تاريخ بخط ابن حجر. وكتاب ابن كثير من الورقة الأولى حتى ٧٧.

٣٣ ـ «الخيرات الحسان من مناقب أبي حنيفة النعمان»: ومنه نسخة مخطوطة في طوبقابو رقم A ٢٨٢١ و ٦٥٢٢ (ومعها كتاب الشقائق النعمانية لطاش كبري زاده).

٣٤ ـ «ترجمة ابن تيمية»: (المتوفى سنة ٧٢٨) ولعلها مستلّة من كتاب «الدرر الكامنة»، وثمة من هذه الرسالة نسختان مخطوطتان: إحداهما في دار الكتب المصرية رقم ٢٠٥٤٥ ب (ضمن مجموعة من الورقة ٢٣ إلى ٣١)، ونسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد ضمن مجموع (رقم ٦٠١٩) في ١٣ ورقة.

---

(١) بروكلمان ج٢ ص٧٥ رقم ٧٠.

(٢) المصدر السابق نفسه رقم ٥٢.

(٣) المصدر نفسه رقم ٥٥.

٣٥ ــ «الفتح اللذهبي في مناقب الشاطبي»: ومنه نسخة مخطوطة في أيا صوفيا ضمن مجموع رقم ٨٦ عدد عمومي رقم ٥٩.

٣٦ ــ «ترجمة السيد أحمد البدوي»: ومنه نسخة في الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ٣٧٥٤ في ورقة وبعض الورقة ذكر أنها منقولة من خط ابن حجر.

٣٧ ــ «المشيخة الباسمة للقبابي وفاطمة»: خَرَّجها ابن حجر لكل من تقي الدين عبد الرحمن القبابي المقدسي الحنبلي (٧٤٩ ـ ٨٣٨) والمسندة المعمرة فاطمة بنت خليل الكناني العسقلاني (المتوفاة سنة ٨٣٨ أيضاً) ورتب أسماء الشيوخ على حروف المعجم وترجم لهم.

ومن «المشيخة» نسخة مخطوطة في دار الخطيب بالقدس في ٣٠ ورقة.

٣٨ ــ «المعجم للحرة مريم»: (وهي بنت الأذرعي، المحدثة المعمرة المتوفاة سنة ٨٠٥) من مشايخ ابن حجر. ومن «المعجم» نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٢١ حديث في ٨٠ ورقة بخط ربطة ابن شاهين.

٣٩ ــ «بذل الماعون في فضل الطاعون»: وهو مجلد صغير جمع فيه أشياء كثيرة من الأحاديث والأحكام والآداب المتعلقة بالطاعون مع بعض أخباره. فرغ منه سنة ٨٣٣، ويبدو أنه عاد إليه بالإضافة سنة ٨٤٨. ومن هذا الكتاب نسختان في التيمورية رقم ١٩٨ ورقم ٣١٢ مجاميع ونسخة في الظاهرية بدمشق رقم ٢٣، وفي مكتبات أسعد أفندي وعاشر أفندي وكوبريللي وأيا صوفيا في استامبول نسخ أخرى، وكذلك في ليدن. وقد اختصر الكتاب كل من الشيخ المناوي (المتوفى سنة ٨٧١) والسيوطي (المتوفى سنة ٩١١) والأنصاري (المتوفى سنة ٩٢٦). وثمة من هذه المختصرات نسخ مخطوطة أيضاً. وفي بلدية الإسكندرية مخطوط لابن حجر عنوانه «خلاصة ما رواه الواعون من الأخبار الواردة في الطاعون» فيه سرد لحوادث الطاعون حتى سنة ٨٤٨، وقد أكمله بعض العلماء المجهولين حتى سنة ١٠٥٣.

٤٠ ــ ويمكن أن نعدَّ أخيراً من كتب التاريخ كتاب ابن حجر «أسباب نزول القرآن» فهو متصل بالمناسبات التاريخية أيام الرسالة. وهو في مجلد ضخم. ومنه نسخة مخطوطة لعلها مسودة المؤلف في جامع القرويين في فاس.

وتأتي، بعد هذا، المجموعة الثالثة من أعمال ابن حجر وهي القسم الضائع أو المفقود حتى الآن على الأقل. وفيها من الكتب الحديثية:

٤١ ــ «ترتيب طبقات الحفاظ للذهبي»: مرتبة على حروف المعجم وقد بيض ابن حجر منه النصف في مجلد.

٤٢ ــ «رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ»: جمعه وهيأ مادته ابن حجر مختصراً فيه «تذكرة

الحفاظ» للذهبي مع الاستدراك، وأعطاه لسبطه يوسف بن شاهين الذي أتمه بعد موت جده، ونظمه وبيضه فهو مشترك بينهما ويحسب في تراث السبط. وثمة نسخة من المجلد الأول من «الرونق» في مكتبة المدينة رقم ٢٧٢. وهناك نسخة من المجلد الثاني (من حرف الغين حتى آخر الكتاب أثناء فصل النساء) في المكتبة الخالدية في القدس (رقم ١١ تراجم) في ٣٥٠ ورقة وعليه خطوط بعض العلماء المعروفين كابن قطلوبغا والصدفي وغيرهم.

٤٣ ـ «ثقات الرجال ممن لم يذكر في تهذيب الكمال»: في خمسة أسفار كتب منها ابن حجر نحو ثلاثة ولم يكمل.

٤٤ ـ «فوائد الاحتفال ببيان أحوال الرجال» (المذكورين في البخاري): وهو في مجلد مسودة.

٤٥ ـ «أسماء رجال الكتب التي عمل أطرافها في إتحاف المهرة»: ولم يكمله ابن حجر ولو كمل لجاء في خمسة مجلدات.

٤٦ ـ «المهمل من شيوخ البخاري».

٤٧ ـ «ترتيب المبهمات على الأبواب» (ولعله الكتاب السابق رقم ٢٢).

٤٨ ـ «التعريف الأجود بأوهام من جمع رجال المسند».

٤٩ ـ «ذيل التبيان لمنظومة الحفاظ بديعة الزمان»: وقد ذيّل بها ابن حجر على شرح الحافظ ابن ناصر الدين لهذه المنظومة التي تجمع أسماء الحفاظ. واشتمل «الذيل» على ٢٨ حافظاً إضافيًا. وفي المجموعة الضائعة من المؤلفات التاريخية العامة ومعظمها رسائل محدودة الحجم.

٥٠ ـ «أرجوزة في وفيات الأعيان للذهبي»: وصل فيها إلى سنة ٢٠١.

٥١ ـ «الإعلام في من سمي محمداً قبل الإسلام».

٥٢ ـ «الإعلام بمن ولي مصر في الإسلام».

٥٣ ـ «تعريف الفئة في معرفة من عاش مئة»: ولعله هو الذي يذكر باسم كتاب المعمرين في الإصابة ويذكره السخاوي باسم كتاب المعمرين والشبان أيضاً.

٥٤ ـ «إقامة الدلائل على معرفة الأوائل».

٥٥ ـ «النبأ الأنبه في بناء الكعبة» كتبه ابن حجر بطلب من السلطان المؤيد سنة ٨٢٢.

٥٦ ـ «القصد الأحمد في مَنْ كنيته أبو الفضل واسمه أحمد»: ظلّ مسودة.

٥٧ ـ «الجواب الجليل عن حكم بلد الخليل»: وابن حجر يسميه «البناء الجليل بحكم بلد الخليل».

٥٨ ـ «جزء في أسماء المدلسين».

٥٩ ـ «جلب حلب»: وهو صدى رحلته إلى حلب، وما علق من نوادر وفوائد حين رحل إليها سنة ٨٣٦. في حوالى أربعة أجزاء حديثية (٤٠ ورقة).

٦٠ ـ «الدرة المضية من فوائد الإسكندرية»: وهي صدى رحلته سنة ٧٩٧ إلى الإسكندرية وطابعها أدبي.

والمجموعة الثالثة المفقودة تتصل بالمشيخات والفهارس وفيها:

٦١ ـ «الثبت الحديثي» الذي أثبت فيه شيوخه ومروياته ومسموعه والمشاركين معه وكان في مجلدين في المسودة.

٦٢ ـ «فهرس كتب المحمودية» التي بناها جمال الدين محمود بن علي سنة ٧٩٧ في القاهرة واشترى لها مكتبة البرهان ابن جماعة من ورثته، وكانت مكتبة ضخمة تحوي حوالى ٤ آلاف مجلد في مختلف الفنون، وحين كانت المكتبة في عهد ابن حجر كانت تزيد على عشرة آلاف فعمل لها فهرسين: الأول على أبواب العلم، والثاني على الحروف.

٦٣ ـ فهرس نفسه وكان في مجلداته: ضخم يسمى «المقاصد العليات في فهرست المرويات» ويبدو أنه غرق في رحلته إلى اليمن.

٦٤ ـ فهرس مرويات جلال الدين البلقيني بالإجازة (توفي سنة ٨٢٤)

٦٥ ـ فهرس (أخيه) علم الدين البلقيني بالإجازة (توفي سنة ٨٦٨).

٦٦ ـ فهرس الشرف بن الكويك (محمد بن محمد بن عبد اللطيف الربعي التكريتي المصري ٧٣٧ ـ ٨٢١).

٦٧ ـ مشيخة البرهان الحلبي.

٦٨ ـ مشيخة ابن أبي المجد.

٦٩ ـ منتقى من مشيخات ابن عساكر (٥٧١) وابن السراري والفخر بن البخاري (ت ٦٩٠).

٧٠ ـ مشيخة الشرف أبي الطاهر بن الكويك.

٧١ ـ «معجم التنوخي»: (أو المعجم الكبير للشامي) وكان في مجلدة ضخمة (٢٤ جزءاً حديثيًّا) عن أكثر من ٤٠٠ شيخ.

٧٢ ـ «المنتقى من معجم السبكي».

٧٣ ـ «تعقيب على ابن الجزري في مشيخة شيخه الجنيد» (في جزء).

وتأتي بعد ذلك مجموعة من كتب المناقب:

٧٤ ـ «الأنوار في خصائص المختار»: وهو نوع من السيرة النبوية.

٧٥ ـ «الإيناس بمناقب العباس»: وهو نوع من المديح للخليفة العباسي في القاهرة.

٧٦ ـ «مناقب الشيخ أبي العباس أحمد الجرار».

٧٧ ـ «ترجمة الإمام النووي»: (المتوفى سنة ٦٧٧) ولعله برهان الدين إبراهيم (المتوفى سنة ٨٥٥).

وهناك كتب التخليص التاريخي:

٧٨ ـ «منتقى من تاريخ ابن خلدون».

٧٩ ـ «تلخيص المتفق والمفترق» للخطيب البغدادي.

٨٠ ـ «توضيح المشتبه» (في الأنساب) للأزدي.

٨١ ـ «قصة هاروت وماروت».

٨٢ ـ «منتخب رحلة ابن رشيد».

ونضيف بعد هذا كله أن علم التاريخ أثار في عصر ابن حجر إشكالاً فقهيًّا يتعلق بتحريمه أو تحليله بوصفه نوعاً من الغيبة. واستفتي كبار العلماء في ذلك ومنهم ابن حجر الذي دافع عن التاريخ بدقة وسداد. وقد نشر فؤاد سيد خمساً من هذه الفتاوى ومنها فتوى ابن حجر[1] الذي قسم التاريخ قسمين: قسم يقصد ضبط الوقائع ويلزمه التحري في النقل، وقسم يقتصر على تراجم الناس. وهنا لا تكشف مساوىء المشهور بالخير والدين لأنه غير معصوم. وأما المجاهر بالفسق فيجوز ذكر ذلك عنه لكي يرتدع. وأما المحدِّث فالأصل في فنه بيان الجرح والتعديل ولا يجوز كتمان ذلك. وأما الزعم بأن ذلك غيبة فمرفوض وإن أصر الزاعم عليه فليعلم أو يؤدب... ذلك منهج ابن حجر في تراثه كله[2].

---

(١) فؤاد سيد ـ شروط المؤرخ في كتابة التاريخ والتراجم ـ مجلة معهد المخطوطات ـ المجلد الثاني، الجزء الأول سنة ١٩٥٦ ص١٦٢ ـ ١٧٧ وسوف نعرض لهذا الموضوع فيما بعد في الجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٢) ترجمات ابن حجر كثيرة جدًّا حتى في حياته. وكان من القلائل الذين سجلوا سيرتهم الذاتية بأنفسهم وذلك في نهاية كتابه «رفع الإصر». ولعل لخصومه أثراً في ذلك. فقد كان ابن حجر، كما قالوا، حلو اللسان سيّىء القلم ويبدو أنه انتظر تشويه ترجمته بل شهد الهجوم عليه في الكتاب الذي كتبه عنه في حياته علم الدين البلقيني: «الفجر والبحر في تاريخ ابن حجر»، غير أن التراجم المنصفة المادحة كانت هي السائدة. ترجم له عدد من معاصريه في «التبر المسبوك» أمثال البشتكي «في المطالع البدرية» والفاسي «في ذيل التقييد» والمقريزي وغيرهم. وترجم له تلاميذه كالسخاوي (ص٢٣٠) وفي «الضوء اللامع» (٢ / ٣٦ ـ ٤٠) والبقاعي «في عنوان الزمان ـ المخطوط» والسيوطي «في حسن المحاضرة» ونظم العقيان. وابن العماد «في شذرات الذهب ٢٧/٧» والشوكاني «في البدر الطالع ٨٧/١» ولا نكاد نجد كتاباً يطل على القرن التاسع ورجاله إلا وجدنا فيه ترجمة لابن حجر.
غير أن هذا المؤرخ حظي، فوق ذلك كله، بكتابين ضخمين وضعا في ترجمته وأعماله: الأول قديم كتبه تلميذه السخاوي في مجلدين بعنوان «الجواهر والدرر» (ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية في باريس رقم ٢١٠٥) والثاني حديث كتبه شاكر محمود عبد المنعم بعنوان ابن حجر العسقلاني: مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة (طبع ببغداد سنة ١٩٧٨) وقد اعتمدنا هذين الكتابين بصورة خاصة في هذه الصفحات التي قدمناها عن ابن حجر وزوّدنا الكتاب الأخير بالكثير =

٣ ــ البسطامي

زين عبد الرحمن بن علي أحمد بن محمد البسطامي الأنطاكي الحنفي(١): ولد في أنطاكية. وتوفي بمدينة بروسة (بالأناضول) سنة ٨٥٨هـ. / ١٤٥٣م. سنة فتح القسطنطينية. وفيما بين هذا وذاك قضى فترة الدراسة والتكوُّن العلمي في الشام والقاهرة ورحل إلى المغرب في نشدان الروحانيات، وشارك في أنواع عديدة من علوم الحديث والفقه والتاريخ والتصوف وبرع في اللغتين العربية والتركية. وكان له ولع بالروحانيات والأسرار الغيبية فانصرف لدراستها والتأليف فيها فله في خواص الحروف السحرية وفي علم الجفر (التنبؤ للمستقبل من خلال كتب ذات أسرار خاصة) والمكاشفات الروحانية مجموعة من المؤلفات يمازجها الطابع الصوفي الذي كان سيد الفكر في تلك الحقبة. وطاشكبري زاده يلقبه بالشيخ العارف بالله ويذكر أنه كان له تصرف عظيم بخواص الحروف وتأثير عظيم بالاشتغال بأسماء الله تعالى وكان له في ذلك حكايات غريبة...

ويبدو أن تألق الدولة العثمانية استهوى البسطامي فهاجر قبل سنة ٨١٦ إلى الأناضول حيث عمل في التدريس في آق شهر، ثم في مدارس بروسة حيث استقر وتوطن وتوفي(٢) تاركاً تراثاً من المؤلفات رأى طاشكبري زاده أكثرها بخطه الذي كان في غاية الإحكام والإتقان وعددها يزيد على خمسين كتاباً أكثر من خمسها في التاريخ الذي كان الهواية الثانية له. ولم تحظَ أعمال البسطامي بالعناية المناسبة لانقراض الاهتمام بموضوعاتها. فضاع معظمها. والمؤلفات التاريخية منها لا تعد حوالى عشرة كتب، ولكنها مع المؤلفات الأخرى شبه التاريخية تقارب العشرين:

١ ــ «نظم السلوك في مسامر الملوك»: وهو مختصر من الهجرة إلى سنة ٧٠٠، أنهاه البسطامي سنة ٨٠٦. ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في أيا صوفيا رقم ٣٥٠٣، ونسخة أخرى في عاشر رئيس رقم ٧٢١، وثمة نسخة ثالثة في المتحف البريطاني تحمل

= من التفاصيل. وهناك دراسات عديدة أخرى للرجل في مقدمات كتبه المنشورة، منها مقدمة «إنباء الغمر» لحسن حبشي ومقدمة تبصير المنتبه لعلي البجاوي وترجمته في ختام «تهذيب التهذيب» وغيرها، بالإضافة إلى بروكلمان ج٢ ص٦٧ وملحق ٢/٧٢ وعبد الله عنان في (مؤرخو مصر الإسلامية) وفهارس المخطوطات المختلفة والأعلام للزركلي «ومعجم المؤلفين» لكحالة.

(١) لعل من المناسب أن نسجل هنا وجود أكثر من بسطامي واحد في هذا العصر نفسه ولا علاقة لأحدهما بالآخر. وثمة منهم بصورة خاصة سَمِي لهذا المؤرخ تقريباً هو زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطامي الحنفي قاضي القضاة بمصر ما بين سنة ٧٤٢ ـ ٧٤٨، والمتوفى سنة ٧٧١، وكان شيخ المؤرخ ابن الفرات وأحد مصادره التاريخية (انظر مثلاً ج٧ ص٢٥٧ من تاريخ ابن الفرات وج٨ ص١٢٦ و٢٠٦) ولا علاقة لهذا البسطامي بمؤرخنا المذكور.

(٢) كتب على قبره شطر بيت نظمه يقول: «فقير غريب قد أتى الروم زائراً».

عنوان «جواهر السلوك في سياسة الخلفاء والملوك». إلا أن تكون هذه المخطوطة كتاباً آخر للبسطامي.

٢ ــ «مختصر جهينة الأخبار في ملوك الأمصار»: ولعله مختصر كتاب «جهينة الأخبار» لبدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٩، والمؤلف بأسلوب السجع

ومنه نسخة في سوهاج بمصر رقم ١٤٩ تاريخ في ١٤٦ ورقة.

٣ ــ «صيحة البوم في حوادث الروم»: وهي منظومة طويلة في كتاب يجمع بين علم الجفر والتاريخ وينسب الكتاب خطأ لابن عربي. والبسطامي يتنبأ فيه بانهزام الروم البيزنطيين. وقد كتبه سنة ٨١٦ بمدرسة فرخ شاه بآق شهر.

٤ ــ «مباهج الأعلام في مناهج الأقلام»: ولم يتيسر لنا الاطلاع عليه لنعرف موضوعه وإن كان عنوانه (الذي قد يخدع) يوحي بأنه في التعليم الديواني وفي التراجم.

ومن هذا الكتاب نسخة في المتحف البريطاني رقم ٧٥٢٨.

٥ ــ «الفوائح المسكية والفواتح المكية»: وهو هواجس صوفية روحانية أوحاها له الحج، كتبها في مكّة سنة ٨٨٤ في مجلد صغير. ومنه نسخة مخطوطة في الحرم المكي برقم ١٢٢. وأخرى في فيض الله باستامبول رقم ١٥٠١ في ١٩٤ ورقة.

٦ ــ «درة تاج الرسائل وغرة منهاج الوسائل»: ويبدو أنه يذكر فيه بعض تجاربه. ومخطوط الدرة موجودة في مكتبة نور عثمانية رقم ٤٩٠٥.

وله عدا هذا بعض المؤلفات التاريخية، أو التي يرجح أنها من التاريخ وهي ضائعة.

٧ ــ «روضة العباد في مناقب الصوفية الزهاد»: والكتاب قد تكون نسخة منه في بعض مكتبات تركيا. ولكنه في جمعه بين التاريخ والتصوف والكرامات يمثل الجو الفكري العام للمؤلّف وللعصر الذي عاش فيه.

٨ ــ «الدرر في الحوادث والسِّيَر»: ويصفه حاجي خليفة بأنه مختصر على ترتيب السنين من وفاة الرسول إلى سنة ٧٠٠. ويذكر أسطراً من مقدمته، وهو غير معروف المصير حتى الآن، ولكنه يماثل كتابه نظم السلوك في الموضوع. ولسنا نستطيع أن نجزم فيما إذا كان الكتابان واحداً أم أن أحدهما مختصر الآخر.

٩ ــ «التواريخ اللطيفة والآثار العجيبة»: فرغ من تأليفه سنة ٨٣٥ ولا يعرف مصيره.

١٠ ــ «جواهر الدرر وفواخر الغرر».

١١ ــ «خرائد الملوك في فوائد السلوك»: ألفه للقاضي خضر بن إلياس، وذكر فيه ما قيل في الخضر وفي إلياس.

١٢ ـ «مصباح السلوك في مسامرة الملوك»: (وقد ينظر هذا الكتاب إلى المؤلّف الأول في القائمة).

١٣ ـ «الفوائد السنية في تهذيب الأسماء النووية»: وهو مختصر تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦.

١٤ ـ «درة من ظهر بالغرائب وأتى من بحر العجائب»: ولعله ليس في التاريخ، أو أنه تراجم لمن عملوا بالروحانيات وأتوا فيها بالخوارق.

١٥ ـ «درة الفوائد وغرر العوائد» وهي رسالة في مناقب الأقطاب من الصوفية.

١٦ ـ «توضيح مناهج الأنوار وتنقيح مباهج الأسرار»: وهو تاريخ مرموز كتبه سنة ٨٣٩.

١٧ ـ «مفاتيح الأسرار ومصابيح الأكوار»: وهو في خمسة أبواب وفيه تواريخ ووقائع وحكايات.

١٨ ـ «روضة العباد في مناقب الصوفية والزهاد».

١٩ ـ «مناهج التوصل في مباهج التوسل» بناه على ٤٦ لطيفة. في كل لطيفة سر مكتوم ثم أورد عقبه نكتة وحكاية[١].

٢٠ ـ «ترجمة الإمام البخاري» (محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦ هـ. /٨٦٩ م).

ومنه مخطوط الظاهرية رقم ١٠٧٦ في ٢٦ ورقة بخط المؤلف كتبه سنة ٨٤٩.

٢١ ـ كتاب في موضوعات العلوم يقول حاجي خليفة إنه «أورد فيه عجائب وغرائب. . . حتى بلغت مائة علم وذكر فيه أقسام العلوم الشرعية والعربية»[٢].

ونلاحظ أخيراً أن هذا المؤرخ يمثل بوضوح انحراف الثقافة والعلوم في عصره نحو الغيبيات الروحانية والمزج بينها وبين التاريخ. وقد ضاعت معظم مؤلفاته عدا النزر منها.

---

(١) نجد ترجمة البسطامي لدى طاشكبري زاده في الشقائق النعمانية (طبعة دار الكتب في بيروت ص٣١) والطبعة القديمة ١/١٠٨، ١٠٩. كما نجد قائمة مؤلفاته في «هدية العارفين» ١/٥٣١ـ٥٣٢، وفي «كشف الظنون» موزعة في صفحات متعددة منها ١/٥٠، ٦٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٤، ٦١٤، ٧٠١، ٧٥٠، ٩٢٧. . . حتى ١٩٦٣ وعددها ٣٤ كتاباً أضاف إليها البغدادي خمسة. وانظر كحالة «معجم المؤلفين» ٥/١٨٤، ١٨٥ وبروكلمان ج٢/٢٣١ وملحق ٢/٣٢٣. وعبد الله مخلص في مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٦ ص٣٥٧ـ ٣٥٩).

(٢) «كشف الظنون» ١٩٠٥ وجميع عناوين هذه الكتب، والمعلومات عن بعضها مستقاة من حاجي خليفة في الكشف، ويمكن مراجعتها لديه.

٤ ــ ابن تغري بردي

أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي (والصحيح تنكري ويردي والكلمة الثانية تركية تعني عطا الله) الأتابكي اليشبقاوي الظاهري: ولد سنة ٨١٣ هـ./ ١٤١٠ م. وتوفي سنة ٨٧٤. وأبوه مملوك رومي الأصل، صار من كبار الأمراء المماليك لدى الملك الظاهر برقوق، ثم لدى الناصر ابنه، وقد توفي سنة ٨١٥هـ./ ١٤١٢ م بدمشق، ولابنه يوسف سنتان وهو أصغر أبنائه. ولما كان الطفل موصول النسب بالسلطان وبأكابر الأمراء عن طريق أخواته المتزوجات، فقد عادوا به إلى القاهرة فتربى لدى إحدى هاته الأخوات هناك. وكانت زوجة لقاضي القضاة ناصر الدين بن العديم. فلما توفي تزوجها قاضي القضاة جلال الدين البلقيني. وعلى يدي هذا الرجل أولاً وعلى كبار مشايخ العصر أمثال ابن حجر العسقلاني وبدر الدين العيني وابن ظهيرة وابن عربشاه نشأ ابن تغري نشأته العلمية الدينية. ثم لازم مجلس المقريزي فأخذ عنه التاريخ وشغف به حتى أضحى هوايته الكبرى. لكنه درس الثقافة العسكرية أيضاً على يدي مماليك أبيه. وهكذا كبر ابن تغري بردي وهو ينتمي إلى طبقتيْ أهل السيف وأهل العمائم في وقت معاً. على أن ابن تغري بردي كان من أكابر «أولاد الناس» ومعنى ذلك بلغة العصر: أولاد الأمراء المماليك. وقد كان لديه من موارد الرزق ما يسمح له بأن يعيش في سعة كاملة، واستغناء عن العمل. وإذ اتقن ابن تغري بردي العربية بجانب التركية وبرع في الفروسية براعته في الضرب والإيقاع والنغم وعرف الفقه وقرض الشعر... فإن دراسة التاريخ هي التي استولت عليه... وهذه الهواية مع التفرغ جعلت منه المؤرخ الكبير. ويضاف إلى ذلك ما استطاع الاطلاع عليه من معلومات وأخبار عصره نتيجة صلاته الواسعة مع البلاط السلطاني (وقد توالى عليه في عصره عشرة سلاطين) وعدد من كبار الأمراء وصانعي السياسة.

قدم ابن تغري بردي في ميدان التاريخ اثني عشر مؤلفاً، وقد دخل هذا الميدان من باب التراجم. وكان أول مؤلف له:

١ ــ «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي»: وقد سجل تراجم أعيان عصره. وأراده أن يكون تكملة للمعجم الضخم «الوافي بالوفيات» الذي ألفه الصفدي قبل قرن من الزمان. وقد ذكر في مطلعه أنه «كتبه لنفسه» وبنفسه «ولم يكن بأمر أو طلب من سلطان أو أمير» وابتدأ فيه من أوائل الدولة التركية (المملوكية) بترجمة المعز أيبك أول سلاطين المماليك (وصرح في بعض المواضع أنه بدأه بسنة ٦٥٠ هـ./ ١٢٥٢ م)). ولكنه اتبع فيه بعد ذلك طريقة الصفدي وابن خلكان قبله، فجعله على حروف الهجاء، ووصل به إلى أيامه، أواسط القرن التاسع. وقد ضم الكتاب نحواً من ثلاثة آلاف ترجمة فيها ما هو للأمراء والسلاطين وما هو للعلماء، والوجهاء، وحتى للمغنين في مصر والشام، كما تضم بعضاً من مشاهير المشرق والمغرب من المسلمين وغير المسلمين. وقد حرص ابن تغري بردي في كتابه على الحيدة

والتعفف في التراجم دون الإسراف في ذكر المحاسن أو محاولة تسجيل المثالب.

وثمة من هذا الكتاب عدة نسخ خطية بعضها في ثلاثة مجلدات، وبعض في خمسة أو ستة، ومن ذلك نسخة دار الكتب الوطنية في باريس رقم ٢٠٦٨ حتى ٢٠٧٢ وهي منقولة عن خط المؤلف، ونسخة نفيسة في مكتبة نور عثمانية في استامبول رقم ٣٤٢٨ ـ ٣٤٢٩ نقلت عن نسخة أحمد التركماني تلميذ المؤرخ، وثمة نسخة أخرى في طوبقابو، وأخرى في فيينا وفي مكتبة عارف حكمة بالمدينة رقم ٦٣٠ تاريخ وهي في ٣ مجلدات (١٠٧٦ ورقة) وفي آخرها ترجمة المؤلف بقلم تلميذه التركماني. وفي الخزانة التيمورية بالقاهرة نسخة برقم ١٢٠٩ تاريخ.

طبع من هذا الكتاب جزء أول بتحقيق أحمد يوسف نجاتي (القاهرة سنة ١٩٥٦).

٢ ــ وقد وضع ابن تغري بردي مختصراً لهذا الكتاب سماه «الدليل الشافي على المنهل الصافي» لا ينقص من التراجم واحدة، ولكنه يختصرها الاختصار الشديد. ومنه مخطوط قره چلبي في استامبول رقم ٢٦٦ في ١٣٨ ورقة.

٣ ــ كتاب (منتخبات من) «حوادث الدهر في مدى الأيام والشهور»: وهو الخطوة الثانية التي خطاها ابن تغري بردي في التاريخ أراد أن يذيِّل به على كتاب «السلوك» للمقريزي. وقد نص في مقدمته على ذلك قائلاً بعد أن امتدح أستاذه: «إنه انتهى فيه إلى أواخر سنة ٨٤٤ هـ./١٤٤١ م ولم يأتِ بعده من نُعَوِّل عليه في هذا الفن... إلا الشيخ بدر الدين العيني...» ولكن اختلاط ذهنه مع كبر السن جعله غير قادر على ذلك... فلما رأيت ذلك أحببت أن أحيي هذه السُّنَّة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ... المقريزي... وجعلته كالذيل ورتبته على السنين... ولم أسلك فيه طريق الشيخ في تطويل الحوادث وقصر التراجم على الوفيات، بل أطنبت في الحوادث وأوسعت في التراجم لتكثر الفائدة من الطرفين. وما وجدته مختصراً من التراجم في التعليق فراجع فيه كتابنا «المنهل الصافي» فإني هناك شفيت الغُلَّة...». وقد انتهى المؤلف بحوادث سنة ٨٦٠ هـ./١٤٥٦م.

وثمة من هذا الكتاب مخطوطات عدة، منها مخطوط الجزء الأول في أيا صوفيا رقم ٣١٧٥ في ٤٠٠ ورقة كبيرة، ومخطوط برلين رقم ٩٤٦٢.

٤ ــ ويأتي بعد هذا تاريخ ابن تغري بردي الأشهر والأكبر شأناً وضخامة وهو كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» وهو سرد لتاريخ مصر منذ الفتح العربي سنة ٢٠ هـ. حتى سنة ٨٧٢ قبيل وفاة المؤلف. وبالرغم من أنه نص في مقدمته أنه كتبه لنفسه غير مستدعًى من ملك أو سلطان، إلا أنه اعترف في أواخره أنه ألفه من أجل صديقه الأمير محمد بن السلطان جقمق (الذي توفي سنة ٨٤٧ هـ./١٤٤٣ م). والذي كان ابن

تغري بردي ينتظر له أن يصل السلطنة، ويأمل أن يختم الكتاب بحكم هذا الأمير وعدله. ولكن الأمير مات قبل ذلك...

انتهج ابن تغري بردي في تاريخه منهجاً خاصًّا خالف فيه أستاذه المقريزي، فقد جعل كل فترة من فترات الملوك والسلاطين فصلاً قائماً بذاته، ثم ذكر السنين وحوادثها تباعاً داخل الفصل حتى إذا تُوفي الحاكم أتى على أخباره في مجموعة واحدة بشكل ترجمة منفصلة، ثم أعقب ذلك بترتيب سنوات العهد ترتيباً عدديًّا، وذكر وفيات كل منها في فصل واحد، وربما ذكر بعض الحوادث ضمن التراجم.

وإذا لم يكن في الأقسام الأولى من «النجوم الزاهرة» وحتى القرن السادس للهجرة من خبر لا نجده في المراجع الكبرى الأخرى، فإن ابن تغري بردي قد توسع حتى الإفاضة في التاريخ الفاطمي ولعله ورث حبه وتقديره والعلم الواسع به عن أستاذه المقريزي. ويبلغ ابن تغري بردي الغاية في الإفاضة حين يصل العصر المملوكي، وهكذا حتى يصل عصره، وإذ ذاك يتخذ الكتاب شكل السجل اليومي من عهد الناصر فرج تقريباً إلى عهد الأشرف قايتباي.

أما الميزة التي تجعل من ابن تغري بردي لامؤرخ مصر، ولكن مؤرخ النيل أيضاً، فهو العناية التي بذلها لإحصاء تقلبات هذا النهر العظيم وفاءً وشُحًّا سنة بعد سنة منذ الفتح العربي حتى عهده، ذكر ذلك في ختام السنوات. لقد سبقه ابن أيبك إلى ذلك، ولكن سجل ابن تغري بردي كان أكمل وأتمّ. وقد عُني إلى هذا بتسجيل النشاط العمراني في مصر خلال مختلف عهودها، فلا ينسى ذكر الجوامع والمباني والميادين ومقياس النيل وغيرها أولاً بأول، كما قال: «أذكره في يوم مبناه، وفي زمان سلطانه، مستوعباً لهذا المعنى ضابطاً لشأنه». إن هذا الوعي في تسجيل التاريخ الحضاري مع السياسي كان إحدى ميزات هذا المؤرخ.

طبع كتاب «النجوم الزاهرة» كله في ستة عشر مجلداً (طبعة دار الكتب بالقاهرة) وقد امتد طبعه أكثر من أربعين سنة. بدأ سنة ١٩٣٠ وانتهى سنة ١٩٧٢. وقبل ذلك كان قد عُني به وبنشر عدة أقسام منه عدد من المستشرقين، ومن هؤلاء جوينبل وماتس (سنة ١٨٥٢) ثم المستشرق بوبر الذي استأنف عمل سابقيه سنة ١٩٠٩، حتى أتم النشر سنة ١٩٣٠، مستعيناً بعدد من أعلام الاستشراق (نولدكه، غوتهايل، سيبولد) وغيرهم.

٥ ــ وقد لخص ابن تغري بردي تاريخه الواسع هذا في كتاب صغير سمّاه: «الأنوار الظاهرة والكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة».

ومن هذا الكتاب نسختان مخطوطتان في سراي أحمد الثالث رقم ٢٩٧٦ و٢٩٧٧ وهما في مجلدين وفي مجلد.

٦ ــ «مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة»: وهو تاريخ اقتصر فيه على ذكر الخلفاء والسلاطين إلى آخر أيام الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق.

ومنه مخطوط في مكتبة فيض الله في استامبول رقم ١٤٠٦ في ١١٠ ورقات، وثلاثة مخطوطات في أحمد الثالث برقم ٣٠٣٨ في استامبول أيضاً في ١٥٠ ورقة وبرقم ٣٠٣٥ ورقم ٣٠٣٦، ومخطوط في قره چلبي زاده رقم ٢٨٥ تاريخ. وقد طبع في كمبردج ذات مرة سنة ١٧٩٢، نشره كارليل.

٧ ــ «البحر الزاخر في علم الأوائل والأواخر»: وهو تاريخ عام واسع من آدم إلى عهده، عارض فيه تاريخ ابن الصيرفي: «نزهة النفوس والأبدان». ومنه مجلد مخطوط في المكتبة الوطنية في باريس رقم ١٥٥١. وكان في العراق منه المجلد الثالث في مخطوط ضخم اشترته دار الكتب في مصر وفيه مباحث هامة حول خطط مصر[1].

٨ ــ «نزهة الرأي في التاريخ»: وهو تاريخ مفصَّل على السنين والشهور والأيام في عدة مجلدات تصلَ العشرة أو تزيد. ومنها الجزء التاسع لحوادث سنة ٦٧٨ ـ سنة ٧٤٧ مخطوط في أكسفورد.

ولابن تغري بردي إلى هذا تواريخ أخرى مفقودة حتى الآن إلا أسماءها:

٩ ــ «منشأ اللطافة في من ولي الخلافة».

١٠ ــ «البشارة في تكميل الإشارة» ذيَّل به على الذهبي من سنة ٧٠٠ إلى سنة ٨٧٠.

١١ ــ «حلية الصفات في اختلاف الأسماء والصناعات»: هي مجموعة أدبية تاريخية معظمها شعر.

١٢ ــ «الأنوار الظاهرة في الكواكب الطاهرة».

١٣ ــ «نزهة الألباب في اختلاف الأسماء والألقاب».

ولابن تغري بردي بعد هذا كتاب في الرياضة والموسيقى، وآخر سماه «الانتصار للغة التتار»[2]

---

(١) العزاوي: «التعريف بالمؤرخين» ص٢٤٨.

(٢) ترجمة ابن تغري بردي موفورة في عدد واسع من المصادر والمراجع: منها: السخاوي ـ «الضوء اللامع»، ج١٠ ص٣٠٥ ـ ٣٠٨. «شذرات الذهب» ٣٦٧/٧. وابن إياس ـ «بدائع الزهور» ج٣ ص٤٥ ـ ٤٦. والصيرفي ـ «إنباء الهصر بأبناء العصر» (ط. حبشي القاهرة ١٩٨٠) ص١٧٥ ـ ١٨٢ (وهو ينتقده أعنف النقد).

وهناك دراسات حديثة عديدة حوله، أهمها كتاب المؤرخ «ابن تغري بردي» ـ وهو مجموعة أبحاث قدمت في ندوة للاحتفال به سنة ١٩٧٢ (طبع الهيئة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٤)، ويضاف إليه «هدية العارفين» ٥٣٠/٢. والمقدمات التي قدم بها «للنجوم الزاهرة»، و«للمنهل الصافي»، وما كتبه العزاوي (في التعريف بالمؤرخين من ص٢٤٥ ـ ٢٤٦)، ومصطفى زيادة في (المؤرخون في مصر ص٢٦ ـ ٣٦)، وعبد الله عنان في (مؤرخو مصر الإسلامية ص١١٤ ـ ١٢٦)، وبروكلمان ج٢ ص٤١، ٤٢ وملحق ٢ ص٣٩ ـ ٤٠، عدا فهارس المخطوطات المختلفة.

٥ ــ الكناني

عز الدين أبو البركات أحمد بن البرهان إبراهيم بن نصر الله القاضي من ولد ناصر الدين الكناني العسقلاني الأصل القاهري الصالحي: ولد سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م في القاهرة، وتوفي فيها سنة ٨٧٦ هـ./١٤٧١ م. مات أبوه وهو في سن الرضاع،فكفلته أمه وكانت على بعض الغنى، فنشأ يطلب العلوم على كبار عصره من علماء القرآن والفقه والنحو واللغة والحديث والفرائض وعلم الوقت. وأخذ التاريخ ونحوه عن المقريزي والعيني، ولازم العز بن عبد السلام، ولبس خرقة التصوف مع تلقين الذكر من الزين أبي بكر الخوافي، ولبسها من خاله الجمال عبد الله وأمه عائشة. وكان ابن حجر يبجله جداً. وقد ناب في القضاء عن شيخه المجد سالم وهو ابن سبع عشرة سنة... واستنابه في التدريس بمدارس الجمالة والحسنية والحاكم وأم السلطان. وتولى القضاء إنابة وأصالة وهو مرغم،وصار قاضي القضاة ثم ترك القضاء جملة، وحج مرتين سنة ٨١٥ وسنة ٨٥٣، وزار القدس والخليل والرملة، ودخل الشام مرتين، لقي في الأولى ابن ناصر الدين حافظ الشام، وفي الثانية البرهان الباعوني. ودخل دمياط والمحلة وغيرهما.«وأكثر من الجمع والتأليف والانتقاء والتصنيف حتى إنه قلَّ فنّ إلا وصنف فيه إما نظماً، وإما نثراً، ولا أعلم الآن من يوازيه في ذلك... وصار بيته مجمعاً لكثير من الفضلاء... ولم يتجاوز طريقته في التواضع... وحدث بالكثير. وكان بيته يجمع طائفة من الأرامل ونحوهن... وترجمته تحتمل مجلداً...»[1] وكان عالم الحنابلة جميعاً في عصره.

أورد السيوطي في معجم شيوخه أسماء مؤلفاته، والكثرة العظمى منها في الفقه والحديث والعربية حتى ما كان منها تاريخياً، فإنه لا يبعد عن الظل الديني. ومن تلك المؤلفات التاريخية التي أوردها السيوطي في معجم شيوخه:

١ ــ «طبقات الحنابلة الكبرى»: ذكر أنها كانت في عشرين مجلداً[2] أو ١٤ مجلداً[3].

٢ ــ «الطبقات الوسطى»: وهي مختصر الأولى في ثلاثة مجلدات.

٣ ــ «الطبقات الصغرى»: وهي مختصر الثانية في مجلد.

وليس من أثر لهذه الطبقات جميعاً ولعلها ضاعت، أو لم يُعرَف بوجودها بعد.

٤ ــ «شفاء القلوب في مناقب بني أيوب»: ألفه للملك العادل أحد بقايا الأيوبيين صاحب حصن كيفا (وهو الملك العادل سليمان بن غازي وابنه أحمد) وهو كتاب تراجم لا

---

(١) السخاوي ـ «الضوء اللامع» ج١ ص٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٢) العزاوي ـ «التعريف بالمؤرخين» ص٢٤٨.

(٣) «نظم العقيان» ص٣١.

حوليات يقسم ملوك بني أيوب طبقات، ويترجم لهم طبقة طبقة في عشر طبقات، ترجم فيها ١٦٧ شخصاً جمع حتى بقاياهم في حماه وحصن كيفا في القرنين الثامن والتاسع. وقد نشر الكتاب بتحقيق ناظم رشيد مع مقدمة (من وزارة الثقافة - بغداد ١٩٧٨) ويتبين منه أنه نقل الكثير عن ابن واصل في «مفرج الكروب» كما نقل عن العماد الأصفهاني والقادسي وابن شداد وسبط ابن الجوزي وابن الأثير وابن خلكان والدواداري واليونيني وأبي الفداء والذهبي، وفصل في سيرة العادل سليمان وابنه أحمد، ونقل شعراً من دواوينهما. وفي الكتاب وثائق وخطب ورسائل ومراسيم تقليد وقطع تهانٍ وتعاز.

٥ ــ وله فتوى في شرعية كتابة التاريخ نشرها فؤاد سيد في مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة (المجلد ٢ لسنة ١٩٥٦ ص١٧٣ - ١٧٧).

أما الكتاب الذي يجعله في طليعة المؤرخين، لو لم يفقد، فهو:

٦ ــ كتاب «النشر في التاريخ» وكان في ٤١ مجلداً جعل فيه لكل قرن تصنيفان: واحد على الحروف وآخر على السنين. ولو بقي هذا الكتاب لجعل صاحبه في مقدمة مؤرخي العصر.

٧ ــ وله أخيراً أرجوزة في قضاة مصر ضاعت بدورها[1].

٦ ــ ابن الصيرفي الجوهري

علي بن داوود بن إبراهيم الإسرائيلي المصري الحنفي المعروف بابن الصيرفي وبابن الخطيب الجوهري: ولد في القاهرة سنة ٨١٩ وتوفي فيها سنة ٩٠٠ هـ. ولقب الرجل يوحي بعكس واقعه، فقد كسب لقب الصيرفي من أبيه الذي كان صيرفي الدولة وديوان المفردة في فترات متقطعة من أيام المؤيد شيخ، وبارسباي ثم أواخر عهد السلطان جقمق. وكان يتكسب، حين يصرف من الخدمة، بسوق الجوهريين، فكسب الابن اللقبين عن أبيه، وإن لم يكسب معناهما، فقد كانت حياته منذ صغره أقرب إلى الإملاق. ومع أنه مؤرخ وعاش في عصر كثر فيه المؤرخون، إلا أنك لا تدري كيف ضن على نفسه وضن عليه الآخرون بترجمة وافية، إلا بضعة أسطر كتبها عنه السخاوي معاصره في «الضوء اللامع» مليئة بالنقد المرير، وإلا أسطراً مثلها في المرارة كتبها ابن إياس، معاصره الآخر. على أن الإشارات والنتف

---

(١) نجد ترجمة الكناني لدى السخاوي في «الضوء اللامع» (١/٢٠٥)، ولدى ابن الصيرفي في «إنباء الهصر» (ط. حبشي - القاهرة ١٩٧٠) ص٤٥٠ - ٤٥٤ «وفي الشذرات» ج٧ ص٣٢١. ولدى السيوطي في «حسن المحاضرة» (ج١ ص٤٨٤) وفي نظم العقيان. ونجد الترجمة أيضاً في بروكلمان (ملحق٢ ص٥٧) ولدى كحالة «معجم المؤلفين» ج١ ص١٤٤ والزركلي في «الأعلام» والعزاوي «التعريف ص٢٤٨» وفي فهرس معهد المخطوطات (١/١٦١).

الأخرى التي يذكر بها الرجل في بعض المراجع تكشف عكس ما ذكره الرجلان. فقد كان ابن الصيرفي قليل البضاعة من العلم وقد درس على كبر. ولكنه ظل يجتهد ويجد حتى صار أحد نواب الحكم. وكان الى هذا من أعيان الحنفية في عصره ويصفه السيوطي في «نظم العقيان» قائلاً: «انتهت إليه رياسة الحنفية في عصره مع الدين المتين والصلاح المفرط... والقيام في نصرة الدين، وإبطال المظالم، ومراجعة الملوك وهم يعظمونه ويقبلون قوله...». وقد ذكروا أن ابن حجر - وهو أستاذه - صلّى مرة خلفه. أما أستاذه الآخر أبو زكريا الأقصرائي فأجازه وأثنى عليه وعلى تأليفه وقال في مؤلفه نزهة الأبدان: (سيرة الرسول الكريم) إنه «نظر في هذا المصنف البديع والعقد الفريد وتبصر واستفاد». وشكر مؤلفه وكذلك فعل أستاذه الآخر الكافيجي الذي كتب له عن الكتاب نفسه: أنه قد اعترف بفضله وكماله ويحسن ترتيبه الحاضر والبادي والداني والقاصي، واغترف من بحره العذب الرائح والغادي، وأنه أتى بـأمر يُحيي ذكره في الآخرين أبد الآبدين. ويبدو أن في انتقاص السخاوي من ابن الصيرفي شيئاً كبيراً من المزاحمة بين التلميذين على الأولية عند أستاذهما ابن حجر ومن بعده. كما أن لفقره وكثرة عياله أثرهما في عدم بروزه في المكان اللائق به، فقد فشل - على ما يظهر - في سوق الجواهر بعد أن كسب منها ما ساعده في بناء بعض الدور فترك العمل بها، ثم نفد غالب ما معه. فانصرف إلى النسخ بالأجرة يعيش عليه باقي حياته.

ولم يذهب اجتهاد ابن الصيرفي عبثاً، فقد زاحم المؤرخين في عصر غصَّ بكبار المؤرخين كالمقريزي وابن حجر والعيني وابن تغري بردي والسخاوي والسيوطي وابن إياس الذين قلما اجتمع مثلهم في قرن آخر. وما فيهم إلا المؤرخ العلم في كتابة التاريخ. وانتصر الجد الدؤوب، واقتحم ابن الصيرفي المجال ليكتب عدداً من المؤلفات التاريخية، على الرغم من ركاكة أسلوبه التي تقترب أحياناً من العامية، والتي كان يعيبها عليه الآخرون، وعلى الرغم مما ذكره ابن إياس من أنه «كان يكتب التاريخ مجازفة لا عن قائل ولا راوٍ... وله في تاريخه خباطات كثيرة، وجمع من ذلك عدة كتب من تأليفه فكان كما يقال في المعنى:

يا من يقول جمعت في التاريخ كتباً كامله
لك في الأباعر نسبة لم تدر ما هي حامله

وهو تهجم مرير من ابن إياس شعر هو نفسه به فأضاف قائلاً: «وكان لا يخلو من فضيلة»[1]. ومؤلفات ابن الصيرفي في التاريخ ليست كثيرة ولكنها - لولا ضعف أسلوبه - لا تقل شأناً عما كتبه المؤرخون الكبار الآخرون وهي:

---

(١) ابن إياس - «بدائع الزهور» ج٣ ص٣٠٩، ٣١٠

١ ـ «سيرة الملك الأشرف قايتباي»: وقد أشار إليها السخاوي في «الضوء اللامع» ومنها نسخة في المتحف البريطاني.

٢ ـ «الدر المنظوم فيما ورد في مصر موجوداً ومعدوم»: وهو في فضائل مصر ومخطوطه في باريس(١).

٣ ـ «إنباء الهصر في أبناء العصر»: وقد قلّد فيه الصيرفي في كتاب أستاذه ابن حجر: «إنباء الغمر بأبناء العمر». وهو في أحداث عصره وتراجم معاصريه في القرن التاسع. ومن هذا الكتاب جزء مخطوط في باريس يبدأ من سنة ٧٨٣ إلى آخر سنة ٨٧٧ وفيه بعض أحداث ووفيات سنتي ٨٥ و٨٦ في ٢٠٨ ورقات. وهو مصور في التيمورية في القاهرة برقم ٢٢٨٥ تاريخ. وقد نشره حسن حبشي في القاهرة سنة ١٩٧٠ (دار الفكر العربي) في مجلد.

٤ ـ أما الكتاب الذي يفخر به ابن الصيرفي والذي كان مشروعاً ضخماً يستغرق التاريخ كله من آدم حتى عصره فهو كتاب: «نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان» وقد أراده صاحبه أن يكون موسوعة تاريخية بخاصة منذ صدر الإسلام إلى زمنه. ويبدو أن الجزء الأول منه كان خاصاً «بأنساب الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتصل بنسب آدم الى أن نصل إلى نسب سيد الأنام ومصباح الظلام» كما يقول هو نفسه في الجزء الثاني من الكتاب المحفوظ بخطه في مكتبة رضا رامبور بالهند تحت رقم ٣٥٣٧ ويقع في ٤٠٠ ورقة. وهذا الجزء الثاني هو الذي سمّاه المؤلف بـ «الجوهرية في سيرة الرسول».

٥ ـ وبعض المؤلفين يفرد هذه «السيرة النبوية الشريفة» ويجعلها كتاباً برأسه مختلفاً عن نزهة النفوس والأبدان. وقد كان ابن الصيرفي نفسه يبرزها لوحدها وقد أخذ بها آراء ابن تغري بردي، والكافيجي، والأقسرائي وغيرهم من كبار أهل العصر فقرظوها وامتدحوه عليها. لكن الأرجح أنها جزء من النزهة، وأن عنوان نزهة النفوس كان «العنوان العام الشامل لسلسة من المؤلفات التاريخية متصلة الحلقات تعطي الفترة الإسلامية بأكملها». وما السيرة النبوية سوى جزء منها. ويوجد منها نسخة مصورة يذكر ابن الصيرفي في ختامها «كمل الجزء الثاني من كتاب نزهة النفوس والأبدان... على يد مؤلفه عام سبع وستين وثمانمائة من الهجرة النبوية ويتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الثالث ذكر الخلافة وأيام الراشدين». ولكن هذا الجزء لم يصلنا، كما لم تصلنا الأجزاء التالية له، ولعل المؤلف لم يكتبها وبقيت مشروعاً في خاطره، ولكن وصلنا منها الجزء الخاص بدولة الجراكسة في مصر. وهو مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس بخط المؤلف، وعليه قراءات وتعليقات بالعربية والفارسية. ومنه نسخه مصورة في دار الكتب بالقاهرة (رقم ١٢٨٦١ ح) وأخرى منسوخة حديثاً في الأزهر

---

(١) جرجي زيدان - «آداب اللغة العربية» ج٣ ص١٩٣

كثيرة التصحيف. ومخطوطة باريس تبدأ بالورقة ٢ب بتولية السلطان برقوق سنة ٧٨٤، وتنتهي في الواقع بالورقة ٢٠٧ أ، وفيها أحداث ذي الحجة سنة ٨٤٩. أما الورقة التالية فتحوي سطراً واحداً لا علاقة له بالموضوع مع تعليق لبعض القراء. ويبدو أن بعض أجزاء المخطوط قد ضاع، ولعله كان يصل إلى سنة ٨٥٤ بدليل السطر الموجود في الورقة الأخيرة. وقد كتبه المؤلف على الطريقة الحولية التقليدية ذاكراً الحوادث في كل سنة متبوعة بالوفيات. وقد نشر الكتاب حسن حبشي في القاهرة في ثلاثة مجلدات (١٩٧٠ ـ ١٩٧٣). ولعل ما يسميه صاحب «هدية العارفين» بتاريخ مصر وينسبه إلى ابن الصيرفي هو هذا الكتاب[١].

٧ ـ السخاوي

شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي المصري الشافعي: ولد في القاهرة سنة ٨٣١ هـ. /١٤٢٨ م وتوفي بالمدينة سنة ٩٠٢هـ. /١٤٩٧ م[٢].

هو محدث كبير ومؤرخ كبير، ولكنه في هذا وذاك من الكبار الأواخر. كان مع معاصره السيوطي آخر الأنوار اللامعة في علم الحديث وفي التاريخ، كما كانا آخر الشخصيات الفكرية البارزة التي صنعت النهضة الثقافية الثانية في التاريخ الإسلامي، في القرنين الثامن والتاسع للهجرة وآخر الممثلين لهذه النهضة.

والسخاوي من القلائل الذين كتبوا في التاريخ الإسلامي، تراجمهم بأقلامهم. وهو يكشف لنا أن الصدفة وضعت مسكنه، وهو لما يزل في الرابعة من العمر، بجوار دار ابن حجر العسقلاني علامة العصر فكان ذلك الجوار قدره الذي حدد مصيره، فقد تتلمذ عليه السخاوي الفتى منذ سنة ٨٣٨ (وهو في السابعة) وظل ملازماً له دون انقطاع ١٤ سنة... إلى أن توفي ابن حجر (سنة ٨٥٢). وقد تركت هذه السنوات أعمق الانطباع في نفس السخاوي بقية عمره، فكان في الجهد العلمي وفي ألوان الاهتمام الثقافي استمراراً لابن حجر على مدى نصف قرن.

قرأ السخاوي على أستاذه ابن حجر الكتب والمتون الكثيرة في الحديث خاصة، وفي التاريخ والتراجم، ولكنه لم يهمل الأخذ عن شيوخ العصر بعده، فقد أخذ وأكثر عن حوالى

---

(١) نجد ترجمة ابن الصيرفي لدى السخاوي «في الضوء اللامع» ولدى ابن إياس (ج٣ ص٣٠٩)، وثمة تراجم حديثة له منها ما كتبه حسن حبشي كمقدمتين للكتابين اللذين نشرهما: «الإنباء» و«النزهة». منها ما كتبه العزاوي (التعريف بالمؤرخين ص٢٥١).

(٢) هذه رواية أغلب المصادر، ويتفرد صاحب شذرات الذهب بذكر وفاته في مكة ولعله شطحة قلم.

اربعمئة شيخ في مصر نفسها، وفي دمياط ومكة والمدينة والقدس والخليل ونابلس ودمشق وحمص وحماه وحلب... وحصل في رحلاته التي استمرت عدة أعوام مع الحديث والتاريخ علوم القراءة والنحو والفقه والبلاغة والتصوف... فلما عاد إلى القاهرة كان قد نضج النضج كله فجلس للإقراء والتدريس في أعظم مدارسها: الكاملية والظاهرية والصرغتمشية والبرقوقية والفاضلية... وخاصة بخانقاه سعيد السعداء، وكانت يومذاك أبرز الدور الصوفية في مصر.

وقد أكثر السخاوي من الحج حين تقدم به العمر (حج ست مرات) وكان ينتهز الحج ليجاور ويقرىء ويُدرِّس حتى غدت مكة أشبه بالوطن الثاني له. وقد نأى بنفسه عن الأعمال العامة في السنوات الأربع الأخيرة من عمره، وإن تكاثر عليه الدارسون والطلاب في منزله. وحين سافر لحجته السابعة وتنقل على عادته بين مكة والمدينة في الإقراء والتدريس وافاه الأجل في المدينة وهو في الحادية والسبعين.

والسخاوي محدّث كبير، فتراثه الغزير ينصب بخاصة في علوم الحديث. ولكنه ضمن هذا الإطار أيضاً كان المؤرخ الكبير، لأنه قدَّم في هذا الميدان الكثير والهامَّ من المؤلفات التاريخية. وقد عَدَّد السخاوي بنفسه مؤلفاته في ترجمته التي كتبها لنفسه وهي تستغرق عدة صفحات، وتبلغ زهاء المئتين. وبين الكتب والرسائل في الفنون والعلوم المختلفة نجد في التاريخ ربعها، أي حوالى خمسين مؤلَّفاً، منها ما طبع، ومنها ما لا يزال مخطوطاً، ومنها ما هو ضائع. ومجمل الموجود منها لا يكاد يبلغ الثلث، فله:

١ ــ كتاب «الضوء اللامع في علماء القرن التاسع» وهو موسوعة حافلة. وقد نهج فيا نهج شيخه ابن حجر في «الدرر الكامنة» وإن كان رتَّبه على الحروف. وهو مطبوع أكثر من مرة منذ سنة ١٣٥٤ هـ./١٩٣٦م. في اثني عشر جزءاً مع الفهارس، ولا نجد ضرورة لذكر مخطوطاته مع وجود المطبوع. ويمكن أن يعتبر دائرة معارف عصره في علماء هذاالقرن.. غير أنه كان شديد الصراحة والقسوة أحياناً فيه، فلم يسلم من نقده سوى شيخه ابن حجر، وأنحى به على مجموع أعلام عصره كالسيوطي والبقاعي والمقريزي وابن تغري بردي وابن خلدون. وقد اختصم بسبب قلمه المرير مع الكثيرين. وهذا ما دفع السيوطي إلى التشنيع عليه في مقالة سماها «الكاوي في تاريخ السخاوي» ثم عاد عليه كرة أخرى في كتابه «نظم العقيان» (ص١٥٢).

وقد انتخب منه مجموعة من التراجم اثنان من رجال القرن العاشر:

ــ زين الدين عمر بن أحمد الشماع المتوفى سنة ٩٣٦ هـ./ ١٥٣٥م. في كتاب سماه «القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي».

ــ شهاب الدين أحمد بن العز محمد الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١

وسماه: «البدر الطالع في الضوء اللامع» وهو مخطوط في الأحمدية بتونس تحت رقم ٥٠٣٦ ـ ف٨.

ـ ثم اختصر الكتاب الأخير أحمد القسطلاني وسماه «النور الساطع في مختصر الضوء اللامع».

٢ ـ «الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ (أهل) التاريخ»: وهو الكتاب الوحيد الذي ظهر في جميع التراث الإسلامي يعدد المؤرخين ويذكر ما ألّفوا في هذا العلم. لكنه كتبه من وجهة نظر دينية، أي كتبه كمحدِّث لا كمؤرخ فغلب فيه المحدثون الذين عملوا في التاريخ. كما أنه جعله مختصراً، يكتفي أحياناً باسم الشهرة للرجل ويمضي إلى غيره. وقد أبان فيه عن علم غزير على أي حال، وسدّ ثغرة ما سدّها غيره من قبل إلا بشكل جزئي جداً. ومنه مخطوطات عديدة في القاهرة وحلب واستامبول وليدن. وقد طبع الكتاب في مطبعة الترقي بدمشق (سنة ١٣٤٩ هـ. /١٩٣١ م)، ثم طبعه الدكتور صالح أحمد العلي أثناء ترجمته لكتاب روزنتال «علم التاريخ عند المسلمين». وأفرده لوحده كذلك، ذاكراً الشروح الواسعة التي أتى بها روزنتال عليه.

٣ ـ «التبر المسبوك في ذيل السلوك» وقد ذيّل فيه على كتاب السلوك للمقريزي في عدة مجلدات. ومن المجلد الأول نسخة ملكية هامة ومشكّلة في أيا صوفيا باستامبول برقم ٣١١٣ كتبت سنة ٨٨٠ هـ. /١٤٤٦ م. في منزل السخاوي نفسه، ونقلاً عنه، وتبدأ بحوادث ووفيات سنة ٨٤٥ التي توفي فيها المقريزي. والكتاب مطبوع.

٤ ـ «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»: ومنه نسخة بخط السخاوي في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩٩١ في ٣٤٥ ورقة، ونسخة أخرى في باريس رقم ٢١٠٥ A في مجلدين، وثمة نسخة مصورة في دار الكتب بمصر تحت رقم ٤٧٦٨ تاريخ في مجلدين صُوِّرت عن نسخة باريس، وثمة نسخة أخرى في الأحقاف بتريم (مجموعة الكاف ٣٩٦) في ٢٥٣ ورقة. وقد نشر قسماً منها صالح أحمد العلي أثناء ترجمته لكتاب روزنتال. والقطعة ثبت مفصل بالسيَر وكتابها في التاريخ الإسلامي.

٥ ـ «بغية العلماء والرواة في الذيل على كتاب شيخي في القضاة» أو «ذيل رفع الإصر» ومنه نسخة خدابخش في بتنه رقم ٣٠٨٨ وهي مجلدان، وثمة نسخة أخرى برقم ٩٣٠ (٢) تاريخ، ومنه مخطوط المدينة رقم ٥٠٢ في ١٣٢ ورقة، ومخطوط دار الكتب بمصر رقم ٥٢٨٩ تاريخ وهو مصوَّر عن مخطوط آخر في سوهاج هو بخط السخاوي نفسه في مجلد.

٦ ـ «التحفة اللطيفة في تاريخ (أو فضلاء) المدينة الشريفة»: منه الجزء الأول (من إبراهيم إلى محمد بن مبارك) في مخطوط طوبقابو ٥٢٧ M ٦٤٨١ كتب سنة ٩٥٢ في ٨٥١ ورقة. ومنه الثلث الثالث والأخير (من محمد بن محمد حتى النهاية) في المكتبة ذاتها

برقم M ٥١٢ ٦٤٨٢ في ٤٠٧ ورقات كتب سنة ٩٠٤، ومنه نسخ مخطوطة أخرى واحدة في المدينة تحت رقم ٥٢٧ في ٨١٥١ ورقة.

وقد نشره حامد الفقي في ثلاثة أجزاء في القاهرة ما بين سنتي ١٩٥٧ - ١٩٥٨، وفي كل فهرس لمن ترجم السخاوي لـه: الأول ٥٤١ ترجمـة، والثاني ٤٨٣، والثـالث ٤٨٣ (مطبعة السُّنَّة المحمدية).

٧ ــ «الذيل على دول الإسلام» (للذهبي): ومنه مخطوط في أكسفورد رقم ٣٤٩،٦١١ وآخر في برلين رقم ٦٤٦٣، وعنوانه «وجيـز الكلام في الـذيل على دول الإسـلام»، وثالثـة في دار الكتب الـوطنيـة في تـونس في ٢٧٤ ورقـة بـرقم ٦٨٥٦ (ضمن مجمـوع من ورقـة ٧٨ ــ ٣٦١ ورابعة في مكتبة كوبريللي باستامبول (رقم ١١٨٩) وعليهـا خط المؤلف، في مواضع عدة كأنه صححها، وقد كتبت في حياته في ٢٢٨ ورقة ونسخة في العبدلية الصادقية بتونس رقمها ٢٩١٦ في ٢٨٢ ورقة «باسم الـذيل التـام على دول الإسلام»، وهـو يبدأ من سنة ٧٤٥) باختصار جداً إلا في السنين المتأخرة.

٨ ــ «تاريخ خلفاء وسلاطين مصر»: ألفه سنة ٨٨٢ وسنـة ٩٠٠. وهو مختصر. منه مخطوط في أيا صوفيا تحت رقم ٣٢٦٦.

٩ ــ «الشلور في أسماء الرجال»: وأولـه «هذا جزء رتبت فيه أسماء جماعة أجازوا للرضي الطبري وللصلاح ابن أبي عمر وعائشة ابنـة عبد الهـادي و. . . و. . . . غير ملتـزم الاستيعـاب ولا أن بعضهم لم يسمع عن بعض. . . .» والأسمـاء مرتبـة فيـه على حـروف المعجم. ومنه مخطوط نقل عن خط المؤلف في ٢٥ ورقة في مكتبة خدابخش في بتنه رقم ٢٨٩٥.

١٠ ــ كتاب «تراجم الشيوخ الذين لقيتهم في الشام ومصر»: ولعلها · ·مة من أحد أثباته التي دوَّنها في رحلاته، وهي كثيرة، ذكرها الكتاني في فهرس الفهارس (٤/ ٣٣٧) ومنه مخطوط رواق الشوام في الأزهر رقم ٤٨ تاريخ في تسع ورقات.

١١ ــ «المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي»: ذكر فيه ·يره النووي وشيوخه ومصنفاته وتلاميذه. ومنه مخطوط كتب في حياة المؤلف نقلاً عن خطه في المدرسة النظامية في حيدر آباد رقم ١٣١ سير (خمسين ورقة).

١٢ ــ «رجحان الكفة في أخبار أهل الصُّفَّة»: ومخطوطته لدى الجمعية الآسيوية في كلكتا تحت رقم ١٣٢١ - ف٣١٤١.

١٣ ــ «بغية العلماء والرواة في ذيل الطبقات» لابن الجزري: مخطوط في ٦٨ ورقة في مكتبة فيض الله باستامبول رقم ١٥١٤.

١٤ـ «إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي للإعلام بترجمة السخاوي»: ومنه مخطوط ليدن رقم ١١٠٦.

١٥ ـ «معجم من حملت عنه (شيوخه)»: ومنه مخطوط في باريس في ثلاث مجلدات ضخمة.

١٦ ـ «ما رواه الواعون في أخبار الطاعون»: وهو مخطوط ضمن رسائل في مكتبة يحيى باشا في الموصل تحت رقم ٢٥٦ س ي ر.

١٧ ـ «تلخيص تاريخ اليمن».

١٨ ـ «مسيرة الإمام ابن عربي»: وهو حافل لا مزيد عليه. وقد كتب هذه السيرة أيضاً كل من التقي الفاسي والعلاء البخاري والكمال إمام الكاملية وبرهان الدين البقاعي»[١] وهو يسميه «القول المنبي عن ترجمة ابن عربي».

١٩ ـ شرح سيرة مغلطاي المنظومة «وتممت عليه وأرجو تحريره وإبرازه»[٢].

٢٠ ـ «التاريخ المحيط» في نحو ٣٠٠ رزمة.

٢١ ـ كتاب «طبقات المالكية» وقد جرده من (المدارك) ورتبه ترتيباً معتبراً.

٢٢ ـ «الشفاء (أو الشافي) من الألم في وفيات الأمم»: (ثبت وفيات في القرنين الثامن والتاسع مرتب على السنين) ويسميه السخاوي: «الشفاء من الألم في وفيات القرنين الأخيرين من العرب والعجم».

٢٣ ـ «منتقى تاريخ مكة».

٢٤ ـ «ختم السيرة لابن هشام».

٢٥ ـ «القول النافع في بيان المساجد والجوامع».

٢٦ ـ «كتاب الكنى» مجلد.

٢٧ ـ «كتاب الألقاب» مجلد باسم «عمدة الأصحاب في معرفة الألقاب».

٢٨ ـ «بهجة الناظر في الحكايات والنوادر».

٢٩ ـ «الاهتمام بترجمة الكمال بن همام».

٣٠ ـ «أحسن المساعي في إيضاح حوادث البقاعي».

٣١ ـ «الاهتمام بترجمة النحوي جمال بن هشام».

٣٢ ـ «الإيناس بمناقب بني العباس».

٣٣ ـ «بغية الراوي في من أخذ عنه السخاوي» (وهو معجم شيوخه) ولعله «معجم من حملت عنه» الموجود في باريس.

---

(١) السخاوي (في ترجمة صالح العلمي لكتاب روزنتال) ص٦١٢ وص٧٤٧.

(٢) المصدر السابق ص٥٣٢.

٣٤ ـ «التحصيل والبيان في قصة السيد سليمان».
٣٥ ـ «التذكرة» في مجلدات.
٣٦ ـ «الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة».
٣٧ ـ «دفع الالتباس في ختم سيرة سيد الناس».
٣٨ ـ «الرحلة الإسكندرية».
٣٩ ـ «الرحلة الحلبية».
٤٠ ـ «رفع الشكوك في مفاخر الملوك».
٤١ ـ «رفع القلق والأرق لجمع المبتدعين من الفرق».
٤٢ ـ «السيف القاطع في التاريخ من كتب الوفيات على الأسماء».
٤٣ ـ «عمدة الناس في مناقب سيدنا العباس».
٤٤ ـ «العقد الثمين في مشيخة خطيب المسلمين».
٤٥ ـ «فتح القريبى في مشيخة الشهاب القريبى».
٤٦ ـ «الفخر العلوي في المولد النبوي».
٤٧ ـ «القول المبين في ترجمة القاضي عضد الدين».
٤٨ ـ «القول المرتقي في ترجمة البيهقي».
٤٩ ـ «القول المرتقي في ختم دلائل النبوة للبيهقي» (ولعله السابق نفسه).
٥٠ ـ «القول المعهود في ما على أهل الذمة من اليهود».
٥١ ـ «المفاخرة فيما بين دمشق والقاهرة»[1].

٨ ـ السيوطي

جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي المصري الشافعي: ولد سنة ٨٤٩ وتوفي بالقاهرة ٩١١. كان سليل أسرة موسرة فَقَدَ أباه مبكراً ونشأ يتيماً. وكان دون الثامنة حين كان يحفظ القرآن، وألفية ابن مالك، والعمدة، ومنهاج الفقه والأصول. وقد شرع في الاشتغال بالعلم سنة ٨٦٤، فدرس الفقه والنحو والفرائض. كانت سنه في السابعة عشرة حين وضع أول مؤلف له: «شرح الاستعاذة والبسملة». وقرأ على كبار الشيوخ الفقه والحديث والعربية. ووثق به شيوخه ومنهم تقي الدين الشبلي وشرف الدين المناوي وعلم الدين البلقيني ومحيي الدين الكافيجي. ولم يكن قد بلغ الخامسة والعشرين حين أفتى وحين جلس لإملاء الحديث. ورزق التبحر في علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع تبحراً ما وقف عليه أحد من شيوخه

---

(١) نجد ترجمة السخاوي بقلمه في «الضوء اللامع» ج٨ ص١٩٤ ولدى ابن إياس في «بدائع الزهور»، وفي «شذرات الذهب» ج٨ ص١٥ ـ ١٧ مع ولدي مصطفى زيادة «المؤرخون في مصر»، والعزاوي «التعريف» ص٢٥٢ وعنان «مؤرخو مصر الإسلامية» ص١٢٧ ـ ١٤٠.

على حد قوله. كما أحاط بالجدل والتصريف والإنشاء والترسل والفرائض والقراءات والطب. واستعصى عليه الحساب!! وكره المنطق!.. وسافر خلال ذلك إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور لكنه استقر حين وصل الأربعين في القاهـرة في بيت على شاطىء النيل محجوب المناظر بالكتب، واشتغل بالتدريس والتأليف، وقد استغرق التأليف حياته. فله فيما يعد الباحثون ما بين ستمائة إلى سبعمائة كتاب ورسالة(١) مما وضعه في طليعة المكثرين من المؤلفين الذين لم يعرف مثلهم التراث إلا عدداً يعد على الأصابع. كان موسوعي الثقافة والاطلاع وانعكس ذلك في مجموعة تراثه فهو يشمل متنوعات لا تنتهي من جميع المعارف المتاحة في عصره، فهو خاتمة الأئمة الذي يمثلون الثقافة الإسلامية الشاملة في عصر غروبها. وكان الأمراء والكبراء يأتون لزيارته ويقدمون له الهدايا فيردها، ويطلبه السلاطين لزيارتهم فيعتذر، وعبّر عن ذلك في كتاب سماه «ما وراء الأساطين في عدم التردد إلى السلاطين». وقد أعانه على كثرة المؤلفات انقطاعة الكامل للعلم وكثرة مكتبته وسعة علمه وحفظه وسرعة كتابته. ولو وزع عمره على الأوراق التي كتبها لأصاب اليوم ٤٠ ورقة، على أن القسم الأعظم مما ألف كان جمعاً، وتلخيصاً وتذييلاً على مؤلفات غيره فنصيبه من الإبداع الذاتي جد قليل.

---

(١) الاختلاف في تعداد مؤلفات السيوطي قديم. ذكر الغزي في «الكواكب السائرة» أنها حوالى الخمسمائة، وذكر ابن إياس أنها حوالى الستمائة، ويبلغ بها ابن القاضي في «درجة الحجال» (٢/ ٣٦٠) الألف، فالسبب أن كثرة إنتاج السيوطي المذهلة أثارت مختلف الباحثين في سيرته قديماً وحديثاً. وكان الأقدمون أمام تعداد مؤلفاته يجازفون بذكر الأرقام التقديرية المختلفة، أما المحدثون فحاولوا تحقيق ذلك علمياً. وهكذا صدر في العراق كتاب بعنوان «مؤلفات السيوطي» يعددها. وصدر في الكويت (مكتبة ابن تيمية) (سنة ١٩٨٣) كتاب «دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها» من عمل أحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني، وهو يحصي منها مع المكرور والمنسوب ٩٨١ مؤلفاً. ويقدم فهرساً هجائياً للمؤلفات في ختام الكتاب، وفهرساً للمكتبات التي تتوزعها في أنحاء العالم وهي ١١٠ مكتبات كما صدر في الرباط كتاب آخر لأحمد الشرقاوي إقبال يجمع فيه ويصف مؤلفات السيوطي بعنوان مكتبة الجلال السيوطي (مطبوعات دار المغرب ـ ١٩٧٧) وفيه أن مجموع مؤلفاته عدا المكرور منها بلغ ٧٢٥ كتاباً ورسالة أخرجت المطابع منها نيفاً ومائتين. وثمة من المخطوطات حوالى ١٧٣، وأما الباقي فقد ضاع. وجدير بالذكر أن بروكلمان يبلغ بمؤلفات السيوطي إلى ٤١٥ مؤلفاً. وفي فهرس الفهارس للكتاني (٢/ ٣٥٩) أنها حتى قبل موت السيوطي بسبع سنوات تبلغ ٥٣٨ وفي الشذرات أنها تنيف على خمسمائة ولدى الشعراني أنها ٤٦٠ ولدى ابن إياس أنها خمسمائة. وينسب إليه حاجي خليفة زهاء ستمائة بينما يسطرها فلوجل في قائمة ويبلغ بها ٥١٦ مؤلفاً.

وثمة مخطوط باسم فهرس مؤلفات السيوطي في تشستربتي (رقم ٣٤٢٠ هو الرسالة الثالثة في المجموع الذي يحمل هذا الرقم، ولعله جزء منقول عما كتبه السيوطي عن نفسه في حسن المحاضرة) حيث ذكر ترجمة حياته. ومنها مخطوط في المكتبة السعيدية بتونك (الهند) في ١١ ورقة نصت على عدد المجلدات في كل تأليف، ومخطوط مكتبة الزاوية الحمزية المغرب وأخرى في تشستربتي ونشر فلوجل الفهرس عن مخطوط في ليدن كتب (سنة ١١٦٩).

ذكر السيوطي نفسه كتبه في التاريخ (يوم ألف كتابه حسن المحاضرة وفي هذا الكتاب) فهي تزيد على خمسة وثلاثين كتاباً عدا كتبه في الفنون والعلوم الأخرى من الأدب وفن التفسير والقراءات والحديث الذي يستغرق الكثير، والفقه ومتعلقاته، والعربية ومتعلقاتها، وعدا الأجزاء المفردة في مسائل مخصوصة وعدا فن الأصول والبيان والتصوف. وتستغرق أسماؤها قرابة ست صفحات من ترجمته لنفسه، غير أنه زاد في كتبه التاريخية حتى وفاته، كما زاد الكثير في غيرها. فعدة كتبه في التاريخ ومتعلقاته تزيد على مائة مؤلف وإن يكن الكثير منها مما يتصل بالحديث النبوي والتاريخ الديني. وهذه المؤلفات التاريخية بقي منها:

١ ـ «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»: وهو مؤلف ضخم في مجلدين ضمنه بعد ذكر مصر في القرآن والحديث تاريخها الغابر وفتحها في الإسلام وخططها، ثم ذكر تراجم من جاءها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن نبغ فيها من الحفاظ والأئمة والقراء والفقهاء والنحويين وأهل الفكر والوعظ والقصص والتاريخ والأدب، وذكر سلاطين مصر وقضاتها وجوامعها ومدارسها والنيل وأحواله، وختم بمختارات من الشعر حول أشجار وفواكه مصر. فهو يشبه في الخطط المقريزي وإن كان أقل منه بكثير ويجمع تراجم رجال مصر على الاختصار بشكل شامل. والكتاب مطبوع (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ بالقاهرة ١٣٨٧ هـ. /١٩٦٧ م).

٢ ـ «تاريخ الخلفاء» وهو بدوره مؤلف واسع ذكر فيه تراجم الخلفاء وتبسط في ذكر الخلفاء الراشدين وخلفاء بني العباس في بغداد ثم في مصر. ويختم الكتاب بقصيدة من نظمه. والكتاب مطبوع بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد بالقاهرة سنة ١٩٦٤ بعد أن طبع في كلكتا سنة ١٨٩٧ وفي لاهور سنة ١٨٨٦ وفي القاهرة سنة ١٣٠٥ وفي دلهي سنة ١٣٠٦ وترجم إلى الإنكليزية وطبع سنة ١٨٨١.

٣ ـ «نظم العقيان في أعيان الأعيان»: وهو معجم تراجم لرجال عصره، يوازي ويقلد ابن حجر في «الدرر» والسخاوي في «الضوء اللامع» والبقاعي في «عنوان الزمان». ويذكر في مطلعه الشروط التي يجب أن تتوفر في المؤرخ كأنه يريد التعريض بالسخاوي. وفي الكتاب مائتا ترجمة فحسب لأعلام مختلفين فيهم التتر وفيهم من الشام والعراق وبعض النساء كما أن فيهم ترجمة أقرانه من العلماء. وتناول السخاوي بأقسى النقد. وفي التيمورية مخطوطة منه وأخرى في ليدن رقم ٨٧٣، ٢/٤١٦ وفي برلين رقم ٤٢/٩٩١٣ وفي الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٨٦ وفي الأزهر رقم ٦١٣٥ وعارف حكمة ٩٦ مجاميع و٢٧٤ مجاميع. وعلى أساس الأوليين طبع في نيويورك سنة ١٩٢٧ بتحقيق فيليب حتي في حوالى مائتي صفحة.

٤ ـ «الشماريخ في علم التاريخ»: وهي رسالة صغيرة في ١٥ صفحة جعلها السيوطي من ثلاثة أبواب يتناول في الأول مبدأ التاريخ، أي مبدأ تاريخ العالم حتى الهجرة، وفي الباب الثاني فوائد التاريخ، وفي الثالث فوائد شتى، منها طريقة احتساب التاريخ بالشهور

والأيام. وقد نشر هذه الرسالة المستشرق زايبولد (سنة ١٨٩٤) في ليدن وتقع في ١٥ صفحة متوسطة. ثم نشرت في مصر والعراق (سنة ١٩٧١) ومنها مخطوطات بدار الكتب بمصر وفي برلين والظاهرية ١٤٠ وبرلين وغيرها.

٥ ـ «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»: وهو كتاب تراجم لهؤلاء تبلغ ٢٣٠٠ ترجمة فيها إيجاز وتركيز ومنه مخطوطات عديدة موزعة منها واحدة بخط المؤلف في لينتغراد. لا نجد ضرورة لذكر الباقي بعد أن طبع الكتاب مرات منها في ليدن بعناية المستشرق مرسنجه سنة ١٨٣٩ وأخرى في مصر (الخانجي) سنة ١٣٢٦ ثم في مصر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٦٤. وقد نشره محمد أبو الفضل إبراهيم في القاهرة في سنتي ١٩٦٤ و١٩٦٥ في جزءين ضخمين، وهذا الكتاب هو الموجز الأخير من كتاب ضخم سمّاه السيوطي طبقات النحويين وضعه في ٧ مجلدات وهو «الطبقات الكبرى» ثم لخصه في مجلد ضخم هو «الطبقات الوسطى» ثم اختصره ثانية في كتاب «البغية» المطبوع. وقد ضاعت الطبقات الكبرى والوسطى.

٦ ـ «الحبائك في أخبار الملائك»: منه مخطوط بدار الكتب بمصر وأخرى في الرباط وقد نشره عبد الله الصديق (دار التأليف ـ القاهرة ١٩٦٤) في ٢٣٢ صفحة.

٧ ـ «طبقات المفسرين»: وهو مرتب على حروف الهجاء، علقه أبو بكر الداوودي تلميذ المصنف (سنة ٩٧٣)، ومنه مخطوط ينى جامع في استامبول (رقم ١/٨٧٢) في ٢٢ ورقة وأخرى في الحميدية (١٧٩) في ٧٢ ورقة. وهو غير تام فقد ذكر أن المؤلف لم يُتمّه. طبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٢٩ ثم طبع مصوراً بطهران سنة ١٩٦٠.

٨ ـ «طبقات الحفاظ» لخصه عن الذهبي وذيّل عليه من جاء بعده. ومنه مخطوط الحرم المكي في ١٥٠ ورقة (رقم ٨١ تراجم) ومخطوط عارف حكمة في المدينة (رقم ٤٣٣ تاريخ) في ١٣٠ ورقة. وثمة نسخة في دار الكتب بمصر ونسخة رابعة في فيض الله باستامبول رقم ١٤٧٣ في ٢٦٣ ومعها نسخة رقم ١٤٧٤ في ٢٦٩ ورقة. نشره المستشرق وستنفلد (سنة ١٨٣٤).

٩ ـ «المستظرف من أخبار الجواري»: وقد نشره صلاح الدين المنجد في بيروت سنة ١٩٦٢ في ثمانين صفحة. ضمن سلسلة رسائل ونصوص الصادرة عن دار الكتاب الجديد ومنه مخطوط في الظاهرية بدمشق وآخر في الأحمدية بتونس.

١٠ ـ «نزهة الجلساء في أشعار النساء»: نشره المنجد نفسه مع مقدمة وفهارس في ١٣٧ صفحة (دار المكشوف في بيروت ١٩٥٨) ومنه مخطوط في الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٦٨ ومخطوط آخر في الخزانة العامة بالرباط.

١١ ـ «تحفة الأريب في نحاة مغني اللبيب»: ومنه المجلد الثاني مخطوط في فيض

الله في استامبول رقم ١٤١٣ في ٣٣٦ ورقة. ويعض منه مخطوط في الأحمدية بتونس رقم ٤٧٦٣.

١٢ ــ «المنجم في المعجم»: وهو معجم شيوخه الذين أخذ عنهم أو أجازوه وقد جعلهم ٣ طبقات ورتبهم على حروف المعجم. ومنه مخطوطة لعلها مسودة المؤلف في دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٢٦ تاريخ.

١٣ ــ «كوكب الروضة في تاريخ جزيرة الروضة بالقاهرة»: وهو مقامة فيها تاريخ وأشعار وذكر لنهر النيل وما ورد فيه. فرغ منه سنة ٨٩٥ ومنه نسخة في مكتبة الخالدي في القدس رقم ٢٩٢ في ٣٠ ورقة وأربع نسخ في طوبقابو باستامبول منها نسخة قوبلت على نسخة المؤلف (رقمها A ٢٤٠٨ ١٦٥٥ في ٢٤٧ ورقة) والأخرى برقم (A ٢٩٧٨ ٦١٥٣) والثالثة برقم EH ١٤٠٢ ٦١٥٤ في ٢٤٩ ورقة والرابعة برقم A ٧١٣ ٦١٥٦ في ٢٨٣ ورقة.

١٤ ــ «لب اللباب في تحرير الأنساب»: اختصر فيه لباب ابن الأثير وزاد عليه. ومنه مخطوط خدابخش بتنه رقم ٢٤٢٧ في ٧٠ ورقة ومخطوطات أخرى عديدة في ليدن (١٣٦ ـ ١٣٨) وفي باريس الأول منه رقم A ٢٨٠٠ وفي شستربتي تحت رقم ٣٩٥٧ في ١٢٦ ورقة. وفي القاهرة الثاني منه (رقم ٣١٥/٥) وفي سليم آغا باستامبول رقم ١٢٥١، ١٢٥٢ وفي رضا رامبور الأول (رقم ٦٤٥: ٢١٧) وفي بنكيبور (١٧٤٧/١٢) وفي بتنه (٣٠٨/٢: ٢٤٢١). ويختصر فيه السيوطي كتاب الأنساب للسمعاني ويذكر حوالى ٩ آلاف اسم مع تفسيرها.

وقد نشره في ليدن المستشرق ب. ج. فيث P.J. Veth سنة ١٨٣٠ ـ ١٨٣٢ والهولندي بطرس فوت سنة ١٨٥١ وأعيد طبعه مصوراً في مكتبة المثنى ببغداد.

١٥ ــ «ذيل على العقود الدرية في الأمراء المصرية» للجزار وهي تكملة الأرجوزة وتكملة التكملة. ومنه مخطوط باريس في المكتبة الأهليا (أول A ١٦٠٨). وآخر في فلورنسا رقم ٣٠١٢ (وهو بشعر الرجز).

١٦ ــ كتاب «الوسائل في معرفة الأوائل»: وهو مختصر كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله المتوفى سنة ٣٩٥ هـ./١٠٠٥ م. منه ثلاث مخطوطات في طوبقابو رقم A ٢٣٤٣ ٥٧٢٦ في ٣١ ورقة. ورقم A ٣٠٥٤ ٥٧٢٧ ورقم A ٢٤٣٧ ٥٧٢٨. ومخطوط بدار الكتب في مصر وآخر بمكتبة البريدي في القدس. وقد نشره المستشرق جوخيا سنة ١٨٧٦ ونشره أسعد طلس في العراق سنة ١٩٥٤.

١٧ ــ «ما رواه الواعون في أخبار الطاعون»: ومنه مخطوط كمبردج (٨) Or. ١٧٢.

١٨ ــ كتاب «تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة»: ومنه مخطوط الظاهرية بدمشق رقم ٤٧٦٨ في ٢٦ ورقة. وقد طبع في حيدر آباد سنة ١٣١٧.

١٩ ــ «در السحابة في من دخل مصر من الصحابة»: وقد لخص فيه كتاب ابن الربيع الجيزي وزاد عليه ما وجده في المصادر الأخرى ورتبه على حروف المعجم. ومنه مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ٣٣١٨ في ٨٦ ورقة ومخطوط آخر في دار الكتب بمصر وثالث في باريس، وقد طبع بمصر ضمن كتاب «حسن المحاضرة» (سنة ١٣٢١).

٢٠ ــ «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب (الرسول الأعظم)» ومنه مخطوطتان في الظاهرية رقم ١٨٥٧ في ٢٤ ورقة ورقم ٣٨٦١ في ١٣ ورقة ومخطوطة في ليبيا ـ مكتبة الأوقاف بطرابلس رقم ٢٣ في ٣١٠ ورقات. ومخطوطة في مكتبة شستربتي رقم ٣١٦١ في ١١ ورقة، وثمة نسخة في فيض الله ضمن مجموع.

٢١ ــ «مسالك الحنفا في والدي المصطفى» ومنه مخطوط الرباط D ١١٩٤ في مجموع من الورقة ٣٨ ب إلى ٦٣ ب. وقد اختصره السيوطي في كتاب أصغر ثم عاد فاختصر الأصغر في موجز هو:

٢٢ ــ «الدرج المنيفة في الآباء الشريفة»: يقول فيه إنه ثالث كتاب ألفه في والدي الرسول (ﷺ) وهو أخصرهما وأوجزهما. ومنه مخطوط الرباط D ١٦٣٨ في مجموع من الورقة ٢٠٣ ب إلى ٢٠٧أ.

٢٣ ــ «نسب بعض الصحابة والأشراف وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين»: ومنه مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٢٤ تاريخ في ٤٠ ورقة. وآخر برقم ٢٠٢٠ ويحمل الاسم نفسه ولكنه ينسب لابن أبي زيد. ونسخة أيضاً في الخزانة العامة بالرباط. ويشك في نسبة هذا الكتاب للسيوطي.

٢٤ ــ «تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك (ابن أنس)»: ومنه مخطوط دار الكتب الوطنية في تونس رقم ٩٨٣٠ وفي المكتبة التيمورية في القاهرة.

٢٥ ــ «الأساس في مناقب بني العباس»: ومنه مخطوط الأزهرية ٤٠٢٢ تاريخ (٥٣٥٥٥) في ١١ ورقة. ومخطوط بالتيمورية وثالث في الخزانة العامة في الرباط مجموع ١١/١٠٢٧ وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وبرلين ١٥١٨.

٢٦ ــ «التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة»: ومنه مخطوط الرباط رقم ٤٨٦ك في ١٣ ورقة ومخطوط في الأسكوريال وثالث في دار الكتب بمصر.

٢٧ ــ «أسماء المدلسين من رجال الحديث»: ومنه مخطوط الأزهر رقم ٦٠٣ مصطلح الحديث في ٥ ورقات.

٢٨ ــ وثمة ضمن مجموع واحد في مكتبة فيض الله رقم ١٤١٣ في ٣٣٦ ورقة كل من: «العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية» من ورقة ١٦١ حتى ١٦٨، وهي موجودة أيضاً في

عارف حكمت بالمدينة ١٦٢ مجاميع وفي دار الكتب بمصر ٩٢٠٧ح وفي أسعد أفندي باستامبول مجموع ١٦٩٤ وبرلين ٩٤٠١ وشستربتي رقم ٥٥٠٠.

٢٩ ــ «العرض الوردي في أخبار المهدي» من ورقة ١٧.٢ حتى ١٨٣.

٣٠ ــ «إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء» من ورقة ٢٠٨ حتى ٢١١.

٣١ ــ «مسالك الحنفا في والدي المصطفى» من ورقة ٢٣٣ ـ ٢٤٧.

٣٢ ــ «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام» من ورقة ٢٠٤ حتى ٢٠٨ (ومنه مخطوط بالتيمورية ٢٨١٩، ٢٤٦٧ ومخطوطات أخرى في برلين ٣٥٣٩ وجامع صنعاء مجموع ١٨٧ وأسعد أفندي مجموع ٢٦٠ وشستربتي ٥١١٢، ٥٥٠٠ وفي الموصل وغيرها) وفي المجموع نفسه، في آخره نسخة أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب.

٣٣ ــ وينسب إليه «إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى»: وهو ينسب أيضاً إلى شمس الدين محمد المنهاجي السيوطي (طلس: الكشاف ص٢٢٠) وحاجي خليفة ينسبه إلى كمال الدين بن أبي شريف. وقد طبع المستشرق لامنغ سنة ١٨١٧ قطعة منه. وهو مخطوط بالحرم المكي رقم ١٩٢ وليدن ١٠٣٢ والمتحف البريطاني (ذيل) ٥٧٢.

٣٤ ــ وينسب للسيوطي أيضاً كتاب «تاريخ السلطان قايتباي» (٨٧٢ ـ ٩٠١ هـ) والدولة الأيوبية ودول المماليك. ومع أن طريقة الكتاب قريبة من منهاج السيوطي إلا أن أحداً لم يذكر هذا الكتاب له سوى المخطوطة التي تحمل اسمه عليها. وهي في دار الكتب المصرية بالقاهرة في ٥٧ لوحة مزدوجة متوسطة ورقمها ٦١ تاريخ.

٣٥ ــ «الرتب المنيفة في فضل السلطنة الشريفة»: وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٥ مجاميع في ثلاث ورقات.

٣٦ ــ «التعريف بآداب التأليف»: وهو رسالة صغيرة منها مخطوط دار الكتب بمصر رقم ٣٢ مجاميع في ٥ ورقات. ومخطوط آخر في الخزانة العامة بالرباط. طبع بعناية إبراهيم السامرائي في بغداد ثم طبع محققاً بعناية عبد الصبور مرزوق سنة ١٩٧٠.

٣٧ ــ «طبقات الأصوليين»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة» ومنه مخطوط في برلين رقم ٤٣/٩٩١٣.

٣٨ ــ «طبقات البيانيين»: نسبه لنفسه في «تاريخ الخلفاء» ومنه مخطوط برلين ٢٩/١٠٠٦٣.

٣٩ ــ «طبقات الخطاطين»: نسبه لنفسه في «تاريخ الخلفاء» ومنه مخطوط برلين ٣٠/١٠٠٦٣.

٤٠ ــ «طبقات التابعين».

٤١ ــ «طبقات الشعراء»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة».

٤٢ ــ «طبقات الفرضيين»: نسبه لنفسه في «تاريخ الخلفاء»

٤٣ ـ «ذيل الإنباه عن قبائل الرواة» الأصلي من تأليف ابن عبد البر النمري القرطبي المتوفى (سنة ٤٦٣).

٤٤ ـ «الرحلة الفيومية» نسبها لنفسه في «حسن المحاضرة» ومنها مخطوط في برلين رقم ١٥/٦١٥٧.

٤٥ ـ «الرحلة المكية»: نسبها السيوطي لنفسه في «حسن المحاضرة» وهي مع المخطوط السابق في برلين.

٤٦ ـ «الرحلة الدمياطية»: نسبها بدورها لنفسه في «حسن المحاضرة» ومنها مخطوط برلين (مع السابقتين) رقم ١٥/٦١٥٧.

٤٧ ـ «رفع الباس عن بني العباس»: نسبه السيوطي لنفسه في «حسن المحاضرة» وتحدث عنه.

٤٨ ـ «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع»: وهو مختصر «معجم البلدان» لياقوت.

٤٩ ـ «زوائد الرجال على تهذيب الكمال»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة» والتهذيب في الأصل لابن الزكي المتوفى سنة ٦٠٠.

٥٠ ـ «الزوائد على المال في معرفة الرجال».

٥١ ـ «السماح في أخبار الرماح»: ومنه مخطوط مصور في معهد المخطوطات العربية في القاهرة رقم ٢٣ فروسية.

٥٢ ـ «إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء»: منه مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر وآخر بالأحمدية بتونس ٤٩٥١، وأوقاف الموصل ٢٤/٨٤ مجاميع وبرلين ٥٥٧٩ وليدن ١٤/٤٧٤، ٢٧٧٢.

٥٣ ـ «إحياء الميت بفضائل أهل البيت»: ومنه مخطوطات عديدة في الظاهرية ١١١٢ حديث، ٥٢٩٦ مجموع وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وخزانة الرباط مجموع ٢/٩٣٦ وجامع صنعاء ٢ تصوف، وكمبردج ٢/٢٠ أو دار الكتب بمصر ٢١ مجاميع، و ٣٧ مجاميع. وقد طبع في الهند وفي القاهرة سنة ١٣١٢ وفي فاس.

٥٤ ـ «الازدهار فيما عقد الشعراء من الآثار».

٥٥ ـ «إزهار العروش في أخبار الحبوش»: وهو مختصر كتابه «رفع شأن الحبشان» ومنه مخطوط التيمورية رقم ٧٢٦ تاريخ وشهيد علي بتركيا ٢٨٠٣ وشستربتي ٤٧١٣ و٥٤٩١. وثمة مخطوطان آخران أحدهما في غوطا والثاني في الأسكوريال ومخطوط في كوبريللي ٤٥٨ وفي قورشوتلي رقم ٤/١٤٣.

٥٦ ـ «إسبال الكساء على النساء»: ومنه مخطوط الظاهرية ١١١٧ حديث ومخطوط التيمورية ضمن مجموع.

٥٧ ـ «إسعاف المبطا برجال الموطأ»: وقد طبع في حيدر آباد سنة ١٣١٦ هـ. وله مخطوطات بدار الكتب بمصر رقم ٢٣٣، ٣٤١، ٣٤٢ وفي برلين ٩٩٥٨ ومكتبة عارف حكمت بالمدينة ١٩ مجاميع.

٥٨ ـ «أعلام النصر في إعلام سلطان العصر».

٥٩ ـ «آكام العقيان في أحكام الخصيان»: ومنه مخطوطات عديدة في دار الكتب بمصر (٢٧ مجاميع ٥٢١ مجاميع حديث) وفي حضرموت ٣٢٨ وفي الظاهرية ١١٠٧ حديث وفي شستربتي ٥١١٢، ٥٤٩١، ٥٥٠٠ وليدن ٢٧١٦ وبرلين ٤٨١٠/٢٦٤ وفي خزانة الرباط.

٦٠ ـ «إنجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد»: نسبه إليه صاحب الكشف.

٦١ ـ «إنشاب الكثب في أنساب الكتب»: ذكر فيه مروياته ومنه مخطوط برلين ٣/٣٠.

٦٢ ـ «الأوج من أخبار عوج»: ومنه نسخة مخطوطة برواق الأتراك بالأزهر رقم ٣٦٩٨. ومخطوط آخر في التيمورية ضمن مجموع، وقد طبع ضمن كتاب السيوطي «الحاوي في الفتاوي».

٦٣ ـ «الأنوار السنية في تاريخ الخلفاء والملوك في مصر السنية»: ومنه مخطوطات برلين ٩٨٧٩، ٩٨٢٥، ٩٨٢٦.

٦٤ ـ «بدائع الزهور في وقائع الدهور»: وهو تاريخ كبير انتقاه من ٣٢ تاريخاً ذكر فيه نوادر الوقائع، ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون»، من مبدأ الخلق إلى زمانه، وقد قدم الأنبياء ثم الخلفاء ثم الملوك لكنه لم يكمله[1].

٦٥ ـ «بذل المجهود لخزانة محمود»: نشره فؤاد سيد في مجلة معهد المخطوطات (المجلد ٤ سنة ١٩٥٨ ص١٣٤ ـ ١٣٦).

٦٦ ـ «بلوغ الأمنية في الخانقاه الركنية»: نسبه إليه صاحب كشف الظنون.

٦٧ ـ «بهجة الناظر ونزهة الخاطر»: (جمع فيه ما قيل في مصر ونيلها ومتنزهاتها) من مخطوط دار الكتب المصرية ٣٢ مجاميع.

٦٨ ـ «تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء» وهي قصيدة رائية نظم فيها أسماء الخلفاء وسني وفاتهم، ومنها نسخة بدار الكتب في القاهرة ضمن مجموع يضم «بلبل الروضة» أيضاً. وطبعت ضمن «تاريخ الخلفاء» للسيوطي.

٦٩ ـ «تحفة الكرام بأخبار الأهرام» ومنه مخطوط بجامعة ييل في نيوهافن بالولايات

---

(١) كشف الظنون ج١ ص٢٢٩.

المتحدة وفي برلين ٦١١٢ ودار الكتب بمصر ٧٤٢ مجاميع والأحمدية بتونس/٦١٨٢ وجامعة كمبردج ١/٢٢٧، وخزانة الجليلي بالموصل ٥/٢١ ج ١ ج ٤.

٧٠ ــ «تحفة المذاكر المنتخب من تاريخ ابن عساكر»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة». ومنه مخطوط في برلين ٥/٩٧٨٨.

٧١ ــ «تحفة المهتدين بأسماء المجددين»: وهي أرجوزة في ٢٧ بيتاً منها مخطوط دار الكتب بمصر ضمن مجموع، وقد أكملها الجرجاوي المراغي في مخطوط بدار الكتب أيضاً بخط مؤلفه.

٧٢ ــ «التحفة الظريفة في السيرة الشريفة»: نسبها إليه البغدادي في «هدية العارفين».

٧٣ ــ «المنهاج السوي في ترجمة النووي» (الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف محيي الدين المتوفى (سنة ٦٧٦) وقد نشرت في مصر بتحقيق محمد عيد الخطراوي. ومنها نسخة مخطوطة في مكتبة توبنغن في ألمانيا برقم ١٩ VI في ٢٣ ورقة ونسخة أخرى في التيمورية وثالثة في الأسكوريال.

٧٤ ــ «ترجمة البلقيني» (الإمام قاضي القضاة صالح بن عمر الشافعي المتوفى سنة ٨٦٨): ذكره في حسن المحاضرة.

٧٥ ــ «تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي»: ومنه مخطوط في رواق الأتراك بالأزهر رقم ٣٦٩٨ وآخر في دار الكتب في مصر.

٧٦ ــ «الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة»: ومنه مخطوط ضمن مجموع في دار الكتب بمصر.

٧٧ ــ «حاطب ليل وجارف سيل في معجم الشيوخ»: (وقد ذكرنا برقم ١٢ معجماً آخر) ومنه مخطوط عارف حكمت بالمدينة رقم ٢٤٢ تاريخ وعدد صفحاته ٧٢.

٧٨ ــ «الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة»: منه مخطوط في دار الكتب بمصر وآخر في الخزانة العامة بالرباط (مجموع ١٠٢٧) وثالث في برلين ٣/٩٧٥٦ وفي الظاهرية ١١٣٤ حديث عام ٧٦٦٤ في شستربتي رقم ٥١١٢ وفي بلدية الإسكندرية ٣٧٣٥ح وله طبعة في الهند.

٧٩ ــ «حلية الأولياء في طبقاتهم» (أو طبقات الأولياء): نسبه لنفسه في تاريخ الخلفاء.

٨٠ ــ «الدراري في أولاد السراري (أو النجوم الدراري)»: ويدافع فيه عن جدته الشركسية. ومنه مخطوط في دار الكتب بمصر وآخر في برلين.

٨١ ــ «شد الرحال في ضبط الرجال»: نسبه إليه صاحب كشف الظنون.

٨٢ ــ «شد المطية للفضل بن غياث وعطية»: نسبه إليه صاحب الكشف.

٨٣ ـ «شرح الإضافة في منصب الخلافة»: نسبه إليه صاحب الكشف.

٨٤ ـ «العرف الوردي في أخبار المهدي»: وهو مخطوط في دار الكتب بمصر ٣٢ مجاميع ومطبوع ضمن الحاوي للفتاوي.

٨٥ ـ «عين الإصابة في مختصر أسد الغابة» (ولعله عين الإصابة في معرفة الصحابة نفسه).

٨٦ ـ «الفاشوش في أحكام قراقوش»: ومنه مخطوطان بدار الكتب المصرية كتب أحدهما سنة ١٠٧٧ ضمن مجموع ١٩٤ ومجموع ٤١٦. وفي برلين ٨٤١١ وفي شستربتي ٥٤٩١ وقد طبع في مصر سنة ١٣١١.

٨٧ ـ «القول المشيد في وقف المؤيد»: طبع ضمن كتاب الحاوي للفتاوي.

٨٨ ـ «الكاوي في تاريخ السخاوي»: (وهي إحدى مقاماته).

٨٩ ـ «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»: منه مخطوط بالتيمورية في مصر وآخر في المكتبة الأهلية في باريس (رقم ٤٦٥٩) وثالث في برلين. ورابع في غوطا وخامس في المتحف البريطاني وسادس في كمبردج وثمة نسخة سابعة في الخزانة العامة بالرباط. ترجمه شبرانجر إلى الإنكليزية باختصار سنة ١٨٤٣ ثم طبع في لاهور سنة ١٨٩٠ وترجمه إلى الإنكليزية أيضاً أمبراسي سنة ١٩٦١ وحققه وطبعه في المغرب أخيراً عبد اللطيف السفداني.

٩٠ ـ «كشف النقاب عن الألقاب»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة».

٩١ ـ «اللمع في أسماء من وضع»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة».

٩٢ ـ «مختصر الأحكام السلطانية» للماوردي. نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة».

٩٣ ـ «المضبوط في أخبار أسيوط»: ومنه مخطوط في برلين رقم ٥٧/٩٨٤٥.

٩٤ ـ «المكنون في ترجمة ذي النون»: ذكره صاحب كشف الظنون. ومنه مخطوط تشستربتي ٤٨٦٥.

٩٥ ـ «الملتقط من الدرر الكامنة»: منه مخطوط عارف حكمت بالمدينة رقم ٢١٧ تاريخ وعدد صفحاته ٢٧٢ في نسخة جيدة.

٩٦ ـ «مسألة أولاد علي بن أبي طالب»: وهي مقالة في ثلاث ورقات مخطوطة برواق الأتراك بالأزهر رقم ٣٦٩٨.

٩٧ ـ «المنى في الكنى»: وهو تلخيص المرصع لابن الأثير. ومنه مخطوط برلين ٧٠١٨.

٩٨ ـ «نثر الهميان في وفيات الأعيان»: منه مخطوط في برلين رقم ٤١/٩٩١٣.

٩٩ ـ «النفحة المسكية والتحفة المكية»: ومنه مخطوط الأوقاف بالموصل مجاميع ١٩/٢٣ والظاهرية ٤٢٥٥ وفي الأسكوريال ومكتبة فيينا.

١٠٠ ـ «الوجيز في طبقات الشافعية»: منه مخطوط في ليدن رقم ٢٦٣٩.

١٠١ ـ «الأخبار المستفادة في من ولي مكة من آل قتادة»: نسبه إليه صاحب كشف الظنون.

١٠٢ ـ «الهيئة السنية في المئة السنية في الأخبار»: ومنها نسخ جامعة كمبردج ١٢٤٣/١، برلين ٥٦٩٧، الظاهرية ١١٦٥ حديث مجموع ١٢٦ عام ٦٦١٩ وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وتشستربتي ٤٢٠٥، ٥٤٩١ وفي خزانة الرباط مجموع ١٠٠١ ويشير آغا باستامبول مجموع ٦٥٥.

١٠٣ ـ «الذيل على المغني في الضعفاء»: والكتاب الأصلي للذهبي.

١٠٤ ـ «شرح تنوير الغبش في فضل السودان والحبش لابن الجوزي»: ومنه مخطوط في باريس.

١٠٥ ـ «ديوان الحيوان خلاصة حياة الحيوان للدميري»: ومنها مخطوط في باريس وآخر في المكتب الهندي.

١٠٦ ـ «الدراري في أبناء السراري»: وفيه أسماء الخلفاء المولدين من الجواري والمخطوطة في برلين وفي دار الكتب بمصر في بضع ورقات.

١٠٧ ـ «تحذير الخواص من أكاذيب القصاص»: مخطوط عارف حكمت بالمدينة (وهو الثالث ضمن مجموع رقمه ١٢٠ قديم/١٨٨ جديد من ورقة ١٥٢ إلى ١٩٣) وعلى النسخة تعاليق.

١٠٨ ـ «قصيدة لامية في من ولي الخلافة والملك منذ كانت الخلافة إلى زمن الأشرف برسباي»: منها مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٤٧٦٥.

١٠٩ ـ «تاريخ الصحابة»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة».

١١٠ ـ «عين الإصابة في معرفة الصحابة»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة». وذكر في «كشف الظنون» أنه يُتمّه.

١١١ ـ «رفع شأن الحبشان»: ومنه مخطوط في الخزانة التيمورية وآخر في الأسكوريال وفي كوبريللي باستامبول رقم ٤٥٨ وفي فورشوتلي هناك أيضاً برقم ١٤٣/٤.

١١٢ ـ «ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين»: ومنه مخطوط في الأسكوريال وآخر في الخزانة العامة في الرباط. وفي شستربتي رقم ٥١١٢، ٥٤٩١ ودار الكتب المصرية ٥٢١ مجاميع ٥٣٠ مجاميع.

١١٣ ـ «من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة»: منه مخطوطة ضمن مجموع في الخزانة العامة بالرباط.

١١٤ ـ «الأقوال المتبعة في مناقب الأئمة الأربعة»: ومنه مخطوط الخزانة العامة بالرباط.

١١٥ ـ «تحفة النابه بتلخيص المتشابه»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة».

١١٦ ـ «طبقات الكتاب»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة».

١١٧ ـ «حسن التخليص لتالي التلخيص»: وهو ذيل على التالي والأصل كتاب «تلخيص المتشابه» للخطيب البغدادي.

١١٨ ـ «تاريخ العمر» نسبه السيوطي لنفسه في «حسن المحاضرة» وهو ذيل على «إنباء الغمر» لابن حجر.

١١٩ ـ «ذيل (حياة) الحيوان للدميري»: فرغ منه السيوطي سنة ٩٠١.

١٢٠ ـ «الزبرجد في التاريخ»: نسبه إليه حاجي خليفة في كشف الظنون.

١٢١ ـ «سبل الهدى في السير»: نسبه إليه حاجي خليفة في الكشف.

١٢٢ ـ «تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك»: ومنه مخطوط في التيمورية وآخر في الأسكوريال. وقد طبع في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٥ هـ.

١٢٣ ـ «نسب البوصيري»: ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب بمصر.

١٢٤ ـ «العجائب في تفضيل المشارق على المغارب»: نسبه إليه حاجي خليفة في «كشف الظنون» ومنه مخطوط برلين ٦٠٥٨/٤.

١٢٥ ـ «فضائل الشام»: ومنه مخطوط في مكتبة جامعة برنستون في الولايات المتحدة.

١٢٦ ـ «حسن النية في الخانقاه البيبرسية»: نسبه إليه حاجي خليفة في الكشف.

١٢٧ ـ «المزدهى في روضة المشتهى»: نسبه إليه حاجي خليفة (ولعله تاريخه للروضة الجزيرة في النيل).

١٢٨ ـ «طبقات الكتاب»: ومنه مخطوط برلين ١٠٠٦٣/٣١.

١٢٩ ـ «طبقات النحاة الكبرى»: ومنه مخطوط في مكتبة رئيس الكتاب باستامبول رقم ١١٦١.

١٣٠ ـ «فريدة التبيان ونزهة الحفاظ والإخوان»: وقد طبع في مصر سنة ١٣٢٢ ونسخته في دار الكتب رقم ٢١٣٦.

١٣١ ـ «الدرُّ الثمين في أسماء المصنفين»: ومنه مخطوط برلين ٣٠/٤.

١٣٢ ـ «الأخبار المروية في سبب وضع العربية»: ومنه مخطوطتان ضمن مجموعين في الخزانة العامة بالرباط. وهو مطبوع ضمن مجموعة «التحفة البهية والطرفة الشهية» الصادرة عن مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢هـ.

١٣٣ ـ «دقائق الأخبار المروية في سبب وضع العربية» (ولعله المؤلف السابق).

١٣٤ ـ «نثر الهميان في وفيات الأعيان»: ذكره السيوطي في فهرست مؤلفاته في التاريخ. ذكر ذلك صاحب الكشف.

١٣٥ ـ «ورقات الوفيات»: ذكره السيوطي في فهرست مؤلفاته في التاريخ.

١٣٦ ـ «تحفة العجلان في فضل عثمان»: وهو أربعون حديثاً في فضل عثمان ومناقبه ومزاياه، منه مخطوط التيمورية ومخطوط أوقاف بغداد.

١٣٧ ـ «ساجعة الحرم»: ومنه مخطوط الخزانة في الرباط (مجموع ١٠٢٧) ودار الكتب في مصر ٣٦٠ وبرلين ٨٥٦١.

١٣٨ ـ «الدرر في فضل عمر»: وهو أربعون حديثاً في فضله ومزاياه، منه مخطوط في الخزانة التيمورية بمصر.

١٣٩ ـ «الروض الأنيق في فضل الصديق»: نسبه لنفسه في «حسن المحاضرة».

١٤٠ ـ «القول الجلي في فضل علي»: وهو أربعون حديثاً في مناقبه، منه مخطوط في التيمورية بمصر.

١٤١ ـ «مقامات السيوطي»: وهي ٣٧ مقامة بعضها يطل على التاريخ كالكاوي في تاريخ السخاوي. ومنها مخطوطات في مكتبات عديدة عامة وخاصة. وقد طبع بعضها مفرداً وطبعت منها مجموعات غير كاملة في مصر والهند وتركيا[1].

وقد كتب أيضاً:

١٤٢ ـ «طبقات المفسرين» ولم يُتمّه على ما ذكر صاحب «كشف الظنون».

١٤٣ ـ «بذل المجهود في خزانة محمود». وقد نشره فؤاد في مجلة معهد المخطوطات (مجلد ٤ سنة ١٩٥٨ ص ١٣٤).

٩ ـ ابن إياس

أبو البركات زين الدين (أو شهاب الدين) محمد بن أحمد بن إياس الجركسي الأصل الناصري القاهري: ولد في القاهرة سنة ٨٥٢هـ./١٤٤٨م وتوفي بها سنة ٩٣٠هـ./١٥٢٣م. مؤخر عصر الانهيار المملوكي والسنوات الأولى من الحكم العثماني. وهو سليل أسرة من القواد الشراكسة الأمراء (كانوا قديماً من أجناد الحلقة) ثم صاروا من «أولاد الناس»[2]. ولا نجد أي ترجمة وافية لابن إياس لدى المعاصرين له، ولعلهم لم

---

(١) نجد ترجمة السيوطي في مصادر ومراجع عديدة أهمها ما كتبه عن نفسه في «حسن المحاضرة» (ج١ ص٣٣٥ ـ ٣٤٤) وفي «شذرات الذهب» (ج٨ ص٥١ ـ ٥٥) ولدى الغزي (في الكواكب السائرة ج١ ص٢٢٦) كما نجدها في عدد من المراجع وبخاصة في مقدمات كتبه التي نشرت ولدى محمد عبد الله عنان (مؤرخو مصر الإسلامية ص١٤٢ ـ ١٥١) ولدى جرجي زيدان (آداب اللغة العربية ج٤ ص٢٣٩ ـ ٢٤٥) وفي غيرها، وفي مكتبة الجلال السيوطي لأحمد الشرقاوي إقبال، ودليل مؤلفات السيوطي للخازندار والشيباني.

(٢) أولاد الناس: اصطلاح مملوكي جرى على الألسن للدلالة على أبناء المماليك وأحفادهم ممن ليسوا من الجند ولكن من الموسرين بما ورثوا، ومن طبقة خاصة بما تميزوا به عن الآخرين من أبناء الشعب العادي.

يكونوا يعيرونه أي اهتمام. كما أن الأدب التاريخي كان قد أدركه الانحطاط فلم يكن لما كتب ابن إياس أي رونق أدبي، ولم تحظ كتابته الشبيهة بالعامية بأي تقدير. ومعلوماتنا عن أسرته وعنه إنما نأخذها من ثنايا كتبه نفسها والإشارات التي فيها. ومنها أن لابن إياس خمسة وعشرين أخاً لم يبق منهم سوى ثلاثة: هو وأخوه وأخته. وكان أخوه يشغل وظيفة الزردكاش (خازن الأسلحة). وقد نشأ ابن إياس بهذا الشكل في أسرة ذات يسار. ودرس على اثنين من كبار علماء عصره: السيوطي وعبد الباسط بن خليل الحنفي المؤرخ والفقيه (توفي سنة ٩٢٠ هـ/١٥١٤م). وقد اتجه إلى التاريخ لأنه كان على ما يبدو المركب الأسهل الخالي من ضرورات الإسناد كالحديث وتعقيدات الفقه، وقسوة اللغة وفهم أسرارها.

وعلى الرغم من أن ابن إياس لم يكن يملك الحس التاريخي المرهف كسابقيه، ولا اللغة الصحيحة اللازمة للكتابة الحسنة المتينة، ولا الثقافة الضرورية للدقة والمتانة، إلا أنه كان المحظوظ الوحيد بين جميع من سبقه في أن جميع كتبه قد حفظت وبقيت. وفي أنه كان الشاهد المعاصر الوحيد على الانقلاب التاريخي الذي جرى بين انهيار المماليك وبين العصر العثماني. ولذلك اعتمده المستشرقون كثيراً وأبرزوا اسمه رغم قلة تراثه التاريخي بالنسبة إلى تراث الآخرين ممن سبقوه، ورغم أسلوبه الضعيف المفكك ولجوئه إلى تكرار النعوت والأوصاف وإلى العامية أحياناً في التعبير بسبب ضعفه الأصيل في البيان واللغة.

كتب ابن إياس خمسة كتب في التاريخ هي:

١ ـ «بدائع الزهور في وقائع الدهور»: ويبدو أنه كان يخطط فيه لعمل تاريخ عام وإسلامي لمصر حتى عهده، فإنا نجده يذكر في خطبته أنه لخصه من نحو سبعة وثلاثين كتاباً وذكر فيه فضائل مصر وأخبارها منذ البدء حتى سنة ٩٢٨. كما نجد أيضاً في المخطوطات المحفوظة منه في متحف الأوقاف باستامبول الأجزاء التالية وهي جميعاً بخط المؤلف:

المخطوط الأول رقم ٢١٤٩: من مبدأ التاريخ حتى ذكر طرف يسيرة من أخبار ملوك العرب في الجاهلية، في ٢٨٢ ورقة.

المخطوط الثاني رقم ٢١٥٠: جزء من أول سيرة النبي إلى أواسط الدولة العبيدية، في ٢١١ ورقة.

المخطوط الثالث رقم ٢١٥١: جزء من أول حوادث سنة ٧٨٩ إلى أول ذكر سلطنة الملك المنصور عز الدين، في ٢٣٨ ورقة.

المخطوط الرابع رقم ٢١٥٢: الجزء السابع من أول ذكر عَوْد الملك الناصر فرج بن برقوق إلى السلطنة الثانية في رجب (سنة ٨٠٢)، في ٢١٢ ورقة.

المخطوط الخامس رقم ٢١٥٣: من أول حوادث سنة ٨٩١ إلى ١٥ محرم سنة ٩١٤، في ٢١٨ ورقة.

المخطوط السادس رقم ٢١٥٤ : الجزء العاشر من أول حوادث سنة ٩١٣ إلى آخر الكتاب، في ٢٣٢ ورقة.

وثمة بخط المؤلف مجلدان في مكتبة فاتح باستامبول:

الجزء الرابع: وينتهي بآخر سنة ٧٤٢ بمكتبة فاتح رقم ٤١٩٧، في ٢٥٤ ورقة.

الجزء الخامس: ويبدأ بذكر سلطنة علاء الدين بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٢ إلى آخر سنة ٧٨٨، في ٢٢١ ورقة برقم ٤٢٠٠.

والعرض التاريخي في الأجزاء الأولى منها سطحي مقتضب، وقد يتبسط أحياناً دون مناسبة، لكنه يظل يتوسع كلما اقترب من عصره دون تعمق، ولكن مع ازدياد في التفاصيل. وينقلب إلى الإسهاب منذ بدء القرن التاسع فإذا كانت أواخر هذا القرن، وهو العصر الذي عاش فيه ابن إياس وشهد حوادثه، ألفيته يجعل من تاريخ نوعاً من السجل اليومي كأنه صحيفة يومية تجمع الحوادث العامة مع الخاصة. وتملأ مجلدين كبيرين أو أكثر. وفي هذا يتميز ابن إياس عن سابقيه من المؤرخين.

وثمة من هذا الكتاب مجلد مخطوط يبدأ بسلطنة الأشرف إينال العلائي (سنة ٧٥٨) وينتهي إلى سنة ٩٠٦ في ٢٩٣ ورقة. وهو مخطوط خدابخش سنة ٢٣١٩. كما أن ثمة المجلد الأخير من نسخة أخرى، مخروم الآخر يبدأ بحوادث سنة ٩٢٢ في عهد السلطان الغوري، وينتهي أثناء حوادث ذي العقدة سنة ٩٢٧ وهو في الآصفية بحيدر آباد رقم ٣٠٨ تاريخ، في ٢٢٤ ورقة.

وكانت مطبعة بولاق قد أصدرت سنة ١٣١١ هـ./١٨٩٤ م طبعة من «بدائع الزهور»، يعالج الجزء الأول منها تاريخ مصر كله حتى (سنة ٨١٥ هـ.) في حين يعالج الجزء الثاني ما بين سنة ٨١٥ وسنة ٩٠٦ أي حتى نهاية حكم العادل طومان باي. وفي الثالث من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨هـ. /١٥١٦ - ١٥٢٢م. أي حتى نهاية حكم المملوكي الأخير الأشرف طومان باي. وسقطت من الطبعة فترة السلطان الغوري (٩٠٦ - ٩٢١هـ. /١٥٠١ - ١٥١٥م.). وظلت هذه الفجوة قائمة حتى تبين بعد ذلك أمران:

الأول - أن ما نشرته بولاق باسم «بدائع الزهور» كان ناقصاً ومشوهاً فكأنه مختصر سيء للكتاب أو موجز له نفسه وضعه ابن إياس نفسه بدليل أنه يشير في هذه الطبعة إلى أن من شاء أن ينظر ما وقع في الديار فلينظر إلى الجزء الخامس من تاريخنا بدائع الزهور. . .

الثاني - أن الفجوة الناقصة موجودة في مخطوطات أخرى في لينينغراد وباريس تمتد ما بين سنة ٨٧٢ وسنة ٩٢٨ هـ. /١٤٦٧ حتى ١٥٢٢ م أي تضم الفترة التي كان ابن إياس فيها شاهد العصر المباشر. وقد نشرت هذه القطعة من البدائع بعناية جمعية المستشرقين الألمان. نشرها باول كاله، الأستاذ بجامعة بون بمعونة محمد مصطفى مدرس العربية هناك، والمستشرق سوبرنهايم في مجلد من ٥٠٠ صفحة كبيرة (استامبول ١٩٣١)، وبيّن

في مقدمة له وبمقارنة النصوص أن هذا المجلد هو الجزء المكمل لطبعة بولاق، وهو يستند إلى مخطوط باريس رقم ١٨٢٤ A ومخطوط لينغراد رقم ٤٦ في المتحف الآسيوي. ويضم الأول ما بين سنتي ٩١٣ - ٩٢١، وهو منقول عن نسخة المؤلف، في حين يضم الثاني ما بين سنتي ٩٢٢ ونهاية الكتاب.

وقد عاد المستشرق كاله وزميلاه فنشروا في استامبول سنة ١٩٣٢ نصاً جديداً لهذا القسم نفسه وصفوه بأنه الجزء الخامس. وفي النص الجديد فروق عديدة عن السابق سواء من حيث الاستيعاب أو المدى أو الترتيب(١). ثم قام العلماء أنفسهم بنشر نص آخر يتضمن تاريخ ما بين سنتي ٨٧٢ - ٩٠٦ أي من السنة التي توقف عندها ابن تغري بردي إلى مطالع القرن التالي (استامبول ١٩٣٦) وسموا هذا الجزء بالجزء الثاني.

ويلاحظ أنه في حين كتبت الأحداث في الجزء الخامس وحتى سنة ٩٢٢ بأسلوب مفكك أشبه بالعامي كتب القسم الأخير بعناية وبلغة مزخرفة، مما دعا المستشرق ك. فولرز K. Vollers إلى التشكك في أن يكون ابن إياس هو كاتب القسم الأخير. ولكن المستشرق سوبرنهايم عزا ذلك إلى امتزاج نصين: أحدهما كتب على أنه صحيفة شخصية، والثاني كتب ليكون النص الرسمي. وهو يتضمن الكثير عن حياة الحكام في القاهرة والبلاط في تلك الأونة مما يعطيه قيمة تاريخية كبيرة. ومن الملاحظ أن موقفه من الفتح التركي العثماني تغير. ففي حين كان يسهب في مظالم الأتراك حين فتحوا مصر ويصف مذابحهم ونهبهم، يعود في أواخر كتابه فيهدىء من لهجته إن لم يكن يمدح السلطان ويشيد به.

٢ — «جواهر السلوك في أخبار الأمم والملوك»: وهو مختصر الكتاب السابق. ومنه مخطوطات عدة في: كمبردج Qq ٧٤ وهي مخرومة الآخر في ٤٢٩ ورقة، وفي دار الكتب المصرية ٦٢٠٣/تاريخ ف ٦٤٨، ومخطوط طوبقابو ٣٠٢٦ A ٦١٦٢ في ١٦٠ ورقة، (في أحمد الثالث)، ومخطوط المتحف البريطاني رقم Or.٦٨٥٤. وفي الأزهر نسخة كتبت سنة ٩١٦، وأخرى في باريس رقم ٦٧٣٩. وفي الكتاب تاريخ عام لمصر منذ الفتح الإسلامي حتى سلطنة الظاهر أبي سعيد قانصوه سنة ٩٠٤) ووفاة المتوكل على الله سنة ٩٠٣، وبلوغ المستمسك بالله (أبي النصر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب).

ومن الجدير بالذكر أنه ثمة كتاباً بالعنوان نفسه مجهول المؤلف في المتحف البريطاني رقم Or. ٦٨٥٤.

٣ — «نشق الأزهار في عجائب الأقطار»: يقول في مطلعه: «. . . لما طالعت كتب تواريخ الأمم الخالية ورأيت ما فيها من العجائب المتوالية فأحببت أن أجمع كتاباً أذكر فيه من أعجب ما سمعته وأغرب ما رأيته قاصداً فيه الاختصار لكي لا يطول التأليف. . .» ولكنه ذكر فيه

---

(١) أعاد محمد مصطفى طبع هذا الجزء منقحاً (سنة ١٩٦٠ - ١٩٦٣).

عجائب مصر وسير ملوكها، وطلاسم البرابي فيها، وأخبار النيل والأهرام، وخطط مصر وما قيل فيها وأقاليمها. . . وله مخطوطات عديدة:

في الرباط تحت رقم ١٢٢ د في ٢٢١ ورقة وفي مكتبة المسجد الأقصى رقم ٥٨٩ عام في ٣٠٠ ورقة تقريباً. وفي المتحف البريطاني رقم Add ٧٥٠٣ في ٢٩٤ ورقة. ومنه في المكتبة الأهلية بباريس أربع نسخ تحمل الأرقام: A ٢٢٠٨ في ٤١٠ ورقات، و٢٢٠٩ في ٣٨٠ ورقة، و٢٢١٠ في ٥٤ ورقة، و٢٢١١ في ٤٨ ورقة. وقد استخدم هذا الكتاب بشكل واسع في القرن التاسع عشر في أوروبا. ومنه في استامبول أربع نسخ، وفي تركيا:

- نسخة مكتبة رئيس الكتاب رقم ١٠١١ كتبت سنة ١٠٢٤ في ٣٣٥ ورقة.
- نسخة مكتبة كوتاهية وحيد باشا رقم ٢٢٣٠ كتبت سنة ١٠٢٤ في ٣١٦ ورقة.
- نسخة نور عثمانية رقم ٣٠٣٩ كتبت سنة ١٠١١ في ٢٤٤ ورقة.
- نسخة حكيم أوغلي رقم ٨١٥ كتبت في القرن العاشر في ٣٩٤ ورقة.

٤ ـ «نزهة الأمم في العجائب والحكم»: وقلما عرفه الباحثون. ومنه نسخة نقلت عن خط المؤلف (سنة ٨٠١)، تليها أوراق في ذكر مدينة الفسطاط، مخطوطة في أياصوفيا رقم ٣٥٠٠، في ٢٨٠ ورقة، ومصور في جامعة القاهرة تحت رقم ٢٢٩٦٣.

٥ ـ «المنتظم في بدء الدنيا وتاريخ الأمم»: في ثلاثة مجلدات كاملة مخطوطة في أحمد الثالث باستامبول تحت رقم ٢٩٠٩، ويشكك بعض المؤرخين في نسبتها إليه لأنه مطابق لكتاب البدء والتاريخ وينتهي مثله سنة ٣٥٥.

٦ ـ وثمة كتاب «مرج الزهور في وقائع الدهور»: وهو تاريخ شعبي للأنبياء والرسل. وقد لا يكون من تأليفه(١).

١٠ ـ ابن أبي السرور البكري

محمد بن محمد بن أبي السرور شمس الدين البكري سليل الأسرة البكرية: ولد سنة ١٠٠٥هـ./١٥٩٦م بالقاهرة وتوفي بها سنة ١٠٦٠هـ./١٦٥٠م. وقد كان آخر أضواء المدرسة المصرية المملوكية وإن عاش في العصر العثماني وأرخ له. ويبدو أنه درس في القاهرة، وكان على صلة بأولياء الحكم العثماني وبالولاة منهم مما سمح له أن يكتب في تاريخ الفتح العثماني لمصر، وفي سير الولاة والقضاة منذ الفتح (سنة ٩٢٣) حتى

---

(١) نجد ترجمة ابن إياس في عدد من المراجع منها الموسوعة الإسلامية (طبعة حديثة ج٣ ص٨٣٥ ـ ٨٣٧ ـ بالفرنسية) ومؤرخو مصر الإسلامية: عنان (ص١٥٢ ـ ١٦٨) ومؤرخو مصر لمصطفى زيادة وآداب اللغة العربية لجرجي زيدان (ج٢ ص٣١٣ ـ ٣١٤) وفهرس معهد المخطوطات ١ ص٤١ و٣ ص٤٢ وص٣٠١.

عصره. وترك بذلك تراثاً تاريخياً هاماً. ومن المؤسف أن هذا التراث كله ما يزال مخطوطاً، مع أنه له مؤلفات متنوعة منها:

١ ـ «كتاب عيون الأخبار ونزهة الأنظار»: وهو مجلد ضخم (أكثر من ٤٠٠ صفحة كبيرة) مرتب على تسعة عشر مقصداً (فصلاً) منذ آدم إلى الدولة الجركسية (المملوكية) على شكل تاريخ عام مخطوط في دار الكتب المصرية رقم٧٣ تاريخ. ويقع في ٤٠٦ صفحات كبيرة.

٢ ـ «المنح الرحمانية في الدولة العثمانية»: وهو تتمة الأول، ولكنه أفرده تاريخاً مستقلاً صغيراً. وهو بدوره من مخطوطات دار الكتب المصرية برقم ١٩٢٦ تاريخ. (ويشغل من النسخة المخطوطة ٩٢ لوحة مزدوجة).

٣ ـ «در الجمان في دولة مولانا السلطان عثمان»: وهو ذيل على المنح الرحمانية وقد سماه أيضاً «اللطائف الربانية على المنح الرحمانية». ومنه مخطوط في سوهاج رقم ١٠٣ تاريخ ومخطوط آخر بدار الكتب بمصر رقم ٨٠ م تاريخ.

٤ ـ «تحفة الظرفاء في ذكر الملوك والخلفاء»: وهو مجلد في عشر مقالات ذكر أنه كتابه المتوسط بين عيون الأخبار والمنح الرحمانية (ويسمى أيضاً تذكرة الظرفاء).

٥ ـ «التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية»: ومنه مخطوط فيينا رقم ٢٨٣ Ar.٩٢٥ A.F.

٦ ـ «الكواكب السائرة في أخبار مصر القاهرة»: ومنه مخطوط المتحف البريطاني رقم Add ٩٩٧٣.

٧ ـ «النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية»: ومنه مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٢٦٦ تاريخ يحوي ١٠٩ لوحات مزدوجة. وثمة في مكتبة غوطا نسخة أخرى وثالثة في جامعة اكسفورد (البودليان).

٨ ـ «تفريج الكربة لدفع الطلبة»: وهو مختصر في تاريخ مصر ذكر أنه ألفه في وقعة محمد باشا والي مصر مع عسكر مصر لدفع هذه البدعة (سنة ١٠١٧). وقال معنى الطلبة (هو مطلب يفرضه الجند على ناحية ما دون وجه حق). فرفعه الباشا عن الناس.

٩ ـ «درر الأثمان في أصل منبع آل عثمان».

١٠ ـ «الروضة المأنوسة في تاريخ مصر المحروسة»: مرتب على ثلاثة أبواب: باب لفضائل مصر، وآخر لمن وليها من البكلربكية (ولاة آل عثمان)، وثالث لمن وليها من قضاة العسكر. ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية في ٥٣ لوحة مزدوجة برقم ١٩٢٦ تاريخ.

١١ ـ «قطف الأزهار من الخطط والآثار»: وهو مختصر الخطط للمقريزي، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب في مصر برقم ٤٥٧ جغرافية، وهي مجلد متوسط في نحو ٣٠٠ صفحة. وثمة نسخ منه أخرى في باريس ولينتغراد[١].

---

(١) نجد ترجمة البكري لدى المحبي في «خلاصة الأثر» ولدى ابن حمزة الحسيني في «الجواهر والدرر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر»، وثمة تحليل واسع لمخطوطاته كتبه محمد عبد الله عنان في كتابه «مؤرخو مصر الإسلامية»، ومحمد أنيس في كتابه «مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني» وفي دائرة المعارف الإسلامية (مادة البكري) وفي بروكلمان ج٢ ص٣٨٣.

المدرسة المصرية - ٢
المؤرخون الثانويون

عدد من ساهموا في علم التاريخ في مصر ما بين أواسط القرن السابع الهجري وأواخر القرن العاشر الهجري (أواسط القرن الثالث عشر حتى أواخر القرن السادس عشر) يزيد على ٢٩٥ عالماً، ندر فيهم من انصرف إلى التاريخ وحده، ولكن هذا العلم كان يأتي على هامش معارفهم الأخرى، ويدخل عليهم أو يدخلون إليه من باب الحديث والمرويات الدينية. ولقد فرط منهم ثلاثة وعشرون في الفصل السابق سميناهم بالمؤرخين الكبار، لعظيم مساهمتهم في هذا العلم، ولكثرة ما كتبوا فيه حتى كاد يصبح علمهم الأول، وإن كان العلم الأول هو الحديث النبوي دوماً.

ونأتي الآن على من نسميهم بالمؤرخين الثانويين، لا لعدم شأنهم فلكلٍّ، مهما صغر، عطاؤه وشأنه، والتاريخ وجهات نظر وتراكم معارف في ذلك الوقت، وإنما لأنهم لم ينتجوا بقدر الأوائل ولم يتركوا في التراث التاريخي الأثر الذي تركه المؤرخون الكبار. فقد قدم هؤلاء الثلاثة والعشرون وحدهم من المؤلفات التاريخية والتي تطوف حولها ما يزيد على ٤٥٦ كتاباً بعضها في مجلد أو اثنين وبعض في عشرين أو ثلاثين مجلداً، في حين أن مجموع إنتاج الباقين لا يزيد على ٣٢٥ كتاباً، وندر منها ما وصل إلى مجلدين عدا أربعة أو خمسة وصل بعضها إلى عشر مجلدات. يضاف إلى هذا التفاوت الكمّي تفاوت نوعيّ في المادة، فمعظم الأولين كتبوا في صميم المادة التاريخية، في حين أن معظم الثانويين كتبوا على هامشها. وثمة تباين ثالث هو أن معظم تراث الثانويين قد فقد في حين أن جانباً حسناً من كتب الأولين قد بقي. على أن الجميع أسهموا في إضاءة تاريخ مصر وفي حمل علم التاريخ.

وتدل كثرة المؤرخين سواء منهم الكبار أم الثانويون أم من هم أقل إسهاماً، على أن هذا العلم صار واسع الانتشار بين الدارسين والمثقفين، وعلى أنهم كانوا يعوضون بدراسته في ذواتهم عن الأخطار الخارجية التي تعرضوا لها والانقسامات في الصف الإسلامي كما أنهم كانوا يحاولون تصعيد تصوراتهم المثالية للعهود الأولى للإسلام، ويزيدون من قدسيتها

لمقارنتها بأوضاعهم الحالية المتردية، وبخاصة في الناحية الدينية بعد أن أصبحت مناصب وشكليات.

وهؤلاء المؤرخون الثانويون على درجات من فهم التاريخ والإنتاج في إطاره، لذلك سوف نكتفي باختيار أبرزهم وهم يقاربون نصف العدد، أي حوالى المائة والستين تاركين الباقي لمعجم طبقات المؤرخين الذي سنصدره بعد هذا الكتاب.

١ ـ الشهاب القوصي: أبو المحامد (أو أبو العرب) إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن القوصي الخزرجي وينتمي إلى الصحابي عبادة بن الصامت ـ ولد في قوص سنة ٥٧٤ هـ. /١١٧٨م وتوفي بالقاهرة سنة ٦٥٣ هـ. /١٢٥٤ م. وكان رحل إليها (سنة ٥٩٠) ثم قدم دمشق في السنة التالية واستوطنها بعد أن كان قد طوّف في بلاد عديدة طلباً للعلم. وكان أديباً إخبارياً فصيحاً مفوّهاً بصيراً بالفقه. ولي وكالة بيت المال، وتقدم عند الملوك الأيوبيين، وله حلقة تدريس بجامع دمشق إلى طيلسان محنك وبزة جميلة. جمع لنفسه معجم شيوخ سماه:

ـ «تاج المجامع والمعاجم وسراج الأعارب والأعاجم».
كتبه في مجلدات أربعة وشيوخه فيه يقاربون ألف شيخ(١).

٢ ـ الجزار: جمال الدين أبو الحسن بن عبد العظيم بن يحيى الجزار الأنصاري. ولد سنة ٦٠١ هـ. /١٢٠٤ م في القاهرة، وتوفي فيها سنة ٦٦٩ هـ. /١٢٧٠ م (أو سنة ٦٧٩)(٢). كان جزاراً، ولكنه درس الشعر والأدب هواية ثم استرزق بالمديح وشاع شعره في البلاد لرقته وتناقله الرواة. «وكان كثير التبذير لا تكاد خلته تنسد كما كان مسرفاً على نفسه سامحه الله تعالى» كما يقول ابن الحنبلي. وكان بينه وبين بعض الشعراء كالسراج الوراق مداعبات إخوانية. وقد أغرم الجزار ـ فيما يبدو ـ بجانب الشعر في التاريخ أيضاً فجمع بينهما وعلى هذا كتب:

ـ «العقود الدرية في الأمراء المصرية»: وهي أرجوزة تاريخية تضم ملوك مصر حتى عهد الملك الظاهر بيبرس المتوفى سنة ٦٧٦ هـ. /١٢٧٧ م. أو ابنه الملك السعيد الذي عزل سنة ٦٧٨ هـ. / ١٢٧٩ م.

وقد شرح هذه الأرجوزة العديدون من بعده وجعلوها متناً لعدد من كتب التاريخ.

ـ «فوائد الموائد»: وهو حول آداب السلوك الاجتماعي في الطعام. ولهذ الكتاب مخطوطات عديدة منها مخطوط باريس رقم ١٦٠٨ (باريس أول ٤٥٩٦) والمتحف البريطاني

---

(١) نجد ترجمته لدى ابن العديم (بغية الطلب مخطوط استامبول ج٣ ورقة ٧١ وجه) وفي الشذرات (ج٥ ص٢٦٠).

(٢) ابن الحنبلي: شذرات ج٥ ص٣٦٤.

Or. ٦٣٨٨ (المتحف ثالث ٦٢) والبودليانا ١/ ٤٣٠ والفاتيكان ثالث ٣٥٦ وبطرسبورغ (ليننغراد) Dorn ١٢٩ وأياصوفيا ٢٠٤٢٩٦ ومخطوط باريس موجود ضمن مجموع فيه تتمة الأرجوزة للسيوطي وفي قبل ذلك تاج المعارف لابن أبي السعادات السلمي.

ـ وينسب إليه رسالة «الوسيلة إلى الحبيبين في وصف الطيبات والطيب» التي تنسب لابن العديم[1].

٣ ـ **القوصي**: محمد بن أفضل الدين القدسي المخزومي القوصي. ويظن أنه من رجال أواسط القرن السابع. كتب:

ـ «المقال المخصوص في مدح مدينة قوص».

وقد اعتمد على هذا الكتاب من بعده كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي (المتوفى سنة ٧٤٨) فكتب كتابه: «الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد».

وثمة من «المقال المخصوص» نسخة في مكتبة غوطا[2].

٤ ـ **الإسكندراني**: وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سليم بن فتوح الإسكندراني ويعرف بابن العمادية الحافظ الهمداني. ولد سنة ٦٠٧ هـ./ ١٢١٠م وتوفي سنة ٦٧٣ هـ./ ١٢٧٥م. وهو محدث حافظ. رحل وسمع الكثير من أصحاب السلفي في الشام والعراق. وخرَّج وعني بالحديث والرجال والتاريخ والفقه وغير ذلك. عين لتدريس المدرسة السلفية ومحتسباً لثغر الإسكندرية فترة طويلة. وكان ديِّناً كثير المروءة محسناً إلى الرحالة ولم يخلف ببلده مثله. كتب عنه الدمياطي والشريف عز الدين.

ـ خرَّج تاريخاً للإسكندرية ذكره السخاوي وفيه قصص عن الإسكندر في مجلدين أو ثلاثة أو أربعة حسب ما ذكر الباحثون ومنه مخطوط أياصوفيا رقم ٣٠٠٣ و٣٠٠٤ وتسميه المراجع: «الدرة السنية في أخبار الإسكندرية».

ـ «معجم الشيوخ»: ترجم فيه لشيوخه ذكره صاحب الشذرات[3].

ـ «ذيل تكملة الإكمال» (وهو ذيل في التراجم على كتاب محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن نقطة البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ هـ./ ١٢٣١م) ومنه مخطوط دار الكتب في القاهرة، الأول رقم ١/ ٢٣٩ والثاني رقم ١/ ٦٩[4] عدا مخطوطات اخرى.

---

(١) ترجمته موجودة في الشذرات ج٥ ص٣٦٤ ـ ٣٦٥ ولدى ابن خلكان (وفيات) ولدى بروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص٩٠.

(٢) جرجي زيدان: آداب اللغة العربية ج٣ ص١٧٠.

(٣) ابن الحنبلي: شذرات ج٥ ص٣٤١.

(٤) ترجمته في الشذرات ج٥ ص٣٤١ وفي المنتخب المختار للسلمي ص٢٢٩ ـ ٢٣١ ولدى السبكي: طبقات ج٥ ص١٥٧ وطبقات الذهبي ج٤ ص٢٩٤ (ط. أولى و٢٤٨ طبعة ثانية) وبروكلمان (الترجمة العربية ج٦

ـ ذيل على كتاب مشتبه الأسماء والنسب ومنه نسخة دار الكتب المصرية رقم ٨١ مصطلح الحديث.

٥ ـ الشريف الغلوي: جعفر بن محمد بن عبد العزيز الإدريسي (ولد بالقاهرة سنة ٦١٠ وتوفي بها سنة ٦٧٦) وكان نسّابة الأشراف بمصر، ووالده محمد هو صاحب «المفيد في أخبار الصعيد» (ولد سنة ٥٦٨ وتوفي سنة ٦٤٩) على أن الابن الذي نشأ في القاهرة صنّف:

ـ تاريخاً للقاهرة[1].

٦ ـ اليافعي: حسن بن إبراهيم بن محمد (توفي بعد سنة ٦٧٨) وقد وضع:

ـ «جامع إلتواريخ المصرية في ذكر الملوك والخلفاء والسلاطين الإسلامية».

جمعه للمنصور قلاوون الصالحي الألفي مبتدئاً بحوادث سنة ٦٢١ وانتهى إلى (سنة ٦٧٨) سنة وفاته. ورتبه على الحوادث والوفيات. ومنه نسخة خزائنية كتبت للسلطان قلاوون نفسه محفوظة في المكتبة الأهلية في باريس تحت رقم ١٥٤٣ A، في ٢٣٥ ورقة.

٧ ـ ابن الراهب: أبو شكر بطرس بن الراهب أبو كرم المهذب. رسم شماساً قبطياً بالفسطاط سنة ٦٦٩ وبقي كذلك حتى توفي سنة ٦٨١ هـ. /١٢٨٢ م. كتب تاريخاً عاماً يبدأ بآدم وقضاة بني إسرائيل حتى السيد المسيح، ثم سير البطاركة الأقباط من مرقص إلى أثناسيوس بطريق الإسكندرية ثم تاريخ الخلفاء الراشدين والإسلام حتى أيامه (سنة ٦٥٧) وذلك على اختصار شديد. وقد رتبه على جداول في الأول اسم المترجم وأصله ونسبه ومولده وصفاته، وفي الثاني عدد سني حكمه، وفي الثالث جملة ما تقدم من السنين. وأضاف في أخبار المسلمين جدولاً رابعاً للسنين الهجرية والميلادية. وقد عني المستشرقون بهذ الكتاب وترجموه إلى اللاتينية مبكرين ونشر في باريس سنة ١٦٥١. نشره إبراهيم الحاقلاني الماروني ثم أعاد طبعه يوسف السمعاني وألحقه بترجمة ثانية (البندقية ١٧٢٩). وأما النص العربي فعني بطبعه الأب لويس شيخو عن نسخة الفاتيكان في جزءين مع التنقيح والتعليق والفهارس. تم أعيد طبعه مصوراً في Louvain بفرنسا (سنة ١٩٦٢).

٨ ـ ابن القرطبي: كمال الدين محمد بن ضياء الدين أحمد ابن القرطبي. توفي سنة ٦٩٣ هـ. /١٢٩٤ م. وهو مؤرخ من أهل قنا في صعيد مصر. نشأ فيها وتوفي فيها وقد كتب:

ـ كتاباً في التاريخ من عدة مجلدات.

ـ ص٨٩/و١٧٧ وفي إكمال الإكمال لابن الصابوني ص١٩٨ وص٤٦١. وفي هدية العارفين (٢/٤٧٤: وفي ابن الفوطي (تلخيص معجم الألقاب، ج٤

(١) السيوطي ـ حسن المحاضرة ج١ ص٥٥١ وكحالة: معجم المؤلفين ١٤٧/٣.

ذكره الادفوي صاحب «الطالع السعيد» (ص٢٦٧) ومبارك في «الخطط التوفيقية» (١٢٤/١٤). والصفدي في «الوافي» (ج٢ ص١٣٩). وقد أخذ عنه أبو حيان الأندلسي.

٩ ـ الديريني الدميري: عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدهري الشافعي، الشهير بالديريني (توفي بمصر سنة ٦٩٤ هـ./١٢٩٥ م). وقد صنّف:

ـ «البهجة الصغرى في مناقب الشيخ الرباني عبد القادر الجيلاني». ومنه مخطوط في الظاهرية بدمشق رقم ٧٤٩٩، في ١٤٦ ورقة.

ـ «الشجرة في سيرة النبي وأصحابه العشرة».

وهي أرجوزة في ثلاثة آلاف بيت نظمها المؤلف (سنة ٦٧٥) ومنها مخطوط الظاهرية رقم ٥٨٨٣، في ٣٥ ورقة.

١٠ ـ الحسيني: عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشريف الحسيني الحلبي ثم المصري. تلميذ المنذري (المتوفى سنة ٦٩٤) وكان نقيب الأشراف في مصر. وقد كتب:

ـ «صلة التكملة» (وهو ذيل على التكملة لوفيات النقلة لأستاذه المنذري) بدأها حيث وقف أستاذه من سنة ٦٤١ وانتهى بها إلى سنة ٦٧٤ ولعله أكملها حتى موته حسب قول الصفدي (٤٤/٨).

والموجود منه جزء ينتهي سنة ٦٥٩ وهو مخطوط بخط المؤلف في مكتبة كوبريللي باستامبول رقم ١١٠١، في ٢١١ ورقة. ذكره حاجي خليفة في «سلم الوصول» (مخطوط استامبول ـ الورقة ١٣٠). نقل عنه المؤلفون من بعده كثيراً كالأدفوي خاصة في «الطالع السعيد» (ص٦٢، ١٤٧، ١٥٥، ٢٠٩، ٢٥٤، ٢٩٣ ...) والذهبي في عدد من كتبه وابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة، (وقد استخرج جميع الحنابلة منه) وابن رافع السلامي في ذيل تاريخ بغداد. وقد ذيّل على هذا الذيل الشهاب الدمياطي.

١١ ـ مجهول من بطالع القرن الثامن كتب:

ـ «المختار من وفيات الأعيان».

منه مخطوط سليمية رقم ٤٨٠ في استامبول وقد كتبه (ولم يذكر صاحبه) أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن سيدهم اللخمي في الإسكندرية. فرغ منه في محرم سنة ٧٣١، وهو يأخذ من المخطوط ما بين الورقة ١ إلى الورقة ١٨٦ ظهر. ويقول إنه كتبه بتمامه وكماله لم يختصر منه سوى الأشعار وبعض الحكايات والأخبار. وقد أضاف إليه:

ـ حوادث التاريخ ما بين سنتي ٦٤٨ هـ./١٢٥٠ م إلى ٧٠٢ هـ./١٣٠٣م باختصار، وتشمل الحوادث بقية المخطوط نفسه من ورقة ١٨٧ إلى الورقة ٢١٦ ظهر.

١٢ ـ مؤلف مجهول والأرجح أنه مصري من أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي كتب:

ـ «مختصر النوادر مما جرى للأوائل والأواخر».

ذكر فيه الأنبياء ثم الخلفاء سنة سنة ثم السلاطين وبعض الوزراء والفقهاء وأهل الأدب وغيرهم إلى سيرة السلطان قلاوون. ثم ذكر الترك والعجم والنوبة وبلاد الفرنج ومصر والسواحل وأعمالها.

ومنه مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٠١ تاريخ مصور عن مخطوط أياصوفيا رقم ٩٩ في ٢١٩ ورقة، وقد سجل عليه أنه كتبَ برسم المجلس الصلاحي. ولعله كتب للأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون (٦٨٩ - ٦٩٣).

١٣ ـ البلدي · تقي الدين أبو الحسن علي بن أبي العلاء بن أبي غالب البلدي، من رجال مطالع القرن الثامن، تلميذ ابن الخباز شمس الدين أحمد بن الحسن. له كتاب:

ـ «الجوهر المنتخب في أخبار أهل العلم والأدب».

نقل عنه ابن الفرات كثيراً ومن ذلك ترجمة ابن الخشاب أحمد بن أحمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٦٧ (المجلد ٤/١ ص١٩٢ - ١٩٤) ونقل عنه في المجلد ٤/٢ ص٢١٠ بعض ترجمة ابن الجوزي، وفي المجلد ٥/١ ص٣٥ وفي صفحة ١٤٧ يذكر أنه تلميذ ابن الخباز كما ينقل عنه في ص١٨٧ من المجلد ذاته ترجمة المبارك بن المبارك البغدادي المتوفى سنة ٦١٢ وغير ذلك كثير. كما نقل عنه ابن الفوطي في معجم الألقاب ج٤ قسم١ ص٥١٩[1].

١٤ ـ الأنصاري : محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي الفوارس عبد العزيز الأنصاري الخزرجي من رجال أواخر القرن السابع وأوائل الثامن للهجرة. له:

ـ «تاريخ دولة الأكراد والأتراك» (دولة الأيوبيين والمماليك).

بقي جزء منه يبتدىء سنة ٥٧١ هـ./١١٧٥ م وينتهي بآخر سنة ٦٥٥ هـ./١٢٥٧ م وهو مخطوط في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا رقم ٦٩٥، في ١٩٧ ورقة. كتب في القرن الثامن.

١٥ ـ الدمياطي : شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن البوني الدمياطي المصري نزيل دمشق (ولد سنة ٦١٣ هـ/١٢١٧ م. وتوفي

---

(١) سنعيد ذكره في الجزء الرابع لأنا لم نستطع التثبت من إقليمه في مصر أو في الشام.

سنة ٧٠٥ هـ. /١٣٠٦ م) المعروف بابن الجامد. سمع بمصر والمدينة ومكة والشام والجزيرة والعراق وكتب الكثير. ومما كتبه متصلاً بالتاريخ:

ـ «أخبار قبائل الخزرج أخي الأوس»: ومنه نسخة ناقصة كتبت (سنة ٧١٩) نقلاً عن نسخة المؤلف في المكتبة الآصفية بحيدر آباد رقم ١٩٨ رجال، في ١٩٢ ورقة.

ـ «معجم الشيوخ» وهو في أربعة مجلدات وشيوخه فيه ١٢٥٠ شيخاً[1] وقد طبع بعضه من قبل المستشرق جورج ڤاجدا Vajda في باريس (سنة ١٩٦٢) ما بين اسمي محمد بن الحسن ومحمد بن سلامة. وثمة مخطوط عليه خط المؤلف في الأزهر مصطلح ٣٢٦ (مجاميع).

ـ «السيرة النبوية» (عنوانها مختصر في سيرة النبي) وهي مخطوطة في شستربتي رقم ٣٢٢٢ كتب في حلب وقوبل على نسخة قرئت على المؤلف.

ـ «ذكر المهاجرين من قريش وحلفائهم ومواليهم خاصة»: وهي رسالة له في ٣ ورقات في الظاهرية بدمشق رقم ١٤٤٧. نشرها ديتريش في مجلة Sarkiyat Mecmuasi (المجلد ٣ لسنة ١٩٥٩ من ص١٢٥ ـ ١٥٥) استامبول ١٩٥٥.

ـ «العقد الثمين في من اسمه عبد المؤمن»[2].

ـ «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» ومنه نسخة بدار الكتب المصرية رقم ٢٩٦.

ـ كتاب في فضل الخيل وقد سمعه ابن تغري بردي على المقريزي في عدة مجالس بقراءة الحافظ قطب الدين محمد الخيضري الدمشقي (المتوفى سنة ٨٩٤)[3].

١٦ ـ قرطاي العزي الخازنداري: توفي بعد سنة ٧٠٨. وقد ألّف في عهد الناصر محمد بن قلاوون(٦٩٦ ـ ٧٤١) كتاب:

ـ «تاريخ مجموع النوادر مما للأوائل والأواخر»: وهو تاريخ عام مرتب على السنين من أول الخليقة إلى ظهور الإسلام، ثم من أول الهجرة إلى سنة ٧٠٨ جمعه مؤلفه من الأغاني وكتاب الدامغاني وابن واصل و«مزيل الغم فيما جرى ببلاد العجم». وهو تاريخ عام ينتهي سنة ٧٠٨ ومنه قطعة في أياصوفيا رقم ٣٣٩٩ (حتى سنة ١٠٢) وفي مكتبة فاتح رقم ٤٤٧١ (في الحدود نفسها) ومنه قطعة أخرى من السنوات ٦٢٦ حتى ٦٨٩ هـ. /١٢٢٩ ـ ١٢٩٠م. وهنا مخطوطات أخرى له.

---

(١) ابن حجر ـ «الدرر الكامنة» ج٣ ص٣٠ ـ ٣١ والسخاوي يذكر أنه في مجلدين (ترجمة التوبيخ ص٥٢٩).

(٢) نسبه إليه السخاوي (التوبيخ بالعربية ص٥٢٩) والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٦٣١) وكحالة معجم المؤلفين (ج٦ ص١٩٧).

(٣) ابن تغري بردي ـ المقفى ج١ ص٣٩٦.

ومنه أيضا قطعة من عهد المؤلف من مكتبة رضا رامبور ـ الهند رقم ٣٥٣٦ في ١٢٠ ورقة.

١٧ ــ الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر العباسي بن عبد المطلب: له كتاب:

ــ «آثار الأول في تدبير الدول»: بدأ فيه سنة ٧٠٨ للملك السلطان بيبرس المنصوري، صاحب مصر. وقد رتبه على أربعة أقسام: قسم في الضوابط والأصول وقواعد المملكة. وآخر في أحوال الملك في ذاته مع خواصه وخدمه. وقسم ثالث في الأمور المختصة بالملك وخواصه وحاشيته. وأما القسم الرابع فخصصه للحروب وشروطها وما يتعلق بها براً وبحراً «وفي الكتاب ـ على حد قول زيدان ـ فوائد سياسية واجتماعية وإدارية هامة»(١).

ومن الكتاب مخطوط في المتحف الحربي بالقلعة بمصر يحمل رقم ٣٨٣ عربي. وقد طبع على هامش تاريخ الخلفاء للسيوطي في مصر سنة ١٣٠٥، كما طبع قبل ذلك سنة ١٢٩٥ بمصر.

١٨ ــ ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن أبي العز مكرم بن علي الخزرجي الأنصاري الإفريقي المصري. وهو اللغوي المشهور صاحب (لسان العرب) ولد سنة ٦٣٠ هـ./١٢٣٣ م وتوفي سنة ٧١١ هـ./١٣١١ م بالقاهرة. وقد اشتغل الرجل ناظراً في طرابلس (الشام) ثم موظفاً في ديوان الإنشاء بالقاهرة وزار دمشق. وكان همه التعمق في دراسة اللغة وعلومها. ولكنه صرف همه الكبير إلى اختصار المطولات عامة وبخاصة منها الكتب التاريخية، ويذكر ابن حجر أنه لم يغادر كتاباً من كتب الأدب المطولة أو التواريخ الكبار أو اللغة إلا اختصره. كان الاختصار لعبته المفضلة إلا في لسان العرب فقد أطال وتبسط وهو مختصر الأزهري. وهكذا كانت لديه مكتبة من المختصرات ذكر ابن حجر نفسه أنه علق بخطه من مختصراته خمسمائة مجلدة ولم يستوفِ ذكرها أحد، وكان كثير النسخ ذا خط حسن، ومنها:

١ ــ «مختصر ذيل تاريخ بغداد» للسمعاني، ومنه نسخة في ليدن وأخرى في كمبردج (٣ ـ ٢٣٠) وكان في خمسة عشر مجلداً.

٢ ــ «مختصر تاريخ ابن النجار» (الذيل على تاريخ بغداد).

٣ ــ «لطائف الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» ومنه مخطوط في ولي الدين ـ بمسجد بايزيد باستامبول رقم ٢٦٣٦.

٤ ــ «مختصر نشوار المحاضرة» للتنوخي (وكان في ٨ مجلدات).

٥ ــ «مختصر العقد الفريد» لابن عبد ربه.

---

(١) جرجي زيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص٢٧٣.

٦ ـ «مختصر الأغاني» وأصله في ٢١ مجلداً وقد سماه مختار الأغاني في الأخبار والتهاني.

٧ ـ «مختصر تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي وأصله في ١٥ مجلداً.

٨ ـ «مختصر كتاب يتيمة الدهر» للثعالبي.

٩ ـ «مختصر كتاب الحيوان» للجاحظ.

١٠ ـ «مختصر تاريخ دمشق» لابن عساكر، ولعله كان أبرز مختصراته، واصله ثمانون مجلدة، اختصرها في ثلاثين ومنها نسخة ناقصة معظمها بخط المؤلف في طوبقابو رقم ٢٨٨ A ٦٠١٨ نحوي:

في المجلد الأول ١٥١ ورقة برقم١، وفي المجلد الثاني ١٦٤ ورقة، وفي المجلد الخامس ١٧٦ ورقة، وهكذا حتى رقم ٢٧، أوراقها جميعاً بين ١٥٥ و١٧٥ ورقة. ومجموعة المجلدات بخط المؤلف هي الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ثم الثاني عشر، والرابع عشر، والسابع عشر، والثامن عشر، والعشرون، والثالث والعشرون، والسابع والعشرون. وفي مكتبة كوبريللي باستامبول منه مجلدات (برقم ١١٤٨ ـ ١١٥١) ورقمه ١١٤٩ بخطه وثمة الثاني في القاهرة برقم ٥/ ٣٣٠ والحادي عشر في غوطا رقم ١٧٧٦ (وهو بخط المؤلف). وفي مكتبة فيض الله الجزء ٢٥ بخطه أيضاً برقم ١٥١٧.

هذا عدا اختصاره لعدد من كتب اللغة والأدوية لابن البطار والجوهري وابن سيده الأزهري وغيرهم.

١١ ـ وثمة له «يوميات الديوان» وفيها مقتطفات من مختصرات الرسائل تشكل نوعاً من التاريخ لعهدَيْ قلاوون والأشرف. وقد عرفناها عن طريق ما نقله منها القلقشندي وبخاصة ابن الفرات. ويعطيها القلقشندي عنوان «تذكرة اللبيب[١] ونزهة الأديب» في حين يسميها ابن الفرات «ذخيرة الكاتب»[٢].

١٩ ـ الحسن بن أبي محمد عبد الله الهاشمي العباسي الصفدي: (توفي بعد سنة ٧١٦ هـ. /١٣١٦ م). وكان كاتباً في الديوان المملوكي بمصر ومقرَّباً من السلطان الناصر محمد بن قلاوون ومن ندمائه. وله:

ــ «نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك»: ومنه مخطوط

---

(١) انظر القلقشندي ـ صبح الأعشى ج١٤ ص٧٠.

(٢) نجد ترجمة ابن منظور في مصادر عديدة الصفدي ـ الوافي ج٥ ص٥٤ ـ ٥٧، شذرات ج٧ ص٢٦، ابن حجر: الدرر ج٥ ص٣١ ـ ٣٢، السيوطي: حسن المحاضرة ج١ ص٣٨٨ و٥٣٤ وبغية الوعاة ج١ ص٢٤٨. وفي المراجع بروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص٦٣ ـ ٧١ وهدية العارفين ج٢ ص١٤٢ وفي الأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لكحالة. وآداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج٢ وآغابزرك في مصفى المقال عمود ٤٢٥.

باريس رقم ١٧٠٦، ومخطوط آخر في باريس أيضاً رقم ٢٢/١٩٣١، ومخطوط ثالث في المتحف البريطاني رقم ٢٣٦٦٢. وقد ذكر في تاريخه هذا أنه أرسل سنة ٦٩٤ من قبل الوزير ابن الخليلي في مهمة الإشراف على زراعة الأراضي السلطانية في سرياقوس بمصر.

ـ على أن مخطوط باريس الثاني (١٩٣١ ـ ٢٢) يحمل عنوان فضائل مصر، ومخطوط المتحف البريطاني يحمل عنواناً ثالثاً، والمخطوطات الثلاث متطابقة المضمون الذي يذكر فضائل مصر الطبيعية وفضائلها الأخرى مع بيان موجز عن ملوك مصر الأولين، ويتضمن بوجه خاص النوادر، لكن أهم ما يشتمل عليه هو ذلك الجزء الذي يتحدث فيه عن السلاطين الأتراك. وهنا يذكر التواريخ والوقائع الدقيقة التي تكمل معلوماتنا عن السنوات الأخيرة من القرن السابع (الهجري)، وربما كان الفيضان العظيم الذي طغى على بعلبك (سنة ٧١٧) والذي نجده في مخطوط المتحف البريطاني قد كتب بقلمه. على أننا لا نجده في النسختين الأخريين في باريس. ويسرد مخطوط المتحف الذي كتب للخليفة المتوكل (بمصر) الحوادث حتى سنة ٧٩٥هـ. /١٢٩٦م. لكن يأخذ من الورقة ١١٣ في أمور تتعلق بأسرة صاحب المخطوط وأسرة المتوكل وأبنائه.

ـ «التذكرة الكاملية في السياسة الملوكية»: ولعله كتبه للملك العادل زين الدين كتغا (الذي ولي مصر ما بين ٦٩٤ ـ ٦٩٦ هـ. /١٢٩٥ ـ ١٢٩٧ م.)[1].

٢٠ ـ الوطواط: جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري المعروف بالوطواط (توفي سنة ٧١٨هـ. /١٣١٨م.) كان كتبياً وراقاً، ولكن كان من خيرة العلماء في كثير من الفنون الأدبية ومنها الشعر. وأهم مؤلفاته التي تمسّ التاريخ:

ـ «غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة»: وهو في الأخلاق والسياسة. وفيه نظم ونثر قسمه إلى ١٦ باباً من أبواب المحامد والمذام المختلفة، وفيه كثير من الفوائد التاريخية التي لا توجد في غيره من المظان. وأخبار كثيرة عن الشعراء والملوك وغيرهم. ومن نسخ خطية عديدة: منها نسختان في طوبقابو رقم ١٠٦٧ R ٦٩٤٢ ورقم ٢٤٩٣ A ٦٩٤٣ كتبت للسلطان بايزيد الثاني في ٧١ ورقة سنة ٩١٧هـ. /١٥١١م. ونسخ أخرى في دار الكتب المصرية وفي تونس وفي أوروبا. وله مختصرات منها «محاسن الغرر ومساوىء العرر» اختصره ابن جاني بك للسلطان قايتباي ومنه نسخة مخطوطة في غوطا وخصائص الغرر ونقائص العرر في فيينا. وقد طبع الكتاب في مصر سنة ١٢٨٤ هـ.

ـ «مباهج الفكر ومناهج العبر»: وهو موسوعة صغيرة في أربعة اجزاء في الفلك والجغرافيا والحيوان والنبات ولا تخلو من فوائد تاريخية ـ اقتصادية وله مختصران في

---

(١) لا مصادر عن الرجل سوى مخطوطاته الباقية. وانظر دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة العربية) ج١٤ ص.٢٢٤

كوبريللي باستامبول رقم ١١٧٠ و ١١٧١، وفي تونس وفي لا له لي مخرومة رقم ٩١٣، وأجزاء منه في برلين، ونسخة في المكتبة المارونية بحلب.

ــ «رسائل الوطواط» وقد طبعت قديماً في مصر (سنة ١٣١٥) وفيها بدورها فوائد تاريخية رغم طابعها الأدبي[١].

ــ تعليقه على الكامل لابن الأثير أو ذيل عليه بعد أن كتبه جميعاً بخطه كما يقول الصفدي وناقش فيه المصنف في حواشيه وغلطه وواخذه.

ــ «درر الغرر (أو درر غرر)» ذيل على أخبار شعراء الأندلس لابن الفرضي[٢].

٢١ ــ ايدغدو (بن عبد الله) الخوارزمي القره سنقري. الأمير في الجيش المملوكي. توفي بدمشق (سنة ٧٢٩هـ./١٣٢٩م.) ترقى في خدمة السلطان الناصر محمد بن قلاوون حتى ولي الحجابة. وأرسله السلطان رسولاً إلى المغرب، ورسولاً إلى الخان آتون. وكان شيخاً طوالاً يستحضر أشياء حسنة من التواريخ، له فهم ودراية. مات وهو صاحب دمشق بسبب تنافسه في مصر مع ألماس الحاجب، وله:

ــ تعليق أو تاريخ اعتمده ابن الفرات في أخبار الأيوبيين. وثمة خلاصة طويلة نقلها عنه تتعلق بنهاية عهد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب (٦٣٤ ـ ٦٥٨).

٢٢ ــ ابن المتوج: تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن الزبيري المعروف بابن المتوج (توفي سنة ٧٣٠هـ./١٣٣٢م.). وله:

ــ «إيقاظ المتغفل واتعاظ المتوسل».

بيِّن فيه أحوال مصر وخططها إلى سنة ٧٢٥، وقد دثر بعد معظم ما وصف.

٢٣ ــ ابن نباتة[٣]: شمس الدين محمد بن محمد بن الحسن المصري الشافعي المعروف بابن نباتة (توفي بعد سنة ٧٣٧هـ./١٣٣٦م.). وقد كتب:

ــ «كتاب الاكتفاء من تاريخ الخلفاء» (في ٣ مجلدات).

ألفه بين سنتي ٧٣٤ و٧٣٧، ويوجد منه مخطوط في مكتبة كوبريللي رقم ١٠٠٣ (ويحوي القسم الثاني أي حتى الراضي بالله فقط من الكتاب) ومخطوط في أياصوفيا رقم ٢٩٧٣ يحوي القسم الثالث (أي من خلافة المتقي حتى النهاية).

---

(١) نجد ترجمة الوطواط في الدرر الكامنة لابن حجر ج٣ ص٣٨٥ ـ ٦ وفي شذرات الذهب ولدى الصفدي ج٢ ص١٧. وفي المراجع الأخرى. بروكلمان ملحق٢ ص٥٣ وكشف الظنون ج١ ص١٢٧١ و١٨٤٦ وهدية العارفين ج٢ ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) الكتابان الأخيران ذكرهما صاحب هدية العارفين في ترجمته. وذكر الأول منهما ابن حجر.

(٣) هو غير ابن نباتة جمال الدين أبي بكر محمد (بن محمد ثلاث مرات) الجذامي المصري الشاعر (المتوفى سنة ٧٦٨) وسوف يرد ذكره.

ـ «تدبير الدول» (وهو في كيفية الحكم مع قصص حول ذلك) وبعضهم ينسبه لابن نباتة الآخر المتوفى سنة ٧٦٨. ومنه مخطوط أسعد أفندي رقم ١٨٢٢.

٢٤ ـ ابن أبي الفضائل: المفضل المصري القبطي المتوفى بعد سنة ٧٤١ (وقد سبق ذكره):

ـ «النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد»: وهو ذيل على تاريخ المجموع المبارك الذي كتبه المكين بن العميد (المتوفى سنة ٦٧٢). وفيه تراجم سلاطين المماليك من الملك الظاهر بيبرس إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون (المتوفى سنة ٧٤١) كما أن فيه تاريخ البطاركة اليعاقبة. وتاريخ المسلمين في اليمن والهند والتتر.

من نسخة مخطوطة في باريس[1]. وقد نشر الكتاب المستشرق E.Blochet في باريس فيما بين سنتي ١٩١١ و ١٩٢٠ مع الترجمة الفرنسية[2].

٢٥ ـ العلائي: إبراهيم بن أبي البركات المعروف بكاتب المقر السيفي ويكتم العلائي (المتوفى بعد سنة ٧٤١). وله:

ـ تاريخ من أيام الرسول إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ ـ ٧٤١ هـ. /١٢٩٣ ـ ١٣٤٠م.) وقد ذكر المؤلف في أواخر الكتاب ما شهده في أيامه.

ومن نسخة مخطوطة في مكتبة شهيد علي باستامبول في ١٥٢ ورقة.

٢٦ ـ المنجلاتي: شرف الدين أبو الروح عيسى بن مسعود بن منصور. . . ابن أبي الحاج الزواوي المنجلاتي القاضي الحميري المالكي. ولد في زواوه ثم جاء مصر فدرس بها ثم دخل دمشق ثم عاد إلى القاهرة حيث توفي سنة ٧٤٣. انتهت إليه رياسة الفتوى المالكية في مصر والشام.

ـ شرع في جمع تاريخ من المبتدأ (عهد آدم) حتى عصره وقد كتب من عشرة أسفار[3].

٢٧ ـ السُبكي: تقي الدين أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف بن يحيى بن علي السُبكي المصري الشافعي. ولد بالمحلة الكبرى سنة ٧٠٥، وتوفي بدمشق سنة ٧٤٤ هـ. /١٣٤٣ م. وهو محدث أديب فقيه متقن سمع من الشيوخ في مصر

---

(١) جرجي زيدان ج٣ ص١٩٤.

(٢) فهرس معهد المخطوطات ـ قسم التاريخ ١ ص٧٤.

(٣) ابن حجر: الدرر ج٣ ص٢١١.

والحرمين ثم دمشق. ودرس في القاهرة. وكانت السنوات الثلاث الأخيرة من حياته للتدريس بدمشق. له:

ـ تاريخ للمتجددات (أو للحوادث في زمنه).

ذكره السيوطي في «حسن المحاضرة» ولم يذكر عنوانه. وذكره ابن حجر باسم الحوادث ونقل عن الأسنوي قوله إنه للمتجددات[1].

٢٨ ـ الفخري: بكتاش بدر الدين (المتوفى سنة ٧٤٥هـ./١٣٤٤م.). هو أمير سلاح لدى الملك الناصر. ذكره ابن الفرات[2] ونقل عنه. وقد كتب:

ـ رسالة موجزة جداً أو فصلة تناولت الفترة ما بين سنتي ٧٠٩ ـ ٧٤٥هـ. /١٣٠٩ ـ ١٣٤٥ م.[3] ومن المؤكد أنها كانت أوسع من ذلك فما نقله ابن الفرات عنه يمتد ما بين سنتي ٦٧٨ و ٦٩٥.

٢٩ ـ الشجاعي شمس الدين: انتهى سنة ٧٤٥ من كتابة:

ـ «تاريخ السلطان الملك الناصر محمد وبنيه» منه مخطوط في برلين برقم ٩٨٣٣ ويتضمن فصلة صغيرة منه.

٣٠ ـ المناوي: ضياء الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن السلمي المناوي المصري (ولد سنة ٦٥٥هـ. /١٢٥٧ م. وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٦هـ. /١٣٤٥م.). قاض من قضاة الشافعية، كتب:

ـ «الطبقات الكبرى» (للشافعية). منه مخطوط في الرباط (المنوني رقم ٩٣) في ٩٣٠ صفحة مخروم الأخر[4].

ـ «سيرة ابن تيمية» وقد اختصرها شمس الدين بن عبد الهادي (المتوفى سنة ٧٤٤).

٣١ ـ القيسراني: إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي القيسراني الخالدي (كان حياً

---

(١) ابن حجر ـ الدرر ج٤ ص١٤٤، ابن طولون: القلائد الجوهرية ج٢ ص٤٤٥، هدية العارفين ٢/١٥١. الصفدي: الوافي ٣ ص٢٨٤، اليافعي مرآة ج٤ ص٣٠٧، السبكي طبقات ج٩ ص١٧٢، شذرات ج٦ ص١٤١، السيوطي: حسن المحاضرة ج١ ص٢٤١، بروكلمان ملحق٢ ص٢٦.

(٢) ابن الفرات ١٢٧/٨، ١٣٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤، وفي ج٧ في الصفحات ١٤، ١٦٩، ٢٠٧، ٢١٥، ٢٧٣.

(٣) ذكرها دونالد ليتل في كتابه: مدخل إلى التأريخ المملوكي (فسبادن ١٩٧٠ بالإنكليزية) ص٩٤ والمنجد ـ دراسات ص١٧١ وص١٩٥.

(٤) الأسنوي: طبقات ج٢ ص٤٦٦، وابن حجر الدرر ج٣ ص٢٨٥، وكشف الظنون ٤٩١/١، والزركلي: الأعلام ٢٩٨/٥.

سنة ٧٤٦هـ. /١٣٤٥م.). وكان كاتب الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد وأمين سره أي كاتب الدست (٧٤٣ ـ ٧٤٦هـ. /١٣٤٢ ـ ١٣٤٥م.). وله كتاب:

ـ «النور اللائح والدر الصادح في اصطفاء مولانا الملك الصالح»(١).

ومنه مخطوط في باريس بخط المؤلف. صورته التيمورية وهو في دار الكتب برقم ٢٢٢٣ تاريخ في ٣٠ ورقة.

٣٢ ـ الأدفوي: كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الشافعي (ولد سنة ٦٨٥ وتوفي بمصر سنة ٧٤٨) سمع الحديث في قوص والقاهرة. وأخذ العلوم عن علماء ذلك العصر ومنهم ابن دقيق العيد. وقال الصفدي إنه صنف في التاريخ:

ـ «الطالع السعيد في تاريخ الصعيد» (أو الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد) أنهاه سنة ٧٣٨ ثم زاده إلى سنة ٧٤٠، وهو مرتب على حروف المعجم واستعان في وصفه بكتاب المقال المخصوص للقوصي المخزومي.

ـ «البدر السافر في تحفة المسافر» في الوفيات معظمها من القرن السابع مرتب على حروف المعجم. وقد نشر الكتاب الأول بتحقيق سعد محمد حسن وطه الحاجري (الدار المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٦٦)(٢). وأهم مخطوطاته نسخة في شستربتي رقم ٣١٠٢ كتبت (سنة ٧٤٠) في حياة المؤلف، ثم مخطوط الجامع الأحمدي بطنطا رقم ٢٧ في ٢١٥ ورقة ونسخ في دار الكتب بمصر في ٦٨٠ صفحة وفي اكسفورد وباريس.

وأما الكتاب الثاني: «البدر السافر» والموجود منه نسخة من الجزء الثاني وهو نهاية الكتاب تبدأ بعلي بن أحمد الأزدي وتنتهي بباب الكنى بعد نهاية حرف الياء والنسخة في مكتبة فاتح باستامبول رقم ٤٢٠١، ومنه أيضاً مخطوط في مكتبة ليبنا.

٣٣ ـ الدمياطي: شهاب الدين أبو الحسين أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي المعروف بالدمياطي الحافظ (ولد سنة ٧٠٠، توفي سنة ٧٤٩ بالطاعون الذي اجتاح البلاد تلك السنة) وقد كتب:

ـ ذيلاً على العز الحسيني الشريف صاحب صلة التكملة لوفيات النقلة (من سنة ٦٧٤ حتى وفاته سنة ٧٤٩) نقل عنه وذكره ابن حجر والسخاوي والفاسي. وانتهى إلى سنة ٧٤٩ وذيل عليه من بعده الزين العراقي.

---

(١) انظر بروكلمان ملحق ٢ ص٢٤ ودوسلان: فهرس المخطوطات بباريس ج١ ص٣١٤ وص٣١٧ وكحالة ـ معجم المؤلفين ١/ ٤٦.

(٢) شذرات ج٦ ص١٥٣. والاسنوي: طبقات الشافعية مخطوط ورقة ٣٠ ظهر وابن حجر: الدرر ١/ ٥٣٥ والشوكاني: البدر الطالع ١/ ١٨٢ وابن تغري بردي ١٠/ ٢٣٧ والسيوطي حسن المحاضرة ١/ ٣٢٠، كشف الظنون ١/ ٢٣٠ والسخاوي (ط. العلي) ص٦٣٤.

ـ «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار اختصره عنه ورتبه على حروف المعجم. ومن نسخة مخرومة الأول وتبتدىء بمن اسمه محمد وتنتهي بنعمة بن علي. وهي بخط المنتقي نفسه محفوظة في دار الكتب المصرية رقم ٢٩٦ تاريخ. والكتاب مطبوع.

ـ جمع مشيخة للقاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر الدبوسي ابن خطيب بيت الأبار وقرأها عليه كما قرأها الصفدي على جامعها[1]، وخرج مشيخان لغيره.

ـ «عمدة الفاضل في اختصار الكامل». ذكره ابن حجر (١٠٨/١). والكامل هو في معرفة ضعفاء المحدثين لعبد الله بن عدي الجرجاني. ومنه مخطوط بخط المؤلف كتب حوالى سنة ٧٢٥، ومنه مخطوط برلين رقم ٩٩٤٤ في ١١٤ ورقة.

٣٤ ـ ابن مكتوم: تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد القيسي النحوي الحنبلي (ولد سنة ٦٨٢ وتوفي سنة ٧٤٩). درس الفقه واللغة والنحو على ابن النحاس والسروجي والدمياطي ولازم ابن حيان طويلاً. وكان عالماً بالتراجم، مفسراً، فقيهاً، حنفي المذهب وله نظم حسن. كتب عدة تصانيف، منها في التاريخ:

ـ «الجمع المثناة في أخبار اللغويين والنحاة» في عشر مجلدات. قال في الشذرات: «وكأنه مات عنها مسودة فتفرقت شذر مذر». وقال السيوطي: وهذا الأمر هو أعظم باعث لي على اختصار طبقاتي الكبرى (بغية الوعاة في طبقات النحاة) في هذا المختصر. وقد رأى ابن حجر الكثير من هذا الكتاب بخط مؤلفه ومنه مجلدة في المحمدين خاصة. وكذلك رآها السخاوي.

ـ «كتاب ما أغفله الذهبي من القراء». وهو ذيل على تاريخ القراء للذهبي في جزء اشتمل على عشرين نفساً من الأحمدين والمحمدين خاصة ومن نسخة خطية في كوبريللي زاده باستامبول رقم ١١١٦ كتبت بخط المؤلف سنة ٧٣١.

ـ تلخيص كتاب «إنباه الرواة» للقفطي. ومنه نسخة خطية في مكتبة فيض الله باستامبول رقم ١٣٨٢، وأخرى في دار الكتب المصرية رقم ٢٠٦٩ تيمورية تاريخ[2].

---

(١) انظر ابن حجر الدرر ج١ ص١٠٨ وج٢ ص٥٨ والفاسي: (مخطوط) الورقة ١٤٠ والصفدي: الوافي ج٦ ص٢٦١ والسيوطي حسن المحاضرة ٢٥٢/١ والسخاوي (ط. العلي) ص٧٩ وص٧٠٢ وكشف الظنون ٢٠٢٠/٢ وبروكلمان (الطبعة العربية ج٦ ص٥٩ وص٢١٢) وبروكلمان ملحق ١ ص٥٦٣ وكحالة: معجم ج١ ص١٧١ وهدية العارفين ١١٠/١ وسزكين (الترجمة العربية ٤٩٣/١).

(٢) انظر الصفدي ـ الوافي ج٧ وابن حجر ـ الدرر ج١ ص١٧٥ ـ ١٧٦ و١٨٦ ـ ١٨٧ والسيوطي ـ بغية الوعاة ج١ ص١٤٠ ـ ١٤٣ وشذرات ج٦ ص١٥٩ وابن قطلوبغا ـ تاج التراجم ص٩، والسيوطي ـ حسن المحاضرة ج١ ص٢٦٨ والقرشي (ط. العلي) ص٥٦٤ وص٥٦٧ والقرشي الجواهر المضية ج١ ص٧٥ والخوانساري ـ روضات الجنات ٨٤ ـ ٨٥ والمراجع: كحاله ٢٧٨/١ وبروكلمان ج٢ ص١١٠ وملحق٢ ص١٣٧ وكشف الظنون ٥٦٩/١.

٣٥ ـ محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب: المتوفى سنة ٧٤٩ هـ. /١٣٤٨ م. وله:

ـ «أسماء رجال المشكاة» (وهي مشكاة الأنوار للإمام الغزالي أو لابن عربي).

ويشمل بابين: الأول في ذكر الصحابة ممن له ذكر أو رواية؛ والثاني في ذكر التابعين وغيرهم. منه مخطوط رواق الشوام ـ الأزهر رقم ٢٨٤ مصطلح الحديث بخط المؤلف كتبه (سنة ٧٤٠)[1].

٣٦ ـ البكري: عضد الدين عبد الرحمن بن ركن الدين أحمد بن عبد الغفار البكري، ولد سنة ٧٠٠هـ. /١٢٩٩م. وتوفي سنة ٧٥٦هـ. /١٣٥٥م./له:

ـ «إشراق التواريخ».

ـ «زبدة التاريخ في ترجمة إشراق التواريخ»[2].

٣٧ ـ الأسنوي: محيي الدين أبو الربيع سليمان بن جعفر (خال الجمال الأسنوي) المصري الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦هـ. /١٣٥٥م. وقد أفتى ودرس واشتغل. ذكره ابن أخته في طبقاته. وقال كان مشاركاً في العلوم والجبر والمقابلة. له:

ـ «طبقات فقهاء الشافعية». ومات عنه مسودة. فلم ينتفع بها[3].

٣٨ ـ ابن الشيخ يحيى عماد الدين موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي: (توفي سنة ٧٥٩). ويبدو أنه كان من المقربين للحكم كما كان مقدم حلقة في القاهرة: أحب التاريخ والنظم رغم عدم اطلاعه على العربية. جمع تاريخاً لعصره بعنوان:

ـ «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر» (محمد بن قلاوون) في نحو خمسة عشر مجلداً.

ابتدأ فيه بدولة المنصور قلاوون وانتهى فيه إلى سنة ٧٥٥هـ. /١٣٥٤م.، وأفاد كثيراً من الوقائع والتراجم التي يحكيها ـ كما ذكر ابن حجر ـ عن مشاهدة (فهو شاهد عصره) وهو كثير التحري في النقل. ما يتحققه ينقله وما لا يتحققه يضيفه إلى قائله وربما تبرأ من عهدته. وقد نقل العيني عنه كثيراً في عقود الجمان[4]، كما اقتبس عن ابن حجر أكثر من ترجمة في «الدرر».

---

(١) فهرس معهد المخطوطات (تاريخ) قسم ٤ ص٢٩.

(٢) هدية العارفين ج١ ص٥٢٧.

(٣) السخاوي (ط. العلمي) ص٥٥٦ وذيل الكشف ج٢ ص٧٩ وشذرات ج٦ ص١٧٩.

(٤) انظر عقود الجمان للعيني (مخطوط دار الكتب رقم ١٥٨٤ معارف عامة) وهو في ٦٩ جزءاً: الجزء ٥٧ الصفحات ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧ و١١٠ وج٥٨ ص٤٥٢ و٤٤٠.

ـ «كشف الكروب في معرفة الحروب»: وقد ألفه للسلطان جقمق وتحدث فيه عن فن الحرب ونظام الجند، وقد رتبه على عشرة أبواب: حول وقوف السلطان والدخول في الحرب والخروج منها وما يستعان عليها، وانتقاء الرجال ومزاياهم، وفضل الحيل، وما قيل في الشجاعة، وفضل الحصار والدخول والغارة. فهو كشف لفن الحرب المملوكي.

ومخطوطه بخط المؤلف محفوظ في دار الكتب المصرية في خمسين صفحة مزدوجة الحجم كتب لخزانة جقمق[1].

٣٩ ـ مُغَلطاي: علاء الدين أبو عبد الله إبراهيم بن قيليج بن عبد الله البكجري الجكري المعروف بمغلطاي القاهري الحنفي الحافظ (توفي سنة ٧٦١ أو ٧٦٢) (واسمه موجود بخطه في مخطوط شرح سنن ابن ماجه مخطوط مكتبة فيض الله باستامبول رقم ٣٦٢). وهو من أولاد الناس وتعني أبناء المماليك الذين اشتغل كثير منهم بالتاريخ والعلوم. وله من التصانيف حوالى المائة أو تزيد.. وكان عارفاً بالأنساب معرفة جيدة ومن مؤلفاته في التاريخ:

ـ «تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب» وهو مخطوط في برلين رقم ٩٨٣٥.

ـ «الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم» وهي السيرة النبوية. وقد لخصها في:

ـ «الإشارة إلى سيرة المصطفى ومن بعده من الخلفا. ويشتمل على السيرة النبوية والخلفاء من بعده حتى سقوط بغداد على يدي هولاكو باختصار شديد. ومنه مخطوط في مكتبة فيض الله برقم ١٤٦٠، وآخر في قره چلبي زاده رقم ٢٧٩ في ٦٩ ورقة، وثالث في دار الكتب المصرية رقم ٤٦٠ تاريخ في ٥٦ ورقة. وثمة نسخة الحرم المكي رقم ٧٨ سيرة في مائة ورقة. وفي برلين وميونيخ والمتحف البريطاني. وقد اختصر المؤلف كتابه في السيرة في:

ـ «مختصر الإشارة إلى سيرة المصطفى»: ومنه مخطوط ببلدية الإسكندرية ٢١٨٤ في ٧١ ورقة.

ـ «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (للمزي). وقد اختصره مقتصراً على اعتراضاته على المزي وذكر من لم يتعرض له من الرجال فجاء بقدر الأصل في نحو مجلدين ثم جعله في مجلد. ورجع فيه إلى مصادر واسعة. وأكثره في أسماء الشعراء والأنساب. ومنه مخطوطات عديدة في قيليج علي باشا باستانبول رقم ١٩٠ ـ ١٩١ وفي فيض الله (وهما بخط المؤلف) رقم ١٤٧٨ ـ ١٤٧٩، وفي برلين ٩٩٣٠ ـ ٩٩٣١، وفي باريس أول

---

(١) انظر ابن حجر ـ الدرر ج٥ ص١٥٢ ـ ١٥٣ وانظر كذلك ج١ ص٢٧٠ و٢٦٧ وج٢ ص٥٢، ١٦١، ٤٠٤ وراجع ترجمته لديه ج٤ ص٣٨١ (في طبعة أخرى) وانظر السخاوي (ط. العلمي) ص٦٨٢ وهدية العارفين ج٢ عمود ٤٧٩ ـ ٤٨٠ وكشف الظنون ٢ عمود ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ وزيدان آداب اللغة العربية ج٣ ص٢٦٩.

٢٠٨٩ ـ ٢٠٩١، وفي البودليانا ١/٧٥٤، ٢/٥٩٤، وفي المتحف البريطاني أول-١٦٣٥ ثاني ٧ و ٥٤/١٤٤ Or.ST. Browne وفي القاهرة أول/٢٣٣ وفي الظاهرية ثاني ٢١٢[١] وثمة منه مجلد لا يحمل اسم المؤلف ومضطرب الأوراق كتب سنة ٧٥٠، وهو في دار الكتب المصرية برقم ١٥ مصطلح الحديث[٢].

٤٠ ـ الغاوي: جعفر بن محمد بن عبد العزيز الإدريسي المصري (ولد سنة ٧١١ وتوفي سنة ٧٦٧) وله:

ـ «تاريخ مصر».

ويعلق صاحب هدية العارفين على التاريخ بأنه «مشهور»[٣].

٤١ ـ الإسكندراني: محمد بن القاسم بن محمد النويري المالقي. كان حياً سنة ٧٦٧هـ. /١٣٦٦م. وقد كتب:

ـ «الإلمام والإعلام فيما جرت به الأحكام المقضية في واقعة الإسكندرية» في ٣ مجلدات. يقول السخاوي: «استطرد فيه من شيء إلى شيء. ابتدأه بصفة فتحها واستمر بحيث كانت الواقعة بجانب ما ذكر كالشامة». وهي وقعة استيلاء صاحب قبرس على الإسكندرية سنة ٧٦٧ زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن قلاوون. ومنه مخطوط خدابخش بتنه كتب سنة ٨٠٩ في ٢٧٧ ورقة. وهو مصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٩٠٧) وقد طبع في حيدر آباد في ١٤ جزءاً بتحقيق عزيز سوريال عطية سنة ١٩٧٨[٤].

٤٢ ـ ابن نباتة: جمال الدين أبو بكر محمد (٤ مرات) بن حسن الفارقي الأصل الجذامي المعروف بابن نباتة المصري لأنه ولد بمصر (سنة ٦٨٦ وتوفي سنة ٧٦٨ فيها). وهو شاعر متوسط النظم، عانى الأدب وكتب خط النسخ وقلم الحاشية والغبار وتكسب من ذلك في دمشق ـ كما يقول صاحب الشذرات ـ وقدم القاهرة بعد السبعين ومات بها، بالقرب من

---

(١) انظر بروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص١٨٩.

(٢) ترجمة مغلطاي موجودة في عدد من المصادر منها ابن حجر ـ الدرر ج٥ ص١٢٣ وابن قطلوبغا ـ تاج التراجم (ط. ليبتزيغ) ص٥٧ وطبقات الحفاظ ج٣ ص٧٩. ومن المراجع: زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص٣٠٢ وبروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ وكشف الظنون ج٢ عمود٤٦٧ و٩٥٨ وج١ عمود ٩٨.

(٣) هدية العارفين ج١ عمود ٢٥٤.

(٤) انظر ابن حجر ـ الدرر ج٤ ص١٤٢ والسخاوي ـ الإعلان (ط. العلي) ص٦١٦ وبروكلمان ملحق٢ ص٣٤ وفهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ ج٣ ص٣٠.

ذلك ـ على ما يذكر ابن حجر. وجزم مختصر الضوء اللامع للسخاوي أنه توفي هذه السنة[1]. وله من المؤلفات في محيط التاريخ:

ـ «كتاب أبرار الأخبار».

ـ «كتاب سجع المطوق» (في التراجم).

ـ «كتاب تدبير الدول أو سلوك دول الملوك في السياسة وآداب الدولة». ويتعلق بواجبات الملوك نحو أنفسهم ورعاياهم. ومن هذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة أكاديمية فيينا ومخطوط في مكتبة أسعد أفندي في استامبول وفيها نقص، ورقمها ١٨٢٢.

ـ «فرائد السلوك في مصائد الملوك» وهي رجز يتعلق بالموضوع السابق نفسه دوّن ما فيه من قصص.

ـ «النحلة الأنسية في الرحلة القدسية»[2].

٤٣ ـ الفيومي: أبو العباس علي بن محمد بن علي المقرىء (ولد حوالى سنة ٧٢٠ وتوفي بعد سنة ٧٧٠هـ./ ١٣٦٩م.) وله:

ـ «نثر الجمان في تراجم الأعيان»: وينتهي بأحداث سنة ٧٤٥ وهو في عدة مجلدات.

ومنه مخطوط شستربتي رقم ٤١١٣، ومنه قطع في دار الكتب المصرية برقم ١٧٤٦ تاريخ.

القطعة الأولى من أثناء سنة ٥٣٣ إلى أثناء سنة ٥٦٧ في ٩٠ ورقة بخط نسخي جيد.

القطعة الثانية من أثناء سنة ٦٢٣ إلى أثناء حوادث سنة ٦٧٤ وهي أيضاً في ٩٠ ورقة.

والقطعة الثالثة من أول سنة ٧٠٢ إلى قبيل حوادث سنة ٧٤٥ وفي أولها أوراق كثيرة في حدوث العالم وأمر الجاهلية وفي وفيات متقدمة من القرنين الرابع والخامس. وهي

---

(١) سبق ذكر ابن نباتة الأب وهذا ولده. ومن المحتمل أن يكون ثمة تداخل في اللقب والكنية بين الأب وابنه وفي الاسم أيضاً، فالأب هو على الأرجح شمس الدين أبو بكر والابن هو جمال الدين والأب اسمه محمد ثلاث مرات أو اثنين متتالية والابن محمد أربع مرات أو ثلاثاً متوالية. وبعض المصادر تنسب كتاب: الاكتفا في تاريخ الخلفا إلى الابن.

(٢) انظر الوافي بالوفيات للصفدي ج١ ص٣١٩ وكشف الظنون ج٢ عمود ١٢٤٣ و ١٩٣٤ وهدية العارفين ج٢ عمود ١٦٤ وشذرات الذهب ج٦ ص٢١٢ وزيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص١٢٩.

في ٤٢٨ ورقة[1]. وقد وصف المستشرق غست Guest هذا المخطوط في المجلة الآسيوية JRAS العدد ٣٣ لسنة ١٩٠١ صفحة ٩١ فما بعد وكشف مصادره.

٤٤ ــ الأسنوي: جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم (أو عبد الرحمن) بن الحسن ابن علي بن عمر القرشي الأموي المصري الشافعي. ولد سنة ٧٠٤ بأسنا من صعيد مصر وتوفي بالقاهرة سنة ٧٧٢هـ. / ١٣٧٠م. درس في بلده ثم نزل القاهرة. ولي وكالة بيت المال والحسبة، ودرس بالمدرسة الكاملية ثم بالفاضلية، وصار أوحد زمانه وشيخ الشافعية في عصره. وأكثر علماء مصر الشافعية من تلاميذه. من آثاره:

ــ «طبقات الشافعية»: وهو مرتب على حروف الاشتهار وذكر في كل حرف فصلين الأول في رجال الشرح الكبير والروضة، والثاني في الزائد عليهما. ونقل ممن طبقات التفليسي لموسوي عمر بن بندار.

من الطبقات هذه نسخة بخط المؤلف (سنة ٧٦٩) في مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٨٤٠ في ١٤٢ ورقة. ونسخة أخرى قوبلت عليها في مكتبة كوبريللي ١١١٤ في ١٦٩ ورقة، وثالثة في دار الكتب المصرية (التيمورية ٤٨١ تاريخ). وقد طبع الطبقات في الرياض في مجلدين بتحقيق عبد الله الجبوري سنة ١٩٨١. ولنلاحظ أن جمعاً كبيراً من شيوخ الشافعية أسهموا في كتب الطبقات ولا يقلون عن ٢٥ مؤلفاً على مدى خمسة قرون ما بين أواخر القرن الرابع وأواخر التاسع. ولم يحظ مذهب من المذاهب بمثل ما حظي به هذا المذهب الشافعي، من الاحتفاء والتسجيل، فلا يكاد مجموعها يحظى بما حظي به الشافعية من المؤلفات: وممن عمل في ذلك:

١ ــ أبو حفص عمر بن علي المطوعي المحدث الأديب من أواخر القرن الرابع وهو أول من ألف فيه.

٢ ــ أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي (المتوفى سنة ٤٠٤).

٣ ــ أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري القاضي (المتوفى سنة ٤٠٥) مختصر.

٤ ــ أبو عاصم بن محمد بن أحمد العبادي (المتوفى سنة ٤٥٨) وفيه غرائب وفوائد لكنه مختصر جداً.

٥ ــ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى سنة ٤٧٦) وهو أيضاً مختصر.

٦ ــ أبو محمد عبد الله بن يوسف الجرجاني (المتوفى سنة ٤٨٩) وقد نقل عنه السمعاني وابن الصلاح..

---

(١) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ ج٤ ص ٤٤٣ ويلاحظ أن في الكتاب نفسه وصفاً آخر للمخطوط يجعله في قسمين: قطعة ثانية في ٣٣٨ ورقة، وقطعة ثالثة في ٤٨٥ ورقة، وفي ترجمته انظر الدرر الكامنة ج١ ص٣١٤ وبغية الوعاة ص١٧٠ والأعلام ٢٢٤/١.

٧ ــ أبو محمد عبد الوهاب بن محمد الشيرازي القاضي (المتوفى سنة ٥٠٠) وسماه تاريخ الفقهاء.

٨ ــ أبو النجيب عبد القاهر السهروردي (المتوفى سنة ٥٦٣).

٩ ــ أبو عمرو بن الصلاح أبو عمـرو عثمان بن عبـد الرحمن الشهـرزوري (المتوفى سنة ٦٤٣) مات عنه مسودة.

١٠ ــ أبو الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي المعروف بصدق (توفي سنة ٦٥٠) سماه وسائل الألمعي في فضائل أصحاب الشافعي.

١١ ــ عماد الدين إسماعيل بن هبة الله بن باطيش (المتوفى سنة ٦٥٥).

١٢ ــ واختصر مؤلف ابن باطيش شخص في حياته.

١٣ ــ التفليسي الموسوي عمر بن بندر (المتوفى سنة ٦٧٢) في مجلد ضخم وهو أعم الطبقات قبل السبكي وابن الساعي.

١٤ ــ تـاج الدين علي بن أنجب السـاعي البغدادي (المتـوفى سنـة ٦٧٤) في سبعة مجلدات.

١٥ ــ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (المتوفى سنة ٦٧٦) أخذ كتاب ابن الصلاح فزاد عليه أسامي قليلة وهو مسودة.

١٦ ــ وجاء المزي أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبـد الرحمن (المتـوفى سنة ٧٤٢) فبيض كتاب النووي وأصلحه.

١٧ ــ ثم صنف السبكي تاج الدين أبـو نصر عبـد الوهـاب بن علي بن عبد الكـافي (المتوفى سنة ٧٧١) طبقاته الكبرى واختصرها مرة في الطبقات الوسطى ثم في الصغرى.

١٨ ــ الأسنوي وهو الذي ترجمه جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الأسنوي (المتوفى سنة ٧٧١).

١٩ ــ ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (المتوفى سنة ٧٧٤).

٢٠ ــ الواسطي محمد بن حسن وله (المتوفى سنة ٧٧٦) وقد سماه المطالب العلية في مناقب الشافعية.

٢١ ــ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العثماني قاضي صفد (المتوفى سنة ٧٨٠).

٢٢ ــ ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي (المتوفى سنة ٨٠٤) وسماه العقد المذهب في طبقات حملة المذهب. وصل به حتى سنـة ٧٧٠ ورتبـه على ستة وثلاثين طبقة.

٢٣ ــ ابن القطـان شمس الدين بن محمد بن علي بن محمد بن عمر المصري (المتوفى سنة ٨١٣) كتب ذيلاً على طبقات الشافعية للأسنوي.

٢٤ ــ ابن الحسباني أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال النابلسي المعروف بابن الحسباني قاضي دمشق (المتوفى سنة ٨١٥ أو سنة ٨١٦) كتب طبقات الشافعية.

٢٥ ــ المرجاني نجم الدين محمد بن أبي بكر بن علي الدروري الأنصاري المعروف بالمرجاني (المتوفى سنة ٨٣٧).

٢٦ ــ صاحب القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروزابادي (المتوفى سنة ٨١٧) وسماه «المرقاة الأرفعية في طبقات الشافعية».

٢٧ ــ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الحسين بن أرسلان المقدسي الصوفي (المتوفى سنة ٨٤٤).

٢٨ ــ ابن قاضي شهبة تقي الدين أبو بكر بن أحمد الدمشقي الأسدي (المتوفى سنة ٨٥١) ورتبه على تسع وعشرين طبقة.

٢٩ ــ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن شرف بن جماعة الكناني المقدسي (ولد سنة ٧٨٢ وتوفي سنة ٨٥٢).

٣٠ ــ شهاب الدين بن ارسلان بن أحمد بن حسين الرملي (المتوفى سنة ٨٤٤).

٣١ ــ قطب الدين محمد بن محمد الخيضري القاضي (المتوفى سنة ٨٩٤) سماه «اللمع الألمعية لأعيان الشافعية». وللأسنوي كتاب آخر يطل على التاريخ اسمه:

ــ «الكلمات المهمة في مباشرات أهل الذمة». ومنه مخطوط في المتحف البريطاني رقم ١١٥٨١ .Or وقد نشر بتحقيق م. برلمن M.Perlman في طبعة أولى في القدس (سنة ١٩٥٨) في أربعين صفحة (ضمن كتاب غولدزيهر التذكاري)[1]

Memorial Ig. Goldziher, Vol.I, Part II pp. 177 - 208, Jerusalem 1958.

٤٥ ــ ابن القطبة الحلبي: تقي الدين محمد بن عبد الكريم بن عبد النور الحلبي المصري (ولد سنة ٧٤١ وتوفي سنة ٧٧٤ بالقاهرة) وله:

ــ زيادات على تاريخ أبيه[2].

٤٦ ــ القرشي: محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء المصري القرشي الحنفي. (ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٧٥هـ./١٢٧٣م.). طلب العلم وهو كبير فبرع في الفقه والرجال. من آثاره:

ــ «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»: وكان على حد قوله صاحبه أول مؤلف في طبقات الأحناف. إذ قال صاحبه في مطلعه: «لم أر أحداً جمع طبقات أصحابنا وهم أمم لا يحصون فجمعتها...» وبدأت من بعده سلسلة امتدت في عشرة مؤلفين حتى مطالع القرن

---

(١) راجع شذرات الذهب ج٦ ص٢٢٤، ابن حجر: الدرر ج٢ ص٤٦٣ ـ ٤٦٥، السخاوي (ط. العلي) ص٥٥٦.

(٢) ابن حجر ـ الدرر ج٤ ص١٤١ والسخاوي (ط. العلي) ص٦٤٦.

الحادي عشر الهجري. وقد نشطت بسبب العثمانيين الذين كانوا على المذهب الحنفي.
على أن القرشي لم يكن الأول، فقد سبقه إلى جمع الأحناف اثنان:

١ ـ الطرسوسي نجم الدين إبراهيم بن علي الذي كتب «وفيات الأعيان في مذهب النعمان» (وقد توفي سنة ٧٥٨).

٢ ـ صلاح الدين عبد الله بن محمد المهندس (المتوفى سنة ٧٦٩). ثم جاء من بعد القرشي:

٣ ـ ابن دقماق إبراهيم بن محمد (المتوفى سنة ٨٠٩) وسماه «نظم الجمان في طبقات أصحاب إمامنا النعمان» وقد اختصر فيه كتاب القرشي وزاد قليلاً عليه.

٤ ـ الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي (المتوفى سنة ٨١٧) وسماه «المرقاة الوفية في طبقات الحنفية».

٥ ـ الجزري أبو الخير محمد (المتوفى سنة ٨٣٣) وهو تلميذ القرشي وقد شذب كتاب أستاذه وأضاف إليه.

٦ ـ بدر الدين محمود بن أحمد العيني القاضي (المتوفى سنة ٨٥٥).

٧ ـ ابن قطلوبغا قاسم بن قطلوبغا التركي (المتوفى سنة ٨٧٩) وقد جمع مختصراً سماه تاج التراجم في طبقات الحنفية وهو مختصر جمعه من تذكرة شيخه المقريزي ومن الجواهر المضية فجاء في ٣٣٠ ترجمة.

٨ ـ شمس الدين ابن آجا محمد بن محمد (المتوفى أوائل القرن العاشر) صنف التراجم في ٣ مجلدات.

٩ ـ ابن طولون إسحاق بن حسن الشامي الحارثي الصالحي (المتوفى سنة ٩٥٣) وقد صنف «الغرف العلية في تراجم متأخري الحنفية».

١٠ ـ إبراهيم الحلبي (المتوفى سنة ٩٥٦) وقد اختصر كتاب ابن المهندس.

١١ ـ محمد بن عمر حفيد آغا شمس الدين (المتوفى سنة ٩٥٩).

١٢ ـ تقي الدين بن عبد القادر المصري التميمي الغزي (المتوفى سنة ١٠٠٥) وقد وضع في ذلك كتاباً كبيراً جمع فيه تراجم الحنفية فأوعى وأجاد وهو أجلّ الكتب المؤلفة في تراجم أهل الرأي، على شهادة طاشكبري زاده في كشف الظنون. وجميع رجاله يبلغون ٢٥٢٣ وقد سماه «الطبقات السنية في تراجم الحنفية». وذكر ابن الشحنة ـ حسب ما نقل في الكشف ـ طبقات الحنفية كل من عماد الدين مسعود بن شيبة السندي وابن سابق كما جمعها علي بن أمر الله الحنائي مختصراً على إحدى وعشرين طبقة.

وقد استعان عبد القادر القرشي على وضع كتابه «الجواهر المضية» بكل من قطب الدين عبد الكريم الحلبي وأبي العلاء البخاري وأبي الحسن علي المارديني. فصار شيئاً كثيراً من التراجم والفوائد الفقهية. وثمة من كتاب الجواهر مخطوط كتب سنة ٧٩٥ في مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ٢٨٢٦ في ٢٤٧ ورقة، وقد نشر الكتاب أولاً في حيدر آباد

ثم طبع من قبل عبد الفتاح محمد الحلو في القاهرة سنة ١٩٧٨ (طبعة البابي الحلبي في ٥٠٤ صفحات) وللقرشي كتب أخرى:

ـ «البستان في مناقب النعمان» (أبي حنيفة).

ـ كتب الوفيات من سنة مولده حتى سنة ٧٦٠(١).

ـ تهذيب الأسماء الواقعة في الهداية والخلاصة (والهداية هي في الفروع للمرغيناني (المتوفى سنة ٥٩٣) والخلاصة هي خاصة النهاية للصفاقي).

٤٧ ـ ابن عزام: صلاح الدين محمد بن علي بن عزام (ويقال اسمه خليل) (قتل سنة ٧٨٢) من جند المماليك. تنقل في الولايات وصار نائب الإسكندرية وولي تقدمة ألف في القاهرة. وكان نقيب الفقراء وكان يعدُّ منهم. كتب بخطه:

ـ تاريخاً من عشر مجلدات(٢) وفيه التراجم والحوادث.

٤٨ ـ ابن منكلي: محمد بن محمد (المتوفى سنة ٧٨٤هـ./١٣٨٢م.) وقد كتب:

ـ «الأحكام المملوكية في الضوابط الناموسية».

ومنه مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٣ فروسية.

٤٩ ـ مجهول ألّف باسم شاه شجاع جلال الدين (وكان حيًّا سنة ٧٨٥) أحد أركان الخليفة المعتضد بالله أبو بكر بن سليمان من الخلفاء العباسيين بمصر (وقد توفي سنة ٧٦٣)، له:

ـ «قانون السياسة ودستور الرياسة».

وهو مرتب على ثلاثة قوانين: ١ ـ في تهذيب الأخلاق، ٢ ـ في تدبير الأموال، ٣ ـ في تقويم الرعايا وسياستهم، وفي كل منها جداول وتشجير(٣).

٥٠ ـ ابن سند: شمس الدين أبو العباس محمد بن موسى بن محمد بن سند بن نعيم الحافظ اللخمي المصري الأصل الشامي (ولد سنة ٧٢٩ بمصر وتوفي في الشام سنة ٧٩٢) وقد سمع بمصر والشام وكتب:

ـ ذيلاً على ذيل العبر للحسيني.

وقد كان محمد بن علي الحسيني الحافظ أبو المحاسن قد كتب ذيلاً على كتاب العبر

---

(١) انظر في القرشي ـ ابن حجر ـ الدرر ج٣ ص٦ وشذرات الذهب ج٦ ص٢٣٨ وانظر كشف الظنون ج١ عمود ٢٤٤ وج١ عمود ٦١٦ وهدية العارفين ج١ عمود ٥٩٦.

(٢) ابن حجر ـ إنباء الغمر بأبناء العمر ج١ ص٢٢٧ وج١ ص٢١٥. هدية العارفين ج١ عمود ٣٥٢.

(٣) الذريعة لآغا بزرك ج١٧ ص٢٢.

للذهبي وصل به إلى سنة ٧٦٢ فأتمه ابن سند من سنة ٧٦٢ إلى آخر سنة ٧٨٥.

يذكر ابن حجر أنه رآه بخطه وأنه ذيل فيه إلى قرب الثمانين فقط[١].

٥١ ــ ابن العطار الدنيسري: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي القاهري الشافعي (ولد سنة ٧٤٦ ويقال سنة ٧٤٠ وتوفي سنة ٧٩٤ هـ. /١٣٤٥ ـ ١٣٩٢ م.) الشهير بابن العطار ومن مؤلفاته:

ــ «لطائف الظرفاء».

ــ «العهود العمرية في اليهود والنصارى»[٢].

٥٢ ــ الزركشي: محمدبن بهادر بن‌عبد الله (المتوفى سنة ٧٩٤هـ. /١٣٩٢م.) ومن آثاره:

ــ عقود الجمان (في الذيل) على وفيات الأعيان (أو في تذييل) لابن خلكان.

وهو كتاب على الحروف في تراجم من قالوا الشعر ممن لم يذكرهم ابن خلكان أو ذكرهم الذكر العابر. والتراجم قصيرة لكن المنتخبات الشعرية واسعة.

ومنه مخطوطان أحدهما مخروم الأول وآخره ترجمة يوسف بن رافع التميمي الأسدي ابن شداد (قاضي صلاح الدين)، وهو بخط المؤلف، محفوظ بمكتبة فاتح رقم ٤٤٣٥ في ٣٦١ ورقة. وعليه إضافات على الحاشية. أما الثاني فموجود في مكتبة عارف‌حكمت في المدينة المنورة برقم ٤٥٩ تاريخ في ٣٠٠ ورقة[٣].

٥٣ ــ ابن ظهير: محمد بن إبراهيم بن محمد الحنفي (من رجال أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع) وله:

ــ «كشف الغمم عن أخبار الأمم». يقول في مطلعه:

«وهو نبذة من التاريخ لطيف الحجم أذكر فيه ما تيسر من بعض الحوادث الغريبة».

منه مخطوط روان كوشكي باستامبول رقم ١٥٥٩. المجلد الأول فقط كتب في القرن التاسع في ٢٨٠ ورقة.

٥٤ ــ النقاش: شمس الدين محمد (ولعله من أواخر القرن الثامن) وله:

---

(١) ابن حجر ـ الدرر ج٥ ص٤٠ وكشف ٢ عمود ١١٢٣ ـ ١١٢٤ وهدية العارفين ج٢ عمود ١٧٣.

(٢) ابن حجر ـ الدرر ج١ ص٢٨٧ ـ ٢٨٩، شذرات الذهب ج٦ ص٣٣٣. بروكلمان ج٢ ص١٤ ـ ١٥ هدية العارفين ج١ عمود ١١٦، كشف ج٢ عمود ١١٨٠ و١٥٥٣.

(٣) انظر فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم٣ ص٢١٦ وكشف١ ص٤٥٤ وهدية العارفين ٢ عمود ١٧٥ وبروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص٥٤.

ـ «كتاب العبر في أخبار من مضى وغبر» (منظم على السنوات).

وقد نقل عنه المقريزي في الخطط[1].

٥٥ ـ موسى بن محمد بن يحيى: أحد مقدمي الحلقة (ولعله بعد أواسط القرن الثامن) وله:

ـ «السيرة الناصرية» (الناصر محمد بن قلاوون).

نقل عنها المقريزي في الخطط[2].

٥٦ ـ مجهول من أواخر القرن الثامن كتب:

ـ «تقديم البلدان المصرية في الأعمال السلطانية».

وهو تاريخ لمصر في عهد حكم الأشرف. ألف بأمر الأمير شعبان بن حسين (سنة ٧٧٧) وهو مخطوط في كمبردج (إنكلترا) رقم ٦٥ Qq في ٨٩ ورقة مزينة بالأحمر والأخضر والذهبي.

٥٧ ـ التركي: عبد الله بن محمد بن عبد الله التركي الغُزي (بضم الغين) وله:

ـ «سبك النضار وكسب المفاخر ونثر الدر ونظم الجواهر».

في سيرة المعز الأشرف السيفي أقباي. وهو أقرب إلى أن يكون كتاب مدائح منه إلى السيرة أو الترجمة. ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا في دار الكتب المصرية[3].

٥٨ ـ مجهول من رجال القرن الثامن، له:

ـ «ذيل على مختصر اليونيني لمرآة الزمان».

ومنه مخطوطة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تشمل السنوات ٦٥٥ ـ ٦٥٧، (برقم أول ٣٨/٥ والسنوات ٦٧١ ـ ٦٨٦ برقم ثان ١٩٢/٥[4]..

٥٩ ـ علي بن عبد العزيز الكاتب: من رجال أواخر القرن الثامن. وله:

ـ «تاريخ الصعيد».

أشار إليه السخاوي وليس له من ذكر آخر[5].

---

(١) المقريزي ـ الخطط (ط. بولاق) ج٢ ص٢٧٩.

(٢) المقريزي ـ الخطط ج٢ ص٢٧٨.

(٣) زيدان ـ المصدر السابق ج٣ ص١٦٦.

(٤) بروكلمان (الترجمة العربية) ج ٦ ص١٤٣.

(٥) السخاوي ـ الإعلان بالتوبيخ (ط. العلي) ص٦٣٤.

٦٠ ــ مجهول من رجال أواخر القرن الثامن الهجري كتب للسلطان برقوق المملوكي:

ــ «كتاب محاسن الملوك».

ضمنه أبحاثاً في البروتوكول المملوكي حول السلطان والآداب اللازمة في خدمته كالوقوف ببابه والدخول عليه وما يقتضي للملك من الآداب. وكيف يجب على السلطان أن يتعهد رعيته ويراعي مجالسيه، وكيف يخاطبونه ويؤاكلونه ويحادثونه وغير ذلك. وأتى بالأمثلة والشواهد من أول الإسلام إلى زمنه (سنة ٧٩٥).

من الكتاب نسخة في مكتبة أحمد زكي باشا بدار الكتب المصرية منقولة عن مكتبة طوبقابو مع كتاب آخر اسمه «رسل الملوك» لأبي علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء في ٥٥ صفحة تبحث في إرسال رسل الملوك وشروطه[1].

٦١ ــ محمد بن أبي الفضائل بن عبد الساتر: (ويظن أنه من رجال القرن الثامن) كتب:

ــ «نديم الكرام ونسيم الغرام».

ويتناول تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين.

ومنه نسخة فريدة في طوبقابو باستامبول رقم ٢٩٧٣ A ٥٧٢٩ في ١٢٩ ورقة، ويرجح أنها كتبت في القرن التاسع.

٦٢ ــ علاء الدين علي بن محمد بن العز الحنفي: من رجال القرن الثامن. له:

ــ «منحة اللطفا في تواريخ الخلفا».

وهي قصيدة لامية مع شرحها في التاريخ الإسلامي كله منذ عهد الراشدين.

أولها: ألا فاحمد الله المهيمن ذا العلا وذا الملك يؤتيه وينزعه بلا

وآخرها: له الحمد في حالي رجائي وشدتي فما لي سواه في الشدائد موئلا

ومنها نسخة في راضا برامبور في الهند رقم ٣٦٠٢ ـ ف ٣٠٣٠[2].

٦٣ ــ الإخميمي: جلال الدين أبو القاسم أحمد الأنصاري الخزرجي الشافعي. ألف (سنة ٧٨٥):

ــ «المنتقى الوجيز في مناقب عمر بن عبد العزيز».

---

(١) زيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص٢٧٣.

(٢) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم٣ ص٣٠٤.

وقد ألفه برسم أحد وزراء المماليك. ثم كشط من المخطوط اسم الوزير من المقدمة. وهو مخطوط في مكتبة الفاتيكان رقم ١٤٥٧، في ٩١ ورقة[1].

٦٤ ــ سلامش بن كندغدي الصالحي: من القرن الثامن ينسب إليه:

ــ «كتاب البستان في عجائب الأرض والبلدان».

وبعض مخطوطات الكتاب تنسبه أيضاً لابن الأثير الحلبي من رجال مطالع القرن الثامن وإلى ضياء الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧. وهذا الكتاب هو في الواقع كتاب:

ــ «تحفة العجائب وطرفة الغرائب» ذاته المنسوب لابن الأثير الحلبي من رجال القرن الثامن. وله عدد من المخطوطات في المكتبة الأهلية نفسها وفي المتحف البريطاني.

والكتاب يتكلم عما «أظهرته الحكمة الإلّهية من عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات مضافاً إلى ذلك من أخبار الأمم الماضية وأحاديث القرون الخالية مطرزاً بمُلَح الأخبار ونوادر الأشعار». ويضيف صاحبه قوله: «جمعته من كتب عدة منها «عجائب المخلوقات» للقزويني، و «العجائب» للهروي و «كنز الدرر» لابن صاحب صرخد وكتاب «المناهج والمباهج» (وهو مناهج الفكر ومباهج العبر لجمال الدين محمد بن إبراهيم الوطواط الكتبي الوراق (المتوفى سنة ٧١٨) وكتاب «المنهاج في الطب» لابن جزلة. ورتبته على خمس مقالات... » والخامسة منها في السير وأخبار البشر. ولهذا الكتاب مخطوطات عديدة في المتحف البريطاني وفي المكتبة الأهلية في باريس.

فالنسخ المخطوطة في المتحف البريطاني تحمل أرقام Add ٧٤٩٧ في ١٢٥ ورقة، ورقم Add ٢٣٣٨٢ في ١٣٩ ورقة (وهي تنسب هنا لابن الوردي) ورقم Add ٧٥٠٤ في ١٠٦ ورقات (وعليها عنوان عجائب المخلوقات لابن الوردي).

أما النسخ المخطوطة في باريس فتحمل أرقام A. ٢١٢٢ و٥٨٦٣ و ٦١٤٥ و ٢٢١٢، وهذه النسخة كتب على غلافها كتاب البستان في عجائب الأرض والبلدان تأليف سلامش بن كندغدي الصالحي.

٦٥ ـ مجهول قد يكون من أبناء القرن الثامن كتب كتاب:

ــ «شمس الخلافة» (في الأخلاق والسياسة) في مجلدين.

وهما موجودان في مكتبة طوبقابو. الأول منهما برقم ٢٥٦٣ A ٦٩٧٥ وهي نسخة كتبت للأشرف ينال من مماليك مصر في ١٣٨ ورقة، والمجلد الثاني منه يحمل رقم ٢٣٢٣ A ٦٩٧٦ في ١٥٦ ورقة.

---

(١) المصدر السابق قسم٣ ص٣٠٣.

٦٦ ـ مجهول من رجال القرن الثامن كتب:

ـ «غاية المطلوب في تاريخ بني أيوب»، وهو مفقود لكن لخصه مجهول آخر. كتب بعد (سنة ٧٧٨ هـ. /١٣٧٦ م.):

ـ «كتاب تاريخ نزهة الناظر وراحة الخاطر».

ومنه نسخة خطية في فيينا رقم ٣٢٥ + MX.

وقد عني هذا الملخص بالأيوبيين أصحاب حصن كيفا، وفيه مقدمة عامة عن الأيوبيين في مصر والشام مع صفحة من ابن أبي طي ومختصرات عن ابن شداد غير موجودة لدى غيره[1].

٦٧ ـ مجهول من القرن الثامن كتب:

ـ «مختار وفيات الأعيان» (لابن خلكان).

ومنه مخطوط الجزء الأول حتى ترجمة غيلان في مكتبة أحمد الثالث رقم ٤/٢٩١٩ نسخة كتبت (سنة ٧٢٤) في ٢١٥ ورقة كبيرة.

٦٨ ـ مجهول لعله من القرن الثامن. له:

ـ «حدائق البيان» (مختصر وفيات الأعيان).

مخطوط في كمبردج ثالث ٣٩١، ومخطوط المتحف البريطاني أول/٣٥٣: ٣[2].

٦٩ ـ مجهول لعله أيضاً من القرن الثامن كتب:

ـ «مختصر تاريخ بغداد» (للخطيب البغدادي).

ومنه مخطوط باريس ـ الأهلية أول ٢١٣٢[3].

٧٠ ـ مجهول لعله من القرن الثامن كذلك كتب:

ـ «مختصر تاريخ ابن عساكر».

وثمة من الأجزاء الأولى من هذا التاريخ نسخة مخطوطة في غوطا رقم ١٧٧٧[4].

٧١ ـ مجهول ربما كان من القرن الثامن له:

ـ «تهذيب الأسماء».

---

(١) كلود كاهن ـ سورية الشمالية في العصر الصليبي (بالفرنسية) ص٨٨.
(٢) انظر بروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص٥٤ وص٥٣.
(٣) بروكلمان المصدر نفسه ج٦ ص٥٩.
(٤) المصدر نفسه ص٧١.

اتبع فيه منهج يحيى بن شرف النووي صاحب تهذيب الأسماء واللغات.

ومنه مخطوط طوبقابو رقم ١٢٠٩ A ٦٣٥٧، في ١٧٠ ورقة.

٧٢ ـ مجهول كتب سنة ٧١٧:

ـ «أسماء رجال تهذيب الكمال» للمزي مرتبة على الطبقات ثم على حروف المعجم.

ومنه نسخة بخط قديم وعلى الحواشي تعليقات واستدراكات كثيرة. وقد قوبلت على نسخة الذهبي وهي في مكتبة شهيد علي باستامبول رقم ٥٢٣ في ١٠٢ ورقة[١].

٧٣ ـ مجهول لعله من القرن الثامن كتب:

ـ «تراجم الأعيان».

وهو قطعة من كتاب مجهول العنوان يحوي تراجم بعض الأعيان منذ القرن الأول حتى القرن السابع مرتبة على حروف المعجم. وهو مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٧٤٠٦، في ١٨ ورقة[٢].

٧٤ ـ مجهول قد يكون من القرن الثامن كتب:

ـ «قصة القطب الرباني سيدي أحمد البدوي» (المدفون في طنطا).

ومنه نسخة كتبت (سنة ٨٦٣) في الآصفية بحيدرآباد رقم ٨٧ تراجم في ٥٠ صفحة[٣].

٧٥ ـ القاضي جمال الدين: محمد أبو عبد الله بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري الكاتب في ديوان الإنشاء بالقاهرة من رجال أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع. كان معاصراً لابن الفرات وله:

ـ «ذخيرة الكتاب».

فيه نصوص مراسلات رسمية وكثير من المعلومات التاريخية ومذكرات للرجل. قرأه ابن الفرات بخط المؤلف ونقل عنه الكثير[٤].

٧٦ ـ مجهول كتب أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع كتاب:

ـ «مجموع من التواريخ من أول العالم إلى الملك (الظاهر) برقوق» (٧٨٤ ـ ٧٩١ ـ و ٧٩٤ ـ ٨٠١) ومنه مخطوط في أياصوفيا باستامبول رقم ٢٩٨٤.

---

(١) فهرس معهد المخطوطات ـ التاريخ قسم٢ ص١٠.

(٢) الريان ـ فهرس مخطوطات الظاهرية ١٤٩.

(٣) فهرس معهد المخطوطات ـ التاريخ قسم٣ ص٢٣٤.

(٤) انظر خاصة ابن الفرات ج٨ ص٥٨ والمجلد ٧ الصفحات ٢٠٢، ١٥٨، ٢١٨، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٤٥، ٢٤٧، وج٨ ص٢٧٤، ص٢٧٦ وص٦٤.

٧٧ ــ محمد بن عقيل: كتب قبل مطالع القرن التاسع:

ــ «الدر النضيد في مناقب الملك الظاهر أبي سعيد (برقوق)» ومنه مخطوط برلين[١] وثمة في التاريخ المملوكي ستة يحملون لقب الظاهر هم بيبرس وبرقوق وططر وجقمق وخشقدم وبلباي وتمربغا وقانصوه.

٧٨ ــ مجهول كتب أيضاً:

ــ «لوامع البروق في سلطنة الملك الظاهر برقوق» (٧٨٤ ـ ٨٠١) (وقطعها السلطان حجي ما بين ٧٩١ ـ ٧٩٣)[٢].

٧٩ ــ البلبيسي: إسماعيل بن إبراهيم (المتوفى سنة ٨٠٢) وهو نسابة واسع الاطلاع. من آثاره:

ــ «الأنساب» أو «القبس في الأنساب» أو «قبس الأنوار».

جمع فيه بين أبي محمد الرشاطي في الأنساب وبين اللباب لابن الأثير. ومنه نسخة وحيدة في استامبول كاملة في ثلاثة مجلدات وبخط المؤلف في مكتبة رئيس الكتاب:

الأول في ٣٣٤ ورقة من المطلع حتى حرف الجيم برقم ٥٩٤.

الثاني في ٣٤٠ ورقة من الحاء إلى الشين برقم ٥٩٥.

الثالث في ٤١٩ ورقة من الشيرازي إلى آخر الكتاب برقم ٥٩٦.

وفي مكتبة الأزهر نسخة برقم ١٣٣ مصطلح الحديث هي جزءان في ٨٠ ورقة و ١٢٥ ورقة.

والرشاطي هو أبو محمد عبد الله بن علي اللخمي (المتوفى شهيداً بالمرية سنة ٥٤٢) واسم كتابه «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار».

ــ «قبائل العرب في التاريخ»[٣].

٨٠ ــ الزفتاوي: إبراهيم بن أحمد أو محمد بن علي الزفتاوي المصري الكاتب (توفي سنة ٨٠٦) وله:

ــ منهاج الإصابة في أوضاع الكتابة[٤].

٨١ ــ العراقي: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي

---

(١) زيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص١٦٦.

(٢) كشف الظنون ج٢ عمود ١٥٦٨ وقال: ذكره البوني.

(٣) كشف ج٢ عمود ١٣١٥ وج١ عمود ١٤٣.

(٤) البغدادي ـ ذيل كشف الظنون ج٢ عمود ٥٨٥.

الكردي المهراني الشافعي (ولد سنة ٧٢٥ وتوفي سنة ٨٠٦) كان حافظ الوقت. سكن مصر ورحل إلى دمشق وحلب والحجاز مرات. وولي قضاء المدينة. ومن آثاره أنه:

ــ جمع سيرة جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنائي.

ــ جمع سيرة علاء الدين مغلطاي البكجري الحنفي.

ــ نظم السيرة النبوية في ألف بيت وسماها «نظم الدرر المنية في السير الزكية». وقد مشى فيها على السيرة المختصرة للعلاء مغلطاي.

ــ كتب ذيلاً في الوفيات على الشهاب الدمياطي[1] بدأه سنة ٧٤٩ حتى سنة ٧٦٢ ثم ذيّل عليه من بعده ولده الولي أبو زرعة.

٨٢ ــ الهيثمي: أبو الحسن نور الدين على ابن أبي بكر بن سليمان الشافعي المعروف بابن حجر الهيثمي (توفي سنة ٨٠٧). وقد رحل وسمع وحجّ وصنّف. ومن مصنفاته[2]:

ــ «ترتيب كتاب الثقات» للعجلي على حروف المعجم.

ومنه مخطوط شهيد علي في استامبول رقم ٢٧٤٧/١ ف ٧٩٦ وهي بخط سبط ابن العجمي (سنة ٨٠٩) في ٦٧ ورقة.

ــ زوائد معجمي الطبراني الأوسط والصغير.

ومنه مخطوط مكتبة أحمد الثالث حديث رقم ٤٦٣.

ــ «ترتيب الثقات» لابن حيان.

ومنها مخطوط الجزء الأول (الأحمدون حتى من اسمه صبح) والجزء الثالث من محمد حتى آخر الكتاب. وذلك في دار الكتب المصرية مصطلح الحديث ٣٧ من ١٩٩ ورقة.

٨٣ ـ محمد العرصي العري: (قد يكون العرضي العزي أو الغزي، فقد ورد دون إعجام) وله:

ــ «المنتقى من طبقات الشافعية» للأسنوي (المتوفى سنة ٧٧٢).

انتقاه صاحبه سنة ٨١٠، ومنه نسخة نقلت عن خط المنتقي نفسه وبأولها فهرس. وهي في دار الكتب المصرية رقم ٧٣٦٨ ح، في ١٠٧ ورقات[3].

٨٤ ـ الأوحدي: شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان (ولد سنة ٧٦١

---

(١) انظر السخاوي ـ الإعلان بالتوبيخ (ط. العلي) الصفحات ٧٠٢/٧٤٣/٧٤٩/٥٣١ وانظر كذلك كشف الظنون ج٢ عمود ١٩٦١.

(٢) انظر شذرات الذهب ج٧ ص٧٠.

(٣) فهرس معهد المخطوطات ـ التاريخ ـ قسم ٤ ص٤٣٤.

وتوفي سنة ٨١١) وهو مؤرخ أديب، شاعر وله ديوان شعر وكتب في الأدب. وله كتاب:

ــ «خطط مصر والقاهرة» في مجلدات.

وهو الكتاب الذي اتهم المقريزي بأنه عثر عليه مسودة فادعاه لنفسه بعد تعديله وسماه «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار». وكتابة خطط مصر والقاهرة تقليد قديم في مؤرخي مصر بدأه الكندي أبو عمر محمد بن يوسف (المتوفى سنة ٣٥٥) [١] فقد كتب خطط مصر ثم جاء القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (المتوفى سنة ٤٥٤) وقد سماه «المختار في ذكر الخطط والآثار». وقد دثر أكثر ما ذكراه في الكتابين في سني الشدة المستنصرية (٤٥٧ ـ ٤٦٣) من الغلاء والوباء والفقر. ثم كتب تلميذ القضاعي أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي (المتوفى سنة ٥٢٠) كتاباً في الخطط وتلاه الشريف محمد ابن إسماعيل الجواني (المتوفى سنة ٥٨٨) [٢] وسمى كتابه «النقط لمعجم ما أشكل من الخطط». ثم ألف القاضي محي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر (المتوفى سنة ٦٩٢) كتاباً سماه «الروضة البهية الزاهرة والخطط المعزية». ثم كتب القاضي محمد بن عبد الوهاب ابن المتوج (المتوفى سنة ٧٩٠) في الموضوع نفسه وسمى كتابه «اتعاظ المتأمل وإيقاظ المتغفل» فبين أحوال مصر حتى حدود سنة ٧٢٥ وقد دثر بعده معظم ما ذكره. ثم صنف الأوحدي كتابه الذي ذكرنا إلى أن جاء المقريزي فاستوعب كل شيء واستكمله في كتاب جامع شامل مفصل هو الواعظ والاعتبار (وقد توفي سنة ٨٤٥) ولم يأت من بعده من يكتب في خطط مصر والقاهرة لأن كتابه اشتهر فقطع السبيل على المؤلفين. وقد ترجم منذ (سنة ٩٦٩) إلى التركية للأمير إبراهيم الدفتري قبل أن يتلقفه المستشرقون ثم الباحثون بالعناية [٣]

٨٥ ــ الزبيري: أبو محمد تقي الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر بن هبة الله الزبيري القرشي المحلي القاهري (ولد سنة ٧٣٤ وتوفي سنة ٨١٣ عن ثمانين سنة) تولى نيابة الحكم سنة ٧٨٤ ثم تولى القضاء استقلالاً ثم صار قاضي القضاة ما بين سنة ٧٩٩ إلى سنة ٨٠١. له:

ــ «تعاليق تاريخية».

---

(١) هو صاحب كتاب الفضلة والكتاب (في مصر) وفضائل مصر (ألفه لكافور الأخشيدي) وتاريخ مصر المخطوط في المتحف البريطاني.

(٢) نسجل وفاته (سنة ٥٨٨) ظناً بأنه هو نفسه الشريف محمد بن أسد الجواني وليس ابن إسماعيل كما ورد في كشف الظنون.

(٣) انظر السيوطي ـ حسن المحاضرة ج١ ص٣٢١ وكشف الظنون ٢/١١٦٨ وهدية العارفين ١/٤٨٩. وانظر كذلك العمود رقم ٧١٥ و٧١٦ من كشف الظنون.

نقل عنها ابن حجر في «إنباء الغمر» في كثير من المواضع[1] سواء في الحوادث أم في التراجم.

ـ كتب قطعة على التنبيه[2].

٨٦ ـ ابن القطان: أبو عبد الله محمد بن قيصر المصري المعروف بابن القطان (لأن أباه كان قطاناً وأخوه كذلك) (توفي سنة ٨١٣) وهذا ما ذكره البغدادي صاحب «ذيل كشف الظنون». غير أن صاحب الشذرات يذكر اسماً آخر هو شمس الدين محمد بن علي بن محمد ابن عمر بن عيسىٰ الشافعي المصري. وذكر أن ابن حجر قرأ عليه وأنه ناب في الحكم بأخرة فتهالك عليه إلى أن مات. وكان ماهراً في القراءات وفي الحساب وله:

ـ «التقاط الجواهر والدرر من معادن التاريخ والسير».

وكان في مجلدين ومعظمه في الوفيات.

ـ «الذيل على طبقات الشافعية» للأسنوي[3].

٨٧ ـ ابن درباس: فخر الدين أبو إسحق أحمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر ابن أيوب المازني الكردي القاهري الحنبلي (توفي سنة ٨١٧ هـ. / ١٤١٤ م.) ومن آثاره:

ـ كتاب في آل بيته بني درباس.

ـ كتاب في آل ابن العجمي[4].

٨٨ ـ الأقفهسي: صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد (توفي سنة ٨٢٠) وهو حافظ مكثر. ومن آثاره:

ـ تاريخ.

ذكره ابن حجر في أول إنباء الغمر[5].

٨٩ ـ البشيتي: جمال الدين بن أحمد بن عبد العزيز بن موسى بن أبي بكر البشيتي (ونسبته إلى بشيت من قرى فلسطين ويذكر في المصادر بنسب مختلفة منها البشيشي

---

(١) انظر ابن حجر ـ إنباء الغمر ج١ ص٤٥٤ (سنة ٧٩٥) و١/٣٩٣ (سنة ٧٩٢) و١/٣٨٠ (سنة ٧٩٥) و١/٢٣ (سنة ٧٧٣) و١/١٤٨ (سنة ٧٧٨) و١/١٥٧ ، ١/١٧٣، ١/١٩١ و١/٢٥٥ (سنة ٧٨٤).

(٢) انظر السيوطي ـ حسن المحاضرة ج٢ ص١٧٢ ، وإنباء الغمر لابن حجر ج٢ ص٤٧٠ ـ والسخاوي ـ الضوء اللامع ج٤ ص١٣٨.

(٣) انظر ذيل الكشف ج١ عمود٦١٧ و١٨٠ وانظر شذرات الذهب ج٧ ص١٠٤ وقد يكون الاسمان لشخصين مختلفين يحملان الكنية نفسها. وإنما يثير الاضطراب بينهما اتفاق سنة الوفاة! والاسم الأول هو الذي ذكره ذيل الكشف.

(٤) السخاوي ـ الضوء ج١ ص٢١٦.

(٥) ابن حجر ـ إنباء الغمر ج١ ص٤، كشف ج١ عمود ٢٩٧.

والبشيسي والبشبيشي) (ولد سنة ٧٦٢ وتوفي بالإسكندرية سنة ٨٢٠هـ./١٣٦١ - ١٤١٧م.) وهو فقيه لغوي خطاط. ومن آثاره كتاب:

- «أخبار قضاة مصر» استوعب فيه أخبارهم. ويسمى أيضاً تاريخ القضاة. وهو مجلد. وقد اعتمد عليه ابن حجر كثيراً في كتابه «رفع الإصر عن قضاة مصر» بشهادة تلميذه السخاوي، الذي ذيل عليه في مجلد[1].

٩٠ - البنبي: محمد بن الحسن (المتوفى سنة ٨٢٦ أو سنة ٨٦٥) ومن آثاره:

- «العقود الدرية في الأمراء المصرية».

وهو مرتب على السنين إلى أيام برسباي. ومنه مخطوط في المتحف البريطاني رقم ١٥٥٠/٤. وقد نقله ابن طولون كما هو في كتابه «العقود اللؤلؤية في الأمراء المصرية» مع ذيل النعيمي عليه ثم ما أضافه هو نفسه، ومنه مخطوط بخط ابن طولون في بلدية الإسكندرية رقم ٢٢٠٨ وقد نشر صلاح المنجد الكتاب (سنة ٩٦٣)[2].

٩١ - البرماوي: محمد بن عبد الدائم بن موسى أبو عبد الله شمس الدين المصري (المتوفى سنة ٨٣١هـ. /١٤٢٨م.) وأصله من عسقلان ولد فيها (سنة ٧٦٣).

- «السيرة النبوية» مطولة ومختصرة.

وله على أحدهما حاشية أفردها مضمومة للأصل تقي الدين فهد. وكان المؤلف قد جعلها حاشية على أحد مؤلفي ابن جماعة.

- «الزهر البسام فيما حوته عمدة الأحكام (للشماشي) من الأنام» وهو في التاريخ والتراجم[3].

٩٢ - الكلوتاتي: أبو الفتح شهاب الدين أحمد بن عثمان بن محمد الكلوتاتي القاهري (ولد سنة ٧٦٢ هـ. /١٣٦١ م. وتوفي سنة ٨٣٥ هـ. /١٤٣٢ م.). وهو محدث كرماني الأصل عاش في مصر وله:

- «مختصر تهذيب الكمال» وهو ثبت في مجلدين، وفيه أوهام ولم يتمه[4].

٩٣ - الأبشيطي: شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الشافعي الواعظ (المتوفى سنة ٨٣٥هـ. /١٤٣٢م.) وله:

---

(١) السخاوي - الضوء اللامع ج٥ ص٧ والإعلان (ط. العلي) ص٥٧٤ وشذرات ج٧ ص١٤٦.

(٢) زيدان - آداب اللغة العربية ج٣ ص١٩٣، المنجد - المخطوطات المطبوعة ٩٦٠ - ٩٦٥ ص٤٦ (ويجعل موته سنة ٨٦٥).

(٣) السخاوي - الإعلان (ط. العلي) ص٥٣٠، بروكلمان ج٢ ص٩٥، وهدية ٢ عمود ١٨٦

(٤) السخاوي - الضوء ج١ ص٣٧٨ وانظر فهرس المخطوطات - تاريخ قسم ٤ ص٢٣٣.

ـ «في السيرة النبوية».

كتاب جامع كتب منه نحو ثلاثين سفراً ويحتوي سيرة ابن إسحاق مع ما كتبه السهيلي وغيره عليها وما اشتمل عليه كتاب البداية والنهاية لابن كثير وما احتوت عليه المغازي للواقدي وغير ذلك، ضابطاً للألفاظ الواقعة فيها(١).

٩٤ ـ الطولوني: حسن بن حسين بن أحمد المصري (توفي سنة ٨٣٦هـ. /١٤٣٣م.) ومن آثاره:

ـ «النزهة السنية في ذكر الخلفاء والملوك المصرية».

ومنه مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس رقم Ar.١٨١٤.

٩٥ ـ ابن خلكان (المصري؟) (توفي بعد سنة ٨٣٩) وله:

ـ «تاريخ مصر» يبدأ بوصف مصر وفضائلها وأخبار ملوكها وينتهي بنهاية سنة ٨٣٩.

ومنه مخطوط كتبه أبو المحاسن بن تغري بردي بخطه موجود في نهاية مخطوط (عجائب البلدان) مصور في مكتبة الدراسات العليا ببغداد. ولا توجد فيه الأخبار التي نقلها ابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ مما يدل على أنه كتاب آخر لابن خلكان.

٩٦ ـ محمد بن ناهض: عاش في مصر (توفي سنة ٨٤١هـ. /١٨٤٣م.) كتب:

ـ «سيرة المؤيد» (شيخ الذي حكم سلطاناً بين ٨١٥ و ٨٢٤هـ./١٤١٢ـ ١٤٢١م.). وقد نظمها القلقشندي شعراً.

٩٧ ـ مجهول كتب:

ـ «مختصر تاريخ الإسلام» (من عهد الرسول حتى الملك الظاهر سيف الدين جقمق سنة ٨٤٢ هـ. /١٤٣٨ م.) منه مخطوط في ١٢٤ ورقة في طوبقابو سراي رقم ٥٨٩٨ نسخ لأمير من أمراء مصر (سنة ٩١١هـ. /١٥٠٥م.) وسقطت منه ورقة فيها اسم المؤلف وعنوان الكتاب(٢).

٩٨ ـ الجيزي (ويقال الجيزري والحزيري) محمود بن إسماعيل (المتوفى بعد سنة ٨٤٣ أو سنة ٨٤٥) ومن آثاره كتاب:

ـ «الدرة الغراء في نصائح الملوك والولاة والوزراء».

ألفه للسلطان أبي سعيد جقمق في عشرة أبواب، والأبواب الأولى في الإمامة وشروطها وأحكام الإمام والباب الخامس في الوزارة، ثم في الأجناد، ثم في الأحكام السلطانية. فرغ

---

(١) السخاوي ـ الإعلان ص٥٣١.

(٢) مجلة المورد ـ فهرس التاريخ في مكتبة طوبقابو المجلد ٤.

منه سنة ٨٤٣ وله ترجمة تركية بقلم ابن فيروز قدمها للسلطان سليم في ٧ أبواب وسماها: الغرة البيضاء.

منه مخطوط طوبقابو رقم ٣٤٣٣ A ٦٩٧٧ من مائة ورقة نسخت سنة ٨٤٤ وثمة نسخة أخرى في مكتبة فلايشر Fleisher[1].

٩٩ ـ ابن بهادر: محمد بن محمد (ولعل أباه هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤) وهو من رجال النصف الأول من القرن التاسع. وله:

ـ «فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر».

ومنه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية برقم ٢٣٩٩.

١٠٠ ـ سيف الدين طقز: من رجال النصف الأول من القرن التاسع. من آثاره:

ـ «علم الفروسية برسم المجاهدين في سبيل الله عزّ وجلّ».

ومنه مخطوط دار الكتب رقم ٨٢ فروسية ـ تيمورية.

ـ كتاب برسم الجهاد في سبيل الله تعالى (وقف الأشرف بارسباي).

ومنه مخطوط مصور بمكتبة محمد مصطفى (ولعله الكتاب الأول نفسه).

١٠١ ـ مجهول. من رعايا سلاطين المماليك الجراكسة أيام الأشرف بارسباي في النصف الأول من القرن التاسع. رحل إلى الهند في زيارة وكتب كتاب:

ـ «خزانة السلاح».

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٧٩٦ أدب في ٤١ ورقة.

وثمة منه نسخة أخرى في دار الكتب أيضاً برقم ٧٩٥ (أدب ـ تيمور) في ٥٢ ورقة وقد نشر بتحقيق نبيل محمد عبد العزيز بالقاهرة (مكتبة الأنجلو) سنة ١٩٧٨.

١٠٢ ـ مجهول من رجال النصف الأول من القرن التاسع أيضاً. كتب:

ـ «تاريخ الدولة التركية».

ويتكلم فيه عن المماليك في مصر في الوجهين القبلي والبحري (ما بين سنتي ٦٠٥ وسنة ٨٠٥) ومنه مخطوط كمبردج رقم ١٤٧ Qq ناقص من آخره، في ٩٠ ورقة وأوله:

ذكر ابتداء الدولة الشريفة التركية.

١٠٣ ـ مجهول من النصف الأول من القرن التاسع كتب:

ـ «برهان الكمال وكمال البرهان وترجمة خلفاء الزمان».

---

(١) انظر كشف الظنون ج١ عمود ٧٤١ وهدية العارفين ج٢ عمود ٤١١ وبروكلمان ملحق٢ ص٦٦٥ وجرجي زيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص٢٧٣.

قال إنه يذكر فيه تاريخ من تقدم من النبيين ومن الخلفاء حتى عام ٨٢٥.

وثمة منه نسخة مخرومة الآخر ناقصة في مكتبة سوهاج رقم ٢٧٧ تاريخ.

١٠٤ ـ الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد بن عيسى أبو الفتح المحلي (ولد سنة ٧٩٠ وتوفي حوالى سنة ٨٥٠) وهو أديب واعظ. ولد بأبشويه (بمصر) ودخل القاهرة ودرس بها ثم ولي خطابة بلده. من تآليفه:

ـ «المستطرف في كل فن مستظرف».

وهو كتاب شائع مطبوع فيه طرائف تاريخية عديدة وقصص وأدب ونوادر في أربعة وثمانين باباً. وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢ وبهامشه كتاب ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي وذيل ثانٍ لمحمد بن إبراهيم الأحدب[١].

١٠٥ ـ ابن حميد: محمد بن علي بن أحمد المصري المحلي محب الدين أبو الطيب الشاذلي الشافعي (توفي سنة ٨٥٥) ومن تصانيفه:

ـ «النجمة الزاهرة والنزهة الفاخرة في نظام السلطنة وسلوك طريق الآخرة».

ويعلق صاحب «هدية العارفين» على الكتاب بأنه «كتاب غريب في بابه»[٢].

١٠٦ ـ السيوطي: صلاح الدين أبو الحسن محمد بن أبي بكر بن علي بن حسن ابن مطهر الحسني الشافعي. (ولد سنة ٧٨٣ وتوفي سنة ٨٥٦) وله كتاب:

ـ «مطلب الأديب». في الأدب والتاريخ[٣].

١٠٧ ـ النويري: كمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد النويري القاهري. الخطيب المالكي (المتوفى سنة ٨٥٧) وله:

ـ «تاريخ الخلفاء».

التزم فيه الوفاة واسم الأب والأم والولد والنسب والمذهب ونقش الخاتم ومن كان في دولته ومن مات في أيامه إلى قريب الثلاثمائة[٤].

١٠٨ ـ مجهول من رجال أواسط القرن التاسع (توفي بعد أو في حدود سنة ٨٥٧) وقد كتب بالرجز:

ـ ذيلاً على العقود الدرية في الأمراء المصرية (لأبي الحسن الجزار المتوفى

(١) السخاوي ـ الضوء اللامع ج٧ ص١٠٩، كشف الظنون ج٢ عمود١٦٧٣، بروكلمان ملحق ٢ ص٥٥ ـ ٥٦.

(٢) هدية العارفين ج٢ عمود ١٩٩.

(٣) المصدر السابق ج٢ عمود ١٩٩.

(٤) ذيل كشف الظنون ١ عمود ٢١٤.

سنة ٦٦٩هـ./ ١٢٧٠م.) وصل به إلى الملك الظاهر جقمق (المتوفى سنة ٨٥٧).

ومنه مخطوطات عديدة في برلين رقم ٩٨١٤ و ٢/٩٨٢٤: ١ (II). ومخطوط ليدن ٩٦٩ ومخطوط الأسكوريال ثانٍ ٤٧٠ : ١٠ ومخطوط المتحف البريطاني ثانٍ ٤٨٧ وفلورنسا ١٢، ٢٢ والأزهر ٢/٦٦٩٣[1].

١٠٩ ـ المراغي: شرف الدين أبو الفتح محمد بن أبي بكر (ولد سنة ٧٧٥ وتوفي سنة ٨٥٩هـ./ ١٣٧٤ ـ ١٤٥٥م.). وله:

ـ «السيرة النبوية».

كتبها على مختصرة العلاء مغلطاي كما كتب عليها الشمس البرماوي بعض الفوائد[2].

١١٠ ـ النواجي: شمس الدين محمد بن حسن بن علي المصري الشافعي (المتوفى سنة ٨٥٩)، وله:

ـ «نزهة الأخيار في محاسن الأخبار».

أورد فيه حسب قوله ما حسن إيراده من محاسن ذوي الألباب.

ومنه مخطوط المدرسة الأحمدية بالموصل رقم ٤٦ في ١٢٤ ورقة.

ـ «مراتع الغزلان في وصف الغلمان».

وقد جعله المؤلف على خمسة أبواب الأول في الأسماء والألقاب، والثاني في الأجناس وأرباب المناصب، الثالث في أصحاب الحرف والصنائع، والرابع في الصفات الفعلية وفيه فصلان، والخامس في الصفات الذاتية وفيه ثلاثة فصول[3].

١١١ ـ إمام الكاملية: كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن يوسف ابن منصور القاهري المعروف بابن إمام الكاملية. (ولد سنة ٨٠٨ وتوفي سنة ٨٦٤ أو ٨٧٤) ومن آثاره:

١ ـ طبقات الأشاعرة. وكان ابن عساكر قبله قد كتب «بيان كذب المفتري على ابن الحسن الأشعري».

٢ ـ سيرة العز عبد العزيز بن عبد السلام[4].

١١٢ ـ البلقيني: علم الدين صالح بن عمر سراج الدين الشافعي (ولد سنة ٧٩١

---

(١) انظر بروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص٩٠.

(٢) السخاوي ـ الضوء اللامع ج ٧ ص١٦٢ ـ١٦٥، السخاوي ـ الإعلان (ط. العلى) ص٥٣١.

(٣) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم٤ ص٤٤٦ وكشف الظنون ج٢ عمود ١٦٥٠ ـ ١٦٥١.

(٤) السخاوي: الإعلان (ط. العلي) ص٥٧٧ وص١٧٤٣ هدية العارفين ج٢ عمود٢٠٦.

وتوفي سنة ٨٦٨) قاضي القضاة وشيخ السيوطي (وأخو جلال الدين البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤) تكرر عزله عن القضاء وتوليته له. له مؤلفات في الفقه وقد كتب أيضاً:

ــ «الحُجَر والبُجَر في تاريخ ابن حجر».

كتبه ـ على ما قال صاحب كشف الظنون ـ لأن لسان ابن حجر كان حسناً في الناس وقلمه كان سيئاً. وليته عكس. ولذلك كتب العلم البلقيني كتابه هذا. وقد وقف عليه ابن حجر في حياته وكتب عليه[1].

١١٣ ــ مجهول كتب: في الثلث الأخير من القرن التاسع ذيلاً على:

ــ «ذيل العقود الدرية في الأمراء المصرية» لأبي الحسن الجزار (توفي سنة ٦٦٩).

ومن الذيلين الأول والثاني مخطوطتان واحدة في غوطا رقم ١٦٦٧ ـ ١٦٦٨، والثانية في بطرسبرغ (لينفراد) أول ١٣٩ : ٢ وقد وصل الذيل الثاني إلى سنة ٨٧٢[2].

١١٤ ــ الحجازي: شهاب الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن علي بن حسن ابن إبراهيم الأنصاري المصري المعروف بالحجازي وهو شاعر أديب (ولد سنة ٨١٠ وتوفي سنة ٨٧٥) ومن آثاره:

ــ «تذكرة الحجازي» (٥ مجلدات).

ــ «كتاب الحمقاء والمغفلين».

ــ «كنز الحواري في الحسان الجواري».

ــ «المسهب في أخبار المغرب»[3].

١١٥ ــ المؤمني: كمال الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن بهادر المؤمني الشافعي (ولد سنة ٨٣٦هـ. /١٤٣٢م. وتوفي سنة ٨٧٥هـ. /١٤٧٠م.) ولد في طرابلس الغرب، وتعلم في القاهرة وتوفي بها. وهو تلميذ ابن حجر ومن آثاره:

ــ «فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر»[4] في مجلدين.

وهو مختصر عن العيني وابن تغري بردي. ومنه مخطوط دار الكتب المصرية الذي كتب سنة ٨٧٧ رقم ١٣٤٧٥، وثمة نسخة أخرى مصورة برقم ٢٣٢٩، وأصله بخط المؤلف في أيا صوفيا في ٣٠٨ ورقات وبه نقص في آخره.

---

(١) شذرات الذهب ج٧ ص٣٠٧، السيوطي ـ حسن المحاضرة ٢/١٧٤، كشف الظنون ج١ عمود ٦١٨.

(٢) بروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص٩٠.

(٣) انظر هدية العارفين ج١ عمود ١٣٣ وكشف الظنون ج٢ عمود ١٥٢٠.

(٤) سبق أن ذكرنا قبل قليل محمد بن محمد بن بهادر (في أواسط القرن التاسع) ونسبنا إليه كتاب فتوح النصر. وبعض المصادر ينسبه إلى ابن بهادر محمد بن محمد بن محمد ولذلك كررنا ذكر الكتاب هنا.

ـ «مجموعة تاريخ التركمان» أو تاريخ أولاد ذي القادر وسائر إمارات التركمان من سنة ٧٠٠هـ./١٣٠٠م. إلى سنة ٨٥٠هـ./١٤٤٦م.

وقد جمعها ابن بهادر من «عقد الجمان» للعيني ومن إنباء الغمر لابن حجر وغيرهما. وذلك ليعقوب شاه المهمندار. قال المؤلف: «ومن هذه السنة ذيل الأمير يوسف بن الأمير الكبير تغري بردي مدة ٢٥ سنة أعانه الله على ذلك... إلا أن المؤلف لم يتمكن مما ذكر...».

كتبت المجموعة باللغة العربية في ١٠٦ ورقات ثم ذكر فيها كتاب تاريخ يشبك أحد أمراء مصر وكان نائب الشام ثم تسلطن في مصر. وبعده نجد ملخصاً في تاريخ تيمور منقولاً عن ابن حجر. والمجموعة هامة جداً لبيان علاقات التركمان بالدول المجاورة (البارانية والبايندرية... إلخ) وقد لخص المؤلف وجمع دون أن ينقل النقل الحرفي.

من هذه المجموعة مخطوط في طوبقابو باستامبول رقم ٣٠٥٧ A ٦١٨٦ في ٢٢٦ ورقة.

ـ «رسالة في تاريخ شيخه تاج الدين المحلي»(١).

١١٦ ـ ابن قطلوبغا: زين الدين قاسم بن عبد الله بن قطلوبغا الحنفي (المتوفى سنة ٨٧٩هـ./١٤٧٤م. وقد ولد سنة ٨٠٢).

ـ «رجال كل من الطحاوي والموطأ» للشيباني.

ـ «المنتقى من درة الأسلاك في دولة الأتراك» (لابن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩).

ـ «تاج التراجم في طبقات الحنفية». وهو مختصر جمعه من تذكرة شيخه المقريزي ومن الجواهر المضية للقرشي واقتصر على ذكر من له تأليف. وقد طبع الكتاب في أوروبا (ليبزيغ مع ملاحظات للمستشرق فلوجل سنة ١٨٦٢) ثم طبع تصويراً في مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٦٢ (في ١٣٤ صفحة) ومنه مخطوط خدابخش بتنه رقم ٣٠٠١ في ٣٦ ورقة ومخطوط المكتبة الخالدية في القدس رقم ٢٥ تراجم في ٦٠ ورقة.

ـ «معجم الشيوخ»(٢).

١١٧ ـ الأشرفي: شهاب الدين طوغان المحمدي الأشرفي (توفي سنة ٨٨٠) وله عدة مؤلفات منها:

---

(١) العزاوي ـ التعريف بالمؤرخين ص٢٥٦، فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم٢ ص١٩٧، معجم المؤلفين ج١١ ص٢٩٧ والأعلام.

(٢) انظر كشف الظنون ج١ عمود ٧٣٨ والسخاوي ـ الإعلان (ط. العلي) ص٦٠٢ وهدية العارفين ج١ عمود ٨٣٠.

ـ «كتاب البرهان في فضل السلطان».

وهو مختصر ألّفه للسلطان الظاهر خشقدم بمكة وفيه كثير من الفوائد الشرعية والسياسية. ومنه مخطوط في أياصوفيا.

ـ «المقدمة السلطانية في السياسة الشرعية».

ألّفها للسلطان الملك الأشرف قايتباي ورتبها على تسعة أبواب بيّن فيها الخلاف بين الأئمة في أهم الأحكام الشرعية. وفي آخرها باب واسع في ذكر من ولي مصر من عمرو بن العاص إلى قايتباي. ومنه مخطوط دار الكتب في ٣٣٦ صفحة ومخطوط في برلين.

ـ «منهاج السلوك في سير الملوك». ألّفه سنة ٨٧٥ ومنه نسخة في أياصوفيا[1].

١١٨ ـ **الأسيوطي**: شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق الأسيوطي القاهري المنهاجي (ولد سنة ٨١٣هـ. /١٤١٠م. وتوفي سنة ٨٨٠هـ. /١٤٧٥م.) ولد ونشأ في أسيوط ثم في القاهرة ودرس فيها. وبعد أن نزل حلب قبل سنة ٨٤٨ رحل فاستقرّ في مكة مجاوراً فترة من الزمن ثم استقرّ بالقاهرة حيث مات. وقد ترك:

ـ «كتاب مظاهر الأسرار ونوادر الأخبار».

وهو تاريخ عام مختصر، حسب قول المؤلف في ثلاثة أقسام: التاريخ من المبدأ حتى وفاة الرسول (ﷺ) وتاريخ الخلفاء، وتاريخ الأمراء الآخرين. بدأ تأليفه سنة ٨٦٩.

ومنه القسم الأول فقط في مخطوط بالمكتبة السليمانية رقم ٨٧٩ في ٢٦٣ ورقة بخط المؤلف.

ـ «إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى». وينسب هذا الكتاب أيضاً إلى كمال الدين محمد بن محمد بن أبي شريف الشافعي (المتوفى سنة ٩٠٦) ألّفه أثناء مجاورته بالقدس سنة ٨٧٥[2] ومخطوطه الأصلي بخط المؤلف موجود في مكتبة لا له لي باستامبول رقم ١٩٩٢. وقد طبعت نبذ منه آخر القرن الماضي.

ـ «جواهر العقود ومعين القضاة والشهود».

ـ «تحفة الظرفاء».

ـ «هداية السالك إلى أوضح المسالك»[3].

---

(١) جرجي زيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص١٩١.

(٢) انظر كشف الظنون ج١ عمود ٥ ـ ٦ وفهرس معهد المخطوطات ج١ تاريخ ص٢ وقسم٣ ص٦ (بخاصة) وقسم٤ ص٧ وانظر كذلك بروكلمان واسم المؤلف مخطوطة لا له لي في أنه الأسيوطي.

(٣) السخاوي ـ الضوء ج٧ ص١٣ وانظر كذلك معجم المؤلفين ج٨ ص٢٩٧ والأعلام للزركلي ج٦ ص٢٣١.

١١٩ ـ ابن الجيعان: ثمة ستة برزوا باسم ابن الجيعان في فترة متلاحقة. وليس يعلم بالضبط مدى قرابتهم بعضهم لبعض:

الأول ـ شرف الدين يحيى بن المعمر بن الجيعان الجوخرافي من أهل أواخر القرن الثامن.

الثاني ـ علم الدين شاكر بن عبد اللطيف بن الجيعان القبطي الأصل (المتوفى سنة ٩٠١) وهو شاعر.

الثالث ـ أبو البقاء بدر الدين محمد بن يحيى بن المعمر وهو ابن شرف الدين يحيى. وهو مؤرخ وقاضٍ. (توفي حول سنة ٩٠٠).

الرابع ـ شرف الدين يحيى بن شاكر بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن الجيعان وهو أبو السابق (المتوفى سنة ٨٨٥) وقد جاوز التسعين.

الخامس ـ أحمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني (وهو ابن السابق) المتوفى سنة ٩٣٠.

السادس ـ شاكر بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن الجيعان (المتوفى سنة ٨٩٢)[1].

وقد يكونون أقل من ستة وقد اختلط بعضهم مع بعض بسبب تشابه الأسماء أو تحريفها. وعلى أي حال فإن الرابع منهم: شرف الدين أبو زكريا (وأصله من دمياط وقد ولد في القاهرة سنة ٨١٤ وتوفي فيها) له كتاب:

ـ «التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية».

كتبه سنة ٧٧٧ ويشمل إحصاءات إدارية وخراجية عن الأرض في أيام الملك الأشرف شعبان (الثاني) ما بين سنتي ٧٦٤-٧٧٨. بدأه بالوجه البحري وقد نشر المستشرق ب. موريتز الكتاب في القاهرة سنة ١٨٩٨.

أما أبو البقاء بن يحيى المؤرخ فله مؤلفان:

ـ «القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف».

ذكر فيه سفرة الملك الأشرف قايتباي سنة ٨٨٢ ومنه نسخة في دار الكتب المصرية مذهبة الحواشي رقم: ٢١٠ تاريخ في ٨٤ ورقة. وقد طبع في تورينو (إيطاليا) وسمي تاريخ قايتباي، وفيه فوائد اجتماعية من عادات تلك الأيام وأحوال أهلها. ثم طبع في دار الكتاب

---

(١) انظر في الخامس والسادس بالترتيب: كحالة ـ معجم المؤلفين ج١ ص١٨٥ وشذرات الذهب ج٧ ص٣٣٤ وانظر في الرابع الأعلام للزركلي وفي الثلاثة الأوائل جرجي زيدان ١٩٢/٣ وص٢٣٠.

العربي في بيروت بتحقيق عمر عبد السلام التدمري سنة ١٩٨٥ محققاً على ثلاث نسخ خطية.

ـ «طوالع البدور في تحويل السنين والشهور» ومنه نسخة في دار الكتب المصرية.

١٢٠ ـ الجعفري: ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجعفري الموقع (ولد سنة ٧٩٤ وتوفي سنة ٨١٧) ومن آثاره:

ـ «بهجة السالك والمسلوك في تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك».

ذكر فيه من وَلِي الديار المصرية من الخلفاء والملوك والسلاطين من الفتح الإسلامي إلى (سنة ٨٨٦) أيام السلطان قايتباي. ومنه مخطوط خزائني كتب في عصر المؤلف في ١٢٨ ورقة محفوظ في المكتبة الأهلية في باريس برقم Ar.١٦٠٧.

ـ «نهج الطرائق والمناهج والسلوك إلى تواريخ الأنبياء والخلفاء والملوك». ومنه مخطوط في باريس رقم Ar ١٨١٥[1].

١٢١ ـ أبو حامد القدسي المصري (المتوفى سنة ٨٨٨) وقد كتب:

ـ «كتاب الفضائل في محاسن مصر والقاهرة».

وذلك في وصف مصر والقاهرة وتاريخهما باختصار ومنه مخطوط غوطا ومخطوط المتحف البريطاني[2].

١٢٢ ـ السخاوي: نور الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفي (المتوفى بعد سنة ٨٨٩). له:

ـ «تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات».

يذكر فيه من دفن في جبانة أرض مصر وغيرها من المقابر. ومنه مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٩٧٢ تاريخ طلعت في ٢٤٢ ورقة[3].

١٢٣ ـ ابن القطان: أبو عبد الله محمد بن أبي الجواد قيصر بن عبد الرحمن المصري المعروف بابن القطان (كان حياً سنة ٨٩٢هـ. /١٤٨٧م.) وله:

ـ «التقاط الجواهر والدرر من معادن التواريخ والسير».

---

(١) جرجي زيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص٢٠٧ وفهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم٣ ص٥٢.

(٢) زيدان ـ المصدر السابق ج٣ ص٢٣١.

(٣) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم٤ ص٩٢. وهو ينسب في فهرس دار الكتب المصرية وفي كشف الظنون ومعجم المؤلفين إلى السخاوي المؤرخ الكبير المتوفى (سنة ٩٠٢) محمد بن أبي بكر ولكن المؤلف يصرح في نهاية المخطوط باسمه الصريح نور الدين.

وهو في مجلدين ومعظمه في الوفيات[1].

١٢٤ ـ ابن عطية: حسام الدين إسماعيل بن إبراهيم (كان حيًّا سنة ٨٩٥) ومن آثاره:

ـ «ريحان المروج ودياج الفكر المنسوج الكاشف ما اهلّهمّ من السيرة المصطفوية».

اعتمد سيرة ابن إسحق. ومنه مخطوط كتب في حياة المؤلف سنة ٨٩٥ في ٢١٩ صفحة موجود في المكتبة الآصفية بحيدر آباد الهند رقم ٢٠ تاريخ[2].

١٢٥ ـ سبط ابن حجر العسقلاني (ابن شاهين أو ابن قطلوبغا) أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن شاهين بن الأمير أبي أحمد العلاء قطلوبغا الكركي المصري الحنفي ثم الشافعي ويعرف بابن شاهين. ولد بمصر (سنة ٨٢٨هـ./١٤٢٥، وتوفي بها سنة ٨٩٩)، وهو فقيه محدث.مؤرخ أديب. نشأ في القاهرة ومات بها. ودرس وأفاد وكان ميالاً إلى الجماعات الصوفية بجانب اشتهاره برواية الحديث النبوي.

كان ابن شاهين معجباً بجده ابن حجر يحاول اللحاق بهذا الجد عبثاً. فجعل همه أن يكمل بعض عمل الجد وهكذا كتب تعليقاً عليه عدة كتب:

ـ «حاشية على تبصير المنتبه في تحرير المشتبه» (لجده).

ـ «منحة الكرام لشرح بلوغ المرام» (لجده).

ـ «النجوم الزاهرة في تلخيص أخبار قضاة مصر القاهرة» (لجده) ومنه مخطوط باريس رقم ٢١٥٢ A. غير أنه كتب مستقلاً عن جده كتابين هامين:

ـ «الفوائد الوفية في ترتيب طبقات الصوفية» وأظنه من الكتب الضائعة.

ـ «رونق الألفاظ لمعجم الحفاظ» وهو في طبقات المحدثين في مجلدين. وثمة من المجلد الأول مخطوط أحمد الثالث رقم ٤٩٣ .M ٦٤٧٩ في ٣٥١ ورقة (نسخة طوبقابو). ومن المجلد الثاني مخطوط المكتبة الخالدية بالقدس رقم ١١ تراجم. والأول من اسم أحمد إلى علي والثاني من حرف الغين إلى آخر الكتاب أثناء فصل خاص بالنساء. وفي المخطوط الثاني خطوط بعض العلماء كالصدفي وابن قطلوبغا نفسه وغيره[3].

---

(١) السخاوي ـ الضوء اللامع ج٨ ص٢٩٣ وذيل كشف الظنون ١ عمود ١١٧ ومعجم المؤلفين ج١١ ص١٥٤ والسخاوي ـ الإعلان ص٧٠٢.

(٢) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم٣ ص١٧٥.

(٣) وردت ترجمته لدى السخاوي في «الضوء اللامع» (ج١ ص٣١٣ ـ ٣١٨) ولدى الشوكاني في «البدر الطالع» ج٢ ص٣٥٤ ـ ٣٥٥ كما وردت لدى الكتاني في «فهرس الفهارس» (ج٢ ص٤٥١ ـ ٤٥٣). ونجد شيئاً عنه في معجم المؤلفين لكحالة والأعلام للزركلي وكشف الظنون وهدية العارفين (٢ عمود ٥٦٣) وبروكلمان ملحق٢ ص٧٢.

ـ «المعجم النفيس لابن التركماني» (وهو من شيوخه في الحديث).

ـ «بيان الصناعة بعشرة من أصحاب ابن جماعة».

جمع فيه من مروياته عشرة أحاديث عن عشرة من المسندين المعمرين أصحاب ابن جماعة.

ومنه نسخة خطية ضمن مجموعة من ١٩٦ ـ ٢٣٤ ورقة أي في ٣٠ ورقة في الرباط رقم ٣٢٣ ك[1].

١٢٦ ـ مجهول من أهل دمياط عاش قبل أو في أوائل القرن التاسع كتب:

ـ «تاريخ دمياط».

ذكره المقريزي في الخطط ولم يذكر صاحبه. وكان كتاباً كبيراً.

ومنه عشر ورقات فقط في الصفحات الخمس والعشرين الأخيرة من المجموع المسمى: «فوائد الموائد» وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٨٥٢ أدب. والصفحات هذه تحوي: عشر صفحات من تاريخ دمياط و ١٥ صفحة من تاريخ تنيس وهو مجهول المؤلف بدوره وقد يكون الكتابان لمؤلف واحد.

١٢٧ ـ السلموني: محمد بن محمود بن أبي السعادات بن محمد بن العباس بن أبي الجود. من عهد قايتباي أواخر القرن التاسع (كان حيًّا سنة ٨٩٩). ومن آثاره:

ـ «تاج المعارف وتاريخ الخلائف».

وفيه التاريخ مختصراً من آدم إلى سلطنة الأشرف قايتباي المحمودي. ويظهر أن الرجل كان قاضياً فقد ترجم لمن وَلِي مصر من الخلفاء والملوك وبخاصة لقضاة مصر وأعيانها على المذاهب الأربعة.

ومنه نسخة في المكتبة الأهلية في باريس رقم A. ١٦٠٨ في ٢٠٠ ورقة وهي بخط المؤلف ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية بالتيمورية. ومع نسخة باريس أرجوزة الجزار والذيل عليها للسيوطي والتكملة عليها وهي جميعاً بخط المؤلف أيضاً مما قد يكشف مصادره[2].

١٢٨ ـ مجهول من أهل مصر ما بين القرنين التاسع والعاشر كتب كتاب:

ـ «نزهة العيون في أربعة فنون».

وهو مختصر كتاب المباهج للوطواط (المتوفى سنة ٧١٨).

ومنه نسخة بخط نسخي جميل كتبت سنة ٩٧٨ في ٢٩٢ ورقة كثيفة الأسطر في مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٦١٠.

---

(١) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم٤ ص٦٩.

(٢) زيدان ـ آداب اللغة ج٣ ص٢٠٧ وفهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ، قسم٣ ص٥٦.

١٢٩ ـ ابن الفقيه: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ولعله من أهل أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر ومن آثاره:

ـ «مناقب الخدام والخصيان وفضائلهم» (وفيه حكايات أدبية عن الخدام).

منه مخطوط مكتبة جار الله باستامبول رقم ٣/٢١٠٨ كتب في القرن العاشر ضمن مجموع من ٦٧ وجه إلى ٧٨ وجه. ومخطوط مكتبة شهيد علي رقم ٢٨٠٣ كتب سنة ١١٠١ ضمن مجموع من ١١٤ وجه إلى ١٢٣ وجه[١].

١٣٠ ـ الأمير يشبك بن مهدي الظاهري المقر السيفي: أحد ملوك الأتراك بمصر في أواخر القرن التاسع. ولا يظهر أن له علاقة مع محمد بن أركماس اليشبكي المفسر (المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ./١٤٧٥م.).

وينسب له: تاريخ يشبك الظاهري (ولعل بعض كتابه كتبه له. أو قد يكون الكتاب هو رحلة يشبك التي سيأتي ذكرها) ومنه مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس رقم ٦٠٢٦[٢].

١٣١ ـ مجهول معاصر للملك الأشرف قايتباي أواخر القرن التاسع كتب:

ـ «تواريخ مصر الشام وحلب والقدس وبغداد واليمن وسائر بلاد العباد».

من عصر صلاح الدين سنة ٥٥٤ حتى عصر الملك الأشرف قايتباي سنة ٨٧٧، ولكنه في الواقع هو تاريخ مصر فقط. منه مخطوط كمبردج رقم ١١, ٥ د. د. في ٨٤ ورقة تمّ تأليفه آخر شعبان سنة ٨٧٧. (كما هو مذكور في الورقة ١٤ منه).

١٣٢ ـ مجهول من رجال أواخر القرن التاسع له:

ـ «تاريخ الملك الأشرف قايتباي» (الذي حكم مصر ما بين سنتي ٨٧٣ - ٩٠١هـ./١٤٦٨ - ١٤٩٥م.).

ومنه مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٨٥٥٤ ح في ٨٢ ورقة[٣]. وثمة مخطوط آخر يحمل العنوان نفسه وهو بدوره مجهول المؤلف، ونسخته في دار الكتب المصرية في ١١٦ صفحة.

١٣٣ ـ مجهول يبدو أنه كان قاضي العسكر في الجيش المملوكي أيام المقر السيفي الأمير يشبك بن مهدي الظاهري ثم الأشرفي أحد ملوك الأتراك بمصر. ورافقه في الرحلة وكتب له:

---

(١) ششن ص١٤٢.

(٢) فهرس فاجدا Vajda ص٦٧٩ وانظر السخاوي ـ الضوء اللامع ج٧ ص٦٣١ وذيل كشف الظنون ج١ عمود ٣٠٨.

(٣) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم٤ ص٨٨، زيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص٣١٢.

ـ «رحلة الأمير يشبك الظاهري» (في آسيا الصغرى وما وراءها) ما بين سنتي ٨٧٥ إلى سنة ٨٧٧ (؟) ويبدو أن كاتب هذه الرحلة هو ابن آجا شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبي (المتوفى بحلب سنة ٨٨١) فقد رافق جيشه إلى حلب[1].

وفي بعض المصادر أنها قد تكون لابن بهادر المؤمني (المتوفى سنة ٨٧٥هـ. / ١٤٧٠م.) فإن المخطوطة المحفوظة منها مؤرخة بسنة ٨٧٥ وبخط المؤمني الذي يتطابق مع خطه في مخطوطة أخرى هي طبقات الشافعية لابن الملقن. وفي هذه الحالة قد تكون الرحلة قد تمت قبل سنة ٨٧٥ أو انتهت في هذه السنة. وكانت آخر مؤلفات المؤمني قبل وفاته.

والمخطوط المذكور موجود في مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ٢/٣٠٥٧ ضمن مجموعة من ١١٠(م)/١٧٩ ب في سبعين ورقة. وثمة من الرحلة مخطوط آخر في دار الكتب المصرية (مكتبة أحمد زكي باشا) في ١٣٩ صفحة. وهو مصور عن نسخة أحمد الثالث[2] برقم ٢٥٩٢ تاريخ وبه خرم.

١٣٤ ـ محمد بن الظريف من أهل القرن التاسع ولعله عاش في أواخره. وله:

ـ «شرح العقود الدرية في الأمراء المصرية».

وهو شرح لأرجوزة أبي الحسين الجزار وقد ذيل عليها جماعة قبل ذلك منهم القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري ثم الشيخ صلاح الدين الصفدي ثم شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن علي الحسيني الأسيوطي وانتهى إلى ذكر الأشرف برسباي ثم كتب المؤلف على ذلك تتمة تذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد جقمق.

وشرح الظريف المذكور قصد به خدمة الأمير خشكلدي الظاهري.

ومنه مخطوط لعله بخط المؤلف. وفي آخر المخطوط ذيل إلى فتح السلطان سليم لمصر (سنة ٩٢٣) في ٦٠ ورقة. والمخطوط في ليدن رقم Or. ٩٨٧[3].

١٣٥ ـ مجهول من أهل مصر أواخر القرن التاسع، من كتاب الدست أو الدرج في الإنشاء. جمع:

ـ مجموعة رسائل. بعضها نماذج أدبية لكبار الكتاب (ابن نباتة، الصفدي، ابن غانم، ابن العطار، ابن الأثير، ابن عبد الظاهر، ابن زيدون، ابن مكانس).

---

(١) انظر ابن آجا في الفصل الثالث من الجزء الرابع التالي وكان بالفعل قاضي العسكر.

(٢) انظر جورجي زيدان ـ آداب اللغة ج٣ ص٢٣١ وفهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم١ ص٧٦.

(٣) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ ـ قسم٣ ص١٩١.

والمجموعة الثانية تزيد على مائة رسالة وهي وثائق هامة من الرسائل المتبادلة بين سلاطين المماليك وأمراء وملوك العالم الإسلامي في المشرق والمغرب (الأندلس، المغرب، اليمن، بني عثمان، التيموريين، المغول، الرسوليين في اليمن).

من هذه الرسائل المجموعة مخطوطة باريس رقم ٤٤٤٠ .A في ٢١٠ ورقات. وقد نشر منها أحمد دراج رسالتين في مجلة معهد المخطوطات (المجلد ٤/٢ لسنة ١٩٥٨ ص ٦٧ فما بعد)[١].

١٣٦ ـ مجهول من رجال القرن التاسع في أواخره. ألّف سنة ٨٨٢ مجموعة تواريخ تؤلف في مجموعها تاريخاً لمصر والإسلام:

ـ تاريخ (مجمل جداً) للخلفاء من أبي بكر حتى المستنجد بالله سنة ٨٨٢ (الورقات ١ ـ ٨ ظهر).

ـ ومعه تاريخ ملوك مصر منذ الفراعنة إلى الملك الأشرف أبي نصر قايتباي (٨٧٣ ـ ٩٠١) وهي الورقات ٨ وجه حتى ٢٩ وجه.

ـ ومعه جريدة موجزة بالأوائل تشبه لطائف المعارف للثعالبي (الورقات ٢٩ ظهر ٣٣ وجه).

ـ قطعة من تاريخ عام يشمل السنوات ١٤ ـ ١٨ هجرية مقتبسة عن تاريخ الخطيب البغدادي. في الأوراق ٣٣ ظهر حتى ٦٠ وجه.

ـ وأخيراً اقتباسات من ابن كثير وحسن المحاضرة في باقي الكتاب.

منه مخطوط كمبردج ١٣٥ Qq في ٦٥ ورقة.

١٣٧ ـ الروحي: أبو الحسن علي بن محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن الروحي. من رجال القرن التاسع ولعله في أوائله. وله:

ـ مجموع فيه من التاريخ من أول آدم إلى آخر دولة الملك الناصر فرج بن برقوق (٨٠٨/١٤٠٥) من المماليك الجراكسة مع تاريخ تيمورلنك.

ومنه مخطوط طوبقابو ٢٩٨٤ A ٦١٣٨ في ٣٣٤ ورقة[٢].

---

(١) وانظر كذلك أيمن فؤاد ـ مصادر التاريخ ص٣٣٤.

(٢) بروكلمان ملحق١ ص٥٨٥ (٣آ) وانظر الفراوي: التعريف بالمؤرخين ص٦٧ (ويذكره باسم السروجي) وكشف الظنون مادة تحفة الظرفاء وبلغة الظرفاء.

ويبدو أن ثم اثنين متشابهين في الاسم:

ـ واحد من القرن السابع كتب بلغة الظرفاء وانتهى إلى عصر المستعصم العباسي الأخير وكان معاصراً له. =

١٣٨ ـ الكميلي المنصوري: عز الدين محمد بن عبد الله بن حسن المنصوري الأشعري من أهل القرن التاسع أو العاشر ولعله مصري. وله:

ـ «كتاب العزيز المحلي».

وهو في المحاضرات والمسامرات ويشتمل على «عجائب الأفاق وغرائب الاتفاق ـ كما يقول صاحبه في مقدمته... وسير الأولياء والصالحين والخلفاء والملوك والعظماء والوزراء والخطباء والأدباء في حالَيْ عسرهم ويسرهم وجدهم وهزلهم... ملتقطاً ذلك من الدفاتر.» وقد جمعه صاحبه من ٩٥ كتاباً وفيه ألف ونيف وعشرون حكاية.

ومنه نسخة فريدة في ٢٣٢ ورقة كبيرة كتبت سنة ٩٩٦ بخط يحيى بن يونس ابن أحمد الملاشي. وثمة نسخة أخرى في مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٤١ كتبت سنة ١١٠٥ في ٣٧٤ ورقة[1].

١٣٩ ـ ابن ظاهر: محمد بن إبراهيم بن محمد بن ظاهر الحنفي من رجال ما بين القرنين التاسع والعاشر وله:

ـ «كشف الغمم عن أخبار الأمم».

وهو في التاريخ الإسلامي العام.

ومنه نسخة فريدة تحوي المجلد الأول من الكتاب في مكتبة طوبقابو ١٥٥٩ R ٥٩٦٥ في ٢٨٠ ورقة.

١٤٠ ـ عبد الوهاب بن حسن بن الفرات: من أواخر القرن التاسع (؟) له:

ـ «نخبة الميرة في اختصار السيرة».

ومنه مخطوط فيض الله رقم ١٥٤٧ في ١٨١ ورقة.

١٤١ ـ القاسم بن علي الزينبي: من أهل القرن التاسع (؟) له:

ـ «القوانين السلطانية في الصعيد».

مخطوط مصور في معهد المخطوطات العربية في القاهرة رقم ٤١ فروسية.

١٤٢ ـ مجهول من مطالع القرن العاشر له:

ـ «جواهر السلوك في الخلفاء والملوك».

وهو يستعرض التاريخ الإسلامي من عهد الرسالة حتى سنة ٩٠٣هـ./١٤٩٧م.

ـ وقد طبع الكتاب في مصر (سنة ١٣٢٧ هـ./١٩٠٩ م). ولا يذكر شيئاً بعد الكامل الأيوبي ويتكلم كثيراً عن الفاطميين.

ـ الثاني كتب تحفة الظرفاء، ووصل بها إلى عهد برقوق وتيمور.

(١) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ ـ ج١ ص١٨٠ ولم يذكره بروكلمان.

ومعلوماته في التاريخ العباسي هامة. ومنه مخطوط المكتبة الأهلية في باريس رقم ١٦١٦ Ar.

١٤٣ ــ عبد الصمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى الشافعي: من عهد الناصر محمد بن قايتباي (٩٠١ ـ ٩٠٤). وقد كتب:

ــ «ترتيب مصالح المملكة المصرية فيما تعتمده الملوك في مصالح المسلمين على التمام والكمال» ألّفه سنة ٩٠٢ قلمه صاحبه هدية إلى الملك الناصر. وسماه «هدية العبد القاصر إلى السلطان الناصر» (محمد بن الأشرف قايتباي)[1] ومنها مجموع خطي في كوبنهاغن رقم ١٤٧ في ١١ ورقة ومنه مخطوط في دار الكتب المصرية (زكي باشا في مائة صفحة). رتبه المؤلف علي على خمسة فصول:

الأول ــ النظر في أحوال الرعية.

الثاني ــ الجواب عن القصص التي تقدم للملك.

الثالث ــ اعتبار أحوال من تفوض إليه الولايات.

الرابع ــ المساجد والجوامع والقلاع والحصون والثغور والجند وطريق الحجاز وسير الحاج وإقامته.

١٤٤ ــ مجهول من أهل مصر من رجال القرن العاشر. له:

ــ كتاب في التاريخ (ما بين سنة ٨٧٣ إلى سنة ٩٠٤).

منه مخطوط مخروم الأول في دار الكتب المصرية رقم ٥٦٣١ في ٢٢٤ ورقة[2].

١٤٥ ــ مجهول من أوائل القرن العاشر. ألّف للملك الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ. /١٥٠١ ـ ١٥١٦م.):

ــ «آداب الملوك».

ومنه مخطوط طوبقابو رقم ٩١ B ٦٩٨١ في ١٩ ورقة. وهي نسخة كتبت في بداية القرن العاشر لمكتبة قانصوه الغوري.

١٤٦ ــ مجهول من أوائل القرن العاشر أيضاً ألّف للملك الأشرف قانصوه الغوري:

---

(١) ثمة أربعة في العهد المملوكي يحملون لقب الملك الناصر هم: الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ ـ ٧٤١) ثلاث مرات. والناصر ناصر الدين الحسن بن الناصر (سنة ٧٤٨) ثم (سنة ٧٥٥ ـ ٧٦٢) والناصر فرج بن برقوق ٨٠١ ـ ٨٠٨ والناصر محمد بن قايتباي ٩٠١ ـ ٩٠٤ والمقصود وهو الأخير أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباي.

(٢) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ ـ ج١ ص٢١١.

ـ «الطريق المسلوك في سياسة الملوك».

ومنه مخطوط طوبقابو رقم ١٦٠٨ A ٦٩٨٢ في ١٠٠ ورقة نسخت سنة ٩١٠.

١٤٧ ـ ابن الأمشاطي: مظفر الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن الحسن بن إسماعيل القاهري الحنفي المعروف بابن الأمشاطي. (ولد سنة ٨٤٥ وتوفي سنة ٩٠٢) وله:

ـ «القول السديد في اختيار الإماء والعبيد»(١).

ناصر الدين محمد بن قايتباي (المتوفى سنة ٩٠٤هـ. /١٤٩٨م.) كتب:

ـ «إثبات الدلالات على نصرة الملك الناصر» (يتناول حكم قايتباي ٨٧٢ ـ ٩٠٢).

ومنه مخطوط طوبقابو رقم ٢٩٦٠ A ٦١٥٠ في ١٨٦ ورقة.

١٤٨ ـ محمد بن أبي الفتح محمد الصوفي الشافعي (المتوفى بعد سنة ٩٠٤) كتب في هذه السنة:

ـ «كتاب الصفوة في وصف المملكة المصرية».

وهو عبارة عن مختصر زبدة كشف الممالك لفرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (٨١٣ ـ ٨٧٣) وقد طبع الزبدة في باريس منذ سنة ١٨٩٤. وأما مختصره فيقول: «إنه كتبه بأمر من لا يستطاع التخلف عن امتثال إشاراته» وأنه لخص فيه «محاسن المملكة وخواصها معرضاً عن ذكر التاريخ والماجريات والنوادر والحكايات إلا نادراً وما زدته عليه قانوناً للاعتبار».

كتبه مؤلفه أيام السلطان الملك الظاهر أبي سعيد قانصوه الغوري الأشرفي. وهو مخطوط بالمتحف البريطاني رقم Or. ٣٣٩٢ بخط المؤلف في ٦٨ ورقة من القطع الكبير والنسخة بخط جميل جداً ومذهبة الحواشي.

١٤٩ ـ المدني: شمس الدين محمد بن أحمد بن شرف الدين الشافعي (المتوفى بعد سنة ٩٠٤) وله:

ـ «مواهب اللطيف في فضل المقام الشريف» (مناقب السلطان قانصوه الغوري).

ومنه مخطوط بخط المؤلف في ٥٢ ورقة بدار الكتب المصرية رقم ٢٩ تاريخ خليل آغا.

١٥٠ ـ الطولوني المعمار: حسن بن حسين بن أحمد بن الطولوني المعمار (المتوفى بعد سنة ٩٠٩هـ. /١٥٠٣م.) وله:

---

(١) هدية العارفين ج٢ عمود ٤١١.

ـ «النزهة السنية في أخبار خلفاء الملوك المصرية»[1].

اختصر فيه كتاب (مورد اللطافة) لابن تغري بردي (المتوفى سنة ٨٧٤هـ./١٤٦٩م.)وأضاف حتى قانصوه الغوري سنة ٩٠٩، تبدأ بسيرة النبي والخلفاء ثم ملوك مصر إلى عصره وسلطان زمانه الناصر محمد بن قايتباي وسلطنة الغوري. ومنه المجلد الأول في طوبقابو رقم ٣٠٥٥ A ٦١٤٠ في ٨٧ ورقة.

ونسخة أخرى برقم ٣٠٥٦ A ٦١٤١ في ٦٨ ورقة.

ونسخة ثالثة خزائنية في مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٠٥٥ في ٨٧ ورقة و ٣٠٥٦ في ٧٧ ورقة كبيرة.

ـ «نزهة النفوس والخواطر فيما كتب للمحبين (من) غائب وحاضر». ويتناول أيضاً تاريخ مصر.

المجلد الأول منه مخطوط في طوبقابو رقم ٣٠٣٣ A ٦١٥١ في ٣٨٨ ورقة.

والمجلد الثاني نسخة فريدة في طوبقابو أيضاً رقم ١٦١٢ A ٦١٥٢ في ٢٦٦ ورقة.

١٥١ ـ أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري: كان حيًّا (سنة ٩١٠هـ./١٥٠٤م.)، له:

ـ «حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران»[2].

١٥٢ ـ أبو الخير يعقوب بن أبي عبد الله محمد: فرغ سنة ٩١١ من تأليف كتاب:

ـ «مزيل الحصر في مكاتبات أهل العصر» (وهو نماذج من الوثائق المعاصرة)[3].

١٥٣ ـ آقبغا الخاصكي: وزير السلطان قانصوه الغوري (المتوفى سنة ٩١٥). له:

ـ «التحفة الفاخرة في ذكر رسوم خطط القاهرة».

ـ ومنه مخطوط في باريس بخط المؤلف.

١٥٤ ـ ابن الوزير: عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي القاهري الشهير بابن الوزير الحنفي (ولد سنة ٨٤١ وتوفي سنة ٩٢٠) وهو عالم كثير التأليف. وله من المؤلفات التاريخية:

١ ـ «القول الحزم في تاريخ الأنبياء أولي العزم».

---

(١) يذكر صاحب كشف الظنون أن هذا الكتاب ترجم إلى التركية من قبل عبد الصمد بن سيدي علي الذي أضاف إليه حتى (سنة ٩٤٧) (الكشف ج٢ عمود ١٩٤٣) وهدية العارفين ج١ عمود ٢٨٩ وفهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ: قسم ٢ ص١٦٨ وقسم١ ص٢٧٥.

(٢) بروكلمان ملحق ٢ ص٤١.

(٣) ذيل كشف الظنون ج٢ عمود ٤٧١.

٢ ـ «غاية السول في سيرة الرسول».
٣ ـ «الروضة المربعة في سيرة الخلفاء الأربعة».
٤ ـ تاريخ (مرتب على السنين).
٥ ـ «نيل الأمل» ذيل فيه على الذهبي من (سنة ٧٤٤ إلى سنة ٨٩٦) ومنه مخطوط في أكسفورد.
٦ ـ «المجمع المفنن بالمعجم المعنون».
٧ ـ «نزهة الألباب في مختصر أعجب العجائب».
٨ ـ «نزهة الأساطين في من ولي ملك مصر من السلاطين».

ومن هذا الكتاب الأخير نسخة مخطوطة في مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٨٠٣ بخط المؤلف.

ومنه عشر ورقات في مكتبة لا له لي في استامبول برقم ٢٠٤٤ فيها من عهد صلاح الدين حتى الفتح العثماني. ومنه مخطوط قطعة من ١٥ ورقة في خدابخش بتنه بالهند رقم ٢٣٢٢.

وثمة في مجموع واحد في مكتبة طوبقابو رقم ٢٨٠٣ A ٦٠٣٨ من ٨٦ ورقة ثلاثة من كتبه: «غاية السول» من الورقة ١ إلى ٣٠ وجه، و«القول الحزم في تاريخ الأنبياء» من الورقة ٣٠ ظهر إلى ٥١ ظهر، والثالث «نزهة الأساطين» من ٥٢ وجه إلى ٨٤ وجه. وثمة في نهاية المجموع كتاب في الوضوء(١).

١٥٥ ـ القسطلاني: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حسين المصري الشافعي (توفي سنة ٩٢٣هـ. /١٥١٧م.) وهو من كبار العلماء. وكان فقيهاً مقرئاً مسنداً حافظاً. وكانت بينه وبين السيوطي خصومة وله من مؤلفات التاريخ:

ـ «النور الساطع الملتقط من الضوء اللامع».

فرغ منه سنة ٩١٧ وهو مخطوط في الزاوية الحمزاوية رقم ١٢٠ في ٤٦٢ ورقة، ومصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢١٥٣.

ـ «الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر».

ـ «فتح المواهبي في مناقب الشاطبي».

ـ «نزهة الأبرار في مناقب الشيخ أبي العباس أحمد الجدار».

ـ «منحة من منح المواهبي في سيرة أبي القاسم الشاطبي» (مجلد).

(١) السخاوي ـ الضوء اللامع ج٤ ص٢٧. زيدان ـ آداب اللغة ج٣ ص٢٠٨. هدية العارفين ج١ عمود٤٩٤ وفهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ ج٣ ص١٦٠ وكشف الظنون ج٢ عمود١٦٠٤ وغيره.

ـ «المواهب اللدنية في المنح المحمدية» ويعلق صاحب الشذرات على هذا الكتاب أنه «كتاب جليل المقدار، عظيم الوقع كثير النفع ليس له نظير في بابه»[1] ومنه مخطوط فيض الله رقم ١٥٤٠ في ٤٣٨ ورقة. ومخطوط بخط المؤلف في خدابخش بتنه رقم ٢٢٧٣.

١٥٦ ـ ابن أبي الخير الأنصاري: صفي الدين أحمد بن عبد الله بن أبي الخير الخزرجي الصعيدي (المتوفى سنة ٩٢٣) ومن أعماله:

ـ «خلاصة تذهيب تهذيب الكمال» (وكتاب الكمال هو للحافظ المقدسي سنة ٦٠٠ والتهذيب للمزي سنة ٧٤٢ التذهيب للذهبي سنة ٧٤٨).

ومنه مخطوط جامعة ييل (لاندبرغ) ومخطوط القاهرة ثانٍ ٢٩٣/١.

وقد طبع الكتاب في بولاق بالقاهرة سنة ١٣٢٢ هـ.[2].

١٥٧ ـ الحريري: أحمد بن علي بن المغربي أحمد (المتوفى بعد سنة ٩٢٦ هـ./ ١٥٢٠ م.) وهو صدى بعيد بعض البعد عن الفترة الصليبية، ومع ذلك فقد كتب تحت تأثير الهجمات الصليبية في تلك الفترة على المغرب كتاب:

ـ «الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين».

ومن هذا الكتاب نسخة في باريس رقم ٢٢٣٤ في ٣٠ ورقة ضمن مجموع وثمة نسخة مصورة عنها في المكتبة التيمورية بدار الكتب في مصر رقم ٢٢٨٦ تاريخ في ثلاثين ورقة. وهو أول كتاب عربي يؤرخ لهذه الحروب وحدها منفصلة. وقد طبع مؤخراً مرتين في دمشق وبيروت.

ـ «منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان» كتب أيضاً سنة ٩٢٦.

وهو تاريخ يشمل وفيات مختصرة من سنة ٧٠٤ إلى سنة ٧٥٢ والتراجم مختصرة جداً تكاد تقتصر على الاسم والنسب والمنصب.

ومنه نسخة مخطوطة في خزانة الفاتيكان مصورة في التيمورية رقم ٢٤٠٥ في ٢٣٠ لوحة وفي أول المخطوطة خرم ذهبت فيه أخبار سنة ٧٠٤ ووفياتها وأول حوادث سنة ٧٠٦. وثمة نسخة أخرى من الكتاب في مكتبة سوهاج رقم ٨٦ تاريخ في ١٧٧ ورقة

---

(١) شذرات الذهب ج٨ ص١٢١ ـ ١٢٣. فهرس معهد المخطوطات ٤ ص٤٦٣ وكشف الظنون ج٢ عمود١٠٩. السخاوي ـ الضوء اللامع ج٢ ص١٠٣، الغزي: الكواكب، ١٢٦/١ العيدروسي النور السافر ص١١٣ ـ ١١٥ والشوكاني البدر ١٠٢/١.

(٢) بروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص١٩١ وذكره الأعلام للزركلي على أنه الساعدي لا الصعيدي (١٦٠/١).

مصورة أيضاً في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٢٤، ولكنها ناقصة أيضاً من أولها ومن آخرها[١].

١٥٨ ـ مجهول من أهل النصف الأول من القرن العاشر. (توفي بعد سنة ٩٢٦) كتب:

ـ «تاريخ مصر».

وهو تاريخ موجز لمصر من أقدم العصور حتى عهد سليمان الأول (القانوني) العثماني سنة ٩٢٦ ومنه مخطوط كمبردج رقم Add ٣٢٦٥ مخروم الأول في ٧٠ ورقة.

١٥٩ ـ ابن عبد السلام: أبو الخير أو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام بن موسى القاهري قاضي منوف (ولد سنة ٨٤٧ هـ. /١٤٤٣م. وتوفي سنة ٩٢٧ أو سنة ٩٣١هـ. /١٥٢١، ١٥٢٥م.) وهو فقيه لغوي ـ مؤرخ. من آثاره:

ـ «الفيض المديد في أخبار النيل السعيد».

وهو مخطوط طبع منه منتخبات نشرها الأب برغيس Bergues في المجلة الآسيوية سنة ١٨٣٨، ١٨٤٠، ١٨٤٦.

ـ «رفع الملامة بمعرفة شروط الإمامة» (ولقد كتب بمناسبة فتح العثمانيين لمصر سنة ٩٢٣) وهو في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وكان سماه: «رفع الملام في نصح الإمام».

ـ «البدر الطالع من الضوء اللامع».

وهو مختصر الضوء اللامع اختاره منه وهو مجاور بمكة سنة ٩٠٥. ومخطوطه في ٣ أجزاء في الأحمدية بتونس رقم ٥٠٣٦[٢].

١٦٠ ـ ابن الجيعان: شهاب الدين أحمد بن يحيى أبو البقاء (توفي قتيلاً سنة ٩٣٠) وكان نائباً لكاتب السر في مصر. وينسب إليه: «القول المستطرف» وهو ليس له، كما ينسب إليه كتاب مرّ معنا لرجل آخر يلقب بابن الجيعان وقد يكون له وهو «التحفة السنية في أسماء الديار المصرية». وله أيضاً: «قوانين الدواوين».

١٦١ ـ الأرميوني: يوسف بن عبد الله بن حسن الأرميوني المصري الشافعي (توفي حوالى سنة ٩٤٠) وهو تلميذ جلال الدين السيوطي ومن آثاره:

---

(١) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم١ ص٢٣، ٥٩، ٢٦٥ وفهرس المكتبة الأهلية بباريس (فلجدا) ص٤٠١.

(٢) انظر الأعلام للزركلي. ج١ ص٢٣٢، وانظر السخاوي ـ الضوء اللامع ج٢ ص١٨١، وزيدان ـ آداب اللغة ج٣ ص٢٩٩، وهدية العارفين ١/٩ وج٢ ص٣١٥ و٣٨٦، وكشف الظنون في مواضع متفرقة عديدة. وبروكلمان ـ ملحق ٢ ص٤٠٦. وفهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ ـ قسم٣ ص٤٤.

ـ «تحفة الأساطين في أخبار بعض الخلفاء والسلاطين»[1].

١٦٢ ـ الداوودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المالكي الداوودي (توفي سنة ٩٤٥هـ./١٥٤٢م.). وهو من تلاميذ السيوطي أيضاً وله:

ـ «طبقات المفسرين»[2] فرغ من كتابته سنة ٩٤١ والتراجم فيه مرتبة على حروف المعجم. ومنه الجزء الثاني (من عمر إلى آخر الكتاب)، مخطوط مكتبة أسعد أفندي باستامبول رقم ٢٠٧٣ في ١٩٣ ورقة. ونسخة منقولة عن خط المؤلف في دار الكتب بمصر رقم ١٨٦ تاريخ وبأثنائها وقفات. وهي في ٣٤٤ ورقة. وثمة نسخة ثالثة في الظاهرية وقد نشر بتحقيق عبد الحفيظ منصور في طرابلس ـ تونس (سنة ١٩٧٥).

ويصفونه بأنه أحسن ما صنف في موضوعه. والداوودي أيضاً:

ـ وضع ذيلاً على طبقات الشافعية للسبكي.

ـ وجمع ترجمة جلال الدين السيوطي في مجلد ضخم.

ـ وذيّل على اللباب في الأنساب للسيوطي[3].

١٦٣ ـ العلائي: بدر الدين محمد بن عبد الله العلائي المصري الحنفي (المتوفى سنة ٩٤٢) وهو العلامة المسند المؤرخ وله:

ـ «حوادث القاهرة» من سنة ٩١٧ إلى أواخر سنة ٩٣٤.

اعتمده الغزي في الكواكب السائرة.

ـ «تاريخ على السنين».

ويظن أن هذا الكتاب له، ومنه الجزء الخامس مخروم الأول وهو مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٣٤ في ٢٦٧ ورقة كتب سنة ٩١٨[4].

١٦٤ ـ مجهول من أهل النصف الأول من القرن العاشر. له:

ـ «تكملة كتاب الأنباء على أنباء الأنبياء وتاريخ الخلفاء» (للقضاعي) وصل به إلى (سنة ٩٢٦هـ./١٥٢٠م.) (توفي القضاعي سنة ٤٥٤هـ.).

ومنه مخطوط المكتبة الأهلية في باريس أول رقم ١٤٩٠/٢[5].

---

(١) هدية العارفين ج٢ عمود٥٦٤.

(٢) بروكلمان ج٢ ص٣٧٣.

(٣) بروكلمان ج٢ ص٣٧٣ فهرس معهد المخطوطات تاريخ ـ قسم١ ص ١٧٧. فهرس دار الكتب الظاهرية للريان ص٣٤٤ ـ ٣٤٥. كشف الظنون ج٢ عمود١١٠٧. شذرات الذهب ج٨ ص٢٦٤. زيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص٣١٢. هدية العارفين ج٢ عمود٢٣٧ وكشف الظنون ج٢ عمود١١٠٧ وغيره.

(٤) انظر مقدمة الغزي للكواكب السائرة ج١ ص٥ وشذرات الذهب ج٨ ص٢٥ وفهرس دار الكتب الظاهرية للريان ص٦٢٦ (وفهرس العشر ص١٠٠).

(٥) بروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص١٢٥.

١٦٥ ـ البكري: محمد بن أبي الحسن محمد بن عبد الرحمن الصديقي الشافعي المصري (المتوفى سنه ٩٥٢) وهو محدث مفسر شاعر فقيه وصوفي كبير. ويقولون إنه كانت له كرامات وخوارق حتى سُمي لدى الناس بالقطب الأعظم. ومن آثاره: [١]

١ ـ «بشرى العباد بفضل الرباط والجهاد».

٢ ـ «النظر الثاقب بما لقريش من المناقب».

٣ ـ «المنح المبين القوى للمولد النبوي».

٤ ـ «تحفة السالك لأشرف المسالك». (التصوف).

٥ ـ «تحفة العجلان في فضائل عثمان بن عفان».

٦ ـ «حسن الإصابة في فضل الصحابة».

٧ ـ «الدرة المكللة في فتح مكة المشرفة المبجلة».

٨ ـ «الروض الأنيق في فضل أبي بكر الصديق».

٩ ـ «شرف الفقراء وبيان أنهم الأمراء».

١٠ ـ «غاية الطلب في فضل العرب».

١١ ـ «نزهة الأبصار في فضل الأنصار».

١٢ ـ «نهاية الأفضال في تفضيل الآل».

ومن الملاحظ أن الرجل في هذه المؤلفات إنما يطوف حول ذاته ويؤكد كريم نسبه وصلات هذا النسب.

١٦٦ ـ ابن أبي السرور: أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد البكري الصديقي (ولد سنة ٨٩٩ وتوفي سنة ٩٥٢هـ./١٥٤٥م.)[٢] ومن آثاره:

ـ «التحفة البهية في تملك بني عثمان الديار المصرية».

ومنه مخطوط كوبنهاغن رقم ٩٣ في ١٠١ ورقة.

١٦٧ ـ ابن زنبل: نور الدين أحمد بن علي المحلي الرمال المعروف بابن زنبل

---

(١) شذرات الذهب ج٨ ص٢٩٢ ـ ٢٩٣. هدية العارفين ج١ عمود ٢٣٩. ذيل كشف الظنون ١ عمود ٦٥٧ وغيره.

(٢) يطلق اسم ابن أبي السرور على عدد من البارزين في تلك الفترة فمنهم: محمد بن محمد المذكور وهو الجد، ثم محمد بن محمد بن محمد (المتوفى سنة ١٥٨٨/٩٩٤) وهو ابنه الصوفي وثمة الحفيد محمد (أربع مرات) وهو الحفيد المؤرخ (المتوفى سنة ١٠٢٨هـ./١٦١٩م.). وهناك محمد بن محمد الكرخي البكري بدر الدين (ولد سنة ٩١٠ وتوفي سنة ١٠٠٦هـ./١٥٩٨م.). (انظر كحالة ـ معجم المؤلفين ج١١ الصفحات ٢٢٩، ٢٦١، ٢٨١، ٢٩٠).

(المتوفى سنة ٩٦٠) كان من موظفي نظارة الجيش حتى وفاته، ويتعاطى التنجيم وضرب الرمل كما كان مؤرخاً. وله كتاب يحمل عدة عناوين هو:

ــ «تاريخ السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري وما جرى بينه وبين السلطان سليم شاه بن عثمان من الحروب والواقعات إلى أن مات السلطان قانصوه». وأسلوبه عامي.

ومنه في تركيا مخطوط مغنيسيا رقم ١٣٥٧ كتب سنة ١٠٥٨ في ١٧٢ ورقة.

ومخطوط جامعة استامبول (القسم العربي) رقم ٦٨٢٥ كتب ١١٦٨ في ٨١ ورقة ويسمى الكتاب نفسه باسم «فتح مصر أو سيرة السلطان سليم خان والجراكسة» وهو مخطوط في دار الكتب المصرية (الجزء الثاني فقط) رقم ٤٤ تاريخ في ٢١٢ ورقة كما يسمى الكتاب أيضاً باسم «تاريخ السلطان سليم العثماني في فتح مصر مع السلطان قانصوه الغوري». ومنه بهذا العنوان مخطوط دار الكتب المصرية (وهو كامل) ويحمل رقم ١٢٤ تاريخ في ١١٠ ورقت ومخطوط رضا رامبور في الهند رقم ٣٦٣٣ في ١٠٠ ورقة. وثمة ملخص له في فيينا (فهرسها ج ٢ ص ١٥٦ ـ ١٥٧) ومخطوط في كمبردج رقم ١٣٦ Q9 كما يسمى الكتاب في «ذيل كشف الظنون» للبغدادي باسم «انفصال دولة الأوان واتصال دولة بني عثمان في تاريخ السلطان سليم بن بايزيد الثاني».

ــ ولابن زنبل كتاب «قانون الدنيا» وهو في الجغرافية والهيئة.

ومنه مخطوط طوبقابو رقم ١٦٣٨ R ٦٥٦٢ في ٤٦٠ ورقة وفيه ٣٢٢ شكلاً ورسوم طويلة. كتب (سنة ٩٧٠).

١٦٨ ــ حسن بن عبد الله العثماني المصري الحنفي: (توفي بعد سنة ٩٦٥) وله:

ــ «تذكرة الأنام بمن تولى مصر القاهرة في الإسلام». فرغ منه سنة ٥: .[1].

١٦٩ ــ المنهاجي: (نور الدين أو بدر الدين) محمد بن يوسف (المتوفى سنة ٩٦٦) خطيب جامع السيدة نفيسة في مصر وهو صاحب أراجيز تاريخية[2] وقد كتب

ــ «البدور السافرة في من وَلي القاهرة».

أرجوزة من الفتح الإسلامي إلى سنة ٩٥٦ وهي مخطوطة في فيينا.

ــ «النجوم الزاهرة في ولاة القاهرة».

وهي أرجوزة في مائتي بيت، مخطوطة في دار الكتب المصرية. أولها:

يقول من عفو الإله راجي   محمد بن يوسف المنهاجي

---

(١) هدية العارفين ج١ عمود٢٩٠.

(٢) جرجي زيدان ـ آداب اللغة العربية ج٣ ص٣١٥ ذيل كشف الظنون ج٢ عمود٦٢٧.

١٧٠ ـ ابن عابدين: زين الدين بن عابدين بن نجيم المصري (المتوفى سنة ٩٧٠).
وله:

ـ «التحفة المرضية في الأراضي المصرية».

ومنه مخطوط الحرم المكي رقم ٣٤/٤.

١٧١ ـ ابن حجر الهيثمي: أحمد بن محمد بن محمد شهاب الدين أبو العباس السعدي الأنصاري (توفي سنة ٩٧٣) وكان علامة زمانه في التفسير والحديث والكلام والفقه والمنطق والمعاني والبيأن والنحو والفرائض والحساب والتصوف. حج أكثر من مرة آخرها (سنة ٩٤٠) وجاور بمكة حتى توفي. وكان عند ذاك شيخ الإسلام وخاتم كبار العلماء. من مؤلفاته:

ـ «الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان».

ومنه مخطوط مكتبة لا له لي باستامبول رقم ٢/٢٣٤٧ ضمن مجموع من ٥٣ ظهر إلى ٧٣ وجه ومنه أيضاً مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ١٠١٠٥ في ٣٨ ورقة.

ـ «ثبت الإمام أحمد بن حجر» (وهو معجم شيوخه).

ومنه مخطوط الأوقاف في بغداد ضمن المجموع ٤٧٢٤.

ـ «معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة».

ـ «أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل».

ومنه ثلاث نسخ في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ١٨٧١ في ١٣٩ ورقة، ورقم ٣٨٧٩ في ٢٨٥ ورقة، ورقم ٦٢ في ٢٣٧ ورقة.

ـ «تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار».

وهو مخطوط بالحرم المكي رقم ١٣٣ وقد طبع باسم تحفة الأخيار في مولد المختار[1].

١٧٢ ـ الشعراني: عبد الوهاب بن أحمد بن علي أبو المواهب الشاذلي الأنصاري المعروف بالشعراني (توفي سنة ٩٧٣هـ./١٥٦٥م،) وهو من ذرية محمد بن الحنفية. ظهرت فيه النجابة منذ الصغر ودرس على كبار شيوخ عصره ومال إلى التصوف فانصرف إليه

---

(١) بروكلمان ج٢ ص٣٨٧ وملحق ٢ ص٥٢٧ ـ ٥٢٩، وششن ص٧٢ وشذرات الذهب ج٨ ص٣٧٠ ـ ٣٧٢، ومعجم المؤلفين لكحالة ج٢ ص١٥٢، وبالإضافة إلى العيدروسي ـ النور السافر ٢٨٧ ـ ٢٩٨، والشوكاني البدر الطالع ج١ ص١٠٩، زيدان ـ آداب اللغة ج٣ ص٣٣٤ ـ ٥ والغزي ـ الكواكب السائرة وفهرس الظاهرية للريان ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ وص٦١٣.

بكليته واشتغل بجهاد النفس والتأليف ورعاية العميان في زاوية[1]. ومن مؤلفاته في التاريخ:

ــ «لواقح الأنوار القدسية في طبقات العلماء الصوفية».

وهي الطبقات الوسطى في تراجم الصوفية. ذكر فيها مناقب الصحابة والتابعين وجماعات من العلماء انتهى بها إلى سنة ٩٥٢، وفرغ من تأليفها سنة ٩٦١. وفيه ٢٤ من الصحابة و ٩٥ من التابعين و ١٧ من النساء و ٢٠٠ من المشايخ و ٨٦ من مشايخ عصره فالمجموع ٤٢٢ ترجمة.

ومن اللواقح نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم ١٤٢٣ تاريخ في ٣١٣ ورقة. وثمة نسخة أخرى في الرباط رقم ٢٨١ ك في ٢٠١ ورقة، ثلاث نسخ في الظاهرية بدمشق رقم ٣٣٩٤ في ٢٨٨ ورقة، و ٣٤٧٢ في ١٨٥ ورقة، و ٤٨٠٩ في ٢٩٩ ورقة، وكلها من كتابة القرن الحادي عشر.

ــ «ذيل لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار». انتهى من تألفه سنة ٩٦٦ ويسمى في بعض الفهارس بـ«ذيل طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعراني».

ومنه نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥١٣ تاريخ في ٦٢ ورقة. ومخطوط آخر في الظاهرية بدمشق في مجموع رقم ٤٨٠٩ من الورقة ٣٠١ إلى ٣٣٧ (٣٦ ورقة). ومخطوط آخر في الظاهرية رقم ٩٧٥٧ في ٦٢ ورقة.

ــ «المفاخر والمآثر في علماء القرن العاشر» (وصل فيه حتى سنة ٩٦١).

ذكره الشعراني في أول كتابه لواقح الأنوار كما ذكره في نهاية الذيل (الورقة ٦٢ ظهر) حيث يقول «... وقد بقي منهم جماعة ذكرناهم في كتاب المفاخر والمآثر».

ــ «لطائف المنن والأخلاق».

ومنه مخطوط طويقابو رقم ٢٣٠٦ A ٦٩٨٠ في ٤٠٧ ورقات.

١٧٣ ــ الجزار: نور الدين علي بن محمد الجزار المصري (توفي سنة ٩٨٤) له:

ــ «تحقيق الفرج والأمان والفرح لأهل الإيمان بدولة السلطان سليم بن سليمان خان».

وقد جعله على أربعة أبواب.

---

(١) انظر شذرات الذهب ج٨ ص٣٧٢ ـ ٣٧٤، الكتاني: فهرس الفهارس ٢ ص٤٠٥ ـ ٤٠٧، زيدان: تاريخ آداب اللغة ٣ ص٣٣٥ ـ ٣٣٦، معجم المؤلفين: كحالة ج٦ ص٢١٨ ـ ٢١٩، كشف الظنون في مواضع عدة، وهدية العارفين ج١ ص٦٤١ ـ ٦٤٢. وفهرس الظاهرية للريان ص٢٨٠ و ٦٥٠ وفهرس المخطوطات قسم١ ص١٤٠ وص٢٢٦ وبروكلمان: ملحق ٢ ص٤٦٦ (٤٤).

ـ «تحصين المنازل من هول الزلازل»، وهي رسالة ألفها حين زلزلت مصر (سنة ٩٨٤)(١).

١٧٤ ـ البلقيني: محمد وهو تلميذ الشيخ أحمد بن عثمان بن أحمد الشرنوبي (المتوفى سنة ٩٩٤هـ. /١٥٨٦م.) ألف لأستاذه المتصوف:

ـ «الكشف الغيوبي في طبقات السيد الشرنوبي».

ومنه مخطوط بلدية الإسكندرية ٢٠٤٨ ح في ٢٨ ورقة، ومخطوطة أخرى في الرباط رقم ١٠٦٣ D في ٧٠ ورقة (وتسمى فيها طبقات الشيخ الشرنوبي(٢)) وثمة مخطوطة ثالثة في الظاهرية بدمشق بعنوان:

ـ «كرامات السادة الأربع أصحاب الأشاير... وما سبب قسمتهم الأرض دون غيرهم» ورقمه ١٥١٦ في ٦٦ ورقة.

(وهم عبد القادر الجيلي [الجيلاني] وأحمد الرفاعي وأحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي).

١٧٥ ـ مجهول من تلاميذ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني في النصف الثاني من القرن العاشر كتب:

ـ «النجم الزاهر لمن يريد طريق الحق الزاهر».

وقد جمعه في طبقات أستاذه الشعراني وهو مخطوط رواق المغاربة في الأزهر رقم ٥٢٢٨ في ٨٢ ورقة.

١٧٦ ـ مجهول من أواخر القرن العاشر أو مطالع الحادي عشر:

ـ أضاف إلى مختصر كتاب عجائب الدهور لابن وصيف شاه.

وذلك بعد الزيادة الأولى حتى مطالع العهد العثماني التي أضافها مؤلف مجهول آخر. وقد وصلت الزيادات إلى عهد سليمان الأول. ومن الكتاب مع الزيادتين مخطوط فيينا ٩١٩، ١(٣) ومخطوط باريس (أول).

١٧٧ ـ مجهول لعله من القرن العاشر. كتب:

ـ «تقويم البلدان المصرية في الأعمال السلطانية».

---

(١) كشف الظنون ج١ عمود ٣٧٨ و٣٦٠.

(٢) فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ ـ قسم١ ص٢١٦، فهرس الظاهرية للريان ص٦٧٦ والأعلام للزركلي ١ ص١٦٧.

(٣) بروكلمان (الترجمة العربية) ج٦ ص٩٠ وص٩٢.

منه مخطوط كمبرذج رقم ٦٥ Qq.

١٧٨ ـ البهنسي: محمد بن محمد (المتوفى سنة ١٠٠١) وله:

ـ «نزهة الأرواح وبهجة الأشباح».

مخطوط بخط المؤلف في نسخة فريدة بمكتبة شستربتي رقم ٣٢١٠.

١٧٩ ـ تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري: (المتوفى سنة ١٠٠٥ أو سنة ١٠١٠هـ.) وقد صنف:

ـ «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (في ٤ مجلدات).

وهو أجلُّ كتاب في موضوعه جمع فيه تراجم الرجال الأحناف الكبار في ٢٥٢٣ ترجمة وأتم الكتاب سنة ٩٩٣. كتبه وصدره باسم السلطان مراد، سلطان العصر ثم سيرة الرسول الأعظم وسيرة أبي حنيفة ومناقبه ثم رتب الأسماء على الحروف وربما أكثر في بعضُ التراجم من الأشعار، وقصد بذلك ألا يخلو كتابه من الأدب. وذكر في أوله أنه أورد باباً للأنساب والألقاب في آخر الكتاب. وفي مقدمته فوائد تاريخية هامة حول فن التاريخ[1] وقد طبع في الرياض (دار الرفاعي للنشر) سنة ١٩٨٤ بتحقيق عبد الفتاح الحلو (جامعة الإمام محمد بن سعود).

من هذا الكتاب نسخة كاملة في أربع مجلدات في دار الكتب المصرية ـ التيمورية رقم ٥٤٠/تاريخ وثانية برقم ٢٠٥٦ تاريخ طلعت في ٨٣ ورقة ونسخة أخرى برقم ٥٥ تاريخ حليم ونسخة رابعة في سوهاج ٣٧٦ تاريخ وبها نقص ونسخة خامسة في نور عثمانية باستامبول رقم ٣٣٩١ وسادسة في فيض الله رقم ١٤٧٥ في ٨٧ ورقة. ونسختان في مكتبة فيض الله برقم ٢٨٣٣ A ٦٥٠٨ في ٦٩٥ ورقة ورقم ٢٨٣٤ A ٦٥٠٧ في ٥٦١ ورقة وهي بخط المؤلف.

١٨٠ ـ قعود النسفي: أحمد بن أبي بكر الخزرجي المصري المالكي (توفي سنة ١٠٠٧ هـ. /١٥٩٨م.)، الشهير بقعود.

وهو عالم أديب وله:

ـ «تذكرة جمع فيها من لقيه من الشيوخ»[2].

---

(١) زيدان ـ آداب اللغة ٣ ص٣١٢. فهرس معهد المخطوطات ـ تاريخ قسم١ ص١٦٩ وقسم٣ ص٢٠٢ وكشف الظنون ج٢ عمود١٠٩٨ ـ ١٠٩٩ وبروكلمان ملحق ٢ ص٤٢٩.

(٢) المحبي ـخلاصة الأثر ج١ ص١٥٩ ـ ١٦١. الأزهري ـ اليواقيت الثمينة ج١ ص٢١. هدية العارفين ١ عمود١٥١ فهرس الظاهرية للرياذ ص٦٨١، كحالة ـ معجم المؤلفين ج١ ص١٧٩.

١٨١ ـ محمد بن أبي السرور البكري الصديقي: (توفي سنة ١٠٠٧ هـ. /١٥٩٨م.) له:

ـ «فيض المنان بذكر دولة آل عثمان».

ومنه مخطوط الرباط ـ الخزانة العامة ـ مكتبة الجلاوي رقم ٨٤٨ وهو مصور في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية (شريط رقم ٦٦٣).

١٨٢ ـ الرشيدي: عبد الواحد بن عبد الله البرجي المصري الشافعي (المتوفى سنة ١٠٢٣). له:

ـ «نزهة المسامرة في أخبار مصر القاهرة»[1].

١٨٣ ـ ابن أبي السرور: محمد بن أبي الحسين علي بن عبد الرحمن البكري الصديقي المصري (المتوفى سنة ١٠٢٨) وله عدد من المؤلفات التاريخية ترفعه إلى مصاف كبار المؤرخين في العهد العثماني المبكر:

١ ـ «فيض المنان في دولة آل عثمان» (أو درر الجمان) ومنه مخطوط سوهاج رقم ١٠٣ تاريخ.

٢ ـ «درر الأثمان في أصل منبع آل عثمان».

٣ ـ «المنح الرحمانية في الدولة العثمانية» (وهو تاريخ صغير) منه مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٩٢٦ تاريخ.

٤ ـ «درر الجمان في دولة السلطان عثمان». وهو ذيل على المنح الرحمانية وسماه أيضاً: «اللطائف الربانية على المنح الرحمانية».

٥ ـ «عيون الأخبار ونزهة الأبصار». وهو تاريخه الكبير منه مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٧٣ تاريخ.

٦ ـ «تحفة الظرفاء بذكر الملوك والخلفاء». وهو مجلد في عشر مقالات ذكر أنها كتابه المتوسط بين عيون الأخبار والمنح الرحمانية.

٧ ـ «الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة». ومنه مخطوط المتحف البريطاني رقم Add ٩٩٧٣.

٨ ـ «النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية». ومن مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٢٦٦.

٩ ـ وينسب إليه «التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية» ومنه مخطوط فيينا رقم: Ar.٩٢٥ A.F. ٢٨٣.

---

(١) هدية العارفين ج١ عمود٦٣٦ وذيل الكشف ج٢ عمود٦٤١.

١٠ ــ «تفريج الكربة لدفع الطلبة». ذكر أنه ألفه في وقعة محمد باشا والي مصر مع عسكر مصر لدفع هذه البدعة (سنة ١٠١٧) وقال: معنى الطلبة هو مطلب يفرقه الجند على ناحية ما دون وجه حق. فرفعه الباشا عن الناس[1].

---

(١) انظر فهرس معهد المخطوطات قسم٢ ص٥٩ و٢/٤٢ و٣/٣٠٥ وكشف الظنون ج١ عمود٤٢٦ و٣٠٥ و٧٤٥ و٣٦٩.

الفهرس

الفصل الخامس والعشرون
المدرسة المصرية ـ٣
المؤرخون الثانويون

هذا الكتاب

يوم كانت مادة هذا الكتاب تجتمع على الصمت والتكاثر بين يدي سنة بعد سنة حتى بلغت ما يزيد على خمس عشرة ألف بطاقة ، عدا مئات الكتب ومئات الأبحاث ، ما كان في خاطري أن تأخذ طريقها إلى دراسة كهذه الدراسة في علم التاريخ الاسلامي ولا إلى كتاب من مثل هذا الكتاب .

على أن مصاداة المصادر التاريخية جرتني — دون أن أدري — إلى النظر في مناهجها ونسيجها الفكري وتقنيتها العلمية الدفينة وخصائصها من خلال تاريخ التدوين وتطوره على تمطي الزمن . كما جرتني — ودون أن أدري أيضاً — إلى معايشة المؤرخين ، ذلك الرعيل الكبير الذي رافق مسيرة التاريخ العربي الإسلامي كله وأعارنا عيونه والأقلام لنرى ونعرف تلك المسيرة من خلاله ... حيادياً كان أم ذاهباً مع الأهواء . نافذ البصيرة أو أعمى الفؤاد ، في ألوف المجلدات التي كتب ... ووجدتني بين هذا وذاك أمام موضوع جديد لم يكتب بعد ، وقد تكاملت على أوراقي جوانبه « فلم يبق إلا صورة اللحم والدم » ، لم يبق إلا أن توضع له الكلمات ... وهكذا وجد هذا الكتاب الذي يتحدث عن علم التاريخ العربي في مختلف أطواره وعصوره وعن المؤرخين الذين أقاموا، على الأطوار والعصور، هذا العلم .

وهذا الكتاب ليس على أي حال أكثر من محاولة تطمح في كثير من التواضع إلى أن ترسم بعض الخطوط والملامح في تأريخ علم التاريخ جواباً على الحاجتين الأولى والثانية وإلى أن تكون نوعاً من المصباح الهادي لفهم المصادر التاريخية في معارجها والمسالك تلبية للحاجة الثالثة . كما ترجو أخيراً أن تكون إحدى المنافذ للاتصال على الإحاطة والألفة بهذا الفرع من فروع النشاط الفكري في الثقافة العربية الإسلامية ، تمهيداً لاستعراض ثمرات ذلك النشاط في الكتاب الثاني القريب : مصادر التاريخ الإسلامي .